سلسلة منشورات مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع بالرياض

(١٠٠)

حديث المساء

من الدروس والمحاضرات والتعليقات

لسماحة الشيخ العلامة

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

رحمه الله

اعتنى به

صلاح الدين عثمان أحمد

أمين مكتبة سماحته



ⓒ صلاح الدين عثمان أحمد، ١٤٣٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله
حديث المساء. /عبد العزيز بن عبد الله بن باز؛ صلاح الدين عثمان أحمد.- الرياض، ١٤٣٢هـ
٤٧٨ص؛ ١٧×٢٤سم.
ردمك: ٦ ـ ٦٤٤٩ ـ ٠٠ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨
١ ـ الإسلام ـ مجموعات ٢ ـ العبادات ٣ ـ الثقافة الإسلامية
أ.أحمد، صلاح الدين عثمان (سعد) ب.العنوان
ديوي ٢١٠ ١٤٣١/٩٨٥٣

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ

مكتبة دار المنهاج
للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية . الرياض
المركز الرئيسي ـ طريق الملك فهد ـ شمال الجوازات
هاتف ٤٠٦٥٥٥٣ ـ فاكس ٤٠٨٣٦٩٨ ـ ص.ب: ٥١٩٢٩ ـ الرياض ١١٥٥٣
الفروع ـ طريق خالد بن الوليد (إنكاس سابقاً) ت: ٢٣٢٢٠٩٥
المدينة النبوية ـ طريق سلطانة ـ ت: ٠٤/٨٤٦٧٩٩٩
مكة المكرمة ـ الجميزة ـ الطريق النازل للحرم ـ ت ٠٢/٥٧٦١٣٧٧

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

سلسلة منشورات مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع بالرياض ١٠٠

حديث المساء

من الدروس والمحاضرات والتعليقات

لسماحة الشيخ العلامة

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

رحمه الله

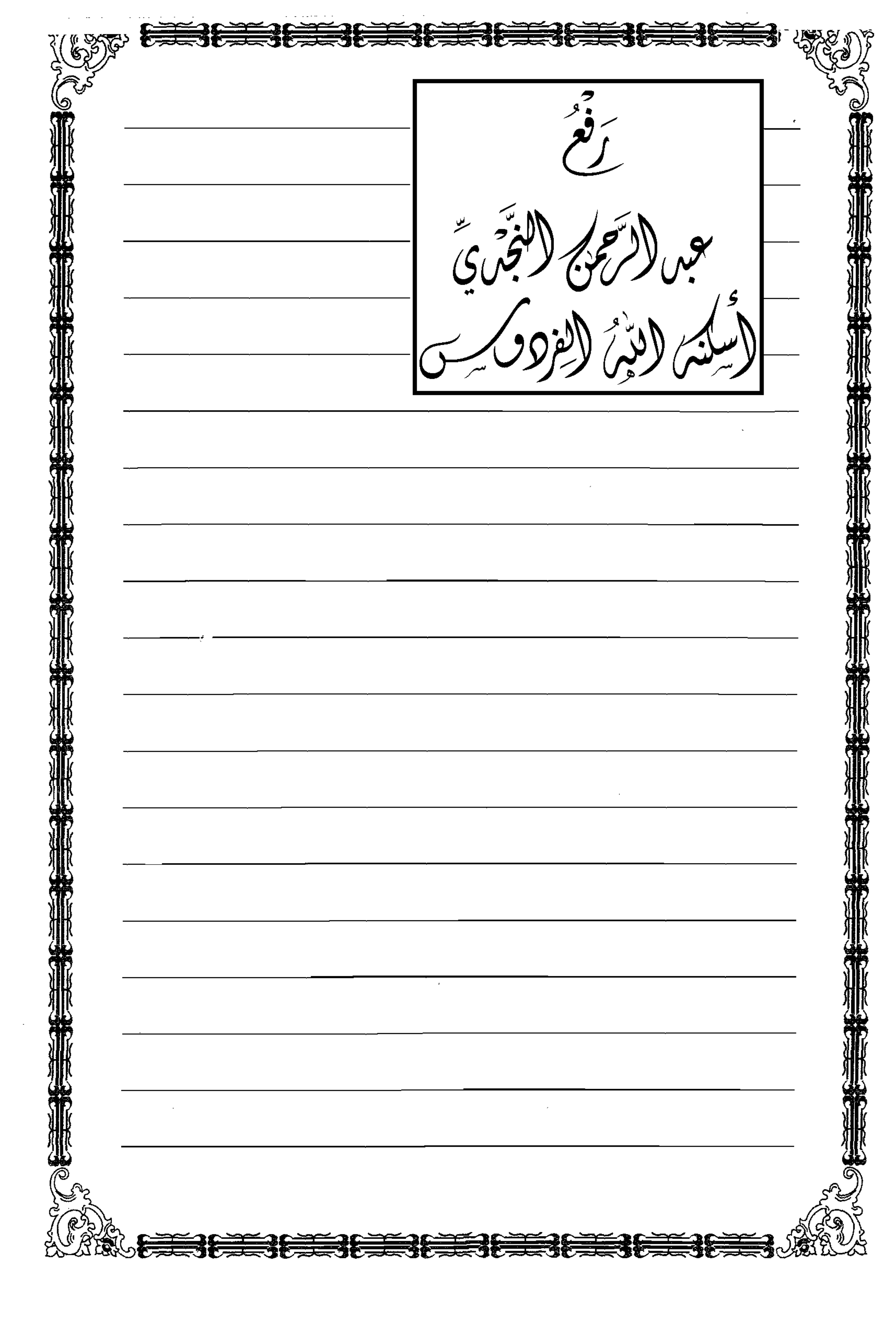
اعتنى به

صلاح الدين عثمان أحمد

أمين مكتبة سماحته

مكتبة دار المنهاج

للنشر والتوزيع بالرياض



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس



الحمد لله والصَّلاة والسَّلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعد:

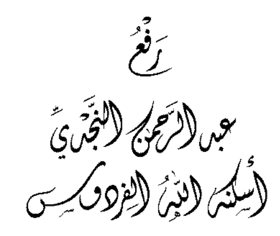
فيَطيبُ «لمؤسَّسة عبد العزيز بن باز الخيريَّة» أن تضع بين يدي القارئ الكريم هذا الجمعَ، الموسوم بـ«حديث المساء»، الذي اشتمل علىٰ كَلِماتٍ كان يُلقيها سماحة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد العصر؛ تضمَّنت تفسير بعض الآيات، وشرحَ بعض الأحاديث، وتعليقاتٍ علىٰ موضوعاتٍ متنوِّعة، وتعليقاتٍ علىٰ كلماتٍ كان يُلقيها بعض المشايخ في مَوْسم الحج، في العقائد، والعبادات والمعاملات، كما ضَمَّ ثلاثَ محاضرات لسماحة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قام بجمعها ونقلها من مسموعات إلىٰ مكتوبات، وتخريج أحاديثها: الأخ/ صلاح الدين عثمان أحمد؛ أمين مكتبة سماحة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بمنزله، وقد أشرف علىٰ مراجعة المادة الشيخ الدكتور عبد العزيز بن محمد السَّدحان.

نسألُ اللهَ أن ينفع بهذا الجمع مُعِدَّه، وقارئه، وكلَّ من عَمِل علىٰ إخراجه، وأن يجعله من العلم النافع الذي يجري أجرُه علىٰ سماحة والدنا وشيخنا/ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأن يجمعنا به والقارئ الكريم في دار كرامته مع الأحبَّة محمَّدٍ وصحبه.

وصلَّىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمَّدٍ وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم.

اللَّجنة العلميَّة

في مؤسسة عبد العزيز بن باز الخيريَّة



مقدمة

بقلم: فضيلة الشيخ د. عبد العزيز بن محمد السَّدحان

الحمد لله الذي رفع بالعلم أقوامًا ووضع به آخرين، والصَّلاة والسَّلام علىٰ رسوله، وعلىٰ آله وصحبه ومن والاه.

وبعد:

فإنَّ من أعظم ما يُورَّث بعد موت الإنسان: ميراثَ العلم، وأسعدُ النَّاس بهذا أهل العلم الراسخون، وهم كُثرٌ ـ بحمد الله تعالىٰ ـ في العصور المتقدِّمة، وقليلٌ هم في العصور المتأخِّرة، وهم ـ علىٰ قِلَّتهم ـ قد جعل الله فيهم خيرًا كثيرًا، ومن أُولئك القليل: شيخُ الإسلام في زمانه الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز ـ رحمه الله تعالىٰ ـ وهو ـ بحقّ ـ من الثُّلَّة المُقدَّمة في علوم الشريعة.

والكلام في سيرته وترجمته منثور في كثير من المسموع والمرئيّ والمقروء.

وإنَّما الشأنُ هنا في ميراثه العلمي؛ فقد ترك ـ رحمه الله تعالىٰ ـ ميراثًا عظيمًا من الكتب والرسائل والفتاوىٰ، بذل كثيرٌ من أهل العلم جهودًا في نشرها والعناية بها، جزىٰ الله الجميع خيرًا.

ولا يزال كثير من ميراث الشيخ حبيسَ الأشرطة وحواشي كثير من الكُتب التي كانت تُقرأ عليه، فيقيِّد طلابُه تعليقاتِه النفيسة، يسّر الله ـ تعالىٰ ـ إخراجها.

ومن ضمن ميراثه العلمي هذا الكتاب الذي بين يديك؛ وهو مجموعةٌ من الأشرطة السَّمعية، اجتهد في تحويل مسموعها إلىٰ مكتوب، وعُني بترقيم آياته، وتخريج أحاديثه: تلميذٌ من تلاميذ الشيخ المقرَّبين له والملازمين له في داره وسيَّارته، وهو: الشَّيخ الفاضل صلاح الدين عثمان أحمد، الذي عمل أمينًا لمكتبة سماحة الشَّيخ في منزله بضع عشرة سنة، وقد رافق الشَّيخَ في كثير من أسفاره، فضلًا عن تنقُّلاته في مكان إقامته، فأفاد كثيرًا من الشَّيخ، وما هذا العمل الذي قام بإخراجه إلا قليلٌ من كثير من حقِّ الشَّيخ عليه.

ولقد أحسن بيَ الظنَّ أخي الشَّيخ صلاح؛ فطلب منِّي أن أقرأ الكتاب كاملًا مع التقديم لعمله، فقرأته لإفادة نفسي وغيري، وكذلك قرأته لتصويب ما أقف عليه من الأخطاء المطبعية، وهذا ردٌّ قليل لمعروف منَ الشَّيخ عليَّ كبير.

ومما يحسُن ذكره هنا ما ذكره ابن جماعة الكناني فيما يتعلَّق بمعرفة حقِّ الشيخ، فذكر «أنَّ علىٰ التلميذ أن يعرف حقَّ شيخه، ولا ينسىٰ له فضلَه، وأن يعظِّم حرمتَه، ويردَّ غِيبَتَه، ويغضبَ لها، فإنْ عجَزِ عن ذلك، قامَ وفارقَ ذلك المجلس، وينبغي للطالب أن يدعوَ للشَّيخ مُدَّةَ حياته، ويرعىٰ ذرِّيته وأقاربه...» إلخ ما جاء في كتاب «تذكرة السامع والمتكلم» (ص٩٠)، ومن قرأ مثلَ هذا الكلام ونظرَ في سِيَر السلف، وكيف كانوا مع مشايخهم وبعد موت مشايخهم، يرىٰ تقصيرًا بليغًا في حال كثير من طُلَّاب العلم مع مشايخهم في زمننا هذا، وكاتب هذه الأسطر أشدُّهم تقصيرًا، عفا الله عنه.

اللهمَّ اجزِ مشايخنا عنَّا خيرًا، اللهمَّ ارفع درجاتِهم في الدُّنيا والبرزخ والآخرة، اللهمَّ اجمعنا بهم في فِرْدَوسك الأعلىٰ، اللهمَّ مَنْ كان ميتًا فارحمه، ومن كان حيًّا فاحفظه.

وعوْدًا علىٰ بدء؛ يُقال: إنَّ ممَّا تميَّز به هذا الكتاب أنه نقْلٌ حرفيٌّ لكلام سماحة الشيخ ـ رحمه الله تعالىٰ ـ بأُسلوبه المحبَّب الواضح، وسترىٰ ـ أيُّها القارئ الكريم ـ وضوحَ كلام الشيخ، وعدمَ التكلُّف في اللفظ، وممَّا تميَّز به سماحته ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: أنَّ كلامه يفهَمُه العاميُّ والمتعلِّم، ويفهمُه الصغير والكبير، كلامٌ في منتهىٰ الوضوح، لا غُموض فيه، ولا تكلُّف ولا تشدُّق؛ فالذي يسمعُ محاضراتِ الشيخ ودروسَه ومواعظَه وإجاباتِه يرىٰ مِصداقَ ذلك، وهذا هو الأنفعُ للنَّاسِ؛ لأنَّه بهذا تكون الفائدةُ مُشَاعةً لجميع المسلمين والمستفيدين، ولا تتمّ الفائدةُ إلا بوضوح أسلوبها.

وما أجملَ ما ذكره الذهبيُّ في «السِّيَر» عن الأصمعيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ أنَّه قال: «كنتُ إذا سمعتُ أبا عمرو بن العلاء يتكلَّم ظننتُه لا يعرفُ شيئًا؛ كان يتكلَّم كلامًا سهلًا»[١]، ومَنْ أبو عمرو هذا؟! إنَّه شيخُ القُرَّاء والعربية[٢].

وقد جعل الله ـ تعالىٰ ـ لمؤلَّفات الشيخ وفتاواه انتشارًا وقَبولًا بين الناس؛ وهذا ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ من حُسن نيَّته، ويُذكِّرني هذا بمقولة الذهبي عن الإمام أبي إسحاق الشِّيرازي الشَّافعي: «وبِحُسنِ نيَّتِهِ في العلم اشتهرتْ تصانيفُه في الدُّنيا»[٣].

وقد تضمَّن أنواعًا من العلم؛ في الاعتقاد، والعبادات، والمُعاملات، والأخلاق، ناهيكَ عن فتاوىٰ متنوعة، مَورِدُها ومَصدَرُها: الأدلة الشرعية؛ وهذا هو المعروف والمألوف عن منهجِ سماحة الشيخ رحمه الله تعالىٰ.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٤١٠).
(٢) **انظر** كتابي: «الإمام ابن باز دروس ومواقف وعبر» (ص٥٥).
(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٤٦٢).

*** ختامًا:**

رحِمَ الله شيخنَا عبدَ العزيز بن باز، وجزاه الله عنا خيرًا، وجمعَنا به مع والدِينا ومشايخِنا في الفِردوس الأعلىٰ، آمين. وجزىٰ الله الشيخَ صلاحًا خيرًا؛ علىٰ ما قام به من جهد، وزادنا الله وإيَّاه سَدَادًا في القَول وتوفيقًا في العمل؛ إنَّه ـ تعالىٰ ـ سميعٌ مُجيب، والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات.

✍ **عبد العزيز بن محمد السَّدحان**

١٤٣١/١/٢٦هـ

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

المقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم.

أما بعد:

فَإنَّ مِنْ رحمةِ الله ـ تعالىٰ ـ بهذه الأمة ما مَنَّ به عليها من العُلماء الربَّانيين؛ الذين هم ورثة الأنبياء، يحملون العلم في صدورهم، ويَعملون به، ويُعلِّمونه النَّاس، قال عليه الصلاة والسَّلام: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًىٰ لِطَالِبِ العِلْمِ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الأَرْضِ، وَالحِيتَانُ فِي جَوْفِ المَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ العَالِمِ عَلَىٰ العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ عَلَىٰ سَائِرِ الكَوَاكِبِ، وَإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا؛ وَرَّثُوا العِلْمَ؛ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»[1].

والعُلماء هم أخشىٰ النَّاس لله، وهم أعبدُ النَّاس لله ـ تعالىٰ ـ؛ قال ـ تعالىٰ ـ مادحًا إيَّاهم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث أبي الدرداء ﷺ، في: كتاب العلم، باب الحثِّ علىٰ طلب العلم، برقم (٣٦٤١)، والترمذي في: أبواب العلم عن رسول الله ﷺ، باب في فضل الفقه علىٰ العبادة، برقم (٢٦٨٢)، وابن ماجه في: المقدمة، باب فضل العلماء والحث علىٰ طلب العلم، برقم (٢٢٣)، وصحَّحه الألباني.

وهم الأعلامُ علىٰ طريق الهدىٰ، والنجومُ التي يهتدي بهم النَّاس في معرفة أحكام دين الله وشَرعه؛ ولذا لهم فضل ومَزِيَّة علىٰ سائر الخلق حتَّىٰ علىٰ العُبَّاد؛ كما قال ﷺ في فضلهم: «**فَضْلُ العَالِمِ عَلَىٰ العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ عَلَىٰ سَائِرِ الكَوَاكِبِ**»(١).

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: (مَثَلُ العَالم في النَّاس كَمَثَلِ النُّجُومِ في السَّمَاءِ؛ يُهْتَدىٰ بِهَا)(٢).

وإنَّ مِنَ العُلماء الرَّبانيِّين في هذا الزمان: الإمام الفقيه المحدِّث الورع الدَّاعية الزاهد، بقية السلف، العلَّامة الأثريّ سماحة الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ أشهرُ علماء وفُقهاء عصره، الذي تلقَّىٰ النَّاس عِلمه وفتاواه ورسائِله بالقَبول، وتَلْمَذَ له المئاتُ من الطلَّاب؛ فقد كرَّس حياته للعلم، ونفع الله بعلمه النَّاس في مشارق الأرض ومغاربها، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء.

ولقد مَنَّ الله عليَّ بالعمل في منزله؛ أمينًا لمكتبته، ومرافقًا له في سفره وإقامته، وذلك من تاريخ [١/ ٣/ ١٤٠٦هـ] إلىٰ وفاته رحمه الله في [٢٧/ ١/ ١٤٢٠هـ]، وخلال هذه الفترة قُمت بتسجيل بعض دروسه، وبرنامجه المشهور «نور علىٰ الدرب»، وكذلك درسه المعتاد الذي كان يُلقيه بعد صلاة العصر بعنوان «حديث المساء».

وقد تميَّزت هذه الدروس بما عُرف من طريقة الشَّيخ رحمه الله في التدريس؛ من إيصال المعلومة بأسلوب سهل، وعبارات دقيقة موجزة.

ولأهميَّة هذه الدروس وما لها من فوائد عظيمة، ولحاجة عامة المسلمين وطلبة العلم خاصة لهذه الدروس: قمتُ بكتابتها من الأشرطة التي كنتُ قد سجَّلتها فيها، ووضعتُ كلَّ درس علىٰ حِدَة، ورتَّبتها حسَب

(١) هو جزء من الحديث السابق.

(٢) أخرجه الآجري في: «أخلاق العلماء» (١٧).

وُرودِها في التسجيل الصَّوتي لسماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، واعتنيتُ بها ضبطًا وتخريجًا، وسمَّيت هذه المجموعة: «**حديث المساء من الدروس والمحاضرات والتعليقات لسماحة الشيخ العلَّامة عبد العزيز بن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ».

وقد كان سماحةُ الشَّيخ يُلقي هذه الدروس في جامع الإمام تركي بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالرياض، وكذلك في مسجده بالطَّائف، وفي مسجد التَّوعية بمكَّة المكرَّمة، وقد رتَّب سماحتُه هذه الدروسَ ترتيبًا جميلًا؛ إذْ كان سماحته يتناول يومًا تفسيرَ آية، ويومًا شرحَ حديث، وذلك بأُسلوب سهلٍ ومُمتع.

واشتمل هذا الجمعُ ـ إضافةً إلىٰ الدُّروس ـ علىٰ: ثلاث محاضرات مفيدة، أدخلتُها في الكتاب لعِظَم فائدتها، ثم: تعليقاتِ سماحة الشيخ علىٰ كلمات الدُّعاة بعد الفجر في مسجد التوعية بمكة المكرمة، وقد وُضِع كلُّ تعليقٍ في مَوضعه المناسب، وقد رتبتُ هذا الجمع علىٰ النحو الآتي:

١ ـ فضل طلب العلم: بدأتُ بهذه المحاضرة؛ لأهميَّتها وقِدَمها؛ وكانت هذه المحاضرة في المعهد العلمي بمكة المكرمة بتاريخ [١٤/ ٧/ ١٣٩٠هـ].

٢ ـ تفسير آياتٍ مُختارةٍ من كتاب الله ﷻ؛ مرتَّبة علىٰ حسَب ورودها في المصحف.

٣ ـ شرحُ أحاديثَ مختارةٍ من الصحيحين وغيرهما من كُتب السُّنة؛ مرتَّبة علىٰ الأبواب الفقهيَّة.

٤ ـ ختمت هذا الجمعَ بمحاضرتين مُهمَّتين؛ الأولىٰ بعنوان: وجوب الاعتصام بالكتاب والسُّنة، والثانية: صلة السُّنة النبويَّة المطهّرة بالقرآن الكريم، وحُكم من أنكر حُجِّيَّتها، والواجب نحوه.

هذا؛ وقد قمتُ بتخريج الأحاديث والآثار الواردة في هذا الجمع؛ سواءٌ في المتن أو ما يذكره الشيخ أثناء الشرح، مع الالتزام بالطريقة التي كان يرتضيها سماحته في حياته؛ وذلك بذِكر الكتاب، والباب، ورقْم الحديث، كذلك قمتُ بتوثيقِ بعض نُقُولات سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بعَزْوِها إلىٰ مصادرها.

ولعلِّي بهذا الجهد المتواضع قد وضعت بين يدي طلاب العلم قدرًا يسيرًا من عِلم شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ؛ ليستفيدوا من منهجه وطريقته، وينهَلوا من علمه، ويتعلَّموا من مدرسته في التدريس والتعليم والتربية.

ومهما يبذلِ الإنسان من جهد لإخراج أيِّ عمل علىٰ الوجه المطلوب، إلا أنَّ الخطأ يكون واردًا، وحسبي أنِّي بذلتُ وُسعي وقَدْر جهدي، وأملي أن أصل فيه إلىٰ إخراج عِلم لعالم جليل؛ له فضلٌ علينا جميعًا، فإنْ أصبتُ فمن الله وبتوفيقه، وإنْ أخطأتُ فمن نفسي، ومن الشَّيطان، وأستغفر الله من ذلك وأتوب إليه.

وأرجو من القُراء الأكارم عند وجود أي ملحوظة، أو خطأ مطبعي، أو توجيه، أو مقترح، أو نصيحة: أن لا يبخلوا عليَّ بها، ولا يتردَّدوا في مُراسلتي علىٰ بريدي الشَّبَكي، أو عن طريق المراسلة علىٰ صندوق البريد، وسأتقبَّل ذلك بصدر رحب، وأُذنٍ صاغية، وأكون شاكرًا لهم ومُثنيًا عليهم سلفًا.

وفي خِتام هذا التقديم: أسألُ الله أن يجعلَ هذا العمل مباركًا وخالصًا لوجهه الكريم، وأنْ ينفعَ به الإسلامَ والمُسلمين، وأنْ يجعلَ هذا العمل في مِيزان حسنات شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ، وفي مِيزان حسنات من سجَّله، ومن أخرجه ونشره، آمين.

ويطيبُ لي هنا أن أتقدَّم بالشُّكر الجزيل، والعرفان الجميل لسماحة الوالد الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، مفتي عام المملكة

ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء؛ لإشرافه المُباشر علىٰ إخراج علم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كما أشكرُ معالي مستشار سماحته صاحب الفضيلة الدكتور: محمد بن سعد الشويعر، رئيس مجلَّة البحوث الإسلامية وإدارته؛ لمُراجعتهم المادة ومطابقتها علىٰ أصولها الصوتية، وكذلك لا يفوتني أن أشكرَ صاحب الفضيلة الأخ الكريم الشيخ: محمد الموسىٰ، مدير المكتب الخاص لسماحة شيخنا إبَّان حياته، والذي أشار عليَّ بإخراج هذا الجمع، فجزاه الله عنِّي خير الجزاء، وكذلك الشكر موصول للأخ في الله صاحب الفضيلة الشَّيخ الدكتور عبد العزيز بن محمد السَّدحان، عضو اللجنة العلمية بالمؤسسة؛ الذي بذل وُسعه وجهده رغم كثرة مشاغله في تصحيح هذا الكتاب ومراجعته، كما أخصُّ بالشُّكر الأخوةَ الأكارم في الإدارة العلمية بمؤسَّسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية؛ علىٰ تعاونهم وتوجيهاتهم، والشكر موصول أيضًا لمؤسَّسة الشَّيخ عبد العزيز بن باز الخيرية، ممثلةً في أمينها ومديرها وكافة العاملين بالمؤسَّسة؛ علىٰ إتاحتهم لي هذه الفرصة لإخراج هذا الجمع المبارك إن شاء الله.

وفي البدء والختام الشكر كلُّه لله، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

صلاح الدين عثمان أحمد

ص.ب. ٣٤١٩١٩

الرياض ١١٣٣٣

aljali505@hotmail.com

نبذةٌ عن حياة سماحة الشَّيخ(١)

* تفضَّل الشَّيخ فعرَّف بنفسه قائلًا:

أنا عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الله آل باز.

ولدت بمدينة الرياض في ذي الحجة سنة ١٣٣٠هـ، وكنت بصيرًا في أوَّل الدراسة، ثم أصابني المرض في عيني عام ١٣٤٦هـ؛ فضعُف بصري بسبب ذلك، ثم ذهب بالكلِّية في مُستهلِّ محرم من عام ١٣٥٠هـ، والحمد لله علىٰ ذلك، وأسأل الله ـ جلَّ وعلَّا ـ أن يعوِّضني عنه بالبصيرة في الدنيا والجزاء الحسن في الآخرة، كما وعد بذلك ـ سبحانه ـ علىٰ لسان نبيِّه محمد ﷺ، كما أسأله سبحانه أن يجعل العاقبة حميدةً في الدنيا والآخرة.

وقد بدأتُ الدراسة منذ الصغر، وحفظت القرآن الكريم قبل البلوغ، ثم بدأت في تلقِّي العلوم الشرعية والعربية علىٰ أيدي كثير من علماء الرياض من أعلامهم:

١ ـ الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، رحمهم الله.

٢ ـ الشيخ صالح بن عبد العزيز بن عبد الرحمٰن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب (قاضي الرياض) رحمهم الله.

---

(١) تفضل سماحة الشيخ بإملاء نبذة عن حياته، وقُرئت عليه بعد كتابتها، فأقرَّها. انظر: مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة، جمع وإعداد معالي الدكتور محمد بن سعد الشويعر (١/ ٩ ـ ١٢).

٣ ـ الشيخ سعد بن حمد بن عتيق (قاضي الرياض) رَحِمَهُ اللَّهُ.
٤ ـ الشيخ حمد بن فارس (وكيل بيت المال بالرياض) رَحِمَهُ اللَّهُ.
٥ ـ الشيخ سعد وقاص البخاري (من علماء مكة المكرمة) رَحِمَهُ اللَّهُ أخذتُ عنه علم التجويد في عام ١٣٥٥هـ في مكة المكرمة.
٦ ـ سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، وقد لازمت حلقاته نحوًا من عشر سنوات، وتلقَّيت عنه جميع العلوم الشرعية ابتداءً من سنة ١٣٤٧هـ إلىٰ سنة ١٣٥٧هـ حيث رُشِّحت للقضاء من قبل سماحته.

جزىٰ الله الجميع أفضل الجزاء وأحسنه، وتغمَّدهم جميعًا برحمته ورضوانه.

* **وقد تولَّيت عدة أعمال؛ هي:**

١ ـ القضاء في منطقة الخرج مدة طويلة، استمرَّت أربعة عشر عامًا وأشهرًا، وامتدَّت بين سنتي ١٣٥٧هـ و١٣٧١هـ وقد كان التعيين في جمادىٰ الآخرة من عام ١٣٥٧هـ، وبقيت إلىٰ نهاية عام ١٣٧١هـ.
٢ ـ التدريس في المعهد العلمي بالرياض سنة ١٣٧٢هـ، وكلية الشريعة بالرياض بعد إنشائها سنة ١٣٧٣هـ في علوم الفقه والتوحيد والحديث، واستمرَّ عملي علىٰ ذلك تسع سنوات، انتهت في عام ١٣٨٠هـ.
٣ ـ عيِّنت في عام ١٣٨١هـ نائبًا لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وبقيت في هذا المنصب إلىٰ عام ١٣٩٠هـ.
٤ ـ تولَّيت رئاسة الجامعة الإسلامية في سنة ١٣٩٠هـ بعد وفاة رئيسها شيخنا الشيخ محمد بن إبرهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في رمضان عام ١٣٨٩هـ، وبقيت في هذا المنصب إلىٰ سنة ١٣٩٥هـ.
٥ ـ وفي ١٤/ ١٠/ ١٣٩٥هـ صدر الأمر الملكي بتعييني في منصب

الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، وبقيت في هذا المنصب إلىٰ سنة ١٤١٤هـ.

٦ ـ وفي ٢٠/١/١٤١٤هـ صدر الأمر الملكي بتعييني في منصب المفتي العام للمملكة، ورئيس هيئة كبار العلماء، ورئيس إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ولا أزال إلىٰ هذا الوقتَ في العمل. أسأل الله العون والتوفيق والسَّداد.

ولي إلىٰ جانب هذا العمل في الوقت الحاضر عضوية في كثير من المجالس العلمية والإسلامية؛ من ذلك:

١ ـ رئاسة هيئة كبار العلماء بالمملكة.

٢ ـ رئاسة اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في الهيئة المذكورة.

٣ ـ عضوية ورئاسة المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي.

٤ ـ رئاسة المجلس الأعلىٰ العالمي للمساجد.

٥ ـ رئاسة المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة التابع لرابطة العالم الإسلامي.

٦ ـ عضوية المجلس الأعلىٰ للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

٧ ـ عضوية الهيئة العليا للدعوة الإسلامية في المملكة.

أما مؤلفاتي؛ فمنها:

١ ـ «الفوائد الجليَّة في المباحث الفَرَضية».

٢ ـ «التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحجِّ والعمرة والزيارة» (توضيح المناسك).

٣ ـ «التحذير من البدع، ويشتمل علىٰ أربع مقالات مفيدة» (حكم الاحتفال بالمولد النبوي، وليلة الإسراء والمعراج، وليلة النصف من شعبان، وتكذيب الرؤيا المزعومة من خادم الحجرة النبوية المسمىٰ الشيخ أحمد).

٤ ـ رسالتان موجزتان في «الزكاة والصيام».

٥ ـ «العقيدة الصحيحة وما يضادها».

٦ ـ «وجوب العمل بسنّة الرسول ﷺ وكفر من أنكرها».

٧ ـ «الدعوة إلىٰ الله وأخلاق الدعاة».

٨ ـ «وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه».

٩ ـ «حكم السفور والحجاب ونكاح الشِّغار».

١٠ ـ «نقد القومية العربية».

١١ ـ «الجواب المفيد في حكم التصوير».

١٢ ـ «الشيخ محمد بن عبد الوهاب» (دعوته وسيرته).

١٣ ـ ثلاث رسائل في الصلاة:

١ ـ «كيفية صلاة النبي ﷺ».

٢ ـ «وجوب أداء الصلاة في جماعة».

٣ ـ «أين يضع المصلِّي يديه حين الرفع من الركوع؟».

١٤ ـ «حكم الإسلام فيمن طعن في القرآن أو في رسول الله ﷺ».

١٥ ـ حاشية مفيدة علىٰ «فتح الباري» وصلتُ فيها إلىٰ كتاب الحج.

١٦ ـ «رسالة الأدلة النقلية والحسِّيَّة علىٰ جَرَيان الشمس وسكون الأرض، وإمكان الصعود إلىٰ الكواكب».

١٧ ـ «إقامة البراهين علىٰ حكم من استغاث بغير الله أو صَدَّق الكهنة والعرافين».

١٨ ـ «الجهاد في سبيل الله».

١٩ ـ «الدروس المهمة لعامَّة الأمة».

٢٠ ـ «فتاوىٰ تتعلّق بأحكام الحج والعمرة والزيارة».

٢١ ـ «وجوب لزوم السُّنة والحذر من البدعة».

وكان لسماحته العديد من المخطوطات، حُقِّق منها:

١ ـ «التُّحفة الكريمة في بيان كثير من الأحاديث الموضوعة والسَّقيمة».

٢ ـ «تُحفة أهل العلم والإيمان في الأحاديث الصِّحاح والحسان».

٣ ـ «تُحفة الإخوان بتراجم بعض الأعيان».

٤ ـ «الفوائد المتنوعة في العقائد، والتفسير، والحديث، والتاريخ» وغير ذلك، قام بتحقيقها صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم القاسم.

٥ ـ «النُّكت علىٰ تقريب التهذيب» بتحقيق الدكتور عبد الله بن فوزان الفوزان.

* أوصافه الخَلْقية:

إنَّ الشيخ رَحِمَهُ اللهُ يمتاز باعتدال في بنيته، مع المهابة، وهو ليس بالطويل البائن، ولا القصير جدًّا، بل هو عوان بين ذلك، مستدير الوجه، حنطي اللون، أقنىٰ الأنف، ومن دون ذلك فمٌ متوسط الحجم، ولحية قليلة علىٰ العارضين، كثَّة تحت الذَّقَن، كانت سوداء يغلبها بعض البياض، فلما كثُر بياضُها صبغها بالحناء، وهو ذو بسمة رائعة، تراها علىٰ أسارير وجهه إن ابتسم، وهو عريض الصدر، بعيدٌ ما بين المنكبين، ويمتاز بالتوسُّط في جسمه، فهو ليس بضخم الكفَّين، ولا القدمين، وأوصافه فيها شبه من أوصاف العلماء السابقين، رحمهم الله.

* صفاته الخُلُقية:

إنه لمن المعلوم المتواتر عند جميع الناس أن سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ ممن تميز بالخلال الحميدة، والخصال الرشيدة، وجميل الأخلاق، وطِيب الفعال، وعظيم التواضع، وهو ممن يُقتدىٰ به في الأدب والعلم والأخلاق، بل هو أُسوة حسنة في تصرفاته وسَمْتِه وهديه المبني علىٰ كتاب الله العظيم، وسُنّة رسوله الكريم ﷺ، خاصَّة في

زهده وعبادته وأمانته وصدقه، وكثرة التجائه وتضرعه إلىٰ الله، وعظيم خشيته لله، وذكاء فؤاده، وسخاء يده، وطِيب معشره، مع اتِّباعٍ للسُّنة الغرَّاء، وكثرة عبادة، زاده الله رحمةً وغفرانًا.

وقصارىٰ القول: إنَّ للشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ صفاتٍ حسنة، وخصالًا جميلة، وشيمًا كريمة، ومناقبَ فذّة عظيمة، جديرٌ بمن تلمذ له أو جالسه وعاشره أن يحذُوَ حذوه.

* عقبه:

للشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أربعة أبناء من الذكور وستة من الإناث، مجموعهم عشرة، أسبغ الله عليهم النِّعم، ومنعهم من شرور النقم، وأكبرهم: عبد الله وبه كان يُكنىٰ سماحته، ثم يليه في الترتيب: عبد الرحمٰن، وثالثهم: أحمد وهو من طلبة العلم وقد تخرَّج من كلية الشريعة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وعمل معيدًا ونال درجة الماجستير في الفقه من الجامعة، وكان مرافقًا لوالده رَحِمَهُ اللَّهُ في السفر والحضر، وكان يَقرأ عليه في الجامع الكبير كتاب «عمدة الإحكام» بعد العصر، وكتاب «الدرر السنيَّة في الأجوبة النجدية» للشيخ العلامة عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ، وكان هذا في صباح يوم الخميس، وانتهىٰ من الجزء الأول وشرع في الثاني ولم يُكمل، ورابعهم: خالد وهو أصغرهم، تخرَّج من جامعة الملك سعود، حفظهم الله ووفَّقهم للبرِّ بوالدهم.

* زوجات سماحة الشيخ:

تزوج سماحة الشيخ أربع زوجات:

قال سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أوَّل زوجة كانت في حياة الوالدة رحمها الله، وقد اخترتُها بواسطتها والعارفين بها، وذلك في عام ١٣٥٤هـ، وكان عمري ٢٤ سنة، وهي ابنة عبد الله بن سليمان بن سحمان رَحِمَهُ اللَّهُ وبقيت حتىٰ عام ١٣٥٧هـ، بعد وفاة الوالدة بسنة طلقتها»، ولم تلِد له.

ثم تزوَّج هيا بنت عبد الرحمٰن بن عبد الله بن عتيق، من آل عتيق، من أهل الدِّلَم، وكان قد خطبها قبل قدومه الدلم سنة ١٣٥٧هـ، ودخل بها هناك، وولدت منه: عبد الله، وعبد الرحمٰن، وسارة، والجوهرة، ومضاوي.

وتُوفِّيت أم عبد الله في الثاني من رمضان سنة ١٤٢٥هـ، رحمها الله تعالىٰ.

ثم تزوَّج ابنة عمِّه طرفة بنت محمد بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن باز ـ المشهور بالصويتي ـ ومكثت عنده ستة أشهر، ثم طلَّقها، ولم تلد له.

ثم تزوج منيرة بنت عبد الرحمٰن بن حمد الخضير، وولدت منه: أحمد، وخالد، وهيا، وهند، ونوفا، وكان الزواج في بريدة أوائل سنة ١٣٨٦هـ، لما كان سماحته نائبًا لرئيس الجامعة الإسلامية في المدينة، ولا تزال علىٰ قيد الحياة حتىٰ الآن، حفظها الله تعالىٰ[١].

* وفاته:

وكانت وفاة سماحة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قُبيل صلاة فجر يوم الخميس السابع والعشرين من محرَّم عام عشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في منزله بمدينة الطائف، ثم نُقل جثمانه إلىٰ مستشفىٰ الملك فيصل بالطائف، ومنه نقل إلىٰ ثلاجة المستشفىٰ العسكري بالهدا؛ بأمر من صاحب السمو الملكي الأمير ماجد بن عبد العزيز أمير منطقة مكة المكرمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وفي صباح يوم الجمعة تم نقل جثمانه إلىٰ منزله في مكة المكرمة لتغسيله وتجهيزه والصلاة عليه في المسجد الحرام. وبعد تجهيزه تقدَّم سماحة المفتي الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، أمَدَّ الله في عمره،

---

(١) ترجمة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز لفضيلة الشيخ عبد العزيز بن قاسم.

وصلىٰ بأفراد أسرة الشيخ قبل نقله للمسجد الحرام.

وتقدم المصلين خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، طيّب الله ثراه، ورحمه الله رحمة واسعة، وخادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز، أمدّ الله في عمره ووفقه وأعانه، وأصحاب السمو الأمراء والمعالي الوزراء وجموع المسلمين، الذين توافدوا إلىٰ مكة من جميع أنحاء المملكة، بل ومن خارجها.

تُوفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ختم حياته وعمله بالتسبيح والذكر وقيام الليل، والنوم علىٰ طهارة، وصلة الرحم، والوصية بالكتاب والسُّنة، وتقوىٰ الله، وفتيا الناس، وحل مشكلات المسلمين، وبناء المساجد، والصدقة، والاستبشار بالخير؛ فسبحان من جمع له كلَّ ذلك في الساعات الأخيرة من عمره، كما أنه حديث عهد بعُمرة، ثم كان ما كان من جنازته العظيمة.

*** مشاهد نادرة من جنازة الشيخ:**

تولّىٰ تغسيله وتجهيزه صاحب الفضيلة الشيخ عبد الله بن حمود، أمَدَّ الله في عمره علىٰ طاعته، وصاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمٰن الغيث رَحِمَهُ اللَّهُ، وصاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز الوهيبي رَحِمَهُ اللَّهُ، وقام فضيلة الشيخ الوهيبي بربط جثة الشيخ بالنعش؛ حتىٰ لا تسقط عند حملها مع تدافُع الناس.

وتولىٰ تجهيز القبر الأخ المكرم الشيخ محمد صادق السيلاني.

وتولّىٰ دفن الشيخ وإنزاله في قبره الشيخ خالد الشريمي، والشيخ عبد العزيز الشعلان، وشخص آخر لا أعرفه، وذكر لي صاحب الفضيلة الشيخ خالد الشريمي أنه عند فكِّ الأربطة من النعش وإذا بصاحب السمو الملكي الأمير متعب بن عبد العزيز، حفظه الله وأمدّ في عمره علىٰ طاعته، يأخذ برأس سماحة الشيخ ويقبِّله وهو يبكي، مع العلم بأن سموه كان آخرَ من زار سماحة الشيخ بالمستشفىٰ العسكري بالطائف.

فضل طلب العلم



فضل طلب العلم[(١)]

الحمد لله، وصلّىٰ الله وسلّم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه، ومَن اهتدىٰ بهداه.

أمّا بعد:

أيُّها الإخوة الكرام والأبناء الأعزاء؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

إنِّي لأشكر الأخ الكريم الشيخ صالح بن عبد العزيز السديس؛ علىٰ دعوته لي علىٰ المثول بين أيديكم، والاجتماع بإخواني الأساتذة وبالأبناء الطلبة، وفي الحقيقة إنه ليسرُّني كثيرًا، وكنت أنوي هذا من مدة طويلة، وكلما زُرت هذه البلاد المقدسة وقع في نفسي العزمُ علىٰ زيارة المعهد؛ إذا كانت الزيارة في وقت الدراسة، ولكنَّ المشاغل كثيرة تعوق الإنسان كثيرًا عما يُريد من الخير، نسأل الله ـ جلّ وعلا ـ أن يوفِّقنا وإيَّاكم لما فيه رضاه، وأن يكفينا جميعًا شرَّ القواطع عما يُرضيه ﷻ.

ومن المعلوم أنَّ لقاء الإخوان فيه خير كثير؛ كما قال بعض السلف: لقاء الإخوان جَلاء الأحزان؛ ففي لقاء الإخوان والأحبة فوائدُ جَمَّة، وخير كثير، ومصالح متنوعة.

تعلمون جميعًا ما في طلب العلم من الخير العظيم، وما يترتَّب عليه من المصالح الكثيرة والعواقب الحميدة.

---

(١) محاضرة ألقيت في المعهد العلمي بمكة المكرمة في ١٤/٧/١٣٩٠هـ بعنوان فضل طلب العلم.

فطلب العلم الشرعي من أفضل القُرُبات، ومن أعظم الطاعات وأرفعها شأنًا؛ فبالعلم النافع عُرِف الله ﷻ وبه عُبد ﷻ.

بالعلم النافع عُرف الحلال والحرام، عُرفت فرائض الله ﷻ، عُرف شرعه ودينه، عُرف ما أحبَّ وما كره.

بالعلم النافع ارتفع مَنْ هداه الله ووفَّقه، وبالجهل والانحراف ذَلَّ من ذَلَّ، وانخفض من انخفض.

۞ [أدلة فضل العلم]:

قال الله ـ جلّ وعلا ـ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وقال ﷻ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

فأخبر ـ سبحانه ـ أن الملائكة وأولوا العلم شاهدان مع شهادته سبحانه بأن له الحقَّ؛ وهذه الشهادة العظيمة هي أعظم شهادة في الوجود، علىٰ أعظم مشهود به، من أعظم شاهد، هذه الشهادة بتوحيد الله ﷻ وقيامه بالعدل ﷻ، وهي صادرة من أعظم شاهد؛ وهو الله ﷻ، ثم بعده الملائكة وأولوا العلم، فهي شهادة عظيمة من أعظم شاهد، وعلىٰ أعظم مشهود به، وهو توحيد الله ﷻ، وأنه ـ سبحانه ـ هو المستحق بأن يُعبد ويُعَظَّم، وأنه القائم بالعدل ـ جلّ وعلا ـ بين عباده، فذكر في هذا المقام: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾، فلولا أنهم في المكانة العليا والمنزلة الرفيعة لما جعلهم شاهدين مع الملائكة بوَحدانيته ﷻ.

والأدلة من القرآن الكريم علىٰ فضل العلم وأهله كثيرة جدًّا، يعرفها من تأمَّل كتاب الله.

وفي السُّنة عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الأحاديث الصحيحة ما يدلُّ علىٰ فضل العلم أيضًا، وأنَّه أعظم مطلوب، أعظم ما طلبه الطالبون هو العلم النافع.

قال النبي الكريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَىٰ الجَنَّةِ**»[١]؛ فطلب العلم النافع الذي رأسه وأساسه توحيد الله وخشيته ﷻ وتعظيم حرماته ﷻ، هذا سبيل وطريق إلىٰ الجنَّة لمن أصلح الله نيته، وتابع بالعمل؛ «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَىٰ الجَنَّةِ**»، فيكفي هذا شرفًا وفضلًا وحفزًا لطلَّاب العلم؛ كَوْنُ عملهم سبيلًا إلىٰ الجنة، هذا أمر عظيم.

وما ذاك إلا لأنه يدلُّ علىٰ الله، ويُرشد إلىٰ الله، ويبيِّن لك توحيد الله وحقَّه ـ سبحانه ـ، ويوجِّهك إلىٰ الطريق السوي؛ الذي مَنْ سار عليه نجا، ومن حاد عنه هلك، وقال أيضًا ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الحديث الصحيح: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»[٢].

هذا الحديث العظيم الذي رواه الشيخان في «الصحيحين» يدلُّنا علىٰ أنَّ من علامات السعادة، ومن دلائل الخير، ومن براهين العاقبة الحميدة: أن تكون فقيهًا في الدِّين، متبصِّرًا في الدِّين، عارفًا بشرع ربِّك ﷻ، هذه من الدلائل العظيمة والبراهين الواضحة علىٰ أن الله سبحانه أراد بك خيرًا، حيث وفَّقك للفقه في الدِّين، هذا دليل عظيم وبرهان ساطع علىٰ فضل التفقُّه في الدِّين، وأن المتفقِّه في دين الله علىٰ طريق نجاة، وأن الله ـ سبحانه ـ متىٰ رزقه الفقه في الدين والبصيرة في الدِّين: فذلك من

---

(١) جزء من حديث أبي هريرة أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب فضلِ الاجتماعِ علىٰ تلاوةِ القرآنِ وعلىٰ الذِّكرِ، برقم (٢٦٩٩)، وأبو داود في كتاب العلم، باب الحث علىٰ طلب العلم، برقم (٣٦٤١)، والترمذي في كتاب العلم، باب فضل طلب العلم، برقم (٢٦٤٦)، وحسَّنَه، وابن ماجه في المقدمة، باب فضل العلم والحث علىٰ طلبه، برقم (٢٢٥).

(٢) متفق عليه من حديث معاوية بن أبي سفيان ﷺ؛ أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرًا يفقه في الدين، برقم (٧١)، وفي كتاب فرض الخمس، باب ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١]، برقم (٣١١٦)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، برقم (١٠٣٧).

علامات أنَّ الله ـ سبحانه ـ أراد به خيرًا، أمَّا من أُصيب بالجَهالة والإعراض، والغفلة عن الله والدار الآخرة، وعن طلب العلم: فذلك من علامات أن الله أراد به شرًّا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

[الإقبال علىٰ طلب العلم]:

فالإقبال علىٰ العلم والتفقُّه في الدين والجدِّ في ذلك من أسباب النجاة، ومن طرق السعادة، ومن سبل الجنة، ومن الدلائل علىٰ أن الله تعالىٰ أراد بالعبد خيرًا.

والإعراض والغفلة وعدم الرغبة في طلب العلم من علامات ودلائل أنَّ الله أراد بالعبد شرًّا، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله.

أيها الأبناء الكرام:

إنَّكم علىٰ خير عظيم، وعلىٰ طريق نجاة؛ إذا أصلح الله لكم النيَّات، وأتْبعتُم العلمَ بالعمل؛ فأنتم علىٰ خير عظيم؛ فحقيقٌ بكم أن تفرحوا بهذا الخير، حقيقٌ بكم أن تفرحوا بهذا الخير، وأن تشكروا الله عليه عز وجل.

كون العبد يُوفَّق لسلوك طريق نجاةٍ، وسبيل سعادة، هذا من فضل الله، ومن رحمته التي ينبغي أن يُفرح بها، كما قال ربُّنا عز وجل في كتابه المبين: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

فيا أخي: حين وُفِّقت لطلب العلم النافع والسير في هذا المنهاج العظيم والسبيل الطيِّب القيِّم، فأنت علىٰ خير، وأنت في طريق نجاة، فافرح بهذا الخير فرحَ المُغتبِط، فرحَ الشاكر، فرحَ الدائم المواصل للطلب، المسرورِ الحريص الذي يُريد الخير والسعادة.

ثم انظر إلىٰ من حولَك يمينًا وشمالًا، وأمام وخلف، تجد أكثر الناس قد أعرضوا عن هذا العلم، وقد شُغلوا بما هو أدنىٰ، قد شُغلوا

بطلب الدنيا والإقبال عليها حتىٰ أخذت قلوبهم، وشغلتهم عن كلِّ شيء، وأقبح من ذلك: من شُغِلَ بالمعاصي والشرور والسيئات، ومتابعة الهوىٰ، والإكباب علىٰ كل ما يضرُّه، وشُغل بهذا عمَّا ينفعه في الدنيا والآخرة.

وأقبح من ذلك وأشدُّ وألعن: من كفر بالله، وأعرض عن دين الله، ورضي بالحظِّ الأدنىٰ الخاسر؛ من يهود ونصارىٰ ومجوس وملاحدة وإباحية، وغير ذلك، قد صُدُّوا عما خُلقوا له، قد أعرضوا عن ذلك، بل قد أنكروه وعارضوه وسبُّوه.

فاحمد اللهَ ﷻ أنْ جعلك سالمًا من هؤلاء، لم تكن مع الذين شُغِلوا بالدنيا عن الآخرة، ولم تكن مع الذين شُغِلوا بالمعاصي عن العلم النافع، ولم تكن مع الكَفَرة المارقين الذين طُبع علىٰ قلوبهم حتىٰ رضوا بالكفر والضلالة، وخالفوا الحقَّ، واستهانوا به، وذمُّوا أهله، وعابوا أهله، ونفَروا منهم، ونفَّروا عنهم.

احمد اللهَ علىٰ سلامتك من هذه الأشياء؛ فيا لها من نعمة عُظمىٰ، ويا لها من منحة جسيمة من ربِّك ﷻ أنْ مَنَّ عليك وهداك، ويسَّر لك طلب العلم النافع الشرعي، تسمع كل يوم: قال الله، قال رسوله، تسمع من أساتذتك من المدرِّسين، وتقرأ في دروسك من كلام ربِّك، ومن كلام رسوله محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومن كلام أهل العلم والإيمان؛ تارة في الحديث، وتارة في الفقه، وتارة في القواعد العربية، وما يلتحق بها من بلاغات، وأدب وغير ذلك، وطورًا في التاريخ والسيرة، وطورًا في غير ذلك من العلوم النافعة.

هذه جنَّة مُعجَّلة، هذه جنَّة مُعجَّلة يا إخواني: جنات ونعيم معجَّل لمن عقَل، إذا كان هناك جنَّات في الدنيا، فهذه هي الجنَّات، هذه الجنَّات؛ كون العبد بين روضات العلم النافع والفنون النافعة، وفوق ذلك: إذا أصلح الله قلبه ورُزق الإخلاص، فهو في جنَّة في الداخل وجنَّة

في الظاهر، قلبه في الجنَّة؛ لإخلاصه لله، وشعوره بعَظَمَة الله، وإيمانه بالله، وخضوعه لله.

وتلذُّذه بمناجاة ربِّه وطاعته ﷻ، وهو ـ مع ذلك ـ بجسمه في فصول الدراسة وبين زملائه وبين يدي آبائه الأساتذة في جنات أيضًا؛ في جنَّات، في نعيم بين أنواع الأشجار وفنون الثِّمار، يأخذ من هذا وهذا أنواع الثِّمار العظيمة، ليست ثمار الرُّمان والعنب والتمر وشِبْه ذلك من ثمرات الدنيا، ولكنَّها: ثمار العلم النافع؛ ثمار العلم الذي أنت مأمورٌ به، وأنت في أشد الحاجة إليه حتىٰ تعرف ربَّك بأسمائه وصفاته، حتىٰ تعرف دينه الذي أنت مخلوق له، أنت مخلوق لدين الله، أنت مخلوق لتعبد ربَّك، أنت مخلوق لتطيعه سبحانه، أنت مخلوق لتسير إليه في الطريق الذي رسمه ـ جلّ وعلا ـ كما قال ـ سبحانه ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وقال ـ جلّ وعلا ـ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣] فأنت مخلوق لتستقيمَ علىٰ هذا الصراط، لتعبد ربَّك بما شرع، وتسير علىٰ هذا الصراط الذي رسمه لك ربُّك، علىٰ يدي نبيِّه محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ وليس هناك سبيل إلىٰ هذا الصراط وليس هناك سبيل إلىٰ أن تعرف العبادة التي أنت مخلوق لها إلا بالعلم النافع؛ إن تعلمت ما قال الله ورسوله، وأخذته عن أهله، وكنت بين الطالبين له، الراغبين فيه: عرفتَ هذه العبادة التي أنت مخلوق لها، وعرفت الصراط المستقيم الذي سار عليه الأنبياء قبلَنا، وسار عليه الصالحون قبلنا، وسار عليه نبيُّنا محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأتباعه بإحسان إلىٰ يومنا، هذا بالعلم النافع الشرعي تعرِف هذه الأمور.

فاحمدوا الله أيها الإخوة، احمدوا الله أيها الأبناء علىٰ هذه النعمة العظيمة، واسألوا ربَّكم المزيد، اسألوه المزيد ﷻ، واسألوه التوفيق ﷻ، وواصلوا الجهود، اصبروا وصابروا حتىٰ تدركوا المُنىٰ بإذن الله ﷻ.

۞ [حاجة الناس في الدنيا إلىٰ علماء الشريعة]:

ثم أيها الأبناء الكرام: لتعلموا أنَّ الدنيا بأسرها في أشدِّ الحاجة إليكم وأمثالكم، الدنيا الآن مملوءةٌ بالجُهَّال والكفَّار، الدنيا في طولها وعرضها مملوءة بالجُهَّال والكفَّار ودُعاة النار، فأهل الدنيا في جميع أقطارها في أشد الحاجة إلىٰ المُنقذين إلىٰ الدعاة المرشدين إلىٰ الذين يُخرجونهم من الظلمات إلىٰ النور، يأخذون بأيديهم إلىٰ شاطئ السلامة، فهم في أشد الضرورة إليكم أيها الأبناء، في أشد الضرورة إليكم وإلىٰ أمثالكم من طلاب العلم النافع من طلاب العلم الشرعي؛ فاتقوا الله في ذلك، اتقوا الله، وجدِّدوا النية الصالحة والعزم الصادق علىٰ أن تكونوا إن شاء الله قادةً في الخير، ودعاة للهدىٰ، وأئمةً للمؤمنين في الأخذ بأيديهم وأيدي غيرهم من العالم إلىٰ طريق النجاة، وإلىٰ سبيل السعادة، وإيَّاكم والهُوَيْنا، وإيَّاكم والكسل، وإيَّاكم والميل إلىٰ الدنيا، وإيَّاكم والتثاقُل عن العلم النافع؛ فإن هذه الأمور هي سبب الضياع والانحطاط والحرمان من العلم.

ولكن شمِّرُوا عن ساعد الجِدِّ، شمِّروا إلىٰ طلب العلم النافع، وواصلوا الليل والنهار في المعهد وفي البيت، وفي الطريق، وفي المسجد، وعند لقاء الإخوان، وعند لقاء الأساتذة، وفي كل مكان.

كل واحد يكون حريصًا علىٰ العلم؛ مع زميله ومع أستاذه في أي مكان، ومع كتبه في بيته وفي أي مكان، وإذا حضرتُم الدروس، فاحضُروها بقلوب واعية، قلوب راغبة في الحق، قلوب تُريد الفائدة، تُريد العلم، تُريد البصيرة، تُريد الهدىٰ.

المسلمون في كل مكان يتطلعون إليكم وإلىٰ أمثالكم، ويعلِّقون عليكم الآمال العظيمة ـ بعد الله ـ في الأخذ بأيديهم إلىٰ شاطئ السلامة، في توجيههم إلىٰ الخير، في إرشادهم إلىٰ أسباب النجاة، في شرح

المبادئ والمذاهب الهدَّامة لهم حتىٰ يحذروها، وحتىٰ يبتعدوا عنها، في فضح الطرق التي يسلُكُها أعداء الله من يهود ونصارىٰ وملاحدة؛ فطلاب العلم النافع عليهم مسؤولية عظيمة وعليهم واجب عظيم، هم مسؤولون أمام هذه التيارات الجارفة من الباطل والشرِّ والإلحاد.

۞ [مسؤولية طالب العلم في توجيه الناس وإنقاذهم]:

علىٰ أهل العلم من طالب وأستاذ عليهم مسؤولية عظيمة، وعليهم واجب عظيم في إنقاذ الأمة مما أصابها من البلاء، ومما نزل بها من البلاء من شيوعية واشتراكية وقومية وإباحية ويهودية ونصرانية، وغير ذلك من أنواع الضلالات وأنواع الشرور.

۞ [مواجهة نشاط أعداء الله]:

ثم هؤلاء الناس، الذين هم أعداء الله وأعداؤكم، عندهم نشاط مستمر، وعندهم تركيز، وعندهم عناية، وعندهم تكاتُف، وعندهم بذلُ أموالٍ، وعندهم تضحيات، كلّها في سبيل الباطل، كلها ليُخرِجوا الناس من النور إلىٰ الظلمات، ليُخرِجوا الناس من طريق السعادة إلىٰ طريق الشقاء، ليُخرِجوا الناس من طريق الهدىٰ إلىٰ طريق الضلال، ليُخرِجوا الناس من طريق الجنَّة إلىٰ طريق النَّار، ليصدُّوهم عن الهدىٰ، ليسيروا بهم إلىٰ الجحيم، إلىٰ الهاوية؛ ومع هذا عندهم هذا النشاط العظيم والتكاتف والبذل والتضحية، والسرَّ والجهر في كل شيء، عندهم عناية سرية وجهرية، وتكاتف وتضحية وغير ذلك. ولعل كثيرًا منكم يعرف ذلك.

ولا ريب أن هذا يوجب علينا أن نتكاتف، وأن نتعاون، وأن نضحِّي أكثر ممَّا عملوا، إذا كانوا يعملون بهذا العمل وهم في طريق النار، وهم علىٰ الباطل؛ فنحن أوْلىٰ بخيرٍ مما عملوا وأكثر مما عملوا،

وأشد في طريق الحق وسبيل الحق، نحن أَوْلىٰ بهذه الجهود، وأولىٰ بهذا النشاط، وأَوْلىٰ بهذا التكاتف، وأَوْلىٰ بهذه التضحيات، أَوْلىٰ وأَوْلىٰ وأَوْلىٰ؛ لأننا في سبيل الحق وهم في سبيل الباطل.

أيها الأبناء الكرام. .

إنَّ طلب العلم النافع يحتاج منَّا إلىٰ جهود، يحتاج منَّا إلىٰ تضحية، يحتاج منا إلىٰ صبر، والمسؤولية عظيمة أمامكم، والواجب عظيم، ونحن معكم، ليس هذا خاصًّا بكم، ولكن أمامكم أمر عظيم، أمامكم ميدان واسع ومجال، والأُمة تنتظركم، ونحن معكم، وقد فعلنا بعض الشيء، ونحن علىٰ الطريق، نحن وإياكم.

۞ [تضافر جهود الجميع لمواجهة الدعوات الضالة]:

فالواجب الجِدُّ، والواجب النشاط، والواجب مواصلة الجهود، والواجب مُشترَك علىٰ الكهول والشباب والشِّيب، وعلىٰ كل إنسان عنده عقل، وعنده شيء من معرفة، عليه بقدر قدرته وطاقته، فالواجب مشترك علىٰ الجميع، لا أخصُّكم به، ولكن عليكم واجب عظيم ومسؤولية عظيمة، أمامكم تحقيق آمال الأمة فيكم، وأعدُّوا لها، وشمروا واجتهدوا لعلَّكم تؤدُّون الواجب، ولعلَّكم تُنقذون الأمة من شاطئ الهلاك إلىٰ شاطئ السلامة، من الظُّلِمات إلىٰ النور، من أيدي الشياطين إلىٰ النجاة والسعادة.

۞ [وصايا في ختام المحاضرة]:

وهذا يحتاج منكم إلىٰ أمور، أوصيكم بها وأحثكم عليها:

الأول: النشاط المتواصل والجِد المتواصل، والحذر من الكسل والتثاقُل عن طلب العلم، وأوصيكم بالنشاط المتواصل والجِد المتواصل في كل وقت وفي كل مكان، وأوصيكم بالحَزْم.

الأمر الثاني: أوصيكم أيضًا بالابتعاد عن مُشابهة النِّساء؛ بالابتعاد عن الرفاهية الزايدة والتنعُّم الزايد، وأوصيكم بالحزم والقوَّة والنشاط والرجولة الكاملة، والحذر من الميوعة ومشابهة النساء في كل شيء؛ في الملابس، وفي المشي، وفي الكلام، وفي كل شيء، كونوا رجالًا بالمعنىٰ الصحيح، رجالًا مجتهدين، رجالًا أقوياء، عندهم من القوة والحزم والخشونة والنشاط والصبر ما عندهم، حتىٰ تُدركوا ما عند الله ﷻ، وإيَّاكم وكلَّ ما يُنتقد علىٰ طالب العلم في أخلاقه وصفاته الظاهرة، إيَّاكم وذاك، إيَّاكم والأخلاق المنتقَدَة والصفات المنتقَدَة التي تُضعِف الثقة بكم، وتسيء الظنَّ بكم، وتجعلكم موضعَ الحديث بين الناس، عليكم بالصفات الحميدة والأخلاق الكريمة، والنشاط المستمر، والجد في طلب العلم، والمسارعة إلىٰ كل خير، والابتعاد عن كل خلق مَشين في الظاهر والباطن.

الأمر الثالث: أوصيكم بالنيَّة الصالحة؛ فالنيَّة الصالحة أساسٌ لكل خير، وأوصيكم بالنيَّة الصالحة؛ أن تقصدوا بهذا العلم وبهذا الطلب وجهَ الله ﷻ، تقصدوا بهذا العلم أن تُنقذوا أنفسكم من الجَهَالة، وأن تُرشدوا غيركم من أبناء جنسكم، عليكم بالنية الصالحة. إياكم وقصدَ الدنيا والوظائف والحظِّ العاجل، كما هو الواقع من بعض الناس، ومن كثير من الناس، لا؛ عليكم بالهمَّة العالية، والنيَّة الصالحة، والقصد الشريف، قوموا بهذا العمل وبهذا الجِدِّ وبهذا النشاط، اقصدوا به وجه ربِّكم، اقصدوا به الله والدار الآخرة، اقصدوا أن تُنقذوا أنفسكم من الجهالة، وأن تُنقذوا إخوانكم في الدنيا من الجهالة والضلالة، لا تَكُن الهمة ضعيفة.

عليكم بالنيَّة العظيمة، والقصد الصالح، والعزم الصادق والهمة العالية، تقصدون بطلبكم وجهادكم وجه الله ﷻ، وأن تنقذوا أنفسكم من الجهالة، وأن تعرفوا حقَّ الله عليكم؛ وتعملوا به، وأن تعرفوا ما

نهىٰ الله عنه؛ فتتركوه وتبتعدوا عنه، وتقصدوا مع ذلك أن تُنقذوا الناس، وأن تُعلِّموا الناس، وأن ترشدوا الناس من أبناء أوطانكم وغيرهم حتىٰ تكونوا دعاةً وهُداة للحق، ومُنقذين للبشرية مما هي فيه من الباطل، هذا هو الطريق الصحيح.

أما أن يُقصِد بهذا الطلب الوظيفة؛ لأن تكون أستاذًا تأخذ معاشًا راتبًا، أو لأن تكون مُديرًا أو كاتبًا، أو كذا أو كذا: فهذا قصدٌ سيئ، وهذه همَّة الدنيا، لا تليق بطالب العلم، فالدنيا حاصلة لك ولغيرك؛ إذا أخذت بأسبابها حصلت، ولكن الأمر العظيم أن تكون في مقام الأنبياء؛ هذا الأمر العظيم، أن تكون في مقام الأنبياء داعيًا إلىٰ الله، مرشدًا إلىٰ الله، تُخرج الناس من الظلمات إلىٰ النور، تعلِّمهم حقَّ الله، تُبين لهم حدود الله، تُحذِّرهم من محارم الله، تُوقِفهم عند حدود الله. هذا المقام العظيم، مقام الأنبياء وهم خير الناس، وأفضل الناس الأنبياء، وأفضل الناس بعد الأنبياء مَنْ سار علىٰ طريق الأنبياء، في الجِدِّ، والعمل الصالح، والإخلاص لله، وطلب العلم النافع، والعملُ به، جاء في الحديث الذي رواه أبو داود وغيره بسند جيِّد عن النبيِّ الكريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: «**مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَىٰ بِهِ وَجْهُ اللهِ ﷻ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا: لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[1]. ولا حول ولا قوَّة إلا بالله. عَرْفَ الجَنَّةِ؛ **يعني**: ريحها، هذا وَعيدٌ عظيم.

ويُروىٰ عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**مَنْ طَلَبَ العِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ العُلَمَاءَ، أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ: أَدْخَلَهُ اللهُ**

---

(١) رواه أبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب العلم، باب في طلب العلم لغير الله، برقم (٣٦٦٤)، وابن ماجه في المقدمة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، برقم (٢٥٢).

النَّارَ»[١]. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن كانت عنده نيَّة منحرفة، فيسأل ربَّه إصلاحها، ولا يضعُف عن العلم، بل يطلب وليجتهد، ويسأل ربَّه إصلاح نيَّته.

قال بعض السلف ـ وأظنه سفيان إمَّا الثوري وإمَّا ابن عيينة[٢] ـ: طَلَبَ العلم للدنيا، أو قال: طَلَبَ العلم لغير الله فأبىٰ أن يكون إلا لله، فالعبد إذا سار علىٰ الطريق واجتهد يسَّرَ الله أمره، وأعانه علىٰ الإخلاص، فإذا وجد العبدُ من نفسه شيئًا من الميول إلىٰ الدنيا في طلبه للعلم، فليجتهد في طلبه في إصلاح نيَّته وجهاد نفسه؛ حتىٰ تستقيم النية لله وحده ﷻ، ولا يقف عن العلم، ولا يضعُف، ولكن يجتهد في إصلاح النية، والأخذ بنفسه وجهادها حتىٰ تستقيم علىٰ النيَّة الصالحة.

الأمر الرابع: الإقبال علىٰ الدروس والعناية بالدروس كلِّها. لا ترضَوْا بالأدنىٰ، لا ترضىٰ «بنُمرة» ـ درجة ـ الدنيا، لا.. عليك بالهمَّة العالية، احرص علىٰ أن تكون حائزًا علىٰ النمرة العالية، هكذا يكون طالب العلم الحريص، يبذُل وسعه، ويجتهد في حصول الدرجة العليا والوصف الأعلىٰ مهما أمكن ومهما استطاع.

هذا الأمر الرابع مُهم، كثير من الناس لا يبالي إذا أدرك النجاح، ولو درجة الدنيا، فلا بأس عليه، ولا يضرُّه ذلك، ولا يبالي. هذا من ضعف الهمة، وقلَّة النشاط، لا ترضىٰ بهذا، عليك بالهمة العالية والجِدِّ والنشاط والمواصلة في كل وقت، من غير أن تُهلِك نفسك، لا.. فاربَأ

---

(١) رواه الترمذي من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه، في كتاب العلم، باب فيمن يطلب بعلمه الدنيا، برقم (٢٦٥٤) وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وابن ماجه في المقدمة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، برقم (٢٥٣)، وحسنه الألباني.

(٢) هو سفيان الثوري كما أورده الماوردي في كتابه «أدب الدنيا والدين» فصل في آداب العلماء (١/ ٩٣).

بنفسك، اربَأْ بنفسك وارفُق بها؛ ولكن جاهد حسب الطاقة، وحسب الإمكان من دون الإضرار بنفسك، فالنفس هي المطيَّة؛ النفس مطية لا بد من مراعاتها؛ (فالمنبَتُّ لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقىٰ)[١]، فلا بد من رعاية النفس، ولا بد من إعطائها بعضَ حقِّها حتىٰ تقوىٰ وحتىٰ تسير، ولكن المراد من هذه الوصيَّة، حفظ الوقت والنشاط المقدور عليه، والجهاد المقدور عليه المتواصل، حتىٰ تدرك ـ بإذن الله ـ الحظَّ الأعلىٰ والدرجة العليا.

الأمر الخامس: أوصيكم أيضًا: أن تكون العناية بالعلوم الدينية والمواد الدينية؛ كالحديث والعقيدة والفقه ومصطلح الحديث وأصول الفقه، تكون لها العناية الخاصة، العناية الكبرىٰ، مع الجِدِّ في الجميع، والحرص علىٰ جميع المواد كلها كما تقدم، لكن يكون للعلوم الدينية العناية الكبرىٰ؛ لأن بها تمتاز علىٰ غيرك، تستطيع التوجيه بها لغيرك، بها تعرف حكم الله ﷻ علىٰ الوجه الأكمل. فخُصَّ علومَ الدين بمزيد عناية، خُصَّ علوم الدين بمزيد عناية، وأعلاها وأعظمها: علم العقيدة التوحيد؛ توحيد الله في ربوبيته، وفي ألوهيته، وفي أسمائه وصفاته، هذا قِسم عليك بالعناية به، اعتنِ به كثيرًا وادرُسه كثيرًا، وإياك والتساهُلَ بهذا الأمر.

كثير من الناس تساهلوا بهذا الأمر، فصاروا قُضاةً ومدرِّسين وهم لا يعرفون العقيدة السلفية، لا يعرفون العقيدة الصحيحة؛ تساهلوا في الأصل ـ في علم العقيدة ـ وتهاونوا بإعطائه حقَّه من الدراسة والتمحيص وإزالة الشُّبه؛ فصاروا دكاترة وهم صِفر في العقيدة صاروا

---

(١) جزء من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» من كتاب الصيام، باب القصد في العبادة برقم (٣٨٨٥)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» من حديث جابر رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب في مقولة: «خير دينكم أيسره» برقم (٢١٧)، وفي «كشف الأستار» برقم (٧٤).

دكاترة ـ لا مجرَّد مدرسين ـ بل: دكاترة أخذوا الشهادة العالية والماجستير والدكتوراه، وهم صفر في العقيدة، صفر؛ ما يعرف شيئًا في العقيدة، تجدهم علىٰ عقيدة الجاهلية؛ من عبادة القبور، والتعلُّق بالأموات؛ لأنهم ما درسوا العقيدة كما ينبغي، ولا درَّسها لهم أساتذتهم الذين أخذوا عنهم، فخرجوا صفرًا في هذا الباب.

فإذا حُرِمَ طالب العلم من العقيدة، فأي شيء بعده؟ أي شيء عنده بعد ذلك؟

فخُصُّوا العقيدة بعناية، خُصُّوها بمزيد عناية، مع الأساتذة، وفي المتون التي بأيديكم، خصُّوها بمزيد عناية، ومطالعة ومذاكرة، والسؤال والاستكشاف عن الشُّبَه، وعن ردِّها؛ حتىٰ تمتازوا بذلك، وحتىٰ تتخرجوا ـ إن شاء الله ـ وأنتم في غايةٍ من البصيرة في العقيدة السلفية، العقيدة في باب توحيد العبادة، وفي باب أسماء الله وصفاته، أما توحيد الربوبية فالجاهلية تعرفه، ولكن لا بد أيضًا من دراسته حتىٰ نعرفه علىٰ بصيرة.

كثير من الناس ما عرف حتىٰ توحيد الجاهلية، كثير من الناس ـ وهم مدرسون ـ ما عرفوا حتىٰ توحيد الجاهلية، توحيد أبي جهل، ما عرف، فعليكم ـ أيها الأبناء الكرام ـ عليكم بالعناية بالدروس الدينية، وعليكم بالعقيدة خاصة. أولُوها بمزيد عناية في البيت والمسجد والطريق، ومع الأستاذ ومع الزملاء، حتىٰ تعرفوا ما هناك من شُبَه، وحتىٰ تعرفوا الردَّ عليها وكشفها، ولا سيما في هذا العصر؛ عصر الإلحاد والإباحية، عصر الشيوعية والاشتراكية، عصر الملاحدة المشبِّهين الضالين، عصر اتِّباع لينين وماركس، أنتم في أشد الحاجة إلىٰ أن تعرفوا هذه العقيدة الصحيحة، وما يُلبِّس به أعداء الله، وفيما تردون عليهم في شُبَههم وشرِّهم، هذا المقام مقام عظيم.

فأوصيكم ـ أيها الأبناء الأعزَّاء ـ بالعناية بالدروس مطلقًا، وبالدروس الدينية خاصة، وبالعقيدة بالأخص، أوصيكم بأن تُعنَوْا بها

أعظم عناية، وأوصي إخواني الأساتذة بأن يُعْنَوا بها أعظم عناية، أُوصي إخواني الأساتذة أن يُعْنَوا بالدروس الدينية وبالعقيدة، وأوصيهم - جزاهم الله خيرًا - بأن يُعْنَوْا بها غاية العناية، ويعطونها حقَّها من العناية معكم حتىٰ تتخرجوا - إن شاء الله - من بين أيديهم وقد درستموها وهضمتموها هضمًا كاملًا، وأمامكم - بإذن الله - الكلِّيات أيضًا فيها خيرٌ كثير، ولكن أرجو أن لا تخرجوا من هذا المعهد إلا وقد حصلتُم علىٰ الخير الكثير والدراسة الوافية؛ عن العقيدة والعلوم الدينية والعلوم الأخرىٰ كالعربية وملحقاتها.

الأمر السادس: إتباع العلم بالعمل يجب أن يكون علىٰ بالنا وهو العمل.

هذه الأمور كلها وسيلة، والمقصود العمل أيها الأبناء، فأوصيكم بالعمل، أوصيكم بالعمل بالعلم؛ كونوا مهتمِّين بالعمل أعظمَ من اهتمامكم بالعلم، كلَّما عرفتم شيئًا من الحق، فبادروا إليه، سارعوا إليه، كونوا طلبةَ علم عاملين، لا طلبةَ علم مُفاخرين، أو تقصدون أمرًا آخر من أمر الدنيا. لا . . ؛ ولكن كونوا طلبة علم عاملين موجِّهين مُرشدين، ولو أنكم في حال الطلب، اعملوا وعلِّموا ووجهوا، لا تحقِروا أنفسكم عن التعليم والتوجيه والإرشاد؛ لأنَّ هذا من الحق الذي عليكم وهو من العمل، فكما تعلَّمت فعلِّم وأرشد، ولو أنك في الابتدائي، إذا عرفت خيرًا، فعلِّمه الناسَ، واعمل به أولًا وعلمه الناس.

اسمعوا الله؛ يقول - جلّ وعلا - يُنكر علىٰ قوم من بني إسرائيل: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤] يدلنا علىٰ أن الإنسان إذا عرف الحق ودعا الناس إليه، ولم يعمل به، فهذا خلاف العقل، خلاف العقل، ليس صاحبه عاقلًا؛ فأوصيكم أيُّها الأبناء بأن تهتموا بالعمل، وأن تجتهدوا بالعمل؛ كلَّما عرفتم شيئًا بادروا بالعمل به، والله يزيدكم به هدًىٰ؛ فالعمل بالعلم من أعظم

الأسباب في المزيد من العلم، وفي توفيق الله للعبد، وفي هدايته له - جلّ وعلا - كما قال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧] فإذا اهتدىٰ العبد واستقام علىٰ أمر الله، زاده الله هدًىٰ وتقوىٰ.

قال بعض السلف: (من عمل بما عَلِم، أورثه الله علم ما لم يعلم)(١).

فيا إخواني: العمل أمرُه عظيم، وهو المقصود في هذه الدنيا، وهو الوسيلة للجنَّات. فإذا تعلّمتم وعمِلتم، فهذا هو المقصود في الدنيا، وهو سبب السعادة في الآخرة.

فالعلم والعمل هما طريق النجاة، هما سبب السعادة، هما طريق المنعَم عليهم؛ قال الله ﷻ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦ - ٧]. أجمع علماء التفسير أن المنعَم عليهم هم الذين عرفوا الحقَّ وعملوا به، هؤلاء هم المنعَم عليهم الذين عرفوا الحق وتبصَّروا وعملوا بالحق، هؤلاء هم المنعَم عليهم، وهم الرسل وأتباعهم؛ كما قال الله - جلّ وعلا -: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩].

فأوصيكم أيها الأبناء بالعمل أولًا بالإخلاص لله، هذا رأس العمل في كل أعمالكم: في صلاتكم، صومكم، جهادكم، عِلمكم، أمركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر، وتعليمكم الناس، أوصيكم بالإخلاص لله. هذا هو معنىٰ شهادة أن لا إلٰه إلا الله، وأن يكون العبد في أموره كلِّها مخلصًا لله، عابدًا له وحده ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

---

(١) **انظر**: كتاب إيقاظ الهمم شرح متن الحكم لابن عجيبة (١/ ٢٩)، وكتاب غذاء الألباب شرح منظومة الآداب (١/ ٧٠)، وكتاب جامع العلوم والحكم لابن رجب (١/ ٣٤٢).

وأوصيكم بالإخلاص لله في أعمالكم كلِّها، ثم بعد ذلك الجد في الأعمال الأخرىٰ، وأعظمها الصلاة، أعظم شيء بعد التوحيد: الصلاة؛ فأوصيكم بالصلاة، وأن تكونوا مثالًا عاليًا في الصلاة، يُقتدىٰ بكم ويُتأسَّىٰ بكم، إذا ظهر أثر العلم عليكم بالعمل تأسَّىٰ بكم الناس، وأحسنوا بكم الظنَّ؛ فأوصيكم بالعمل، ومن العمل: العنايةُ بالصلاة، والحرص عليها، والمحافظة عليها في الجماعة، والمسارعة إليها؛ حين تسمع: حيَّ علىٰ الصلاة، حيَّ علىٰ الفلاح، وحَثُّ الناس علىٰ ذلك، وتَرغيبهم في ذلك، وهكذا ما بعد ذلك من الأعمال؛ من الزكاة إذا عنده مال، صيام رمضان، إذا حضر والمحافظة عليه، حجّ الفريضة إذا حضر، بر الوالدين، صلة الرحم، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلىٰ غير هذا مما أمر به الله ورسوله.

فأوصيكم ـ أيها الأبناء ـ بالعمل، وأوصيكم بالجد والعلم والعمل، وأوصيكم بالعناية بالدروس والإقبال عليها.

وأوصيكم بالمثابرة التامة، والعناية التامة، والتشمير الدائم المتواصل، وحفظ الأوقات؛ فالأوقات عزيزة، فاحفظوها واعمُروها بالعلم والمذاكرة والتعاون وسؤال الأساتذة عما يُشكِل، عن إخلاص وعن نية صالحة، لا عن تعنُّت، ولا عن المفاخرة بالفهم، لا؛ ولكن عليكم بالنيَّة الصالحة في سؤالكم وفي مذاكرتكم، كونوا علىٰ نيَّة صالحة. القصد: الفائدة، لا المفاخرة، ولا إظهار الجِدِّ في الفهم، ولكن كل واحد يقصد من مذاكرته ومن سؤاله لأخيه أو لأستاذه أو غير ذلك، يقصد المزيدَ من العلم، لا ليقول الناس إنه جيِّد، أو يفهم لا؛ ولكن يقصد العلم، يقصد الفائدة.

هذا؛ وأسأل الله ﷻ أن يوفِّقَنا جميعًا لما يرضيه، وأن يهدينا جميعًا صراطه المستقيم، وأن يصلح ولاة أمرنا، وأن يهديهم صراطه المستقيم، وأن يصلح حال المسلمين جميعًا في كل مكان، ويمنحهم

الفقه في الدين، وأن يولِّي عليهم خيارَهم، ويجعلنا وإياكم من دُعاة الهدىٰ وأنصار الحق، إنه جواد كريم.

وقد أطلتُ عليكم بعض الإطالة، فأرجو المسامحة.

وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسولنا ونبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه.

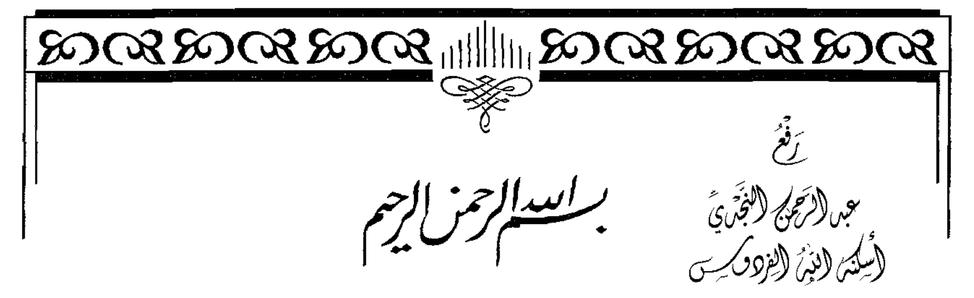
* * *



حديث المساء

* أولًا: تفسير بعض الآيات التي شرحها الشيخ.

* ثانيًا: بعض الأحاديث التي شرحها الشيخ.



وجوب الصوم على من شهد الشهر

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه، ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[١]:

فيقول الله ـ جلّ وعلا ـ في كتابه العظيم: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

بيَّن ـ سبحانه ـ أنه ـ جلّ وعلا ـ أوجب الصيام علىٰ من شهد رمضان صحيحًا مقيمًا، وكان في أول ما شرع الله الصيامَ، كان مخيَّرًا؛ فمن شاء صام وهو أفضل، ومن شاء أطعم عن كل يوم مسكينًا، وإن أطعم أكثر من مسكين فهو خير وأفضل.

كما في قوله ـ جلّ وعلا ـ في أول آيات الصيام: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤]، فصار من شاء أفطر وأطعم،

---

(١) حديث المساء من دروس سماحته بعد العصر في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض شريط رقم (١٥).

ومن شاء صام، والصومُ أفضل، ثم حتم الله الصيام علىٰ من كان زمَنَ رمضان صحيحًا؛ لا مريضًا مقيمًا، لا مسافرًا، فأوجب عليه الصوم، أمَّا المريض والمسافر، فعليه عِدَّةٌ من أيام أُخر إذا أفطر؛ تيسيرًا من الله ﷻ، ورحمة منه سبحانه وتعالى؛ لأنَّ المريض قد يضرُّه الصوم، وقد لا يتحمَّل الصوم، والمسافر كذلك، السَّفر قطعة من العذاب، وهو مظِنَّة التعب، مظِنَّة عدم التحمُّل، فكان من رحمة الله ﷻ أنْ أسقط عن المريض وعن المسافر الصوم وقت المرض والسفر، وأوجب عليهما القضاء بعد البُرْء من المرض، وبعد العَوْد من السفر، وجعل ذلك موسَّعًا، لم يجعله فوريًّا، بل جعله موسعًا سبحانه، فله أن يؤخِّر القضاء إلىٰ الشهور الأخيرة من السنة قبل رمضان.

وكانت عائشة رضي الله عنها تصوم قضاءها في شعبان؛ لمكانة رسول الله عليه الصلاة والسلام، فدلَّ ذلك علىٰ أنه لا مانعَ من تأخير الصوم إلىٰ رجب، أو إلىٰ شعبان، أو قبل ذلك، ولا يلزم البدارُ به في شوال، لكن من أراد أن يتطوَّع، فليبدأ به قبل التطوع؛ لأنه أهم من التطوع، يبدأ فيه قبل السِّتِّ من شوال، قبل صوم الاثنين والخميس نافلةً، أو يوم عرفة، أو عاشوراء، يبدأ بالقضاء؛ لأنه أهم؛ لأنه فرض.

هذا هو المعتمد، وهو المقدَّم عند الجمِّ الغفير من أهل العلم.

ثم إنه سبحانه وتعالى بيَّن الحكمة في ذلك، فقال: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٥] شرع لهم القضاء حتىٰ يُكملوا عدة رمضان ولا ينقُصوها، فهي شهر واحد؛ ثلاثون إن كمُل، وتسعة وعشرون إن نَقَص، ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٥] عند النهاية؛ فأن يكبَّر ـ سبحانه ـ عند النهاية يوم الفطر إلىٰ نهاية الخطبة يوم العيد؛ عيد الفطر، ويكبِّر الناس ليلة الفطر ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. أيضًا فالشكر مطلوب علىٰ ما منَّ الله به مِنْ نعمة الصيام والقيام، وما منَّ بسبب ذلك من المغفرة والعتق من النار، وغير هذا من وجوه

الخير ومضاعفة الحسنات، وبيَّن أهل العلم أن من عجَز عن القضاء ـ لكِبَر سنٍّ أو مرض لا يُرجىٰ بُرْؤُه ـ: فحكمه حكم مَنْ كان في العهد الأول؛ من الإطعام، يُطعم مسكينًا ولا شيء عليه، هكذا قال جماعة من أصحاب النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ فالشيخ الكبير والعجوز الكبيرة، اللذان لا يستطيعان الصوم، يُفطران ويطعمان عن كل يوم مسكينًا، وهكذا المريض الذي قد اشتدَّ به المرض ولزمه المرض، ولا يرجىٰ بُرؤُه هو كالشيخ الكبير، يطعم مسكينًا لا قضاءَ عليه، المريض الذي يُرجىٰ له البُرْءُ، فهذا يقضي ولو بعد رمضان، ولو بعد رمضانات، ولا شيء عليه غير القضاء.

لكن من أخَّر القضاء وهو قادر تساهُلًا، فإنَّه يجمع بين القضاء والإطعام جميعًا، فإذا أخَّر إلىٰ رمضان، ولم يصُم وهو قادر، فإنه يلزمه القضاءُ، وعليه الفدية والاستغفار، وعليه الإطعام مع ذلك؛ لأن الواجب أن يبادر بالقضاء قبل رمضان، فإذا أخَّره من دون عذر حتىٰ جاء رمضان؛ فإنه يقضيه بعد ذلك، ويُطعم عن كل يوم مسكينًا، كما أفتىٰ بذلك جماعة من أصحاب النبي ﷺ؛ كالتعزير والتأديب علىٰ تأخيره له إلىٰ ما بعدَ رمضان آخر، وهكذا الحُبلىٰ والمُرضِعة، حكمها حكم المريض في أصحِّ أقوال أهل العلم[(١)]، تفطران وتقضيان كالمريض، إذا شقَّ عليهما الصيام، وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال في المريض والمسافر يقول ﷺ: «**إنَّ الله ﷻ وَضَعَ عَنِ المُسَافِرِ شَطْرَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامَ، وَعَنِ الحَامِلِ وَالمُرْضِعِ**»[(٢)].

(١) أجمعَ أهلُ العلمِ علىٰ أنَّ الحائضَ والنفساء لا يحلُّ لهما الصومُ، وأنهما يفطرانِ رمضانَ، ويقضيانِ، وأنهما إذا صامتا لم يُجزئهما الصوم. **انظر**: «المغني» (٤/ ٣٩٧).

(٢) أخرجه النسائي من حديث أبي قلابة، في كتاب الصيام، باب ذكرِ اختلافِ معاويةَ بن سلام وعليِّ بن المباركِ في هذا الحديثِ، برقم (٢٢٧٥)، وحسَّنه الألباني.

فالمريض يصلِّي أربعًا، والحُبلىٰ تصلِّي أربعًا، والمُرضعة تصلِّي أربعًا، وإنما كان الكلام في الصوم فقط، فالمريض يُفطر ثم يقضي، والحُبلىٰ تُفطر ثم تقضي، وهكذا المرضعة، أمَّا الصلاة فإنَّها تامة، أربعٌ في حق جميع المصلين، ما عدا المسافر، المسافر هو الذي يقصُر الأربع ثنتين، أما المريض فلا.. يُصلي أربعًا، لكنْ له أن يؤخِّرَ الظهر إلىٰ العصر، والمغرب إلىٰ العشاء، فيجمع بينهما، لكن ليس له القصر، ليس له أن يُصليَ ثنتين؛ كالظهر والعصر والعشاء، وإنما هذا خاصٌّ بالمسافر.

وهكذا الحُبلىٰ والمُرضعة كالمريض؛ تقضيان الصوم وتُفطران إذا شقَّ عليهما الصوم من أجل الحمل، أو من أجل الرضيع؛ فإذا كان حملها يُتعبها إذا صامت ولبنُها يقلُّ ويضعف عن ولدها إذا صامت، أفطرت ثم تقضي بعد ذلك، الحامل والمرضعة كالمريض سواء، وقال بعض أهل العلم: إنهما تطعمان إذا أفطرتا أيضًا من أجل الولد.

والصواب أنه لا إطعام، وإنما عليهما القضاء فقط، تقضيان كما يقضي المريض، إذا شق عليهما الصوم بسبب الحمل، أو بسبب الرَّضاع.

هذه أحوال من يجوز له الفطر في رمضان، الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة، والمريض الذي لا يُرجىٰ بُرؤُه، والمسافر والحُبلىٰ والمُرضعة، هؤلاء ستة، ويُضاف إليهم الحائض والنفساء؛ فإنهما تفطران أيضًا، وليس لهما الصوم في حال الحيض والنفاس، يحرُم عليها الصوم، ولكنهما تقضيان.

بعد ذلك صار الجميع ثمانية: الحبلىٰ، والمُرضِع، والمريض، والمسافر. هؤلاء أربعة يقضون ولا إطعام، يقضي المسافر، يقضي المريض، تقضي الحبلىٰ، تقضي المُرضعة، ولا إطعام، لكن من أخَّر القضاء عن رمضان بغير عذر، وجب عليه القضاء مع الإطعام، الشيخ

الكبير، والعجوز الكبيرة يطعمان، ولا يقضيان ما عليهما القضاء؛ لأن حالتهما إلىٰ النقص والضعف، فلا قضاء عليهما؛ لكن يُطعمان ما دام عقلُهما معهما، ما دام العقل معهما، ولكنهما عاجزان عن الصوم، فإنهما يُطعمان عن كل يوم مسكين ولا قضاء. فإن اختلَّ شعورهما اختل عقلهما فلا صوم ولا إطعام جميعًا؛ زال التكليف، إذا اختل العقل زال التكليف، إذا خرف أو خرفت المرأة واختل العقل، فلا صوم ولا صلاة ولا إطعام؛ لأنه ارتفع التكليف حينئذ.

أما السابع والثامن - وهما الحائض والنُّفَساء - فهاتان يجب عليهما الإفطار، ولا يجوز لهما الصوم، يجب وجوبًا أن تفطِرا عند وجود الحيض والنفاس، ويجب عليهما القضاء من دون إطعام، إلا إذا أخَّرتا إلىٰ ما بعدَ رمضان آخر من دون عذر، وجب عليهما القضاء والإطعام جميعا.

وفَّق الله الجميع، وصلَّىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمَّد، وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم.





وجوب إتمام الحج لمن شَرَع فيه

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد(١):

يقول الله ـ جلّ وعلا ـ في كتابه العظيم: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ﴾ الآيـة [البقـرة: ١٩٦]، الله ـ جلّ وعلا ـ بيَّن لعباده هنا أن الواجب علىٰ الحجاج والعُمَّار إتمامُ الحج؛ متىٰ شرع فيه وجب عليه الإتمام، وهذا محل إجماع بين المسلمين: أن الواجب علىٰ مَنْ شرع في الحج ـ فرضًا أو نفلًا ـ أن يتم ذلك، وهكذا العمرة؛ لإطلاق قوله ـ سبحانه ـ: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ﴾، كثير من الناس من العامة عند أقل شيء من المُعوِّقات يرفض الإحرام، ويلبس الثياب، ويُغطِّي رأسه، ولا يسأل، ولا يبالي، هذا غلط كبير ومخالفة لنص الكتاب والسُّنة، فالواجب تنبيه الناس علىٰ ذلك.

الواجب علىٰ أهل العلم وعلىٰ الدعاة إلىٰ الله ـ جلّ وعلا ـ والمعلمين إرشادُ الناس إلىٰ كل ما قد يخفىٰ عليهم ممَّا أوجب الله،

(١) حديث المساء من دروس سماحته في مسجد التوعية بمكة المكرمة، شريط رقم (٢٦٣)، المقطع (٣).

وما حرَّم الله ﷻ؛ ومِنْ ذلك هذه المسألة التي يقع فيها كثير من الناس، فيخلع ملابس الإحرام، ويأتي أهلَه، ويفعل محظورات الإحرام دون أي سؤال ولا مبالاة. كل ذلك ناشئ عن الجهل، وعدم البصيرة، وعدم المبالاة بأحكام الله ﷻ، فإذا أُحصِر فلا بأس؛ لأن الله قال: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، فإذا أُحصر ولم يشترط، فعليه أن يهديَ ويحِل؛ لفعل النبي ﷺ ذلك، فإنَّه في عام ستٍّ من الهجرة لَمَّا منعته قريش من الدخول إلىٰ مكة، وكان قد جاء من المدينة قاصدًا العمرة في ألف وأكثر من أربعمائة، فلما مُنع وصدُّوه عن الدخول نحر هديه، وحلق رأسه، وتحلل ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأنزل الله في ذلك: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾؛ يعني: فانحروا أو اذبحوا ما تيسَّر من الهدي قبل الحلق والتقصير؛ ولهذا قال بعده: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾ [البقرة: ١٩٦]. هذا في المُحصر ليس له أن يحلق أو يقصِّر إلا بعد أن ينحر الهدي، وهكذا فعل المصطفىٰ ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأصحابه لما أُحصروا؛ نحروا ثم حلقوا وتحللوا، وليست في جنس الحاجّ، إنَّما هي للمُحصر.

أما الحاجّ له أن يقدِّم الحلق علىٰ النحر، فله أن يرمي ويحلق ثم ينحر بعد ذلك، وله أن ينحر قبل الرمي أيضًا.

والنبي ﷺ رتَّب الأمور التي تُفعل يوم النحر، رتَّبها بفعله ﷺ فرمىٰ، ثم نحر يوم العيد، ثم حلق، ثم تطيب، وركب إلىٰ البيتِ، وطاف عليه الصلاة والسلام. هذا هو الترتيب المشروع بإجماع المسلمين: أن يرمي جمرة العقبة يوم العيد، ثم ينحر هديه، أو يذبح إن كان متمتِّعًا أو قارنًا أو مفردًا وتطوّع بالنحر، ثم يحلق أو يقصِّر، والحلق أفضل، ثم الطواف بعد ذلك، والسعي إن كان عليه السعي؛ كالمتمتع أو كان قارنًا أو مفردًا، لكن لم يسع مع طواف القُدوم، فإنه يسعىٰ مع طواف الإفاضة.

هـذا الترتيب هو المشروع، لكن من قدَّم بعضها علىٰ بعض، فلا حرج، كما سيأتي إن شاء الله في محله، وقد رتَّب النبي هذا

ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقال: «**لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ؛ فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ**»(١).

وسُئل عمَّن قدَّم بعضها علىٰ بعض، فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**لَا حَرَجَ**» هذا في الحج، قال له رجلٌ: يا رسول الله، أفضت قبل أن أرمي، قال: «**لَا حَرَجَ**» قال آخر: نحرت قبل أن أرمي، قال: «**لا حرج**». قال آخر: حلقت قبل أن أذبح. قال: «**لا حرج**». قال عبد الله بن عمرو ـ رضي الله تعالىٰ ـ عنه: فما سُئل يومئذ عن شيء قُدِّم أو أُخِّر إلا قال: «**افْعَلْ وَلَا حَرَجَ**»(٢).

وهذا من تيسير الله ﷻ، فهذا في حق الحجاج، أمَّا المُحصر؛ فليس له أن يحلق إلا بعد النحر، فالآية في المُحصر: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾ [البقرة: ١٩٦] والخطاب للمُحصَرين أن لا يحلقوا حتىٰ ينحروا، ثم يتحللوا.

والإحصار ـ علىٰ الصحيح ـ يكون بالعدو، ويكون بغير العدو؛ فالعدو كما جرىٰ يوم الحديبية؛ حين صدَّ الكفارُ رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقد يكون بأشياء أخرىٰ غير العدو، كما هو الصحيح من قولي العلماء، كأن تذهب نفقتُه، أو يضلَّ الطريق، أو يَمرض مرضًا يمنعه من إتمام الحج أو العمرة، فحينئذ ينحر ويحلق ويتحلَّل كالمُحصر بالعدو، إلا أن يكون اشترط، كما قال النبي ﷺ لضُباعة: «**اشْتَرِطِي أَنَّ محِلِّي**

---

(١) أخرجه مسلم من حديث جابر ﷺ في كتاب الحج، باب استحبابِ رمي جمرةِ العقبةِ يومَ النَّحر راكبًا وبيانِ قولهِ ـ صلىٰ الله تعالىٰ عليه وسلم ـ: «**لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ**»، برقم (١٢٩٧).

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب الفتيَا وهوَ واقفٌ علىٰ الدابةِ وغيرها برقم (٨٣)، وفي كتاب الحج من حديث ابن عباس ﷺ، باب الذبح قبل الحلق، برقم (١٧٢١)، ومسلم في كتاب الحج، باب من حلق قبل النحر أو نحر قبل الرمي، برقم (١٣٠٦).

حَيْثُ حَبَسْتَنِي». فإذا كان اشترط وحضَر مانعٌ، حلَّ من دون هدي ولا حلق، فإذا أحرم قال: «**فإِذَا حَبَسْنِـي حَابِسٌ مَحِلِّي حَيْثُ حَبَسْتَنِي**» أو: فإن منعني مانع، أو ما أشبه ذلك من العبارات الدالة علىٰ الاشتراط؛ فإذا منعه مانع من عدو أو مرض أو نحو ذلك، تحلل بدون نحر ولا حلق، عملًا بالشرط، لقوله ﷺ لضُبَاعَةَ بِنْتِ الزُّبَيْرِ لما قالت: يا رسول الله، إني أشتكي؛ قال: «**حُجِّي وَاشْتَرِطِي وَقُولِي: اللَّهُمَّ مَحِلِّي حَيْثُ حَبَسْتَنِي**» متفق عليه[1]، ولعموم قوله ﷺ: «**المُسْلِمُونَ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ**»[2].

فينبغي التنبيه علىٰ هذا الأمر؛ لأن كثيرًا من الناس يسأل عن هذا كثيرًا. عند أقلِّ عارض يتحلل ولا يبالي.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد وعلىٰ آله وأصحابه.



(١) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها. أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، برقم (٥٠٨٩)، ومسلم في كتاب الحج، باب جواز اشتراط المحرم التحلل بعذر المرض ونحوه، برقم (١٢٠٧).

(٢) أخرجه البخاري معلقًا في كتاب الإجارة، باب أجر السمسرة، ساقه بين رقمي (٢٢٧٣، ٢٢٧٤)، وأبو داود في كتاب الأقضية، باب الصلح، برقم (٣٥٩٤)، والترمذي في كتاب الأحكام عن رسول الله ﷺ، باب ما ذكر عن رسول الله ﷺ في الصلح بين الناس، برقم (١٣٥٢).

صيانة وقت الحاج

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه[1].

أما بعد..

فإن الحاجَّ مأمور بحفظ وقته، وصيانة جوارحه عمَّا حرم الله ﷻ، واستعمالها فيما ينفعه، يقول ﷻ: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

فالحاج مأمور بأن يحفظ جوارحه ـ وأخطرُها لسانه ـ عمَّا حرم الله عليه من الرَّفَث والفسوق والجدال بغير حق، والرفث: الجماع قبل التحلُّل الكامل، ويلتحق بذلك كلُّ ما يتعلق بالنساء والفواحش من القول السيِّئ، يقال له: الرفث، والفسوق: جميع المعاصي كلها فسوق؛ لأنها خروج عن طاعة الله، والجدال: هو الجدال الذي بغير حق؛ كالمراء بالباطل، أو التبادل في الجدال بغير فائدة ولا جدوىٰ، فإنَّ المطلوب: الجدال بالتي هي أحسن لإظهار الحقِّ، ودحض الباطل، فإن لم يُجدِ ذلك ولم يُفِد تُرك الجدال.

وهذه البلاد المقدسة جديرة بأن يعظِّمَها المؤمن، ويحذر الإلحاد فيها، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

---

(١) حديث المساء درس سماحة الشيخ في مكة بعد العصر في مسجد التوعية من ٢٨/١١/١٤٠٦هـ إلىٰ ١/١٢/١٤٠٦هـ، شريط رقم (٩٤)، المقطع (١).

[الحج: ٢٥] توعَّد علىٰ الإرادة، فكيف بالعمل، والحسنات تُضاعَف في المكان الفاضل والزمان الفاضل مضاعفة كثيرة، وقد صحَّ عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: «**صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِن مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ**»[(١)].

هذا شأن عظيم وفضل كبير. أما بقيَّة الأعمال، فكلها مضاعفة، لكن لم يرد فيها حدٌّ محدود، ولم يصحَّ فيها شيء عن المعصوم ـ عليه الصلاة والسلام ـ فهي مضاعفة، ولكن لا يعلم مضاعفتها إلا الله؛ من الصيام والصدقات والأذكار، وغير هذا في وجوه الخير، وهكذا في المدينة، وفي رمضان، وفي عشر ذي الحجة، كل هذه أزمان وأماكن لها شأنها، فينبغي للمؤمن أن يغتنم الفرصة في فعل الخير ومجاهدة النفس؛ من الاستكثار من الحسنات، والحذر من السيئات، والعناية الكاملة بأداء الفرائض، وقد صحَّ عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: «**مَنْ حَجَّ لله، فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»[(٢)]. من حجَّ فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه، وهذا خير عظيم، وفضل كبير، يدلُّ علىٰ أنه إذا استوفىٰ الحجَّ الشرعي رجع مغفورًا له، وفي اللفظ الآخر: «**الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ**»[(٣)]،

---

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث جابر رضي الله عنه في كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضلِ الصّلاةِ في المسجدِ الحرامِ ومسجدِ النّبيّ ﷺ، برقم (١٤٠٦).

(٢) متفق عليه من حديثَ أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، برقم (١٥٢١)، ومسلم في كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، برقم (١٣٥٠).

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب العمرة، باب فضل وجوب العمرة وفضلها، برقم (١٧٧٣)، ومسلم في كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، برقم (١٣٤٩).

والمبرور: هو الذي بَرَّ فيه صاحبه؛ فأدىٰ الفرائض وابتعد عن المحارم.

فجدير بالمؤمن في هذه البلاد ـ سواء كان حاجًا أو غير حاج ـ أن يعرف لها قدرها، وأن يعمُرها بالخير والهدىٰ والصلاح، وأن يحذرَ فيها السيئات التي خطرها عظيم، والسيئة لا تضاعَفُ بالعدد في أصحِّ قولي العلماء، ولكنها تُضاعَف من جهة الكيفية، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، فالسيئات لا تُضاعَف من جهة العدد، ولكنها تُضاعف من جهة الكيفية. والسيئة بالحرم... أو في رمضان، أو في أول ذي الحجة، أو في المدينة، أعظم في الإثم وأشدُّ في الخطر من سيئات الناس فيما سوىٰ ذلك، أما الحسنات، فتُضاعَف كميةً وكيفيةً جميعًا؛ فجدير بالراغب من النجاة، والطامع في مضاعفة الأجور أن يغتنم فرصة وجوده في هذا البلد المقدَّس، هذا البلد العظيم الأمين بالاستكثار من الحسنات والحذر من السيئات ونصيحة إخوانه وتحذيرهم؛ لأن الله يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ﴾ [المائدة: ٢]، وأن يحذر غاية الحذر كلَّ ما حرَّم الله عليه، رزق الله الجميع التوفيق والهداية. وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.





المحافظة على الصلاة وأداؤها في أوقاتها

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[1]:

فيقول الله - جلّ وعلا - في كتابه المبين: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، ويقول ﷻ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦].

في آيات كثيرات يأمر - سبحانه، جلّ وعلا - بالمحافظة علىٰ هذه الصلاة، وبإقامتها كما أمر الله، ويبين ﷻ أن المحافظين عليها من خواصِّ أهل الإيمان، الموعودين بالفوز بالجنة والكرامة والفردوس الأعلىٰ، كما قال ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١ - ٢].

ثم ذكر صفاتٍ عظيمةً ختمها بقوله - جلّ وعلا -: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٩ - ١١]، والفردوس هو أعلىٰ الجنة وأوسطها وأفضلها.

---

(١) حديث المساء من دروس سماحة الشيخ بعد العصر، في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض، شريط رقم (١١٦).

وفي الآية الأخرىٰ يقول ـ جلّ وعلا ـ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٢٥]، ثم ذكر صفاتٍ عظيمةً ختمها بقوله ـ جلّ وعلا ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ [المعارج: ٣٤ ـ ٣٥].

الصلاة هي عمود الإسلام، وهي أعظم أركانه، وأهمها بعد الشهادتين.

فالواجب علىٰ جميع المكلَّفين من المسلمين العنايةُ بها، والمحافظة عليها، وأداؤها في الجماعة في بيوت الله، كما أمر الله، هذا في حق الرجال، وفي حق النساء: أداؤها في بيوتهن في أوقاتها، كما أمر الله، وبهذا يستقيم أمر الله، ويحصل للعبد القوة علىٰ أداء بقية الأعمال، فإن الصلاة مَنْ حفِظها حفظ دينه، ومن ضيَّعها فهو لما سواها أضيع، وجاء عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ أنه كان يكتب إلىٰ أُمرائه، ويقول: «إنَّ أَهَمَّ أَمْرِكُمْ عِنْدِي الصَّلَاةُ، فَمَنْ حَفِظَهَا وَحَافَظَ عَلَيْهَا حَفِظَ دِينَهُ، وَمَنْ ضَيَّعَهَا، فَهُوَ لِمَا سِوَاهَا أَضْيَعُ»(١). ويقول النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ**»(٢)، ويقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ؟ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»(٣)، ويقول أيضًا ـ عليه الصلاة والسلام ـ:

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» في كتاب الصلاة، باب وقوت الصلاة، رقم حديث الباب (٦).

(٢) أخرجه الترمذي من حديث معاذ بن جبل ﷺ في كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، برقم (٢٦١٦)، وصحَّحه الألباني.

(٣) أخرجه الترمذي من حديث بريدة ﷺ في كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، برقم (٢٦٢١). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب، والنسائي في كتاب الصلاة، باب الحكم في تارك الصلاة، برقم (٤٦٣)، وابن ماجه في كتاب =

«بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ: تَرْكُ الصَّلَاةِ»[1].

فالواجب علىٰ كل مؤمن أن يعتني بهذه العبادة العظيمة، وأن يُحافظ عليها، وأن يقوم علىٰ مَنْ تحت يده ـ من أولاد ومن زوجة ومن غيرهم ـ بالعناية بهذه العبادة العظيمة: الزوجة والولد والأخت وغير ذلك مَنْ تحت يده، حتىٰ يستقيم الجميع علىٰ هذه العبادة العظيمة، وحتىٰ يُؤدُّوها في أوقاتها كما أمر الله، ولهذا يقول ـ جلّ وعلا ـ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]: صلُّوا مع المصلين، وكثير من الناس ـ والعياذ بالله ـ لا يُبالي بها: صلاها في الوقت، أو بعد الوقت، أو تركها، ليس لها قيمة عنده؛ وذلك بأسباب ضعف الإيمان وقلَّة البصيرة، أو بأسباب الجُلساء من الأشرار، الذين لا يُهمُّهم أمر الصلاة، فيتخلق بأخلاقهم، ويصيبه ما أصابهم، نسأل الله العافية.

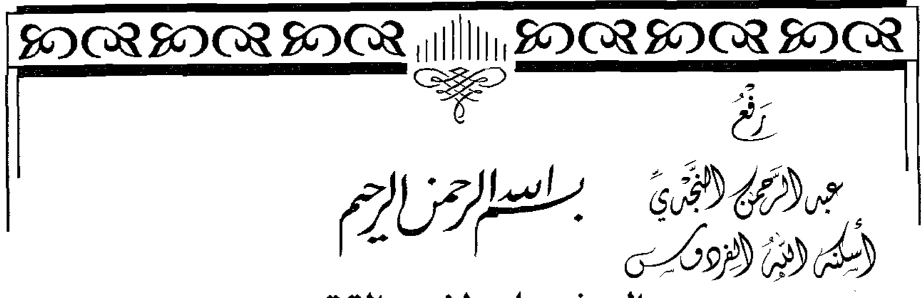
فالواجب علىٰ المؤمن أن يُعنىٰ بهذه الفريضة العظيمة، وأن يحافظ عليها، وأن يقوم علىٰ مَنْ تحت يده من أهل بيته، ومن يلتحق بهم حتىٰ يؤدوها كما أمر الله، ويتعاهد من حوله من جيرانه وإخوانه وأصدقائه بالنصيحة والتوجيه إلىٰ الخير حتىٰ يحصل التعاون علىٰ البر والتقوىٰ؛ وحتىٰ يبتعد الجميع عن طاعة الشيطان، وعن مشابهة أهل النفاق؛ الذين من شأنهم التثاقُل عنها وإضاعتها، كما قال ﷻ في شأن المنافقين: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال في الآية الأخرىٰ: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤].

= الصلاة، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة، برقم (١٠٧٩)، والإمام أحمد في مسنده (٥/ ٣٤٦)، وصححه الألباني.

(١) أخرجه مسلم من حديث جابر ﷺ في كتاب الإيمان، باب بيانِ إطلاقِ اسم الكفرِ علىٰ من ترك الصّلاة، برقم (٨٢).

هذه حال أعداء الله المنافقين؛ ومتىٰ تساهل المسلم بذلك شابَهَهم في هذه الخصلة الخبيثة، فيجب الحذر من مشابهة أعداء الله، ويجب الاهتمام بأداء هذه الفريضة كما أمر الله من الخشوع والطمأنينة وأدائها في الجماعة، والعناية بطهارتها وسائر شؤونها حتىٰ يكون أقامها؛ معنىٰ (أَقِيمُوا ٱلصَّلَاةَ)؛ **يعني**: أداؤها كما أمر الله؛ أدُّوها قائمةً كاملة تامة. والتناصح واجب بين المسلمين بين الأقارب والجيران، وبين المسلمين عمومًا في كل ما أمر الله، وبترك ما حرم الله، وبالتناصح والتعاون علىٰ الخير يكثُر الخير، ويقل الشر، وبالغفلة تنعكس الأمور. وفَّق الله الجميع، وهدىٰ الجميع صراطَه المستقيم، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.





الحث على لزوم التقوى

الحمد لله رب العالمين، وصلّىٰ الله وسلّم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعد[1]:

فيقول الله ـ جلَّ وعلا ـ في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، في هذه الآية الكريمة يأمر الله ـ سبحانه ـ عباده المؤمنين أن يتَّقوه حق تقاته، وهذه طريقة القرآن الكريم؛ فإنه يأمر الناس بالتقوىٰ عمومًا، ويأمر أهل الإيمان بالتقوىٰ خصوصًا، قال ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ [الحج: ١] فأمر الناس جميعًا بالتقوىٰ. **والمعنىٰ**: اتَّقوا غضبه، واتقوا عقابه؛ بتوحيده والإخلاص له، وطاعة أوامره، وترك نواهيه، هذه هي التقوىٰ: أن يُعبدَ وحده، ويُطاع أمره، وأن يُنتهَىٰ عن نهيه، وبهذا يستحق العبد الفوز بالجنة والنجاة من النار، ولهذا قال في آية أخرىٰ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]. فعبادته ـ سبحانه ـ هي تقواه، وهي الإخلاص له في العمل، وإفراده بالعبادة، وترك عبادة ما سواهَ ـ جلَّ وعلا ـ. ويدخل في التقوىٰ: طاعة الأوامر، وترك النواهي، والوقوف عند الحدود التي حدَّها الرب ﷿؛ رغبةً فيما عنده سبحانه، وحذرًا من غضبه وعقابه.

---

(١) كلمة لإذاعة الرياض في شهر ربيع الآخر من عام ١٤٠٠هـ، شريط رقم (٧٨).

ويقول في هذه الآية ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢] **والمعنىٰ**: اتقوه حق التقوىٰ، وقد فسَّرها ـ سبحانه ـ في قوله ـ جلّ وعلا ـ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. فتقوىٰ الله حق تقاته: أن تطيعه حسب الطاقة بفعل الواجبات؛ من صلاة، وصوم، وزكاة، وحج وجهاد، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، وبر الوالدين، وصلة رحم، وصدق حديث، ونحو ذلك. وأن تدع ما حرَّم عليك من سائر المعاصي، وأعظمُها الشرك بالله ﷻ؛ فإنه أعظم الذنوب، وينافي التوحيد ويناقضه، ثم ما دون ذلك من سائر المعاصي؛ كالقتل بغير حق، والزنىٰ، وشرب المُسكرات، وعقوق الوالدين أو أحدهما، وقطيعة الرحم، وأكل الربا، والتعدِّي علىٰ الناس بالقول أو الفعل؛ كل هذا داخل في تقوىٰ الله ـ جل وعلا ـ والمتَّقي لله هو الذي يعظِّم حُرماته، وهو الذي يعظِّم أمره ونهيه، هو الذي يخلص له العبادة وحده سبحانه وتعالىٰ، هو الذي يتباعد عن معاصيه وغضبه، جل وعلا.

قال عَبْد اللهِ بن مَسْعُود رضي الله عنه الصحابي الجليل: تقوىٰ الله ﷻ: «أن يُطاع فلا يُعصىٰ، وأن يُشكرَ فلا يُكفرَ، وأنْ يُذكرَ، فلا يُنسىٰ»(١).

هذا من تقوىٰ الله ـ جل وعلا ـ: «أنْ يُطاعَ فلا يُعصىٰ، وأنْ يُذكرَ، فلا يُنسَىٰ»؛ لأنَّ الغفلة تُنقص الإيمان وتُضعف الإيمان، ومن صفات أهل التقوىٰ: الإكثار من ذكر الله؛ من تسبيح، وتهليل، وتحميد، وتكبير، واستغفار، ودعاء، وضراعة إلىٰ الله ﷻ؛ كل هذا من صفات أهل التقوىٰ، «وأن يُشكَرَ فلا يُكفر»؛ **يعني**: يُشكر علىٰ نِعَمِه، فإنه ـ سبحانه ـ هو المُنعم المحسن إلىٰ عباده، ونِعَمُه متنوِّعة: نعمة الصحة، ونعمة الإسلام، ونعمة الأمن، ونعمة المال، ونعمة الزوجة، ونعمة الأولاد، إلىٰ غير ذلك، فالنِّعَم لا تُحصىٰ،

---

(١) أورده ابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ١٦٣)، والحاكم في مستدركه (٧/ ٢٨٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٧/ ٤٨٧).

كما قال ـ سبحانه ـ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [النحل: ١٨].

فالواجب علىٰ المؤمن أن يشكر الله ﷻ علىٰ هذه النعم العظيمة؛ فهو الذي أعطاك الصحة في جميع بدنك، وإنما تَعرف فضل هذه الصحة علىٰ الكمال والتمام إذاوجدت المرض؛ فمن وجد المرض في عينه أو أذنه أو سنّه، أو أي عضو من أعضائه، عرف فضل الصحة علىٰ الحقيقة، فأوجب له ذلك شكرَ الله ﷻ، والإنابة إليه، والمسارعة إلىٰ مراضيه ﷻ.

وهكذا نعمة الإسلام؛ إنما يُعرف عِظَمُ شأنها بمعرفة حال الكفار، وما هم عليه من الباطل، فمن عرف الكفر وعاقبته الوخيمة، وما أعد الله لأهله من العذاب، والبلاء والعاقبة السيئة، عرف فضل الإسلام، وأنه أعظم نعمة وأكبر نعمة، أنْ هداك الله للإسلام الذي وعد أهله ـ سبحانه ـ الجنةَ والكرامة، وهو إخلاص العبادة لله وحده، ومتابعة رسوله محمدًا ـ عليه الصلاة والسلام ـ والصدق في ذلك بطاعة الأوامر وترك النواهي.

وهكذا بقية النعم: فنعمة الأمن؛ من وجد المخاوف عرف قدر نعمة الأمن، ومن عاش في الأمن قد يفوت عليه عِظَمُ قدر هذه النعمة، وقد يظنها نعمةً عادية؛ ولكن من وجد المخاوف وعرف المخاوف عرف فضل الأمن، وأنه نعمة عُظمىٰ يستحق الله ـ جلّ وعلا ـ الشكرَ عليها الشكر العظيم؛ بطاعة أوامره وترك نواهيه، وسؤاله العافية، والصدق في أداء ما يجب، والحذر ممَّا حرَّم الله ﷻ، فنِعَم الله كثيرة، يستحق ربُّنا عليها الشكر ـ جلَّ وعلا ـ والشكر يكون بالقلب؛ بمحبة الرب ﷻ، وتعظيمه وخوفه ورجائه والإخلاص له، ويكون باللسان؛ بالثناء علىٰ الرب ﷻ، والإكثار من ذكره ﷻ، واستغفاره ﷻ، والدعوة إلىٰ سبيله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ كل هذا الشكر لله بالقول، ثم يكون الشكر بالعمل، كما قال ﷻ: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سبأ: ١٣] قال ﷻ: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢] ويقول ـ سبحانه ـ: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾ [إبراهيم: ٧].

فالشكر بالعمل بأداء ما أوجب الله؛ بالصلوات في وقتها في جماعة بخشوع وطمأنينة والإقبال عليها، وأداء الزكاة عن طِيبِ نفس، وعن إخلاص، وصرفها لمستحقِّيها، والصيام في وقته؛ صيام رمضان عن إخلاص وعن عناية وإتقان، وحفظ للصيام عمَّا حرم الله، بالحج، كما شرع الله، وبرِّ والديك والإحسان إليهما، وصلة أرحامك وسائر أعمال الخير.

أما قوله ـ سبحانه ـ: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] **فالمعنىٰ**: استمُّروا علىٰ التقوىٰ؛ **يعني**: الزموها حتىٰ تموتوا عليها؛ فإن من سنة الله ـ سبحانه ـ الجميلة: أن من استقام علىٰ الخير، وحافظ عليه رغبةً فيما عند الله، أنَّ الله يحسن له الختام، ويبعثه علىٰ الهُدىٰ والتقوىٰ.

فالزم يا عبد الله تقوىٰ الله ﷻ واستقِمْ عليها، واسألْ ربَّك الثبات حتىٰ تموت علىٰ ذلك، وإياك والتهاونَ بأمر الله، وإياك واقتراف المعاصي؛ فإن ذلك من أعظم الأسباب لسوء الخاتمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ومتىٰ فرطَ منك أمر يُغضب اللهَ ﷻ فبادر بالتوبة، بادر الإصلاح، والرجوع إلىٰ الله ـ جلَّ وعلا ـ بالندم، والإقلاع من الذنب، والعزم الصادق ألا تعود إليه.

هذه التوبة ندم صادق علىٰ ما مضىٰ من السيئات، وإقلاع منها، وترك لها حذرًا من الله وتعظيمًا له، وعزم صادق ألا تعود إليها، هكذا يكون التائب، يقول الله ـ سبحانه ـ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] والتوبة فيها الفلاح، وفيها الخير، وفيها العاقبة الحميدة، كما قال ـ سبحانه ـ في الآية الأخرىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التحريم: ٨] هذه عاقبة التوبة: المغفرة والجنة والفلاح؛ فجدير بالمؤمن وجدير بالمؤمنة البِدار بالتوبة إلىٰ الله سبحانه وتعالى، فكلٌّ منا خطّاء، كما في الحديث عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ

أنه قال: «**كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**»[١].

فكل منا قد يقع في المعصية، وقد يُسرف علىٰ نفسه، ولكن يجب البِدارُ للتوبة، ويجب الإقلاع والندم، والعزم الصادق علىٰ عدم العودة للسيئة، ومتىٰ بادرت بالتوبة وصدقت في ذلك، فالله ﷻ يتوب عليك، ويعينك علىٰ الخير، وإذا أتبَعْتَ التوبة بالإيمان الصادق، والعمل الصالح، والاستكثار من الخير، تاب الله عليك، وجعل مكان سيئاتك حسناتٍ. كما قال الله ﷻ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠]. هذا من جوده وكرمه ﷻ؛ لَمّا ذكر الشرك بالله، وقتل النفس بغير حق، والزنىٰ، وما أعدَّ الله لأهل هذه المعاصي من العقوبات العظيمة، قال بعد ذلك: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

فنسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإياكم وسائر إخواننا لما يرضيه، وأن يصلح أحوال المسلمين، وأن يمنَّ عليهم بالتوبة الصادقة النصوح، إنه ﷻ سميع قريب، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه.

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه الترمذي من حديث أنس ﵁ في كتاب صفة القيامة عن رسول الله ﷺ، باب، برقم (٢٤٩٩) وحسنه الألباني، ورواه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، برقم (٤٢٥١).

تعليق سماحته على كلمة الشيخ إبراهيم الدباسي

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه، ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[١]:

فلقد سمعنا هذه الكلمات الطيبات المباركات من صاحب الفضيلة الشيخ إبراهيم بن عبد الله الدّباسي علىٰ آيتين من كتاب الله، من سورة آل عمران، فيهما عِظة وذكرىٰ، وفيهما تذكير بما جرىٰ في عهده، عليه الصلاة والسلام.

وما حصل من الخير العظيم بسبب التقوىٰ والاستقامة والاعتصام بحبل الله. ولا ريب أن التذكير بنِعَم الله، والتنبيه علىٰ ما حصل للأوَّلين من الخير العظيم، يدعو المتأخِّرين إلىٰ التمسُّك بذلك الخير، والأخذ به، والسير عليه؛ لأن ما هدىٰ الله به الأوَّلين هو الذي يهدي به الآخرين ﷻ.

وهاتان الآيتان من أعظم آيات كتاب الله، ومن الآيات الموجِّهة إلىٰ الخير والهدىٰ والاستقامة والإعداد للآخرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ الآية [آل عمران: ١٠٢ ـ ١٠٣].

الأمر بالتقوىٰ في كتاب الله متعدِّدٌ في آيات كثيرة؛ تارة يأمر بذلك المؤمنين ﷻ ليلزموا التقوىٰ ويستقيموا عليها، وتارة يوجِّه الأوامر إلىٰ

---

(١) من تعليقات سماحة الشيخ علىٰ كلمات المشايخ في موسم حج عام ١٤٠٦هـ، شريط رقم (٩٦).

الناس عمومًا ليتَّقوه ـ سبحانه ـ بتوحيده، والإخلاص له، وطاعة أوامره، وترك نواهيه، وهكذا بعث الرسل؛ يوجهوا الناس إلىٰ الخير، وليأمروا أتباعَهم بالاستقامة علىٰ الحق الذي جاؤوا به؛ فيقول هنا ـ سبحانه ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ويقول في آيات أخرىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [النساء: ١]، فالجميع خُلقوا ليتَّقوه، وجميع الناس مؤمنهم وكافرهم خُلقوا ليتقوا الله ﷻ، فمنهم من اتَّقىٰ، وهم الأقلُّون، ومنهم من لم يتَّقِ، وهم الأكثرون، ولا حول ولا قوة إلا بالله: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]. ويقول ـ سبحانه ـ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]. فهو ـ جلَّ وعلا ـ بعث الرسل، وأنزل الكتب، وخلق الثَّقَلين ليُعبد وحده لا شريك له، وأقام الحجة، وقطع المعذرة، ومِنَ الناس من وُفِّق وقبلَ الحق، واهتدىٰ بالهدىٰ، وعرف صحَّة ما جاءت به الرسل، وعرف الآيات الدالَّات علىٰ ذلك، فهداه الله بالهدىٰ، واستقام علىٰ الأمر، واتَّقىٰ ربَّه، وفاز بالسعادة في الدنيا والآخرة، ومن الناس من عَمِي عن الهدىٰ، ولم تنفعْه الآيات، ولم يتَّعظ بما جاءت به الرسل، فباء بالخيبة والخسارة وسوء المصير، والله يذكِّرنا بهذه الآية ويدعونا إلىٰ أن نموت مسلمين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. والصواب أنها غير منسوخة، وأن المعنىٰ: الزموا التقوىٰ غاية الأمر، ولا ينافي ذلك قولَه ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، فمن اتقىٰ الله ما استطاع، فقد اتقىٰ الله حق تقاته، هي تفسير وإيضاح، ولا يُكلفُ اللهُ نفسًا إلا وسعها، ومن استقام علىٰ أمر الله، وعَبَده علىٰ بصيرة، وترك النواهي، واستقام علىٰ الأوامر، يرجو ثواب الله، ويخشىٰ عقاب الله، ووقف عند حدوده، واستمر في ذلك الأمر حتىٰ لقي ربَّه، فقد اتقىٰ الله حقَّ تُقاته، وقد اتقىٰ الله ما استطاع، ومن تابع الهوىٰ

والشيطان، وركب رأسه في فعل المحارم وترك الأوامر، فقد عرَّض نفسه لغضب الله، وعرَّضها لسوء المصير، ولهذا قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «تقوىٰ الله حقَّ تُقاته: أن يُطاعَ فلا يُعصَىٰ، وأنْ يُشكر فلا يُكفر، وأنْ يُذكرَ، فلا يُنسىٰ»[1]؛ يعني: أن هذا من تقوىٰ الله حق تُقاته؛ من تقوىٰ الله: أن يُطاع فلا يُعصىٰ، وأنْ يُشكر فلا يُكفر، وأن يُذكر، ولا يُنسىٰ.

وتقوىٰ الله حقَّ تقاته كلمة جامعة تجمع الخير كله، والتقوىٰ هي جِماع الدين؛ فالمتَّقي لله هو المؤمن بالله، هو المسلم حقًّا، هو البَرُّ، هو الصالح، هو المهتدي، فكلماتٌ مختلفاتُ الألفاظ متقاربات المعاني في الحقيقة؛ ولهذا قال طَلْقُ بن حبيب، التابعي المعروف: «تقوىٰ الله: أن تعمل بطاعة الله، علىٰ نورٍ من الله، ترجو ثوابَ الله، وأن تدع معصيةَ الله، علىٰ نورٍ من الله، تخاف عقابه الله»[2].

وعبارات العلماء متقاربة في هذا، وجِماعها أنها تركُ المعاصي، وأداء الفرائض، علىٰ نور وهدىٰ، وعلىٰ بصيرة، وعلىٰ علم، عن خشيةٍ لله، وعن رغبة فيما عنده، لا عن حظٍّ عاجل، ولا عن رياءٍ وسُمعة؛ ولكن يدع المعاصي، ويتَّبع الأوامر عن رغبة فيما عند الله، وعن طلب لمرضاته، وعن خوف من عذابه وسخطه بخلاف من ترك ذلك لأغراض أخرىٰ.

فعلىٰ الراغب في النجاة أن يتَّقي الله حقَّ تُقاته، أن يتقي الله عن بصيرة وعن علم، فيدع المعاصي ويحذرها، ويبتعد عنها وعن أسبابها ووسائلها، ويحافظ علىٰ ما أوجب الله، ويقف عند حدود الله، ويسارع إلىٰ الخيرات، ويسابق إلىٰ الطاعات؛ هكذا المؤمن، هكذا

---

(١) سبق تخريجه في ص ٦٤.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٢١٧)، وابن بطة في الإبانة (٢/ ٢٨٥).

المتَّقي لله عَجَلَّ، ولهذا قال عَجَلَّ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ﴾ الآية [آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٥].

فالمتقي من شأنه العنايةُ بأوامر الله عن رغبة فيما عند الله، عن إيمان صادق، عن بصيرة، ومن صفته: الحذر من معاصي الله والبُعد عنها، ومن صفاته: المسابقة إلىٰ الخيرات، والمسارعة إلىٰ ما يرضي الله عَجَلَّ.

ومتىٰ استمرَّ علىٰ الخير، واجتهد في ذلك، توفَّاه الله علىٰ الإسلام، هذه سنّته في عباده. **فالمعنىٰ**: الزموها واستقيموا عليها، وحافظوا عليها حتىٰ يأتي الموت وأنتم علىٰ ذلك، قال ـ تعالىٰ ـ لنبيه ﷺ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

فإذا كان المصطفىٰ ـ عليه الصلاة والسلام ـ يُؤمر بذلك، وهو سيِّد ولد آدم، وأكرم المتقين، فهكذا مَنْ بعده مِنْ باب أولىٰ؛ أن يتقي الله، ويلزم الحق حتىٰ يأتيه الموت وهو علىٰ ذلك، ثم قال: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣] تأكيدًا لما تقدم، وبيانًا للمنهج الذي يسير عليه، والحُجَّة التي يستند إليها: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ﴾؛ استمسكوا به، واستقيموا عليه، وحبل الله هو دينه الذي جاء به كتابه العظيم، وسنةُ رسوله الأمين، عليه الصلاة والسلام؛ **فالمعنىٰ**: لتكن التقوىٰ عن اعتصامٍ بحبل الله ودين الله، عن بصيرة، عن علم.

ثم أكَّد هذا بقوله: ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾؛ يعني: التزموا به جميعًا، واصبروا عليه جميعًا، واثبُتوا عليه جميعًا؛ حتىٰ تُنصروا، وحتىٰ تُوفَّقوا، وحتىٰ لا يطمع العدو فيكم، فإذا تفرَّق الناس طمع فيهم الأعداء، ثم ذكَّرهم بما هم عليه في حال الجاهلية من تفرُّق واختلاف وشحناء،

وأنهم لو ماتوا علىٰ ذلك صاروا إلىٰ النار، وأنهم علىٰ شفا حفرة منها، لولا أن الله هداهم ووفقهم ببعث نبيهم محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ فأنقذهم من هذا البلاء، وهكذا مَنْ بعده إلىٰ قيام الساعة؛ إن قبلوا ما جاء به نبيه ﷺ واستقاموا عليه، وثبتوا عليه، واعتصموا به، نَجَوْا من النار، وفازوا بالسعادة، واهتدوا إلىٰ الصراط المستقيم، وإن انحرفوا يمينًا وشمالًا، صاروا إلىٰ الجحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهذه آيات الله يبيِّنها للناس، دلائلُ قدرته ودلائلُ عظمته، وأنه ﷻ مُصرِّفٌ لعباده بفضله للهداية، وبعدله لضدِّها، فبِيَده الأمور ﷻ، فآيات كثيرة دالة علىٰ قدرته العظيمة وعلىٰ حكمته، وعلىٰ أنه الموفِّق لمن يشاء، والهادي لمن يشاء والمُضل لمن يشاء، ومن تدبَّر آيات الله وجاهد نفسه في الله اهتدىٰ بذلك، ومن حاد عن هذا السبيل، ولم ينظر في أوامر الله ونواهيه، ولم يتدبر آياته، ضلَّ عن السبيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ونسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما يرضيه، وأن يجعلنا وإياكم مِمَّن يتلزم التقوىٰ ويستقيم عليها، وأن يعيذنا جميعًا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأن يجزي أخانا فضيلة الشيخ إبراهيم عن كلمته خيرًا، وأن يزيدنا وإياكم وإياه علمًا وهدىٰ وتوفيقًا، وأن يُحسن للجميع العاقبة، إنه سميع قريب، وصلِّ اللهمَّ وسلم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه.





وجوب الأمر بلزوم التقوى والاعتصام بحبل الله عَجَّلَ

الحمد لله، وصلىٰ الله وسلم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه، ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[1]:

فيقول الله عَجَّلَ في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٢ ـ ١٠٣].

يأمر عباده المؤمنين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأن يتقوه عَجَّلَ حق تقاته؛ فسَّرها بقوله ـ سبحانه ـ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦]، قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هذه الآية: «تقوىٰ الله حقَّ تُقاته: أن يُطاع فلا يُعصىٰ، وأن يُذكر فلا يُنسىٰ، وأن يُشكر فلا يُكفر».

والمعنىٰ: الزَمُوا حقَّه، واستقيموا عليه حتىٰ الموت؛ **يعني**: الزموا أداء الفرائض، وترك المحارم، والوقوف عند حدود الله حتىٰ تموتوا علىٰ ذلك، ولهذا قال: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾؛ **يعني**: استمرُّوا في طاعة الله، وفي تقواه بأداء حقه، وترك ما نهىٰ عنه، حتىٰ تلقوْه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومن سُنَّته في عباده ـ جل وعلا ـ أنَّ من اتقاه واستقام علىٰ أمره، عن إيمان وعن إخلاص وصدق، أنه عَجَّلَ يُحسن له الختام، فضلًا منه

(١) حديث المساء: دروس الشيخ بعد العصر في الجامع الكبير، شريط رقم (١٤٨).

وإحسانًا ـ جلَّ وعلا ـ وهذا من جنس قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمٰن: ٦٠]. فمن أحسن واستقام علىٰ أمر الله، عن إيمان وصدق، أحسن الله إليه بتوفيقه وهدايته وتثبيته.

ثم يتبع هذا بقوله: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]؛ **المعنىٰ**: الزَمُوا ما دلَّ عليه كتاب الله، واستقيموا عليه، واحذروا التفرُّق في ذلك؛ لأن التفرُّق يُضعف الحق، ويعين أهل الباطل، ويفرِّق الجماعة، ويُسبب ظهور الباطل، أما الاجتماع علىٰ الحق، والتعاون في نصره وتأييده، فهذا هو سبب السعادة في الدنيا والآخرة، وسبب ظهور الحق، واختفاء الباطل: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾، وهذا في آيات كثيرات؛ يقول ـ جل وعلا ـ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]. ويقول ـ سبحانه ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]. ويقول ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]. قال أهل السُّنة: **معنىٰ ذلك**: أن تبيَضَّ وجوه أهل السُّنة والاتِّباع والاستقامة، وتَسْوَدَّ وجوه أهل البدع والاختلاف.

فالواجب علىٰ أهل الإيمان أن يجتمعوا علىٰ الحق، وأن يتعاونوا في تثبيته وإظهاره، والدعوة إليه، وكفاح ما خالفه، هكذا يجب علىٰ أهل الإيمان، مستمرين علىٰ هذا، ملتزمين به حتىٰ الموت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]؛ لأن العمل يجب أن يستمرَّ، ليس يوم أو يومين أو شهرًا أو شهرين، أو سنة أو سنتين، لا . . يجب أن يكون العمل الذي أمر الله به، والكفّ عما حرّم عنه، يجب أن يستمر، وأن يثبت عليه المؤمن حتىٰ يلقَىٰ ربَّه ﷻ؛ لأن فيه سعادته، فيه نجاته في الدنيا والآخرة، ووجب أن يستمر عليه، وأن يلزمَه حتىٰ الموت.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا وعلىٰ آله وصحبه.



الحثُّ على المسارعة في فعل الخيرات (١)

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه، ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[1]:

يقول الله ـ جل وعلا ـ في كتابه العظيم: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٤].

يأمر الله ﷻ عباده بالمسارعة إلىٰ ما فيه نجاتُهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة؛ وذلك بالعمل الذي يرضي الله ﷻ، ويقرِّب لديه، والنهاية: حصول المغفرة ودخول الجنة التي أعدَّها الله للمتقين، والمتقون هم أولياءُ الله، وهم أهل طاعته، وهم المؤمنون، وهم الصالحون، وهم عباد الرحمٰن، وهم الرسل وأتباعهم، هؤلاء هم المتقون، سمَّاهم الله المتقين؛ لأنهم اتقوا عذاب الله، واتقوا عقابه بطاعته ـ جل وعلا ـ والاستقامة علىٰ ما يرضيه، والابتعاد عمَّا نهاهم عنه سبحانه وتعالىٰ.

فلهذا سمَّاهم الله متَّقين، وسمَّاهم مؤمنين لإيمانهم به، وأدائهم حقَّه، وسمَّاهم صالحين؛ لقيامهم بالحق الذي عليهم، فصاروا بذلك

---

(١) حديث المساء: دروس الجامع الكبير بالرياض، شريط رقم (٩٣).

صالحين؛ فهم أولياء الله، وهم عباد الرحمٰن؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾؛ يعني: سارعوا إلىٰ أسبابها وما جعلها الله محصلًا لها؛ من طاعته واتِّباع شريعته ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]؛ يعني: أعدَّها الله لعباده المتقين.

ثم ذكر بعض صفاتهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

هذه أربع صفات من صفات المتقين.

وجِماعُها: أنهم اتقوا الله بفعل ما أمر به وترك ما نهىٰ عنه، والمسارعة إلىٰ ما يرضيه ﷻ، فصاروا بهذا متَّقين، مستحقِّين لكرامته ﷻ، والفوز بجنته، وغفران الذنوب، وحطِّ الخطايا.

ومن أعمالهم: الإنفاق في السراء والضراء، هذه من أعمال المتقين: الإنفاق؛ أي: الإحسان والجود والكرم في مشاريع الخير، في الشدة والرخاء، بمواساة الفقراء والمحاويج، بصلة الرحم، تعمير المساجد، المدارس، إلىٰ غير هذا مما ينفع المسلمين، إصلاح الطرق، إيجاد الجسور والكباري علىٰ الأنهار وعلىٰ الطرقات المحتاجة إلىٰ غير ذلك؛ هذه النفقات مما يَأجُرُ اللهُ عليها، ويخلف ما أنفقه المُنفق: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]؛ ولهذا قال: ﴿فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾؛ في حال الرخاء والعافية، وفي حال الشدائد، نفقتهم دائمة مستمرة في وجوه الخير وأعمال الخير، عند الشدة والرخاء، وما ذاك إلا لكمال إيمانهم وكمال تقواهم، وثقتهم بما عند الله، ورغبتهم فيما لديه ﷻ.

ثم مع ذلك يكظمون الغيظ، قد يُؤذَوْن، وقد يتعرَّض لهم بعض

الناس فيما يكدِّرهم، ولكنَّهم يكظمون الغيظ، لا يُنفذون ولا يؤذون ولا ينتقمون؛ بل: يصفحون ويعفون: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ [آل عمران: ١٣٤] أهل الإيمان والخيرات قد يؤذيهم بعض أهل الشر، وقد يتعرَّض لهم بعض أهل السوء بما يضرُّهم، أو بما يكدِّرهم ويحزنهم، ولكنهم ـ مع ذلك ـ يكظمون الغيظ؛ لكمال التقوىٰ والإيمان وانشراح صدورهم بما عند الله ﷻ، فيكظمون الغيظ، ولا ينفذون، لا ينتقمون، بل يعفون؛ ولهذا قال: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾، يقول الله ﷻ: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۚ﴾ [البقرة: ٢٣٧]. ويقول النبي ﷺ: **«ما زادَ اللهُ عَبْدًا بعَفْوٍ إلَّا عِزًّا»**(١).

فالمؤمن والمتَّقي لله مالُه مبذول في ما يرضي الله، ويقرب لديه؛ بمواساة فقير، وصلة رحم، وإقامة مشروع خيري، وتعمير ما ينفع المسلمين من مساجد ومدارس ومعاهد للخير وغير ذلك، ومع ذلك ينفعون الناس، ولا يضرونهم، يُؤْذَوْن ويَعفُون، ويصلحون ويكظمون.

ثم ذكر صفة خامسة عظيمة؛ فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥ ـ ١٣٦].

هذا من كمال إيمانهم وتقواهم؛ متىٰ زلّت القدم، ووجد منهم سيئة، بادروا بالتوبة والإصلاح، بادروا بالندم والإقلاع، وإصلاح الأمور والعمل الصالح؛ لكمال إيمانهم وتقواهم، فلا يُصِرُّون علىٰ السيئة.

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب البر والصلة، باب استحباب العفو والتواضع، رقم (٢٥٨٨)، والترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التواضع، برقم (٢٠٢٩)، والإمام أحمد (٢/ ٢٣٥)، ومالك في «الموطأ»، في كتاب الصدقة، باب التعفف عن المسألة برقم حديث الباب (١٢).

المؤمن غير الرسل؛ ليس معصومًا، قد يقع منه الزلة، وتقع منه خطيئة، ثم يبادر بالتوبة، يبادر بالإصلاح، يبادر باستغفاره الله عَزَّوَجَلَّ والإقلاع من ذنبه، وعدم الإصرار عليه، ويَصْدُقُ في ذلك، فيتوب الله عَزَّوَجَلَّ عليه، ثم يجزيه المغفرة، ويجزيه الجنَّة والكرامة.

هكذا ينبغي للمؤمن أينما كان: أن يكون بهذه الصفات، يرجو ما عند الله، ويخشىٰ عقابه، ويُخلص له في العمل، والله عَزَّوَجَلَّ يضاعف له المثوبة، ويغفر له الذنوب، ومع ذلك يُخلف عليه ما أنفق، يُنفق من هنا ويأتي الخلف من هناك، فيبارك له فيما بقي، وتأتيه الأرزاق من حيث لا يحتسب: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣]. ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]، ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠]، ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، والأجر عنده عظيم، والخلف في الدنيا حاصل، هذا فضله وجوده، جلّ وعلا.

رزق الله الجميعَ التوفيق والهداية، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه.



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحثُّ على المسارعة في فعل الخيرات (٢)

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبهِ، ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[(١)]:

فيقول الله ـ جلَّ وعلا ـ في كتابه العظيم: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٦].

هذا جزاء المسارعين للخيرات، والمسابقين للطاعات، التي هي أوصاف المتقين، جاء جزاؤهم: المغفرة والجنَّة والكرامة، يقول ـ سبحانه ـ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾؛ **يعني**: سابقوا وبادروا إلىٰ المغفرة والجنَّة؛ **المعنىٰ**: إلىٰ أعمالها وأسبابها التي هي أوصاف المتقين؛ فإن أسباب دخول الجنة وأعمال أهل الجنة هي التي وصف الله بها المتقين من أداء

(١) حديث المساء من دروس سماحته بعد العصر في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض، شريط رقم (١١٦).

الفرائض وترك المحارم، والمسارعة إلىٰ كل خير، والابتعاد من كل شر، والتوبة من الذنوب، هذه أسباب المغفرة والجنة، وهكذا قوله ـ جل وعلا ـ: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

فالمؤمنون هم أهل التقوى، المؤمنون الذين أعدّ الله لهم الكرامة والسعادة، هم أهل التقوىٰ المذكورون في قوله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وسمَّىٰ الله المؤمنين متَّقين، وسمَّاهم مؤمنين، وسمَّاهم صالحين، وسمَّاهم محسنين؛ لأعمالهم الطيبة وأخلاقهم الكريمة التي اتقوا بها غضبَ الله، واتقوا بها عقابَه، وصدَّقوا بها رسله، وسابقوا بها إلىٰ مرضاته ﷻ، وأحسنوا بها إلىٰ أنفسهم وإلىٰ عباد الله؛ فلهذا قيل لهم: مُتَّقون، وقيل لهم: مؤمنون، وقيل لهم: صالحون، وقيل لهم: مُحسنون، وقيل لهم: مهتدون، وقيل لهم: مفلحون؛ بأسباب أعمالهم الطيبة.

فمن أراد المغفرة وأراد الجنة، فعليه بهذه الأخلاق، عليه بأخلاق المتقين، وهي أخلاق المؤمنين، هي أخلاق الصالحين، وهي أخلاق المفلحين، وهي أخلاق المهتدين؛ وقد بيَّنها الله في القرآن؛ هي طاعته وطاعة رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ هي الانقياد لأمره، والتباعد عن أسباب غضبه، هذه أسباب النجاة والسعادة، وهي أوصاف المتقين، وهي أخلاق المؤمنين؛ توحيدٌ لله، وإخلاصٌ لله في العمل، وأداءٌ لفرائضه، وتركٌ لمحارمه، ووقوف عند حدوده عن إخلاص له ـ سبحانه ـ وعن محبَّة، وعن رغبة فيما عنده، وعن رهبة مما توعَّد به أهل معصيته.

ثم ـ مع ذلك ـ عندهم أخلاق أخرىٰ علاوة علىٰ أداء الواجب: ينفقون في السراء والضراء؛ يعني: عندهم جود وكرم وإنفاق في سبيل الله غير الزكاة، ينفقون في السرَّاء والضرَّاء، في السرَّاء: الرخاء، وفي

الضرَّاء: الشدة؛ **يعني**: أنهم يصرفون الأموال فيما ينفع العباد وفيما يرضي الله ﷻ، في السرَّاء والضرَّاء، لا يكفيهم مجرد الزكاة، بل يجودون ويُحسنون من أموالهم في السرَّاء والضرَّاء، في مواساة الفقير، في صلة الرحم، في تعمير المساجد، وتعمير المدارس، إصلاح الطرقات، إصلاح الجسور المحتاجة إليها، إلىٰ غير هذا من وجوه الإحسان، ينفقون في السرَّاء والضرَّاء، ثبت عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه مرَّ علىٰ أحد مع بعض أصحابه، فقال له: هل ترىٰ أُحدًا؟ قال: نعم، قال: «**مَا أُحِبُّ أَنَّ أُحُدًا لي ذَهَبًا، يَأْتِي عَلَيَّ لَيْلَةٌ أَوْ ثَلَاثٌ عندي مِنْهُ دِينَارٌ، إِلَّا أُرْصِدُهُ لِدَيْنٍ، إِلَّا أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللهِ؛ هَكَذَا، وَهَكَذَا، وَهَكَذَا؛ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ أَمَامِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ**»(١)؛ **يعني**: ينفقه؛ ما يحبُّ أن يكون له مثل أُحُد ـ هذا الجبل العظيم ـ ذهبٌ، تمرُّ عليه ثلاثة أيام وعنده منه دينار، إلا قد أنفقه ووزَّعه في وجوه البر والخير، إلا دينار يُرصده لأصحاب الدَّيْن إذا كان عليه دَيْن.

ويقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**إِنَّ الأَكْثَرِينَ هُمُ الأَقَلُّونَ يَوْمَ القِيَامَةِ**»؛ الأكثرون مالًا هم الأقلُّون يوم القيامة: «**إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا**»؛ **يعني**: إلا من أنفق أمامَ وخلفَ، وعن يمينٍ وعن شمالٍ؛ **يعني**: في وجوه الخير والإحسان، وهذا معنىٰ قوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

ومع ذلك يكظمون الغيظ، لا يفرحون بالانتقام من الناس، ولو أُسيء إليهم، يسمحون، يعفون ويصفحون، ولا يفرحون بالانتقام، ولا يحرصون علىٰ الانتقام والقصاص، بل عندهم رغبة في كتم الغيظ،

---

(١) متفق عليه من حديث أبي ذر ﷺ. أخرجه البخاري في كتاب الاستقراض، باب أداء الديون، برقم (٢٣٨٨)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة، برقم (٩٤)، ساقه بعد حديث رقم (٩٩١).

والعفو عن الناس؛ لكمال أخلاقهم، وطِيب نفوسهم، ورغبتهم فيما عند الله ﷻ، وهذا خُلق النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

هذه من أخلاقهم العظيمة: كَتْمُ غيظ، وصبر، وعفو عمَّن أساء إليهم، مع الإنفاق في السراء والضراء، هكذا أولياء الله المتَّقون، هكذا أصحاب المغفرة والجنَّات، هؤلاء أصحاب الإحسان، ينفق ويحسن ويُساءُ إليه، ويكتم الغيظ، ولا يبالي، ويعفو ويصفح؛ يقول النبي ﷺ: «مَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بعَفْوٍ إلَّا عِزًّا»[1]. والله يقول ـ سبحانه ـ: ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورىٰ: ٤٠] فهذه صفة المتقين، وهذه صفة الأخيار، وهذه صفة المحسنين؛ فليتنافس فيها المتنافسون، وليسارع إليها أهل النفوس الزكية العالية، وليبتعدوا عن ضدِّها من الأخلاق الذميمة والصفات المرجوحة.

هكذا يكون المؤمن؛ رفيعَ الهِمَّة، عليَّ الهِمَّة، يسارع إلىٰ كل خير، ويبتعد عن كل شر.

وأمَّا قوله ـ سبحانه ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾ [آل عمران: ١٣٥]، فهذه الآية لها درس آخر.

وفَّق الله الجميع، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

* * *

(١) سبق تخريجه في ص ٧٧.



الحثُّ على المسارعة في فعل الخيرات (٣)

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه، ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[1]:

فقد سبق الكلام علىٰ قوله ـ جل وعلا ـ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٦].

سبق أن الله ـ جلَّ وعلا ـ أعدَّ الجنة لأهل التقوىٰ، والتقوىٰ هي طاعة الله ورسوله، وبعبارة أخرىٰ: هي الإيمان بالله ورسوله، وأداء فرائضه، وترك محارمه، والوقوف عند حدوده؛ فهي جِماع الدين، وهي الخلاصة؛ بالإيمان بالله واليوم الآخر، وهي حقيقة الإسلام، والمعنىٰ: أن الله أعدَّ الجنَّة لمن اتقاه بفعلِ أوامره وترك نواهيه عن إخلاص له،

---

(١) حديث المساء من دروس سماحته بعد العصر في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض، شريط رقم (١١٦).

ومحبةٍ ورغبة، ورهبة وانقياد للشريعة، واتِّباع لما جاء به المصطفىٰ، عليه الصلاة والسلام.

ثم بيّن من أعمال المتقين: إنفاقهم في السراء والضراء، وكظمهم للغيظ، وعفوهم عن النَّاس، هذه من أعمالهم؛ لكمال إيمانهم وكمال تقواهم، من جملة أعمالهم: الإنفاق في السرَّاء والضرَّاء، علاوة علىٰ الزكاة، وعلىٰ الواجبات؛ **يعني**: من تقواهم لله، ومن كمال إيمانهم: أنهم ينفقون في السراء والضراء؛ **يعني**: يُواسون النَّاس في الشدَّة والرخاء، ويقيمون المشاريع الخيرية النافعة في السراء والضراء، أموالهم مبذولة.

ومع ذلك يكظِمون الغيظ، ويعفون إذا أُسيء إليهم؛ من طبيعة الناس أنَّ كل صاحب خير وإحسان وصاحب معروف، لا بد أن يُبتلىٰ من الناس الآخرين، كما ابتُليت الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ومن طبيعة المتقين ومن أخلاقهم العظيمة: الصبرُ علىٰ الأذىٰ، والإنفاق في السراء والضراء؛ كالرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ كُلُّ نعمة لها حاسد، كل صاحب خير له من يؤذيه ويحسده؛ فأهل الخير والاستقامة من أهل التقوىٰ ينفقون في السراء والضراء، ويكظمون الغيظ، ويعفون عن النَّاس، من صفاتهم عدم الانتقام، وعدم تنفيذ الغيظ والغضب، إلا ما شاء الله من ذلك.

ثم قال بعد ذلك: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

هذه من أخلاقهم العظيمة؛ لأنَّ الإنسان غير معصوم؛ كل بني آدم خطَّاء، فالخطأ يقع من الناس، والذنب يقع.

ومن صفات المتقين: البِدارُ بالتوبة والإصلاح إذا زلت القدم، وحصلت النكبة، وطاعة الهوىٰ والشيطان في بعض الأمور، بادَرُوا

بالتوبة. هكذا أهل الإيمان، هكذا أهل التقوىٰ، ليسوا يُصرّون ويستمرون علىٰ المعصية، لا.. بل متىٰ وقعت منهم الزلّة بادروا بالتوبة؛ ولهذا قال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾؛ يعني: المعصية، ذكروا الله، ذكروا عَظَمَته، وذكروا نِعَمه عليهم، وذكروا عظيم انتقامه، وذكروا أيضًا ما أعدَّه الله لأهل المعصية والاقتراف للمنكرات؛ فعند ذلك يُبادرون بالتوبة والإصلاح، ولهذا قال: ﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥]؛ ذكروا قُبْح الجريمة، وذكروا قُبْح عاقبتها، وذكروا عَظَمَة الله ﷻ، وعظيم حقِّه عليهم، وأن الواجب عليهم احترامُ جنابه ﷻ، والحذر من غضبه؛ فعند ذلك يبادرون بالتوبة والندامة: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥]؛ يعني: بسبب المعاصي ذكروا الله، أنابوا إليه وذكروا عَظَمَته، فبادروا بالتوبة والاستغفار والإنابة، يعلمون ويؤمنون بأنه ـ سبحانه ـ هو الذي يغفر الذنوب، لا أحد غيره يغفر الذنوب ﷻ، هو غَفَّار الذنوب، ليس هناك من يغفر الذنوب، ويستر الخطايا، ويثيب المحسنين ثوابًا، يَجزيهم به الجنة والنجاة من النار، سواه ﷻ.

﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ﴾ [آل عمران: ١٣٥]؛ ولم يقيموا علىٰ المعصية؛ الإصرار: الإقامة عليها، وعدم المبادرة بالتوبة، هذه حال المتقين، أعمال صالحة، واجتهاد في الخير، وإنفاق في السرَّاء والضرَّاء، وأداء للفرائض، وترك للمحارم، وصبر عن الأذىٰ، فيكظِمون الغيظ، ويعفون، ولكن: متىٰ وقعت الزلّة بادروا بالتوبة، ليسوا معصومين، مهما كانت حال الرجل من التقوىٰ والإيمان، فقد يأخذ منه الشيطان ببعض الزلات، فقد يميله إلىٰ شيء من الباطل، فالنفس أمّارة بالسوء إلا ما رحم الله، وأسباب الشر كثيرة، فمتىٰ وقعت الزلة بادر المؤمن بالتوبة والإصلاح، بادر بالرجوع إلىٰ الله، بادر بالاستغفار، ولم يصرَّ، ولم يُقم علىٰ المعصية، بل يبادر ويسارع إلىٰ الندم والاستغفار، والعزم الصادق ألا يعود في ذلك، مع الإقلاع منها، والحذر منها؛ خوفًا من الله، وتعظيمًا له.

قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿أُوْلَتِيكَ﴾؛ يعني: الذين هذه صفتهم، وهذه أعمالهم: ﴿أُوْلَتِيكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٦].

هذا جزاؤهم علىٰ أعمالهم الطيبة، وعلىٰ توبتهم الصادقة، جزاؤهم علىٰ الأعمال العظيمة الصالحة الطيبة، التي منها: إنفاقهم في السرَّاء والضرَّاء، ومنها: كظمُهم للغيظ، وعفوهم عن النَّاس مع أداء الفرائض، وترك المحارم، جزاؤهم: المغفرة والجنَّة والكرامة.

فجديرٌ بالمؤمن أن يكون بهذه الصفة، وجدير بالمؤمن أن يحذر صفات المجرمين المصرِّين المقيمين علىٰ المعاصي، وهم يعلمون، جدير بالمؤمن أن يحذر ذلك، وأن يتخلَّق بأخلاق المتقين؛ من الاستقامة علىٰ طاعة الله، والثبات علىٰ الحق، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، مع المبادرة والمسارعة إلىٰ التوبة مما قد تزلُّ به القدم.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه.





صفات المُنافقين (١)

الحمد لله، وصلىٰ الله وسلم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه، ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد(١):

فيقول الله ﷻ في كتابه المبين: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢ ـ ١٤٣].

ربُّنا ﷻ ذكر في هذه الآية جملة من صفات المنافقين؛ تحذيرًا لنا من ذلك، وحثًا لنا علىٰ مخالفتهم؛ والمنافق هو الذي يتظاهر بالإسلام، وهو مع الكفار، هذا المنافق هو الذي باطنه كافر وظاهره مع المسلمين، وهو مكذِّب لله ورسوله، مُنكر للآخرة، مُلحد في دين الله، ولكنه يتظاهر بالإسلام لأسباب؛ إما لطمع في الدنيا، وإما لخوف القتل، وإما لغير ذلك.

يقول ـ جلَّ وعلا ـ ذاكرًا من صفاتهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] هم يُخادعون بإظهارهم الإسلام، ودعواهم

---

(١) حديث المساء من دروس سماحته بعد العصر في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض، شريط رقم (١٠٢).

أنهم مسلمون؛ هذه مُخادعة، والله خادعُهم ـ سبحانه ـ؛ لأنه هو العالم بأحوالهم، وهو ـ جلَّ وعلا ـ يخدعهم حقًّا منه ﷻ، وعدلًا منه ﷻ.
فالخداع منهم مذموم وممقوت، والخداع منه حق ومدح وكمال؛ لأنه خدعهم بحقٍّ، فيُملي لهم ويمهلهم ـ سبحانه ـ حتىٰ يظنوا أنهم ناجون، وهم غير ناجين، بل هالكون، ويوم القيامة يظهر لهم بعض النور مع الناس، فيظنُّون أنهم ناجون، ثم يُطمَس نورُهم، ويُساقون إلىٰ النار؛ فكما خادعوا خُدعوا.

ومن صفاتهم الخبيثة: أنهم يخادعون المؤمنين في كل شيء؛ في معاملاتهم، وفي شؤونهم الدينية والدنيوية، وفي كلٍّ ما يتعلق بهم من أمور، يمكنهم أن يتظاهروا بغير الباطل، فيخونوا المؤمنين ويغشوهم، إلىٰ غير هذا من كلٍّ ما يمكنهم من الخيانة والخداع والمكر والظلم.

فينبغي للمؤمن أن يحذر هذه الصفات، فالذي يغش المؤمنين في معاملاتهم بالكذب، بشهادة الزور، بالدعاوي الباطلة، بكتمان الحق، قد شابه أهل النفاق ـ نعوذ بالله ـ فلا ينبغي للمؤمن أن يرضىٰ بخصال أهل النفاق وصفاتهم الذميمة، بل يجب أن يكون المؤمنُ صريحًا، مُقرًّا بالحقِّ، مُعينًا عليه، لا يخدع أخاه؛ ولا يمكُر به، ولا يكتم حقَّه، ولا يشهد عليه بالزور، بل هو صريح مع أخيه، يأخذ الحق ويعطيه علىٰ بصيرة وعلىٰ بيان وعلىٰ نصح، لا علىٰ خيانة وخداع.

ومن صفاتهم الذميمة الأخرىٰ: أنهم ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [النساء: ١٤٢]؛ ما عندهم نشاط في الصلاة؛ لأنهم لا يؤمنون بها، ما عندهم إيمان بها، وإنما يصلُّونها مجاملةً؛ فلهذا هم كسالىٰ إذا ظنوا أنهم يختفون ما صلَّوا، ولهذا أثقلُ الصلاة عليهم صلاة العشاء وصلاة الفجر؛ لأنها غير ظاهرة لكل الناس، قد يمكنهم أن يختفوا، فينبغي للمؤمن أن يحذر هذه الصفة، وما أكثر المتخلِّفين بهذه الصفة، ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ تجده يتخلَّف عنها كثيرًا، ويعلل بعلل باطلة مشابهة

لأعداء الله المنافقين، وإذا نشط صلَّىٰ في البيت، هذه صفات ظاهرة لأهل النفاق، نعوذ بالله.

يقول ابن مسعود ﵁ لما ذكر صلاة الجماعة مع الإمام، قال: «وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ»[1].

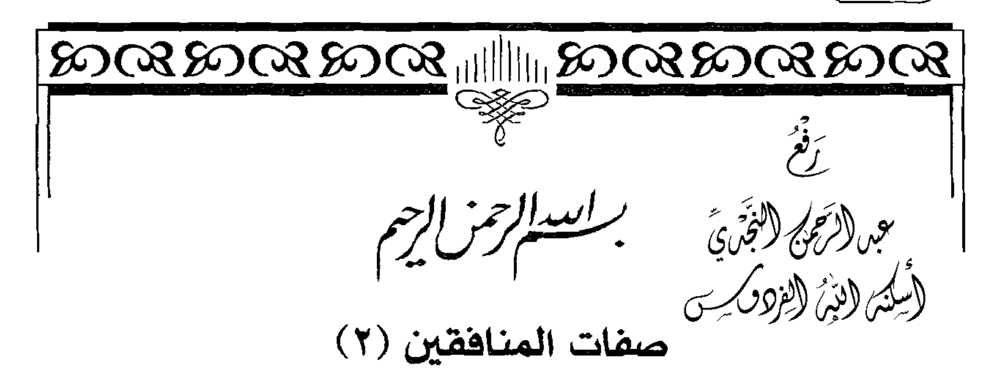
فيجب عليك ـ يا عبد الله ـ أن تحذر هذه الصفات الذميمة، وأن تكون مع المسارعين إلىٰ الصلاة في الجماعة في المساجد، من المحافظين عليها، النشيطين في ذلك، البعيدين عن صفات أهل النفاق.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، أما بقية الصفات، فإلىٰ درس آخر، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه.

❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن مسعود ﵁ في كتاب المساجد، باب صلاة الجماعة من سنن الهدىٰ، برقم (٦٥٤)، والإمام أحمد في «المسند» من حديث عبد الله بن مسعود ﵁ (١/ ٣٨٢).



صفات المنافقين (٢)

الحمد لله، وصلىٰ الله وسلم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه، ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[١]:

فقد سبق الكلام علىٰ قوله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢ ـ ١٤٣].

سبق الكلام علىٰ الخصلة الأولىٰ والثانية في الدرس الماضي.

الخصلة الأولىٰ: أنهم أهل خداع ومكر وتدليس وخيانة؛ لعدم إيمانهم؛ لأنهم أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر؛ فلهذا يخادعون الله والذين آمنوا ويخونونهم، ويهزؤون بهم، **والثانية**: أنهم ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾؛ لأنهم لا إيمان لهم ولا احتساب، وإنما يصلُّونها لغرض ورياء؛ فلهذا إذا قاموا إليها قاموا كسالىٰ؛ ومتىٰ أمكنهم تركُها تركوها لعدم الإيمان بها، وعدم رجاء ثوابها، هكذا المنافقون،

---

(١) حديث المساء من دروس سماحته بعد العصر في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض، شريط رقم (١٠٢).

قد قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فيما صحَّ عنه: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَىٰ اللهَ غَدًا مُسْلِمًا، فَلْيُحَافِظْ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَىٰ بِهِنَّ؛ فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ سُنَنَ الهُدَىٰ، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الهُدَىٰ، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا المُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ، لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، لَضَلَلْتُمْ»، وفي الرواية الأخرىٰ: «لَكَفَرْتُمْ»[1] ـ «وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ»؛ يعني: ما يتخلَّف عن الجماعة، عن الصلاة في الجماعة، «إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ»؛ يعني: إلا لعذر. ولهذا. في اللفظ الآخر: «أو مريض» ـ «وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَىٰ بِهِ؛ يُهَادَىٰ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّىٰ يُقَامَ فِي الصَّفِّ»؛ يعني: من الصحابة؛ لحرصهم علىٰ الجماعة يؤتىٰ بالرجل يُهادَىٰ بين الرجلين؛ يعني: يُعدل له الرجلان حتىٰ يقام في الصف.

الخصلة الثالثة: يراؤون الناس، هذا من صفاتهم، أعوذ بالله، يراؤون الناس؛ صلاتهم، أعمالهم العبادية رياءٌ؛ لأنهم لا إيمان لهم، ولا احتساب، ولا إخلاص؛ فلهذا ذمَّهم الله وعابهم، وتوعَّدهم بالدَّرك الأسفل من النار، أعوذ بالله.

فحقيق بالمؤمن أن يحذر صفاتهم وأخلاقهم، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ١ ـ ٧].

هذه من صفاتهم: الرياء، والسهو عن الصلاة؛ يعني: التثاقُل والغفلة عنها، والإعراض عنها، والرياء بأعمالهم، ومنع الحق الذي عليهم، فلا ينبغي للمؤمن أن يتأثَّر بصفاتهم، أو يتخلَّق بها، بل الواجب

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب التشديد في ترك الجماعة، برقم (٥٥٠).

أن يحذرها، فيكون مع المخلصين، ومع الناصحين، لا مع المخادعين. مع السابقين للصلوات في الجماعة، لا مع المتخلِّفين، ولا مع المتثاقلين، يراؤون الناس، يقول ﷺ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ**»؛ قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الرِّيَاءُ**»[1].

«**يَقُولُ اللهُ ﷻ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَىٰ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاؤُونَ فِي الدُّنْيَا؛ فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً**»[2].

ويقول ﷺ: «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ رَاءَىٰ رَاءَىٰ اللهُ بِهِ**»[3]؛ **يعني**: من سمَّع في الدنيا وراءىٰ، سمع به يوم القيامة علىٰ رؤوس الأشهاد. سَمَّع؛ **يعني**: قضىٰ أو تكلم بالحق رياءً. وراءىٰ؛ **يعني**: بأفعال؛ فالتسميع يكون بالأقوال، والرياء يكون بالأفعال.

ومن صفاتهم الخبيثة: **صفة رابعة**: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]، أهل غفلة، ذِكْرُ الله عندهم قليل؛ لأنهم لا إيمان لهم، ولهذا غالب أحوالهم الغفلة، وعدم ذكر الله ﷻ، فينبغي لك ـ يا عبدَ الله ـ أن تكون خلافَهم، وأن تُكثر من ذكر الله قائمًا وقاعدًا، في الطريق، وفي البيت ونحو ذلك.

وذِكْرُ الله يكون بقراءة القرآن، يكون بالاستغفار، يكون بالتسبيح والتحميد، والتهليل، والتكبير، ويكون بلا حول ولا قوة إلا بالله، ويكون بسبحان الله وبحمده، وسبحان الله العظيم، إلىٰ غير ذلك من أنواع

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٤٢٨، ٤٢٩)، والطبراني في «الكبير» (٤/ ٢٣٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٤/ ٣٥٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» من حديث محمود بن لبيد (٥/ ٤٢٨).

(٣) متفق عليه من حديث جندب العلقي. أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب الرِّياءِ والسّمعةِ، برقم (٦٤٩٩)، ومسلم في كتاب الزهد والرقاق، باب منْ أشركَ في عملِهِ غيرَ الله، برقم (٢٩٨٧)، وأحمد في «المسند» من حديث أبي بكرة رضي الله عنه (٥/ ٤٥).

الذكر. فلا تكن غافلًا؛ تارة تستغفر الله، وتدعو تارة، تقرأ كتاب الله تارة، تقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إلٰه إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله تارة، تقول: لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو علىٰ كل شيء قدير تارة، تقول: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، إلىٰ غير ذلك مما جاء في النصوص.

﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [النساء: ١٤٣].

هذه الخامسة: مذبذبين؛ **يعني**: أهل حَيْرة؛ تارة مع الكفار، تارة مع المسلمين، ما عندهم يقين، عندهم الشك والرَّيب، فهم مع المنصورين، مع من انتصر؛ إن رأوا الدائرة علىٰ المسلمين صاروا مع الكفار، إن كانت الدائرة للمسلمين علىٰ الكفار صاروا مع المسلمين، فهم مع من انتصر، ومع من غلب، ليس لهم هدف إلا أغراضهم الدنيوية وحاجاتهم الحاضرة الدنيوية، لا إيمان لهم ولا غرض لهم في الآخرة، نعوذ بالله؛ هذه حال أهل النفاق؛ فالواجب الحذر من هذه الصفات الذميمة، والبعد عنها، والتواصي بتركها.

رزقنا الله وإيَّاكم والعافية، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلم.



بسم الله الرحمن الرحيم

التعرُّف على بعض صفات الله ﷻ في الآية الكريمة

الحمد لله وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه، ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد(١):

فيقول الله ـ جلَّ وعلا ـ في كتابه العظيم، متعرِّفًا لعباده، وموضحًا لهم ﷻ صفاته العظيمة، يقول ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤ ـ ٥٦].

يبيِّن ـ جلَّ وعلا ـ أنَّه رب الجميع، وأنه خالق العباد، وخالق السماوات، وخالق الأرض، وخالق الشمس والقمر، كلها خلقُه ﷻ، فوجب علىٰ المكلَّفين أن يعظِّموه، وأن ينقادوا لأمره، وأن يحذروا ما نهاهم عنه ﷻ، فهو ربهم وخالقهم، فله الخلق والأمر، جلَّ وعلا.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ﴾؛ يعني: إلهكم ومعبودُكم ـ سبحانه ـ هو الله

(١) حديث المساء من دروس سماحته بعد العصر في جامعة الإمام تركي بن عبد الله بالرياض، شريط رقم (١٦٤).

ـ جلَّ وعلا ـ فهو ربهم الخالق لهم، الرازق لهم، وهو ربهم المستحقُّ أن يعبدوه، وأن يعظِّموه، وينقادوا لأوامره، وينتهوا عن نواهيه، ويصفوه بما هو أهله؛ من كونه الكامل في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، لا شريك له، ولا شبيه له، ولا كفء له، ولا نِدَّ له، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١] ﷻ، فله الكمال المطلق من كل الوجوه، له الكمال في قدرته العظيمة، وعلمه الواسع، وله الكمال في حكمته ورحمته، وله الكمال في جميع صفاته، وله الكمال في عُلُوِّه فوق جميع خلقه ﷻ، فله العلوُّ المطلق، عُلُوُّ الذات، علُوُّ القدر والشرف، وعلُوُّ القهر والسلطان ﷻ، فهو ربُّ الجميع، وخالق الجميع، وهو العالي فوق جميع خلقه.

ولهذا قال ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]. استوىٰ: علا وارتفع؛ والاستواء هو العلُوُّ والارتفاع علىٰ الوجه اللائق به ﷻ؛ فهو فوق العرش، والعرشُ سقف المخلوقات وأعلىٰ المخلوقات، والله فوق العرش ﷻ قد استوىٰ عليه استواءً يليق بجلاله، لا يُشابه خلقه في شيء من صفاته ﷻ، وليس في حاجة إلىٰ العرش ولا غيره، بل هو غنيٌّ بذاته عن كل ما سواه، والعرش وما دونه كله مفتقر إليه، كله مفتقر إليه ﷻ، وهو المُمسك لها، والمُقيم لها ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم: ٢٥]، ويقول ـ سبحانه ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١]؛ **يعني**: ما أمسكه أحد من بعده ﷻ، فهو الذي أمسك السماوات، وهو الذي أقامها، وهو الذي أقام العرش، وهو الذي أقام الأرض. فكلُّها قامت بعلمه ﷻ.

﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الأعراف: ٥٤].

يغشي الليل النهار، والنهار الليل وكلٌّ منهما يطلب الآخر، حثيثًا: كلَّما ذهب هذا أتىٰ هذا، صباحًا ومساءً، حتىٰ ينتهي هذا العالم، وحتىٰ يقضي علىٰ هذه الدنيا.

ثم قال: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ﴾ [الأعراف: ٥٤]؛ **يعني**: هو خلق الشمس، وخلق النجوم.

﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ٥٤]: مذلَّلات بأمره سبحانه وتعالى.

﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]: فله الخلق في جميع المخلوقات، وله الأمر، هو المتصرِّف في عباده كيف يشاء سبحانه وتعالى، فالقول قولُه، والأمر أمره، والخلق خلقه سبحانه وتعالى.

﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] وأولياؤه ورسله وعباده الصالحون هم المبارَكون، جعلهم الله مباركين سبحانه وتعالى، ونفع بهم العبادَ، ربُّ العالمين، ربُّ المخلوقات كلِّها؛ خالقها وموجِدها ورازقها ومصرِّف الأشياء كيف يشاء سبحانه وتعالى.

ثم قال - جلَّ وعلا -: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]؛ **يعني**: اسألوه من فضله، واعبدوه بطاعة أوامره، وترك نواهيه سبحانه وتعالى؛ فإنَّ الدعاء يُطلق علىٰ السؤال، وعلىٰ العبادة، فهو الذي يُدعىٰ ويُسأل، وهو الذي يُرجىٰ ويُخاف، وهو الذي يُطاع أمرُه، وينتهىٰ عن نهيه سبحانه وتعالى.

ثم الواجب أن يكون ذلك عن تضرُّع، وعن طمع فيما عنده، وعن حذر مما عنده سبحانه وتعالى، فالعبد يرجوه ويخافه، ويتضرَّع إليه في جميع العبادات؛ من صلاة وصوم، وحج، وجهاد، وصدقة، وغير ذلك، وكلَّما أسرَّ العبد العبادة التي يُريد بها وجهَه من التنفُّلات التي يُريد بها وجهه سبحانه وتعالى، كان ذلك أعظمَ أجرًا، ولهذا قال: خفية، فإذا دعاه خُفيةً وعبده خفية، بالنوافل التي شرعها لعباده، كان هذا أكملَ

في الإخلاص، ولهذا شرع الله الصلاةَ في البيت، صلاةَ النوافل؛ قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**أَفْضَلُ الصَّلَاةِ: صَلَاةُ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ، إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ**»[١]؛ لأنها أقرب إلىٰ الإخلاص، وأبعد عن الرياء. أما الفرائض؛ ففي المساجد، وهكذا الصلاة التي شرع الله لها الجماعةَ؛ كالتراويح وصلاة الاستسقاء، فإن هذه تُفعل في المساجد في الجماعات، كما تُفعل صلاة العيد، وصلاة الجمعة؛ لأن هذه صلاة عظيمةٌ عامة، شرع الله لها الجماعة، أما النوافل الخاصة، فالأفضل في البيت؛ لأنها أبعد عن الرياء وأقرب إلىٰ كمال الإخلاص.

﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]؛ الاعتداء في العبادة تارة يكون بالرياء فيها، وتارة يكون بالابتداع وعدم كونها مشروعةً، وتارة بالزيادة فيها، وتارة بالنقص فيها، فالواجب علىٰ المؤمن أن يعبد الله كما شرع؛ لا يزيد ولا ينقص، لا يعتدي، بل يعبد الله بما شرع، بدون زيادة ولا نقصان، ومن غير إحداث ولا بدعة.

ثم قال ـ سبحانه ـ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]؛ الإفساد في الأرض بعد الإصلاح؛ **يعني**: بالمعاصي والمخالفات والبدع، والله أصلحها ببعث الأنبياء وإقامة الشرع فيها، هذا صلاحها، أما المعاصي والشرك، فهو فسادها ـ أعوذ بالله ـ فصلاح الأرض وصلاح أهلها بطاعة الله ورسوله، وتوحيد الله، والإخلاص له، أما فساد الأرض وفساد أهلها بالشرك والمعاصي والمخالفات، هذا هو فساد الأرض.

﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف: ٥٦]؛ **يعني**: ادعوا الله واعبدوه خوفًا

(١) متفق عليه من حديث زيد بن ثابت ﷺ. أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب صلاة الليل، برقم (٧٣١)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، برقم (٧٨١).

من عقابه وطمعًا في ثوابه ﷻ، هكذا المؤمن يعبد ربَّه طامعًا في ثوابه، خائفًا من عقابه، جلَّ وعلا.

﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]؛ ومَنْ أحسن في عمله، فهو أقرب الناس إلىٰ الرحمة، ومَنْ أساء في عمله أبعدُ عن الرحمة، والإحسان في العمل أن يُؤدَّىٰ كما شرعه الله، لا زيادة، هذا هو الإحسان في العمل: أن يؤديَه خالصًا كاملًا، مشتملًا علىٰ الضَّراعة إلىٰ الله والخوف منه، والطمع في ثوابه ومحبَّته، إخلاصًا له ﷻ، فكلَّما كان العملُ أكمل في الإخلاص والمتابعة، والحب في الله، والطمع في ثوابه والحذر من عقابه، كان ذلك أقربَ إلىٰ قبوله، وإلىٰ مضاعفة ثوابه؛ لأن صاحبه يكون من المحسنين، والله يقول: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

رزقنا الله وإيَّاكم التوفيق والهداية، وأعاذنا وإيَّاكم من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وصلِّي وسلم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه.

❊ ❊ ❊



من صفات المؤمن: الخوف من الله

الحمد لله، وصلىٰ الله وسلم علىٰ رسوله، وعلىٰ آله وأصحابه، ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[1]:

فيقول الله ـ جل وعلا ـ في كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤].

يجب علىٰ أهل الإيمان الأخذ بها، فتذكرها كلَّما مر عليها في موضع انتهىٰ إليها في موضع آخر، وتذكر تلك الصفات العظيمة، وقد يبسطها ـ سبحانه ـ تارة، ويختصرها أخرىٰ، جل وعلا؛ لما في ذلك من الترغيب والتشويق، والحث علىٰ الأخذ بهذه الصفات العظيمة.

وإذا تأمَّلت هذه الصفات وجدتها تدور علىٰ أعمال القلب، وأعمال الجوارح، وعلىٰ قول اللسان، وهكذا العبادات منقسمة علىٰ هذه الجوارح الخمس: القلب، واللسان، وبقية الجوارح؛ فالقلب له أعمال، واللسان له أعمال، وبقيَّة الجوارح لها أعمال، وفي هذه الآية

---

(١) حديث المساء، شريط رقم (٩٥) بتاريخ ١٥/١٢/١٤٠٦هـ، ألقيت بمسجد التوعية بمكة المكرمة.

يقول - جلّ وعلا -: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢] فجمع أنواعًا من العبادة: ذكر الله من عمل القلب واللسان والجوارح جميعًا؛ فالقلب يعمل بذكر الله: من محبَّته، والشوق إليه، وخوفه، ورجائه، وتعظيم أمره ونهيه، إلىٰ غير ذلك، واللسان يذكره أيضًا بالكلام: بالتسبيح، والتهليل، والتحميد، والاستغفار، وقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، وغير ذلك من أنواع الدعاء، والصلاة علىٰ النبي ﷺ؛ كل ذلك من عمل اللسان وذكره، وبقية الجوارح لها أعمال.

ومن أعمال القلب: وَجَلُ القلوب: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]: خوفًا منه، وتعظيمًا له سبحانه وتعالى.

ومن عمل اللسان: التلاوة، ومن عمل الأذن: الاستماع، والقلب من عمله: التدبُّر والتعقُّل، فالمؤمن يُسمع آيات الله، ويستمع لها، ويتعلَّق بها، ويتدبَّرها بقلبه، ويرجُف ويَوْجَل قلبه عند ذكر الله.

والقرآن أعظم الذكر؛ فالمؤمن عند تلاوته آيات الله، وعند سماعه آيات الله، يحصل له الوجل والخوف، والتعظيم لله، والشوق إليه، وتعظيم أمره ونهيه سبحانه وتعالى.

ويزداد إيمانه بما يتعاطاه من أعمال الخير؛ فوَجَل القلب يزداد به الإيمان، وتلاوة الكتاب العزيز يزداد به الإيمان، وسماع الآيات يزداد به الإيمان، لمن عقَل وتأمَّل وتدبَّر وانتفع.

ثم قال: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

هذا أيضًا من أعمال القلب، ويدخل في عمل الجوارح؛ لأن من تمام التوكُّل الأخذَ بالأسباب، فالمتوكِّل قد شغل قلبه وشغل جوارحه؛ شغل قلبه بالاعتماد علىٰ الله، والإيمان بأنه مسبِّب الأسباب، ومدبِّر الأمور، وأنَّ كلَّ شيء بيده سبحانه وتعالى، وشغل جوارحه بتعاطي الأسباب التي

شرعها ـ سبحانه ـ وأباحها لعباده؛ من سقي الزرع، وتنقيته مما يضره، وتعهده بما يصلحه، ومن العناية بالأسباب الأخرىٰ؛ من تجارة، أو حدادة، أو نجارة، أو خرازة، أو كتابة، أو غير ذلك، فقلبه مشغول بالثقة بالله، والاعتماد عليه، والإيمان به، وأنه ـ سبحانه ـ مسبِّب الأسباب، ومدبِّر الأمور، وقاضي الحاجات ﷻ، وجوارحه كذلك مشغولة بما أباح الله وشرع من الأسباب.

وبهذا يتحقَّق التوكل؛ فليس بمتوكِّل مَنْ أهمل الأسباب، وليس بمتوكِّل مَنْ تعاطىٰ الأسباب، وضيَّع الثقة بالله، والاعتماد عليه، وإنَّما المتوكِّل من جمع بينهما، اعتمد علىٰ الله، واعتقد أنه ـ سبحانه ـ مدبِّر الأمور، وأن كل شيء بيده، وأخذ بالأسباب التي أباحها ربُّه وشرعها له ﷻ، فهذا هو المتوكِّل الحقيقي، فمن ترك الأسباب فهو عاجز، عملُه عجْزٌ، وليس بمتوكِّل.

ثم قال بعد ذلك: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الأنفال: ٣].

هذا أيضًا من الأسباب والأعمال التي تشغل القلب واللسان وبقية الجوارح؛ فالصلاة شاغلة البدن كلِّه؛ فالقلب مشغول بها تعظيمًا لها، واستحضارًا لها، وخشوعًا فيها، واللسان مشغول بها: من قراءة وتسبيح، وغيرها من أنواع الذكر والدعاء في الصلاة، والبدنُ كله مشغول بها؛ ركوعًا وسجودًا وقيامًا وقعودًا، تعظيمًا لله وامتثالًا لأمره؛ فقد جمعت أنواعَ العمل، وبها يزداد الإيمان ويقْوَىٰ، وهي عمود الإيمان، عمود الإسلام، عمود الخير، من حفظها حفظ دينه، ومن ضيَّعها فهو لما سواها أضيع.

وفي «المسند» بإسناد جيِّد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه ذكر الصلاة يومًا بين أصحابه، فقال: «**مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا، كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ**

لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا، لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلَا بُرْهَانٌ وَلَا نَجَاةٌ، وَكَانَ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ»(١)، نسأل الله العافية.

قال بعض أهل العلم: إنما يحشر مضيِّع الصلاة وتاركُ الصلاة مع هؤلاء الزنادقة، مع هؤلاء الكَفَرَة، الذين هم من صناديد الكَفَرة، ومن كبارهم، ومن مقدَّميهم إلىٰ النار؛ إنما يُحشر مضيِّع الصلاة معهم؛ لأنه إما أن يضيِّعها شغلًا بالرياسة وإيثارًا للرياسة، فيحشر مع فرعون والعياذ بالله، وإمَّا أن يضيِّعها شغلًا بالوزارة والوظيفة، فيكون شبيهًا بهامان، فيحشر معه يوم القيامة، وإمَّا أن يضيِّعها من أجل المال والشهوات، فيكون شبيهًا بقارون تاجر بني إسرائيل، الذي شغله ماله، وأطغاه ماله، حتىٰ عانَدَ الحقَّ، فخسف الله به وبداره الأرض، فيحشر معه يوم القيامة، وإمَّا أن يضيِّعَها من أجل التجارة والبيع والشراء، وتعاطي أسباب الربح، فيكون شبيهًا بأُبَيِّ بن خلف تاجر أهل مكة الكافر، فيحشر معه إلىٰ النار، وقد مات قتيلًا يوم أُحد، وهذا المعنىٰ وجيه ظاهر، فالواجب الحذر من إضاعتها؛ فإن إضاعتَها سببٌ لكل بلاء في الدنيا والآخرة، ولهذا يقول - جلَّ وعلا -: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، ويقول ﷻ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

وقوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الأنفال: ٣].

هكذا أهل الإيمان الكُمَّل؛ ينفقون مما رزقهم الله زكاةً وغير زكاة، ينفقون في وجوه البرِّ وأعمال الخير، ويُخرجون الزكاة، وينفقون علىٰ مَنْ تحت أيديهم من زوجات وأولاد وغير ذلك، فهم مُنفقون لا باخلون، بل يُصرِّفون هذا المال في الوجوه التي يحبُّها الله ﷻ، هؤلاء هم أهل

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ١٦٩).

الإيمان الكُمَّل، هذا الحصر لأهل الإيمان الكُمَّل، أما ضُعفاء الإيمان، فدون ذلك؛ لكن هذه الصفات لأهل الإيمان الكُمَّل، الذين لهم الدرجات العُلَىٰ، والمقام الحميد يوم القيامة، لأعمالهم الطيبة، وخصالهم الحميدة، واجتهادهم في الخير.

ولهذا قال بعده: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ﴾ [الأنفال: ٤].

يعني: هم المؤمنون الكُمَّل الذين حقَّقوا إيمانهم بالأعمال العظيمة الطيبة، والبعد عن أسباب غضب الله.

﴿لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [الأنفال: ٤].

لهم درجات في الجنة، ورزق كريم في الجنة، ومغفرة لذنوبهم، وحطٌّ لخطاياهم، وهذه هي الغاية العظيمة، والغبطة الكبيرة، والسعادة الأبدية.

فينبغي لكل ذي همَّة عالية أن يتخلَّق بأخلاق هؤلاء الأخيار، ويسلك سبيلَهم، ويستقيم علىٰ طريقتهم؛ حتىٰ يحصل له ما وعدهم الله من هذا الخير العظيم.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

صفات المؤمنين والمؤمنات

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله، وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أمَّا بعد[1]:

فيقول الله ـ جلَّ وعلا ـ في كتابه العظيم: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

يبيِّن سبحانه وتعالى أخلاق المؤمنين وصفاتهم العظيمة؛ ليعلمَها طالب النجاة؛ فيأخذ بها، ويستقيم عليها، فالمؤمنون والمؤمنات شيءٌ واحد فيما أوجب الله عليهم من الأخلاق والأعمال، ولهذا قال: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ يتحابُّون في الله، ويتناصحون، ولا يغتاب بعضهم بعضًا، ولا يخون بعضهم بعضًا، ولا يؤذي بعضهم بعضًا، ولا يشهد عليه بالزور، ولا يظلمه؛ لا في نفس، ولا في مال، ولا في عِرض؛ بل يحب له كل خير، ويكره كل شر. هكذا الأولياء بعضهم أولياء بعض. فإذا عرفْتَ من نفسك خيانة لأخيك، أو ظلمًا لأخيك، أو شهادةً عليه بالزور، أو ما أشبه ذلك، فاعلم أن هذا نقص في إيمانك، وضعف في

(١) حديث المساء، جامع الإمام تركي بن عبد الله، شريط رقم (١١٦).

دينك، وسبب لغضب الله عليك؛ فاتَّقِ الله، واعرف حقَّ أخيك، وأدِّه. ولهذا يقول ـ جلّ وعلا ـ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ [التوبة: ٧١]؛ **يعني**: لا غِلّ، ولا حقد، ولا حسد، ولا تباغُض، ولا تدابر، ولا خيانة، ولا عدوان علىٰ بعضهم من بعض، هذا واجبهم، ولهذا يقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الحديث الصحيح: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّىٰ**»[١].

هكذا المؤمنون؛ مثل الجسد الواحد؛ الذي إذا اشتكىٰ منه العين، أو اشتكىٰ الرّجل، أو اليد تتابع عليه التألُّم؛ فالمؤمن هكذا مع إخوانه: يأْلَمُ لهم، ويُسَرُّ لهم، ويحبُّ لهم الخير، ويكره لهم الشر، ويؤذيه ما يؤذيهم، ويُحزنه ما يُحزنهم.

ومن صفاتهم أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، لا يمنعهم ما بينهم من الصلة والمحبة والأُخُوَّة الإيمانية، لا يمنعهم ذلك من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ أداءً للواجب؛ لأن بهذا الأمر العظيم تصلح المجتمعات، ويسود الحقُّ، وتختفي آثار الشر، أما بالإهمال والإعراض، وعدم الأمر والنهي، فإن هذا وسيلة إلىٰ ظهور الشرور، وانتشار المنكرات، واختفاء الفضائل والأعمال الصالحات، فالمؤمنون واجبهم أن يأمروا بالمعروف، وأن ينهوا عن المنكر، حسب الطاقة: باليد، ثم اللسان، ثم القلب.

ثم من ذلك أن يقيموا الصلاة؛ هذا من أخلاقهم العظيمة: أن يقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ويطيعوا اللهَ ورسوله، هكذا المؤمن: يقيم الصلاة كما أمر الله، يؤدِّيها كما أمر الله؛ بجميع شرائطها وأركانها

---

(١) يأتي تخريجه في ص٢٤٥.

وواجباتها، يؤدِّيها المؤمن في إخوانه في الجماعة، وتؤدِّيها المؤمنة في بيتها، هذا هو واجب الجميع.

وهكذا الزكاة تُؤَدَّىٰ من المؤمن عن طِيب نفس، وعن إخلاص، وعن صدق، تُؤَدَّىٰ كما أمر الله، وتصرف في وجوهها كما أمر الله.

ثم ختم ذلك بقوله: ﴿وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [التوبة: ٧١].

هذا وصف جامع، يجمع الخير كله؛ فالمؤمنون والمؤمنات من شأنهم أنهم يؤدُّون فرائضَ الله، وينتهون عن محارم الله، ويجاهدون أنفسهم في طاعة الله ورسوله في كل شيء.

قال بعد هذا ـ سبحانه ـ: ﴿سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [التوبة: ٧١].

مَنْ كان بهذه الصفات، فهو محلُّ الرحمة، والعطف، والجود والكرم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]؛ رحِمهم بأعمالهم الطيبة، واجتهادهم في الخير، وطاعتهم لله ولرسوله، ومن رحمته لهم أنه وفَّقهم للعمل الصالح في الدنيا، وأدخلهم الجنة في الآخرة، هذا من رحمته لهم: أنه وفَّقهم للعمل الصالح في الدنيا، وأدخلهم الجنة في الآخرة؛ هذا من رحمته لهم؛ ولهذا قال بعده ـ سبحانه ـ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢] هذا جزاؤهم في الآخرة، وفي الدنيا رضا مِنَ الله، والتوفيق والإعانة.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه.

* * *

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

بسم الله الرحمن الرحيم

وجوب الصدق مع الله

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه، ومن اهتدىٰ بهداه.

أمَّا بعد(١):

فيقول الله ـ جلَّ وعلا ـ في كتابه العظيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

يأمر ﷻ عباده المؤمنين بأن يتَّقوه؛ **يعني**: في جميع الأحوال؛ لأنَّ تقوىٰ الله أساس كل خير، وهي سبب السعادة في الدنيا والآخرة، وهي جِماع الخير، فإنَّ التقوىٰ تشمل أداء الواجبات، وترك المحارم، والإخلاص لله في العمل، والوقوف عند حدود ﷻ؛ هكذا التقوىٰ.

ثم قال بعده: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

الصدق: من التقوىٰ، والكذب ضد التقوىٰ؛ فالمؤمن مأمور بالصدق في قوله وعمله، ومنهيٌّ عن الكذب في قوله وعمله، ولهذا قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾؛ فهو تأكيد علىٰ المؤمنين بأن يلزموا الصدق، وإن كان داخلًا في التقوىٰ، وهو من التقوىٰ، وشُعبة من شُعبها، لكن ينبه الله عليه لعِظَم شأنه؛ فالناس في أشدِّ الحاجة إلىٰ الصدق

---

(١) حديث المساء: من دروس سماحته في جامع الإمام تركي بن عبد الله بعد العصر، شريط رقم (١٠٢).

في أقوالهم، وأعمالهم، وتصرفاتهم، ومعاملاتهم، ومتىٰ دخل الكذب في المعاملات والأقوال والأعمال، اختلَّ أمر العالم، وفسد المجتمع، وسادت الفوضىٰ وزالت الحقيقة؛ ولهذا يقول ﷻ في موضع آخر من كتابه: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩]؛ هذا جزاء الصادقين في أقوالهم وأعمالهم: الجنة، والكرامة، والسعادة، والرضا من الله ﷻ.

فينبغي للمؤمن أن يتحرَّىٰ الصدق، بل يجب عليه أن يتحرَّىٰ الصدق في سائر أعماله وأقواله، وأن يبتعد عن الكذب في جميع أقواله وأعماله، إلا ما أذن الله فيه؛ في ثلاثة أشياء: في الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث المرأة زوجها والزوج امرأته، وما سوىٰ ذلك، فقد حذَّر الله من الكذب فيه(١).

وصحَّ عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: «**عَلَيْكُمْ بالصِّدْقِ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَىٰ البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَىٰ الجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّىٰ الصِّدْقَ؛ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالكَذِبَ؛ فَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَىٰ الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَىٰ النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّىٰ الكَذِبَ؛ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**»(٢).

فعليك ـ يا عبد الله ـ أن تتحرَّىٰ الصدق والإخلاص في أعمالك وأقوالك، وأن تحذَر الكذب في أقوالك وأعمالك فيما يتعلَّق بحقِّ الله،

---

(١) لعله يشير بذلك لحديث أسماء بنت يزيد الذي أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في إصلاح ذات البين برقم (١٩٣٩) وحسنه.

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ. أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب قول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، برقم (٦٠٩٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، برقم (٢٦٠٧).

وفيما يتعلَّق بحقِّ العباد، هذا هو طريق السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة؛ فالصلاة تحتاج إلىٰ صدق، والزكاة تحتاج إلىٰ صدق، والصيام يحتاج إلىٰ صدق، والحج يحتاج إلىٰ صدق، وهكذا بقيَّة الأعمال؛ من برِّ الوالدين، وصلة الرحم، من دعوة إلىٰ الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهكذا اجتناب المحارم يحتاج إلىٰ صدق، حتىٰ يبتعد عن المحارم وعن أسبابها ووسائله.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وأعاذنا وإيَّاكم من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه.



بسم الله الرحمن الرحيم

بيان شهادة الله ﷻ على عباده

الحمد لله، وصلَّىٰ الله علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه، ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[١]:

فيقول الله ـ جلَّ وعلا ـ في كتابه المبين: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

يبين ﷻ أنه شهيد علىٰ عباده في جميع أعمالهم؛ فلا يخفىٰ عليه خافية سبحانه وتعالى، فالواجب علىٰ المؤمن وعلىٰ كل عاقل أن ينتبه وأن يراقب ربَّه ـ سبحانه ـ، وأن يحذر مبارزته بما حرَّم الله عليه، فإن الله ـ جلَّ وعلا ـ شهيد عليه، فهو علىٰ كل شيء شهيد سبحانه وتعالى، وهو رقيب علىٰ عباده، لا تخفىٰ عليه خافية.

فالواجب أن يحاسب نفسه، وأن يراقب ربَّه، وأن يؤدي العمل الذي شرع الله له، علىٰ ما شرع الله له؛ ولهذا قال ـ سبحانه ـ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾؛ يعني: أي شأن من شؤون العبد ﴿وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾؛

---

(١) حديث المساء: من دروس سماحته في جامع الإمام تركي بن عبد الله بعد العصر، شريط رقم (١١٦).

يعني: أي عمل صغير أو كبير ظاهرًا أو خفي ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ﴾ [يونس: ٦١]؛ **المعنىٰ**: إذ تشْرَعون فيه وتعملونه، فاتَّق الله يا عبد الله، وراقب ربَّك في جميع أعمالك؛ من صلاة وصوم، وأداء الحقوق، وحج ومعاملات وغير ذلك، راقب الله فيها حتىٰ تؤديها كما شرع ربُّك، وكما أباح لك ربك ﷻ، من غير خيانة ولا نقص ولا رياء، ولا غير هذا مما حرَّم الله عليك، بل تؤدي العبادات خالصًا لله، علىٰ الوجه الذي شرعه الله، ترجو ثوابه، وتخشىٰ عقابه، وتؤدي المعاملات بغاية الصدق والأمانة، والنصح وعدم الخيانة؛ لأنك تعلم أنك مُراقَبٌ، وأن الله شهيد عليك، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٢]، وهو علىٰ كل شيء شهيد، وقال ـ جلّ وعلا ـ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٧ ـ ٢١٩].

فالله يعلم أحوال عباده، ولا تخفىٰ عليه من خافية ﷻ، وهو بصير بهم، رقيب عليهم، وفي الحديث الصحيح يقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ لَمّا سُئِل عن الإحسان، قال: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ؛ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[1]. فهو شهيد علىٰ عباده ويراهم، ويطَّلع علىٰ ضمائرهم، ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]، ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [التغابن: ٤]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩].

فعليك ـ يا عبد الله ـ أن تؤدي العمل كما شرعه الله، وأن تحذر اقتراف المحارم؛ فهو ﷻ لا تخفىٰ عليه منك خافية؛ لا في سِرِّك،

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ، أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، برقم (٥٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدرة الله تعالىٰ، برقم (٩)، وقد أخرجه مسلم من حديث عمر بن الخطاب برقم (٨).

ولا في عَلَنِك، والمؤمنون الذين منَّ الله عليهم بالبصيرة يحذرون معاصيه في الخلوة أشدَّ مما يحذرون في العلانية؛ لعلْمِهم بأنه رقيبٌ عليهم، وأنه مطَّلع عليهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأنه لا تخفىٰ عليه خافية عَزَّ وَجَلَّ؛ فلهذا يحذرون معصيته، ويتباعدون عن أسباب غضبه؛ لكونه عليهم شهيدًا، وبهم عليمًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

رزقنا الله وإيَّاكم الاستقامة، وأعاذنا وإيَّاكم من طاعة الهوىٰ والشيطان، وثبَّت الجميع علىٰ الخير والهدىٰ.

وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.





شرح قوله تعالى:
﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾(١)

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أمَّا بعد:

فقد سمعنا هذه الكلمات المباركات، المتعلِّقة بقوله ﷻ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، من صاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمٰن بن حماد آل عمر، جزاه الله خيرًا، وبارك فيه، وزادنا وإيَّاكم وإيَّاه علمًا وهدًىٰ وتوفيقًا.

لاريب أن هذه الآية ـ كما أشار فضيلته ـ دليل واضح علىٰ وجوب الإخلاص لله في الدعوة إليه ﷻ؛ لأنَّ الدعوة إلىٰ الله عبادة يجب أن تكون لله وحده كسائر العبادات؛ فلهذا قال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، قال ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [القصص: ٨٧]، وهنا يقول ـ سبحانه ـ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾؛ **أي**: قل يا أيها الرسول للناس: هذه سبيلي، ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾؛ هذه سبيلي التي أنا عليها أسير، وأعمل وأوجِّه، أدعو إلىٰ الله علىٰ بصيرة، أدعو إلىٰ الله؛

(١) من تعليقات سماحة الشيخ علىٰ كلمات المشايخ بعد الفجر في مسجد التوعية بمكة المكرمة في عام ١٤٠٦هـ، شريط رقم (٩٦) بتاريخ ١٥/ ١٢/ ١٤٠٦هـ.

إلىٰ عبادته وحده، والإيمان به، والاستقامة علىٰ صراطه المستقيم، والالتزام بذلك، وترك ما يُخالف ذلك؛ هكذا شأن الرسُل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ يدعون إلىٰ الله؛ **يعني**: إلىٰ دينه، وإلىٰ عبادته، وإلىٰ الالتزام بأحكامه، وإلىٰ ترك ما يخالف ذلك؛ ولهذا قال ـ جلَّ وعلا ـ في آية النحل: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥]، بدل: ادع إلىٰ الله، قال: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل: ١٢٥] فالدعوة إلىٰ سبيل الله هي الدعوة إلىٰ الله؛ لأنَّ سبيله ـ سبحانه ـ هو الإخلاص والمتابعة للرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ هذا هو سبيله ﷻ؛ الإخلاص له في العبادة، والإيمان به وبرسله، والاستقامة علىٰ ما شرعه ـ جلَّ وعلا ـ من قول وعمل، فعلًا وتركًا، فالدعوة إلىٰ الله هي الدعوة إلىٰ سبيله، وإلىٰ صراطه المستقيم، لا إلىٰ مذهب معيَّن، أو طريقة معيَّنة، أو آراء معيَّنة، أو إلىٰ فلان أو فلان، لا.. الدعوة إلىٰ الله؛ **يعني**: التوجُّه إلىٰ الله بالعبادة والعمل في كل شيء؛ لأنه هو إلٰه الجميع، وهو خالقهم ومربِّيهم، وهو مدبر شؤونهم، وهو الخالق لهم، العالم بهم وبما يصلحهم؛ فوجب علىٰ العباد أن يلتزموا بما أمرهم به، وأن يستقيموا عليه؛ لأنه ليس هناك أعلم من الله بهم، وليس هناك من يستحقُّ العبادة سواه، فهو المستحق للعبادة؛ لكمال إحسانه، وكمال إنعامه، وكمال قدرته، وكمال أسمائه وصفاته؛ ولأنه ـ جلَّ وعلا ـ العالم بما يصلح العباد ويقيمهم عن الطريق السوي، ويحفظ عليهم مصالحهم، ويقيهم شرَّ أعدائهم، وشرَّ ما يضرُّهم؛ فليس هناك من يعلم هذا سواه، فوجب الالتزام بما يرسمه لهم، ويقيمه لهم من الصراط المستقيم، ولهذا قال في آيات أخرىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ﴾ [الأنعام: ١٥٣]؛ **يعني**: الطريق الذي رسمه لهم هو صراطه المستقيم بالإخلاص للعبادة له ـ جلَّ وعل ـ والإيمان به، وبرسله، واتِّباع رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ فيما أمر ونهىٰ.

هذا هو سبيله وصراطه، وهذا هو الذي سار عليه أنبياؤه، وهذا هو الذي يدعو إليه كل رسول وكل نبيٍّ، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣]؛ **يعني**: خذوا به، والتزموه، واستقيموا عليه.

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]؟ وهي الطرق الأخرىٰ، فالحق واحد، وسبيله واحد، والباطل أنواع منوَّعة، وسبل مختلفة، ومن سار عليها مالت به عن الحق، واستولىٰ عليه الشياطين، ولهذا جاء في حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُود قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: «**هَذَا سَبِيلُ اللهِ**»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**هَذِهِ سُبُلٌ، عَلَىٰ كَلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ**»، ثُمَّ قَرَأَ الآيَة: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣](١).

وأمرنا ـ جلَّ وعلا ـ في سورة الفاتحة ـ عبادَه ـ بطلب الهداية إلىٰ سبيله، إلىٰ الصراط المستقيم: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦ ـ ٧]. وصراطه المستقيم هو ما شرعه لنا من الأحكام مِنَ الهُدىٰ ودين الحق، الذي بعث به نبيَّه، وأرسله به: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣]؛ بالهدىٰ: بالعلم النافع والأخبار الصادقة، ودين الحق: الأعمال الصالحة، والشرائع المستقيمة، والأحكام العادلة.

وأخبر أيضًا في سورة الشورىٰ أنَّ النبي هو يهدي إلىٰ ذلك، فقال ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ: ٥٢].

فوجب علىٰ الدعاة إلىٰ الله، وعلىٰ كل عالم، وعلىٰ كل مسلم، وعلىٰ كل إنسان، وعلىٰ كل مكلَّف من جنٍّ وإنس: أن يلتزم بهذا الصراط، وأن يستقيم عليه، وأن يدعو إليه؛ لأنه دين الله وصراطه،

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (١/ ٤٦٥)، والنسائي في الكبرىٰ، برقم (١١١٧٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٣٩).

ولا يجوز لأحد من المكلَّفين الخروجُ عن ذلك أينما كان من برٍّ وبحر، وجوٍّ وأرض، بل يجب عليه أن يلتزم بهذا الصراط، وأن يسير عليه ويدعو إليه عن صدق وإخلاص ورغبة لِمَا عند الله وحذرًا من عقابه.

ولا يتمُّ هذا إلا بالتفقُّه في هذا الصراط والتعلُّم؛ وذلك بالعناية بكتاب الله، وبسنَّة رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ حتىٰ يكون متبصِّرًا في هذا الصراط، عالمًا به، حتىٰ لا يدعو إلىٰ غيره، يظنُّ أنه الصراط. فالجهل داء عُضال، يؤدي بأهله إلىٰ أن يظنُّوا ما ليس بحق حقًّا، وإلىٰ أن يظنُّوا ما ليس هدًىٰ هدًىٰ، فليس كل أحد يفهم هذا الصراط ويعلمه؛ فوجب التعلُّم والتبصُّر والتفقه في الدين، ولا سبيل إلىٰ هذا إلا بالتفقه في كتاب الله القرآن العظيم، والإقبال عليه، والاهتداء به؛ فقد بيّن الله فيه صراطه المستقيم وبيَّن دعوة الرسل، وأن أول شيء دعوْا إليه هو أساس الصراط، وهو أصله، وهو: توحيد الله والإخلاص له: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، و﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥].

فأصل الصراط وأساسه هو توحيد الله، والإخلاص له، وتوجُّه القلوب إليه، والاعتراف بحقِّه، وأنه المعبود بحقٍّ سبحانه وتعالى، كما قال عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢] لا بد من الإيمان بأنه هو المعبود بالحقِّ، ولا بد من صرف العبادة إليه وحده وتخصيصه بها عز وجل، فلا يُعبَد معه ملَك مقرَّب، ولا نبيٌّ مرسَل، ولا وليٌّ معروف بالعبادة والخير، ولا غيرهم؛ كالصنم والجن والملائكة، وغير ذلك، كلهم لا يصلحون أن يُعبَدوا من دون الله، كلهم عبيدٌ لله، ومخلوقون لله، يجب أن يسيروا في طاعته سبحانه وتعالى، وأن يحذروا غضبه، ويستوي في ذلك الأنبياء والأولياء من الجن والإنس،

فإن الجنَّ فيهم أولياءُ، فيهم صالحون، كما قال ﷻ: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ [الجن: ١١]. ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَۖ﴾ [الجن: ١٤]، فلا يجوز أن يُعبَدَ مع الله غيرُه؛ لا جن، ولا إنس، ولا صنم، ولا شجر، ولا حجر، ولا كوكب، ولا غير ذلك؛ فالعبادة حقُّ الله وحده.

وهذا الصراط هو طريق المنعَم عليهم؛ ولهذا قال: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] أهل العلم والعمل، أهل العلم والعمل هم المنعَم عليهم، الذين تفقَّهوا بالدين، وعرفوا دين الله، وتبصَّروا فيه، وعملوا به، هذا صراطهم، هو صراط الله المستقيم الذي سار عليه الأنبياء، وسار عليه الصالحون بعدَهم من أتباعهم، كما قال ﷻ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

وكما أنه لا يُعبَدُ الرسل، عليهم الصلاة والسلام، كذلك لا يُعبد أصحابُهم وأتباعهم؛ كأتباع موسىٰ، وأتباع عيسىٰ، وأتباع نوح، وأتباع صالح، وأتباع هود، وأتباع شعيب، وأتباع داوود وسليمان وغيرهم. وهكذا لا يُعبد أصحابُ عيسىٰ وحواريُّوه، كما لا يُعبد عيسىٰ ومريم، هكذا لا يعبد حواريُّوه كلهم عباد لله، والعبادة حقُّ الله وحده: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْۚ﴾ [المائدة: ١١٦ ـ ١١٧]، هذا قول عيسىٰ ـ عليه الصلاة والسلام ـ فيما ذكره الله عنه، قال للناس: اعبدوا الله ربِّي وربكم.

وهكذا أصحاب نبينا؛ كالصِّدِّيق رضي الله عنه، وكعمر رضي الله عنه، وكعثمان رضي الله عنه، وكعلي رضي الله عنه، وكطلحة، والزبير رضي الله عنهما، وعبد الرحمٰن بن عوف،

وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وأبي عبيدة بن الجراح ﷺ، وهكذا غيرهم من الصحابة؛ كابن مسعود، وابن عمر، وأبي هريرة، وغيرهم من أصحاب النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ كلهم لا يُعبَدُون من دون الله، ولا يُستغاث بهم، ولا يُنذر لهم، ولا يُذبح لهم، فالعبادة حقٌّ الله وحده.

وهكذا أهل بيت النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهكذا أهل بيت الأنبياء، كل بيوت الأنبياء وأهلوهم، لا يُعبَدون من دون الله؛ فإذا كان الأنبياء أنفسُهم لا يُعبَدون، فأهلوهم من باب أولىٰ، فالعبادة حق الله وحده.

ولهذا قال ـ جلَّ وعلا ـ في سورة الحج: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]. وفي سورة لقمان: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [لقمان: ٣٠]؛ فالحق هو دين الله، وهو عبادة الله وحده، ولزوم صراطه المستقيم، وذلك بتخصيص العبادة لله وحده؛ من صلاة، وزكاة، وصوم، وذبح، ونذر، ودعاء، واستغاثة، وطلب مدد، وشفاء مريض، ورد غائب، ونحوه، هذا كله لله، وإنما الأنبياء والرسل متَّبَعُون، يُسلَك طريقهم وعلىٰ رأسهم نبينا محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ تجب طاعته، واتِّباعه، والسير علىٰ منهاجه، مع محبته العظيمة، المحبة الصادقة، التابعة لمحبة الله ـ سبحانه ـ المقتضية اتِّباعه، والسير علىٰ منهجه، والمقتضية ترك ما نهىٰ عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولزوم الطريق، كما قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

هكذا يجب علىٰ الدعاة والعلماء أن ينبِّهوا الناس، وأن يبصِّروهم بهذا الأمر، فأساس المِلَّة وأصلها هو توحيد الله، والإخلاص له، وتوجيه القلوب إليه، وتخصيصه بالعبادة، هذا أصل الصراط المستقيم، ثم يلي ذلك بقيةُ الشرائع، من الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد،

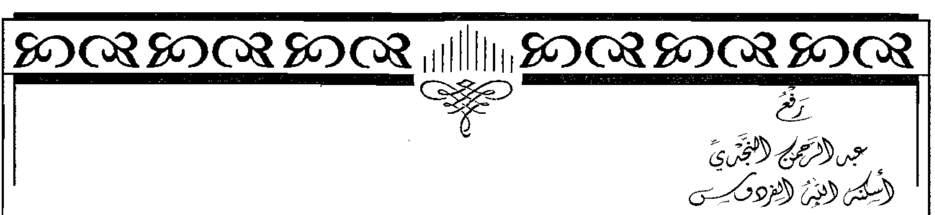
والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وترك ما حرَّم الله ﷻ.

ولا تصحُّ هذه الفروع من الصلاة وما دونها إلا بصحة الأصل، فمتىٰ استقام الأصل استقام العبد علىٰ توحيد الله والإخلاص له، والسلامة من الشرك كله، استقامت له أعماله الأخرىٰ، ومتىٰ فسد هذا الأصل، وصار صاحبه من المشركين، بطلَت أعماله، كما قال ﷻ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

هذا أصل أصيل وأساس عظيم لهذا الدين العظيم، الذي بعث الله به نبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأساس عظيم للدعاة إلىٰ الله، والعلماء والمبلِّغين، وأساس عظيم لكلِّ مسلم يجب أن يلتزمه ويسير عليه، وأن يحافظ عليه أينما كان وفي جميع العبادات.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، والفقه في هذا الأمر العظيم، وجزىٰ أخانا الشيخ عبد الرحمٰن خيرًا، وصلِّي اللَّهم وسلِّم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.





تعليق سماحة الشيخ على كلمة الشيخ جعفر شيخ إدريس في شرح قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[1]...

فقد سمعنا جميعًا هذه الكلمة المباركة من صاحب الفضيلة الشيخ جعفر شيخ إدريس حول قوله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وأوضح فضيلته أن الذي يظهر له من كلام المفسِّرين القدامىٰ أن الآية ليست علىٰ عمومها بالنسبة إلىٰ ما يوجد في الناس من الفقر والحاجة والمعاصي ونحو ذلك، وأن الله لا يرزقهم، ولا يغير حالهم من فقرهم وحاجتهم وذُلِّهم، ونحو ذلك، حتىٰ يغيِّروا ما بأنفسهم، وأن المراد منها عكس ذلك، وأنه لا يغيِّر حالهم من الرخاء وما هم فيه من النِّعم إلىٰ الفقر والحاجة، إلا إذا غيَّروا أنفسَهم بالمعاصي والسيئات.

هذا قول له بعض الوجاهة بالنظر علىٰ واقع الناس، ولكن علىٰ القاعدة الشرعية المعروفة: أن الاعتبار بالنصوص لعموم الألفاظ،

---

(١) من تعليقات سماحة الشيخ علىٰ كلمات المشايخ بعد الفجر في مسجد التوعية بمكة المكرمة، شريط رقم (٩٦) في حج عام ١٤٠٦هـ.

لا بخصوص الأسباب، ولا بما يقع من الناس، فالآية عامة؛ لأن الله عمَّم؛ قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، ظاهره: من رخاء إلىٰ شدَّة، أو من شدَّة إلىٰ رخاء: ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾، حتىٰ يأتوا بالأسباب هم، حتىٰ يأتوا بأسباب تغيير النِّعَم؛ من معاصيهم، وسيئاتهم، وتفرقهم، وقعودهم عن الأسباب، فتزول النعم بسبب ذلك، أو العكس؛ يكونوا في فقر وحاجة، ومعاصي وسيئات، ثم يغيِّروا بطاعةِ الله ﷻ، أو بتعاطي الأسباب، والأخذ بالأسباب التي تُدر عليهم الأرزاق بإذن الله، فيغيِّر الله حالهم.

فالأظهر في هذه الآية ـ والله أعلم ـ هو العموم، وأن الآية عامة، وأمَّا ما قد يقع خلاف ذلك، فللَّه فيه الحكم سبحانه وتعالى، كما قال ﷻ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤] فقد يملي الله لبعض الناس كما في الحديث الصحيح: «**إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ، حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**»، ثم تلا قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢][1].

وفي هذا المعنىٰ قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، قد يملي للكَفَرة من الأمريكان والروس، وغيرهم من كذا وكذا، علىٰ ظلمهم وكفرهم، ويدر عليهم النعم، ويؤخِّر العذاب إلىٰ يوم القيامة، هذا نص الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]؛ فقد تستمر النِّعَم عليهم زيادةً في عذابهم ونكالهم يوم القيامة، ولإقامة الحجة عليهم، هذا معنىٰ الآية

---

(١) متفق عليه من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ﴾ [هود: ١٠٢]، برقم (٤٦٨٦)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٨٣).

الأخـــــرىٰ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤]؛ لمَّا نسيت الأمم ما هي فيه، واتَّخذت أهواءها إلٰهًا لها، وتابعت الكفر والمعاصي من طوائف النصارىٰ، وطوائف اليهود، أو طوائف الوثنيين، أو غيرهم، أملي لهم: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٣]؛ فأُملِيَ لهم، وتواترت عليهم النِّعم، فيكون ذلك أشدَّ في عذابهم يوم القيامة، وأعظمَ في قطع حجتهم وإبلاسِهم.

الذي يظهر أن الآية عامة، وما يقع خلاف ذلك هو لحكمة بالغة، اقتضتْها حكمة الله وسننه التي أجراها في عباده ﷻ: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

أما الأسباب؛ فهي هي؛ إن استمروا علىٰ طاعة الله، واستقاموا علىٰ أمره، وأخذوا بالأسباب، أدرَّ الله عليهم النِّعم، وأوسع لهم الرزق، ونصرهم علىٰ الأعداء، وإن غيروا غُيِّر عليهم.

وفيما وقع في عهد النبي ﷺ عِبَر؛ ففي غزوة بدر جرىٰ ما جرىٰ مع قلة القوم، صبروا وجاهدوا واستقاموا، واتَّفقت كلمتهم، فنصرهم الله علىٰ عدوِّهم مع قلَّتهم وكثرة عدوِّهم وبغيه، وسلاحه الكثير، ويوم أُحُد لَمَّا غيَّروا غُيِّر عليهم، وفيهم رسول الله أفضل الخلق، وفيهم الصحابة أفضل أولياء الله بعد الأنبياء، ولما غيَّر الرماة موقفهم، وعصوا فيه الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ جرىٰ عليهم ما جرىٰ، كما قال ـ سبحانه ـ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ الآية [آل عمران: ١٥٢]؛ **يعني**: سُلِّطوا عليكم، وجرىٰ ما جرىٰ من القتل، والجراحات والهزيمة، حتىٰ كادوا أن يقتلوه ﷺ لولا حفظُ الله له وإنجاؤه إيَّاه ﷻ؛ بأسباب فعلوها هم من الفشل والتنازع وعصيان الأمر، فسُلط عليهم العدو، مع أنهم أكثرُ من يوم بدر.

فالحاصل: أن الوقائع لها شأنها، هكذا يوم الأحزاب؛ العدو كثير، والمسلمون بالنسبة إليهم قليلون محصورون، فلمَّا كان المسلمون في غاية من الاستقامة، وفي غاية من الهداية، مع قلَّتهم، كفاهم الله شرَّ عدوهم، وأرسل علىٰ عدوِّهم الريح العظيمة التي قلعت خيامهم، وكفأت قدورهم، وأقلقتهم، حتىٰ انكشفوا عن المدينة، وردَّهم الله خائبين لم ينالوا خيرًا، مع أنَّهم جاؤوا بحنق شديدة، وكيد عظيم، وحاصروا المدينة بنحو عشرة آلاف مقاتل، ثم بدَّد الله شملهم، وردَّهم علىٰ خسارة وذل وهوان، والأمثلة في هذا كثيرة.

فإذا استمرَّ الناس علىٰ البغي والعدوان، وأدرَّ الله عليهم الرزق، صار ذلك حُجَّةً عليهم، وسببًا لعقابهم؛ إمَّا بعقاب مؤجَّل كما جرىٰ لقوم نوح، وقوم صالح، وقوم هود، وقوم شعيب وغيرهم، وإمَّا بالتأجيل إلىٰ يوم القيامة، ويعاقبهم الله أشدَّ يوم القيامة.

والخلاصة: أن الآية عامَّة، وما يقع بخلاف ذلك، فهو لحكمة بالغة، ولأسباب اقتضت ذلك، وليس ذلك بمخصِّص للآية.

ثم أيضًا يجب أن يراعَىٰ أن هناك أسباب غير الطاعات، فمن الطاعات أيضًا: تعاطي أسباب الرزق، وينشطون في إعداد القوة لعدوهم: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]: من الزراعة، والسلاح، وطلب الرزق في أيما معنىٰ؛ ليس مجرد الطاعات التي تدور بها المُعيَّنات من الصلاة والصوم، بل هناك طاعات أخرىٰ لا بد منها في مجابهة العدو، وفي قتال العدو، وفي الإعداد له، أمر الله بها في قوله: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١]. فلا بد من إعداد وأسباب يقوم بها المؤمنون حتىٰ تكون سببًا لتغيُّر ما بهم من نقص وضعف، فطاعتهم لله وصلاتهم وصومهم ونحو ذلك، هذه أسباب، وإعدادهم العُدَّة أيضًا طاعةٌ، وأيضًا مأمورون بها، كونهم يتعلَّمون أنواعَ الصناعة حتىٰ

يستفيدوا منها، وحتىٰ يستغنوا من عدوَّهم، وحتىٰ يزول فقرهم، يتعاطون الزراعة، يصلحون الأراضي، يعدون العدد الأخرىٰ التي أمر الله بها لمكافحة عدوِّهم، وهذه كلُّها من الطاعات، كلها فروض كفاية، وقد تكون فرضَ عين في بعض الأحيان علىٰ حسب الحاجة إليها.

فالمقصود: أنه لا بد أن يُراعىٰ هذا، وهذه الطاعات البدنية المعينة، لا بد منها التي أوجب الله، والطاعات الأخرىٰ التي تجب بوجود أسبابها عند عجزهم عن السلاح، يجب أن يوجد السلاح، وعند عجزهم عن الزراعة يجب أن يوجدوها، وهكذا الأسباب الأخرىٰ التي يكون بها الإعداد والتهيؤ لعدوِّهم حتىٰ لا ينقضَّ عليهم وليس عندهم ما يقاتلوهم به، أو حتىٰ يهجم هم، أو يبدؤوا بالقتال؛ لأنَّ عندهم من القوة ما يكفي لذلك، هذا هو الذي يظهر والله أعلم.

وفي إمكان طالب العلم أن يُراجع الكتب، وأن يعتني بما قاله العلماء حتىٰ يستفيد من ذلك، ويظهر له ما يطمئنُّ إليه قلبه، أما الذي يظهر لي الآن أن الآية علىٰ عمومها، وأما قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ﴾ [الأنفال: ٥٣]، فلا يقتضي التخصيص، بل هذه آية مستقلة، وهذه آية مستقلة، بيَّن في هذه أن النِّعَم قد تزول بأسباب ما يغيره الناس؛ قد يتقاعسون عن الأسباب، فتزول النعم، فيقع في المعاصي، فتزول النعم، فالآية لها معناها، والآية الأخرىٰ لها معناها.

واسألُ اللهَ أن يوفق الجميع لما يرضيه، وأن يجزي أخانا الشيخ جعفر خيرًا علىٰ فتحه هذا الباب، وصلِّي اللَّهم وسلِّم علىٰ نبيِّنا محمد وعلىٰ آله وصحبه.

* * *

بيان ما أعدَّه الله ﷻ للمتَّقين

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه، ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[1]:

فقد قال الله ـ جلَّ وعلا ـ في كتابه المبين: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٥ ـ ٤٨].

في آيات كثيرات بيَّن ـ سبحانه ـ أنه أعدَّ الجنَّة لأهل التقوىٰ، وهم الذين اتقوا عذاب الله، واتقوا عقاب الله بفعل أوامره وترك نواهيه ﷻ، هؤلاء هم المتَّقون، الذين أطاعوه بترك ما حرم عليهم، وأداء ما فرض عليهم ﷻ؛ فلهذا سمَّاهم متَّقين، وهم أهل الإيمان والهدىٰ، وهم أهل الصلاح، وهم المسلمون الكُمَّل، الذين حقَّقوا إيمانهم بطاعة الله ورسوله، واجتناب ما نهىٰ الله عنه ورسوله، ولهذا في آيات آخرىٰ يقول ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: ٤٥]، ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾ [المرسلات: ٤١]، ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [القلم: ٣٤]، وفي غير ذلك من الآيات الدالة علىٰ فضل أهل التقوىٰ.

وفي هذه الآية يقول: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾؛ يعني: في بساتينَ فيها أنواع الثمار، وأنواع الخيرات، وأنهار جاريات، والعيون

---

(١) حديث المساء من دروس سماحة الشيخ في جامع الإمام تركي بن عبد الله بعد العصر، شريط رقم (١١٩).

السائحات لنعيم أهل الجنة، ولحصول ما يسرُّهم وما ينفعهم، وما تقرُّ به أعينهم في تلك الدار العظيمة.

﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٦] يقال لهم: ادخلوها بسلام؛ لأن الجنة هي دار السلام؛ ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [يونس: ٢٥]، ﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ﴾ [الأنعام: ١٢٧]، وهي الجنة، هي دار السلام، ليس فيها أذىٰ، ولا مرض، ولا موت، ولا كَدَر؛ فهي دار السلام من كل مكروه ومن كل أذىٰ.

﴿ءَامِنِينَ﴾؛ هذا وصفهم أنهم آمنون في هذه الدار من كل أذىٰ، فلا موت ولا مرض ولا كَدَرَ ولا حُزن ولا خروج، ولا غير هذا من أنواع الأذىٰ والمكاره، هم آمنون، كما في الآية الأخرىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ۝٥١ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ۝٥٢ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٥٣ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ۝٥٤ يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان: ٥١ ـ ٥٥] هم آمنون، وفي مقام أمين؛ فالدار آمنة، لا خراب فيها، ولا فساد فيها، وهم آمنون أيضًا من كلِّ أذىٰ، ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ۝٤٦ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٦ ـ ٤٧].

أهل الجنة يدخلونها وقد نُزع ما في صدورهم من الغِلِّ، الناس في الدنيا يكون بينهم شيء، وإن كانوا مؤمنين، وإن كانوا متَّقين، قد تقع بينهم خصومات وأشياء تسبب بعض الغِلِّ والحُزن، ولكن هذا يزول قبل دخول الجنة؛ إذا مروا علىٰ الصراط وقفوا علىٰ قنطرة، محل هناك بين الجنة وبين الصراط، عند منتهىٰ الصراط قنطرة، يقِف عليها أهل الجنة، فيُقتَصُّ لبعضهم من بعض، ويُعطىٰ كل واحد حقَّه من أخيه، حتىٰ لا تبقىٰ بينهم أشياء؛ فيدخلوها وقد سلمت صدورهم، ونُزع منها كل غِلٍّ وبلاء، ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]، يقتص بعضهم لبعض، فإذا هُذبوا ونُقُّوا وَصَفَت قلوبهم،

ولم يبقَ شيء من غِلٍّ وغيره، دخلوها آمنين سالمين؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ [الحجر: ٤٨]، وهو التعب؛ لا تعب النفس، ولا تعب البدن كله، ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]: بقاؤهم فيها دائم، وأمنهم فيها دائم، ونعيمهم فيها دائم، هكذا أخبر الله عنهم ـ جل وعلا ـ وفي الحديث يقول النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ يُنَادِي مُنَادٍ ـ يعني: من عند الله ـ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ؛ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا**»(١).

فهم في نعيم دائم وصحَّة دائمة، وشباب دائم، ونعيم مستمر؛ فلا موت، ولا مرض، ولا كدَر، ولا غير ذلك، ولهذا قال بعده ـ سبحانه ـ: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٦]، وقال في آخره: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

فالنعيم دائم، والصحَّة دائمة، والمقام أمين، والحياة مستمرة علىٰ أحسن حال.

فهذه الدار التي ينبغي أن تُطلب، وينبغي أن يسعىٰ لها الساعون والمشمِّرون والأخيار، وأن يحذروا كلَّ ما يعوقهم عن ذلك.

ثم قال بعد ذلك ـ سبحانه ـ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩ ـ ٥٠].

يحذِّرهم ـ سبحانه ـ من أسباب العذاب، ويحثُّهم علىٰ أسباب المغفرة

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما في كتاب الجنة، باب في دوام نعيم أهلِ الجنّةِ، وقولهِ تعالىٰ: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]، برقم (٢٨٣٧)، والترمذي في كتاب ثواب القرآن، عن رسول الله ﷺ، باب ومنْ سورةِ الزّمر، برقم (٣٢٤٦)، وأحمد في المسند (١/ ٣١٩).

من التوبة والاستغفار والدعاء؛ فالإنسان يعرض له عوارض، وإن كان من المتقين تعرض له عوارضُ، وهو مأمور بسؤال الله التوبة والاستغفار؛ فالله غفور رحيم ﷻ، وكذلك مأمورٌ بالحذر من المعاصي والشرور؛ لأن ربَّه شديد العقاب: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩ ـ ٥٠]؛ هذا ترغيب وترهيب، ودعوة إلىٰ الخير، وتحذير من الشر، دعوة إلىٰ التوبة والاستقامة، وطلب المغفرة، وهو غفور رحيم ﷻ، وتحذير من التساهل، وارتكاب المحارم، والإصرار علىٰ المعاصي، فإنَّ عذاب الله شديد، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

نسأل الله للجميع الهداية والتوفيق، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه.





تفسير قوله تعالى:
﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد(١):

فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه المبين: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]. ويقول عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]. ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]. ويقول ـ سبحانه ـ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

فكتاب الله فيه الهدىٰ والنور، وهو الذي يهدي من تعقَّله وتدبَّره، وطلب الهدىٰ، يهديه للتي هي أقوم؛ **يعني**: الطريقة التي هي أهدىٰ وأسدَّ وأصلح.

فينبغي للمؤمن الإكثارُ من تلاوته بالتدبر والتعقل، وطلب الهدىٰ، وهو أُنزل لبيان الحق، والدعوة إليه، والتحذير من الباطل، والتنفير منه،

(١) حديث المساء من دروس سماحته بعد صلاة العصر في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض، شريط رقم (١٤٨).

قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، ولا سيما في هذا الشهر الكريم، شهر القرآن، شهر القيام، شهر المنافسة في الخيرات والمسابقة إلىٰ الأعمال الصالحات.

كان السلف الصالح من أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم ﷺ، يهتمون بالقرآن الكريم في هذا الشهر العظيم، ويعتنون بالإكثار من تلاوته، والعناية به، وتدبُّر معانيه، ويَدَعُون الحلقات العلمية اشتغالًا بالقرآن العظيم؛ فينبغي لأهل الإيمان التأسِّي بأولئك الأخيار في هذا الشهر العظيم؛ بالإقبال علىٰ كتاب الله، والإكثار من تلاوته، تلاوةَ متدبِّرٍ متعقِّل، يريد أن يفهم كلام ربِّه، يريد أن يعرف مُرادَ الله حتىٰ يمتثل، حتىٰ يبادر إلىٰ ما أمر الله به، وحتىٰ ينتهي عما نهىٰ الله عنه، هذا هو المقصود من التلاوة، وهذا هو المقصود من إنزال هذا الكتاب العظيم، فهو أُنزل للعمل، فينبغي للمؤمن أن يحقق في نفسه ذلك، ويدعو الناس إلىٰ ذلك، وأن يكون أسوةً في ذلك، وقد صحَّ عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: «**اقْرَؤوا القُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ**»[1]؛ يعني: اقرؤوه قراءة المتدبِّر العامل المستفيد.

وصحَّ عنه أيضًا أنه قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»[2]؛ فخيار الناس، وأفاضل الناس هم أهل القرآن، الذين يعلِّمونه ويتعلَّمونه، ويعملون به، ويدعون إليه، وتظهر عليهم آثار

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي أُمامة الباهلي ﷺ في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، برقم (٨٠٤)، والإمام أحمد في مسند أبي أمامة (٥/ ٢٥٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب خيركمْ من تعلّمَ القرآنَ وعلّمَهُ، برقم (٥٠٢٧).

تلاوته والعمل به، هم أهل القرآن، هم خيار الناس، هم صفوة الأمة؛ لكونه يدعو من قرأه وتدبَّره، يدعوه إلىٰ الاستقامة والتخلُّق بالأخلاق الفاضلة، والحذر مما يُغضب الله ﷻ.

ويقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا؛ لَا أَقُولُ ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ: أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ**»(١) بكلِّ حرف يُعطىٰ به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها؛ إذا قرأه احتسابًا وطلبًا لمرضاة الله.

وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ بيْنَ أصحابه يومًا بالمدينة ﷺ فقال لهم: «**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَىٰ بُطْحَانَ أَوْ إِلَىٰ العَقِيقِ** ـ يقصد واديًا في المدينة يُقال له: بُطحان، معروف ـ يشقُّها ـ **فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ**»؟ قالوا: كلُّنا نحبُّ ذلك يا رسول الله، قال: «**أَفَلَا يَغْدُوا أَحَدُكُمْ إِلَىٰ المَسْجِدِ، فَيَعْلَمَ أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ ﷻ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ**»(٢).

وما ذاك إلا لأنَّ تعلُّمه لكتاب الله، وتعليمه لكتاب الله يترتَّب عليه من الثمرات والعواقب الحميدة، مع الصدق وصلاح النية، أمور عظيمة في وجوه كثيرة، لا يخطر علىٰ البال؛ فهي خير من الدنيا وما عليها.

وكان السلف ـ رحمة الله عليهم ـ يُكثرون من التلاوة، منهم من يختم في كل عشر، منهم من يختم في كل سبع، ومنهم من يختم في كل ثلاث،

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، في كتاب الإيمان، عن رسول الله، باب ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن، وما له من الأجر، برقم (٢٩١٠)، وصححه الألباني.

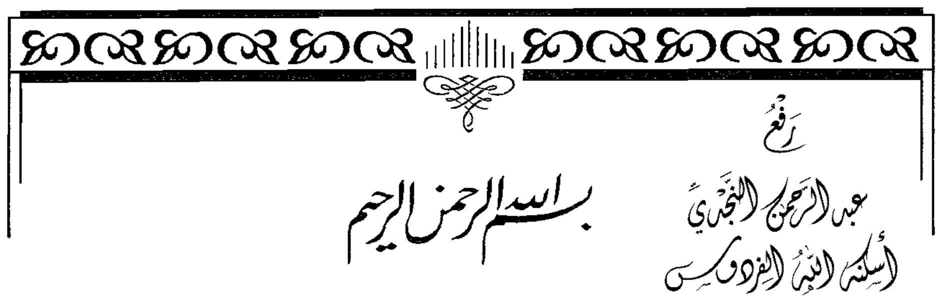
(٢) أخرجه مسلم من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه، برقم (٨٠٣).

ومنهم من يختم كلَّ يوم، لكن الأفضل أن تكون التلاوة بالترتيل، العناية والتدبُّر، وأن يختم في سبع أو في ثلاث، وكان عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقرأ القرآن في كل يوم، وكان يصوم الدهر، فقال له النبي ﷺ: «**فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ**»، وكان يقوم الليل كلَّه، «**وَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّام، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، وَاقْرَإِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ**»، قال: إنِّي أُطيق أفضلَ مِنْ ذلك. قال: «**اِقْرَأْهُ فِي الْعِشْرِينَ**»، فلم يزل به حتىٰ قال له: «**اقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ**»، فلم يزل به حتىٰ قال: «**اِقْرَأْهُ فِي ثَلَاثٍ**»[1]؛ فالسبع مدة مناسبة كان الصحابة رضي الله عنهم يعتنون بها، ويختمون كل أسبوع في رمضان وفي غيره، فإذا يسَّرَ الله للمؤمن أن يختم كل أسبوع، أو كل خمسة أيام، أو كل أربعة أيام، أو كلَّ ثلاثة أيام، فهذا خير عظيم، والأفضل أن لا ينقص عن ثلاث حتىٰ لا يشقَّ علىٰ نفسه، وحتىٰ يتدبَّر، حتىٰ يتعقَّل، وحتىٰ يعطي المقام حقَّه من العناية.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ أصحابه.

* * *

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب في كم يقرأ القرآن، برقم (٥٠٥٢) ومسلم في كتاب الصوم، باب النهي عن صوم الدهر، برقم (١١٥٩).



صفات الأخيار من عباد الله

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه.

أما بعد[1]:

يقول الله - جلَّ وعلا - في كتابه المبين في صفة عباده المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦١].

هذه صفة الأخيار من عباد الله، هذه صفة أولياء الله المؤمنين: أنهم من خشية ربِّهم مشفقون؛ يعني: أنهم دائمًا يخشوْن الله ﷻ ويراقبونه، ويعظِّمونه، ويخشوْن غضبه ومقته ﷻ، وما ذاك إلا لكمال علمهم بالله، وكمال تعظيمهم له وعلمهم بحقه ﷻ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ مع إشفاقهم وخشيتهم من الله ﷻ أنهم يؤمنون بآيات الله المتلوَّة والمشاهدَة؛ يؤمنون بآياته المتلوة كالقرآن الكريم، وما قبله من الكتب النازلة من السماء، يؤمنون بأنها كلام الله، وأنه أنزلها رحمة لعباده، وإحسانًا إليهم، وتعليمًا لهم، لِمَا ينفعهم ولِمَا يُرضىٰ الله عنهم ﷻ.

(١) حديث المساء من دروس سماحة الشيخ في جامع الإمام تركي بن عبد الله، شريط رقم (٩٣).

وأعظمها وأهمها هو القرآن العظيم، وهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، يقول فيه ـ سبحانه ـ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، ويقول ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، ويقول ﷻ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

هكذا أهل الإيمان؛ يؤمنون بآيات الله، ويعظِّمونها، ويتبعون كتابه، ويعظِّمون ما فيه من الأوامر والنواهي، يرجون ثواب الله، ويخشون عقابه.

كما أنهم يؤمنون بآيات الله المُشاهَدة التي يشاهدونها؛ من سماء، وأرض، وجبال، وأنهار، وبحار، وأشجار، وغيرها من المخلوقات.

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠ ـ ٢١]؛ إن نفس الإنسان من آيات الله يتدبرها ويتعقلها، وما أعطاه الله من عقل، وسمع، وبصر، وأدوات يستعين بها علىٰ حاجاته، وعلىٰ طاعة ربِّه، إلىٰ غير هذا مما في نفسه من الآيات، وكلُّها دلائلُ وكلها براهينُ علىٰ قدرة خالقها ـ سبحانه ـ وأنه ربُّ العالمين، يستحقُّ العبادة.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٩].

من صفات أهل الإيمان: كمالُ الإخلاص، يوحدون الله، ومخلصون له، لا يشركون معه أحدًا ﷻ في عبادته، بل هم أهل إخلاص وعناية بأعمالهم ليس فيها شرك لغيره ﷻ؛ من صلاة، وصوم، ودعاء، وحج، وغير ذلك، كلها لله وحده ﷻ، وهكذا قراءتهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، ودعوتهم إلىٰ الله، إلىٰ غير هذا من وجوه الخير كله لله وحده، لا للرياء والسمعة، ولا لغرض آخر.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

هذه من أعمالهم: يعملون ما يعملون، ويعطون ما أعطوْا من الطاعات والصدقات، وهم مع ذلك خائفون وَجِلُون مشفقون، يخشون أن تُرَدَّ عليهم أعمالهم أو بعضُها، يخشون من غضب الله بسبب تقصيرهم، يخشون من الوقوع فيما حرَّم الله، وهم ـ مع أعمالهم العظيمة، واجتهادهم، وطاعاتهم، وإخلاصهم، وصدقهم ـ هم علىٰ وَجَل، وعلىٰ خوف، علىٰ خشية، يخشون من ربِّهم ﷻ أن تُرَدَّ عليهم أعمالهم بما قد يقع من تقصيرٍ وعدم قيام بالواجب، ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]؛ إيمانًا منهم بأنهم إلىٰ ربِّهم راجعون، وأنه مجازيهم بأعمالهم؛ فإن خيرًا بخير، وإن شرًّا فشر، وهم وَجِلون مشفقون، يخشون أن تُرَدَّ عليهم هذه الأعمال، أو يحصل عليهم فيها نقص وخلل يترتب عليه ما لا تُحمد عقباه؛ فلهذا يشفقون ويحذرون، ويراقبون أعمالهم، ويجتهدون في إكمالها وفي إتقانها لعلها تُقبل، لعلها لا تُرَدّ.

قال ـ جل وعلا ـ في حقِّهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١].

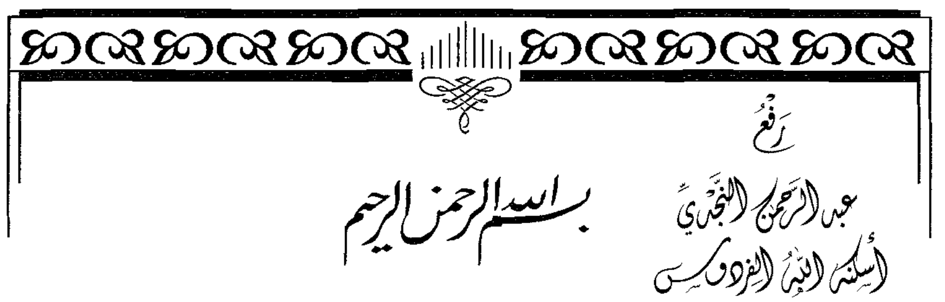
أولئك الذين هذه أعمالهم وهذه صفاتهم ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾؛ **يعني**: من صفاتهم الحميدة: أنهم مسارعون بالخيرات، ليسوا أهلَ عجز وكسل، وليسوا أهلَ تثاقُل عن طاعة الله، ولكنهم أهلُ مسارعة وأهل مسابقة؛ ولهذا سارعوا للخيرات، وسبقوا إليها: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ من سارع إليها صادقًا سبق المتخلِّفين، سبق غيرهم، ولكن المصيبة التخلُّف والتثاقل والتباطؤ، وعدم المسارعة، هذه مصيبة الأكثرين، تباطؤوا وتثاقلوا، فسبقهم الأخيار، ونالوا الرُّتَب العالية بحسب مسابقتهم ومسارعتهم، وسبقوا أولئك المتخلِّفين، وصار أولئك المتخلِّفون يعضُّون أصابع الندم لما جرىٰ من تقصير وتأخُّر.

فعليك ـ يا عبد الله ـ في دار المُهلة، في دار العمل، في هذه الدار،

دار الدنيا، عليك أن تعمل، وأن تسارع، وأن تُثابر، وأن تُحاسب نفسك حتىٰ تؤدي الأعمال كاملةً موفَّرةً كما شرعها الله.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد.

* * *



تفسير قوله تعالى:
﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[1]:

يقول الله ـ جل وعلا ـ في كتابه الكريم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

يحرّض ـ سبحانه ـ عبادَه علىٰ الجهاد في سبيله؛ وهذا يشمل جهاد الكفار، وجهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الفُسَّاق؛ لأنه ـ جلَّ وعلا ـ قال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾، ولم يذكر المجاهدين، بل أطلق، فدلَّ ذلك علىٰ أن من جاهد في سبيله لأعدائه بالجهاد الشرعي، وهكذا من جاهد نفسه في طاعة الله حتىٰ تستقيم، وجاهد شيطانه حتىٰ يسْلَم من مكائده ونزغاته، وجاهد العُصاة بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتوجيه إلىٰ الخير، والدعوة إلىٰ الحق؛ فإنه قد سعىٰ في خلاصه ونجاته، وأن الله ـ سبحانه ـ يهديه سُبُل الخير وطرق الخير، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾؛ المفعول محذوف، ما قال: أنفسهم،

---

(١) حديث المساء من دروس سماحته بعد صلاة العصر في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض، شريط رقم (١٤٨).

ولا قال: الكفار، بل أطلق؛ **المعنىٰ**: جاهدوا الكفار، وجاهدوا الأنفس، وجاهدوا الشيطان، وجاهدوا الفُسَّاق بالطرق الشرعية: ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وهذه الهداية من الله تشمل دلالتهم علىٰ الخير، وإرشادهم إليه، وتوفيقهم للأخذ به والثبات عليه، الهداية الكاملة تشمل دلالة العبد علىٰ الخير، وتوفيقه للأخذ به، والرضا به، والعمل به؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥ ـ ١٦].

فمن جاهد نفسه لله، وجاهد عدوَّه الشيطان، وجاهد عدوه الكافر حسب طاقته، وجاهد العُصاة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتوجيه إلىٰ الخير، فهو علىٰ طريق نجاة، وعلىٰ سبيل سعادة، والله وعده ـ سبحانه ـ بأن يهديَه سُبُلَه؛ **يعني**: أن يهديه إلىٰ طرق الخير وأعمال الخير، حتىٰ يوفَّقَ للثبات علىٰ الصراط المستقيم بأسباب أعماله الصالحة، وجهاده الطيِّب لنفسه وشيطانه، ولأعدائه ولإخوانه المسلمين، والذين وقعوا في بعض المحارم.

ثم قال بعده: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فدل علىٰ أن المجاهد في سبيله والدُّعاةَ إليه، الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، الصادقين في ذلك: أنهم من المحسنين، والله مع المحسنين، فيقول ـ سبحانه ـ في الآية الأخرىٰ: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ويقول في الآية الأخرىٰ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

فعليك ـ يا عبد الله ـ أن تجاهد هذه النفس في الله ﷻ حتىٰ تستقيم، حتىٰ تلزمَ الحق، وعليك أن تجاهد شيطانك حتىٰ تسلمَ من

مكائده ونزغاته ودعوته الباطلة، وعليك أن تكون مع المجاهدين في سبيله بجهاد أعدائه إذا استطعت ذلك، وعليك أن تكون مع الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، المجاهدين في سبيله في إظهار الحقِّ وإخفاء الباطل، والردع عن الفساد في الأرض، عليك أن تكون معهم حسب طاقتك، كما قال ﷻ: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ﴾ [التوبة: ٧١]، ويقول ـ سبحانه ـ: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ويقول ـ سبحانه ـ: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ويقول النبي ﷺ: **«مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»**(١).

وبهذا الجهاد من كلِّ مؤمن تستقيم أحوال الناس؛ فردًا وجماعة، وتأمن البلاد، ويصلح المجتمع، وتظهر الفضائل في الأرض، وتختفي الرذائل، وبالإهمال، والإضاعة، وعدم الجهاد يكثُر الشرُّ، ويقِلُّ الخير، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه.

* * *

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، برقم (٤٩).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾

وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه، ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[1]:

فيقول الله ـ جلَّ وعلا ـ في كتابه المبين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

كثيرًا ما يأمر عباده المؤمنين ﷻ بتقواه؛ لأنها جِماع الخير، ولأنها تشمل أداء فرائض الله، وترك محارم الله، والوقوف عند حدود الله، فمن اتقىٰ الله تمَّت له السعادة، وفاز بالنعيم المقيم، والخير الكثير، والعاقبة الحميدة؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾؛ **أي**: الزَمُوها واستقيموا عليها؛ لأنَّ المؤمن من شأنه أنه متق لله، **والمعنىٰ**: الأمر بلزوم التقوىٰ، والاستقامة عليها، والصبر عليها حتىٰ يموت عليها، ثم قال: ﴿وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾؛ **يعني**: احفظوا الألسنة عن الخطأ والزلل حتىٰ لا تقول إلا قولًا سديدًا؛ والقول السديد: هو الصواب، وهو من التقوىٰ، من شُعَب

(١) حديث المساء من دروس سماحته بعد صلاة العصر في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض، شريط رقم (٩٣).

التقوىٰ؛ حفظ اللسان وصيانته عمَّا لا ينبغي، ولهذا خصَّه الله بالذكر لعِظَم خطره، فقال: ﴿وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠]، وقال في آية أخرىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

فاللسان خطره كبير، فالواجب علىٰ كلِّ مؤمن أن يحفظه، وأن يصونَه إلا مما ينفعه، ومما ينفعه: القولُ السديد، وهو القول الصواب، من ذكر الله، وتحميده، وتسبيحه، واستغفاره، والدعوة إليه، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وغير هذا من الحقوق والأمور الشرعية، التي يُشرع للمؤمن أن يتكلَّم بها، وبذلك يفوز بالخير العظيم، ويسلَم من شرٍّ كثير.

فإن لم يتكلَّم بالخير، فليسكت، ولهذا قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»[1]؛ لأنه إذا صمت سلِم، فإن تكلَّم فله أو عليه، فعليه أن يحذر أن يكون كلامه عليه لا له.

ثم بيّن ﷻ أن من جزاء ذلك، ومن ثواب ذلك: أن الله ـ جل وعلا ـ يُصلح للعبد العملَ، إذا اتقاه وحفظ لسانه، أصلح عمله، وغفر ذنبه، وهذه نعمة عظيمة، وفائدة كبيرة لمن اتَّقىٰ ربَّه، وحفظ لسانه أنَّ الله يصلح له عمله ويغفر له ذنبه.

ثم قال ﷻ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١]، وهذه هي التقوىٰ، هي طاعة الله ورسوله في السرَّاء والضرَّاء، والشدة والرخاء، والمشهد والمغيب، وفي جميع الأحوال، ومن التقوىٰ: حفظُ اللسان والجوارح عن محارم الله، واستعمالها في طاعة الله.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلَّىٰ وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد وعلىٰ آله وأصحابه.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي شريح ﷺ. أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، برقم (٦٠١٩)، ومسلم في كتاب اللقطة، باب الضيافة ونحوها، برقم (٤٨).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ إلى قوله: ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسوله، وعلىٰ آله وأصحابه، ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[(١)]:

يقول الله ـ جل وعلا ـ في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الدخان: ٥١ ـ ٥٧].

يبين ﷻ في هذه الآيات الكريمات مآلَ المتَّقين ومصيرهم، وما لهم عند الله من الكرامة العظيمة، والخير الكثير، تشويقًا لهذا الخير العظيم، وترغيبًا للعباد في عمل ما شرع الله ـ جلَّ وعلا ـ والبُعد عمَّا حرَّم الله ليستحقُّوا هذه الكرامة.

فإنَّ التقوىٰ كلمة جامعة، تجمع الخير كلَّه، فالمتَّقون هم الذين ابتعدوا عن محارم الله، وأدوْا فرائضه، ووقفوا عند حدوده عن رغبة

(١) حديث المساء من دروس سماحته بعد صلاة العصر في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض، شريط رقم (١١٦).

وإيمان وصدق وإخلاص؛ فلهذا وعدهم الله بهذا الخير العظيم، وذكر أعمالهم في مواضعَ كثيرة من كتابه المبين، يبيِّن فضلهم، ويحثُّ المكلَّفين علىٰ التخلُّق بأخلاقهم، والسير علىٰ منهاجهم.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ١٥ ـ ١٦]، ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [القلم: ٣٤]، ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [المرسلات: ٤١ ـ ٤٢]، ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النبأ: ٣١ ـ ٣٤]، إلىٰ غير ذلك؛ يبيِّن مصيرَهم العظيم، وثوابهم الجزيل، وما أعدَّ لهم من الكرامة ﷻ، لقيامهم بحقه، واتقاءِ محارمَه، وبُعدهم عن أسباب غضبه ﷻ.

فلهذا يقول ـ جل وعلا ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان: ٥١]؛ الجنة مقام أمين، لا موت، ولا خراب، ولا عداء، ولا غير ذلك من الأذىٰ، فهو مقام أمين من كل أذىٰ، فأهل الجنة في نعيم، وفي أمان، وفي خير وصلاح، وفي نعمة دائمة، وصحَّة دائمة، وسلامة من كل الأكدار والأحزان ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان: ٥١].

ثم فسَّر ذلك، فقال: ﴿فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان: ٥٢].

فهم في خير عظيم، فينبغي للمؤمن أن ينافس في هذه الخيرات وهذه الصفات العظيمة، ثم بين اللباس، فقال: ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الدخان: ٥٣].

يعني: أنواع الحرير العظيم، الذي لا يُشبه حريرَ الدنيا، بل هو خير من ذلك، وإنما شابَه في الأسماء، فعليك ـ يا عبد الله ـ أن تُعنىٰ بهذا الأمر العظيم.

﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان: ٥٤].

يعني: مع زوجاتهم من الدنيا؛ فالمتَّقون لهم زوجات من الدنيا،

وزوجات من الحُور، لهم فيها ما يدعون، وما يشتهون، وذلك من فضله ـ سبحانه ـ وإحسانه إليهم، جلَّ وعلا.

﴿يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان: ٥٥].

يدعون بكلِّ ما يشتهون ويطلبون، مع الأمان، لا يخشوْن تألُّمًا ولا مرضًا، ولا عواقبَ وخيمة، مهما أكلوا، ومهما شربوا، ومهما تنعَّموا، بخلاف أهل الدنيا؛ فقد تضرُّهم بعض الأكلات، وقد تسبب عليهم أمراضًا، أما أولئك الأخيار في دار النعيم، فمهما أكلوا، ومهما شربوا، فلا تعب ولا مشقة.

﴿يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان: ٥٥].

يعني: آمنين من كل سوء؛ من مرض، أو تُخمة، أو كَدَر، أو ألم، أو مغصٍ، أو غير هذا، فليس هناك شيء من التعب.

ثم بعد ذلك كمَّل الأمر بقوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ﴾ [الدخان: ٥٦].

فهي حياة مستمرة أبد الآباد، ليس فيها موت، ولا مرض، ولا كدر، ولا حزن، ولا أذىٰ.

ثم أكد هذا بقوله: ﴿إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦]. التي صارت في الدنيا.

لكن في الجنة لا موت، وفي النار لا موت؛ أهل النار مخلَّدون فيها أبد الآباد: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ﴾ [طه: ٧٤]، ويقول ـ سبحانه ـ: ﴿لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ﴾ [فاطر: ٣٦]، ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١٣] بل في عذاب مستمر، لا حياة مريحة، ولا موت مريح، بل في العذاب والنَّكال، أما أهل الجنة؛ ففي حياة النعيم، والسعادة، والخير الكثير، لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولىٰ.

ثم قال: ﴿وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٥٦].

يعني: مع هذه النعمة العظيمة لا عذابَ، بل سلِموا من العذاب في قبورهم، وفي آخرتهم، فهم في نعيم في القبر، وفي نعيم في الآخرة.

﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَۚ﴾ [الدخان: ٥٧].

هذا من كرمه سبحانه وتعالى: ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الدخان: ٥٧].

فجدير بكل عاقل وبكل مكلَّف أن يعمل؛ لعلَّه ينجو، لعلَّه يفوز بهذا الخير العظيم، وذلك بطاعة الله، والاستقامة علىٰ أمر الله، والتواصي بحقِّ الله، والحذر من أسباب غضب الله.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم.

* * *

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ﴾

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد(١):

فيقول الله ـ جلَّ وعلا ـ في كتابه المبين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

في هذه الآية الكريمة يوجِّه الله عباده إلىٰ مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ويحذِّرهم من الأخلاق الذميمة التي تُسبب الشحناء والعداوة بين المسلمين، والبغضاء والفتن؛ فإنَّ السخرية والاستهزاء واللمز والتنابُز بالألقاب؛ كل هذه صفات ذميمة، كلها تجرُّ إلىٰ الشحناء والعداوة والبغضاء والاختلاف بين الناس، وربَّما أفضت إلىٰ القتال، ربَّما أفضت هذه الأفعال الذميمة إلىٰ التقاتل بين المسلمين، ولهذا قال ﷻ: ﴿لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ﴾.

خاطبهم بالإيمان؛ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ لأنَّ الإيمان يحفزهم

---

(١) حديث المساء من دروس سماحته بعد صلاة العصر في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض، شريط رقم (١٠٢).

إلىٰ الخير والهدىٰ، يذكِّرهم بإيمانهم أن يمنعَهم من معاصي الله، جلَّ وعلا.

يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إذا سمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فأرْعِها سمعَك؛ فإنه خير تُؤمر به، أو شر تُنهىٰ عنه[1].

ويقول ـ سبحانه ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ﴾ [الحجرات: ١١].

يعني: لا يسخر رجال من رجال.

﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ [الحجرات: ١١].

يعني: عسىٰ أن يكون أولئك المسخور منهم، خيرًا من الساخر وأفضل.

﴿وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾ [الحجرات: ١١].

يعني: عسىٰ أن يكون أولئك المسخور بهن خيرًا من أولئك الساخرات؛ فقد يسخر المفضول من الفاضل ليسترَ نقصه، ويعمِّي نقصه علىٰ الناس، وهو محرَّم من الفاضل والمفضول جميعًا، ليس لأحد منهم أن يسخر بأخيه ويستهزئ بأخيه، إن كان الله أعطاه فضلًا، فليحمد الله؛ مِنْ غنىٰ أو حُسن خَلْق، أو حسن خُلق، أو نحو ذلك، فليحمد الله، أما أن يسخر بالناس لفقرٍ أو دمامة، أو غير ذلك من الأسباب؛ هذا لا يجوز له، بل الواجب: حَمْدُ الله علىٰ ما أعطاه من الفضل، وحَمْد الله علىٰ ما عافاك به من الشر.

وهكذا اللمز: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [الحجرات: ١١].

يعني: لا يلمز بعضكم بعضًا؛ لأن نفس الإنسان كنفس أخيه المؤمن شيء واحد، ولهذا قال: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾، مثل قوله: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ [النساء: ١٢٩].

يعني: لا يقتل بعضكم بعضًا، وهكذا لا يلمز بعضكم بعضًا؛ فأنتم شيء واحد، واللمز: العيب، كونه يعيبه بشيء: بعمىٰ، أو بعرج، أو قلة سمع، أو قلة فقه، أو غير هذا من الأمور، يلمزه بها، ويعيبه بها، ومعلوم

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، برقم (١٩٨٥).

أن هذا يُثير الشحناء، يسبِّب الاختلاف، فلا يليق بالمؤمن، والله يقول ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]، اللمز والهمز بالفعل والقول كلُّه ممنوع: لا بعينه، لا بإشارته، ولا بكلامه. يجب ترك ذلك كله.

وهكذا قوله: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات: ١١].

التنابز: التداعي بالألقاب: يا حمار، يا فاجر، يا كلب! لا، بل يدعوه بأسمائه الحَسَنة: يا أبا زيد، يا محمد، يا فلان، يا أبا فلان، يدعوه بأسمائه الحَسَنة، بألقابه الحسنة، وبكنياه الحسنة، ولهذا قال بعده: ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١١].

معنىٰ هذا: إنَّ هذه الأعمال تجعلك فاسقًا بعد إيمانك: ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ كيف ترضىٰ لنفسك أن تكون فاسقًا بعدما كنتَ مؤمنًا بأعمالك الخبيثة، وإساءتك إلىٰ إخوانك؛ فإن هذه الإساءات وهذه التصرفات تجعلك فاسقًا، فيجب عليك الحذر والبُعد عن أسباب الفسق، وعن أسباب غضب الله ﷻ.

ثم قال: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

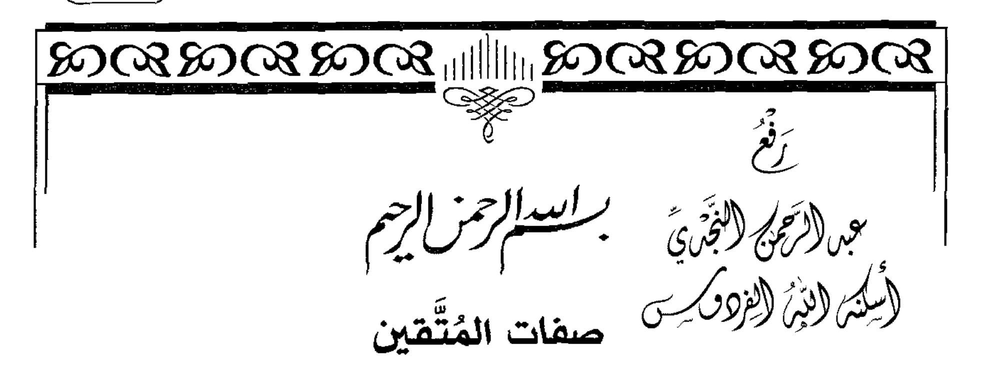
هذا يدل علىٰ أن الذي يُصِرُّ علىٰ المعاصي ظالم؛ من أصرَّ علىٰ المعاصي، فإنه يُسمَّىٰ، ظالمًا، ظالم لنفسه، وعليه التوبة إلىٰ الله من ذلك، ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾؛ يعني: من معاصيه وسيئاته ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

فالواجب علىٰ كل مسلم أن يحاسب نفسه، وأن يتَّقي الله في أقواله وأعماله، وأن يحذر إيذاء إخوانه بألقاب، أو بلمز، أو بسخرية، أو بغير ذلك؛ «**كلُّ المُسْلِمِ عَلَىٰ المُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**»[1].

وفَّق الله الجميع، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله برقم (٢٥٦٤).



صفات المُتَّقين

الحمد لله، وصلّىٰ الله علىٰ رسوله، وعلىٰ آله وأصحابه، ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[(١)]:

يقول الله ـ جلَّ وعلا ـ في كتابه المبين في صفة عباده المتقين: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٥ ـ ١٩].

هذه من صفات المتقين الذين اتقوا ربَّهم بفعل ما أمر، وترك ما نهىٰ عنه ﷻ، ومن صفاتهم العظيمة أنهم ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾.

ومن صفاتهم أنهم كانوا في الدنيا محسنين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ فجازاهم الله بالجنات والكرامة؛ بسبب ما أسلفوا في الدنيا من الإحسان والعمل الصالح، وكونهم متَّقين يدل علىٰ قيامهم بأمر الله، وتركهم لمحارمه ﷻ، فإن المتَّقي هو الذي اتقىٰ غضب الله وعقابه بطاعة الأوامر، وترك النواهي، والوقوف عند الحدود، لكنه ـ سبحانه ـ

(١) حديث المساء من دروس سماحته بعد صلاة العصر في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض، شريط رقم (٩٣ و١٠٢).

يذكر من صفاتهم ما يُميِّزهم عن غيرهم بمزيد الاجتهاد: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ [الذاريات: ١٦]، وفي الآية الأخرىٰ يقول ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، ويقول في الآية الثالثة: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]. ويقول في آية أخرىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، فالإحسان في هذه الدار من أسباب الإحسان يوم القيامة، فمن أحسن أحسن الله إليه، ومن أساء فهو علىٰ خطر عظيم بإساءته، والإحسان وأداء الواجبات وترك المحارم، والمسارعة إلىٰ الخيرات، والإنفاق في سبيل الطاعات، فيبذلون طاقاتهم في كل ما يرضي الله ﷻ، وفي ما يُسمَّىٰ إحسانًا من قول طيِّب وعمل صالح؛ هكذا المحسنون.

ثم من صفاتهم: قال: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧]؛ **يعني**: أن تهجُّدهم كثير، ونومهم قليل، وتهجُّدهم كثير في الليل؛ لأن الليل محلُّ تواطؤ القلب مع اللسان، وكمال الإخلاص وفراغ القلب، وإقباله علىٰ الله ﷿، وبُعده عن الشواغل النهارية.

وهم مع تقواهم لله، وقيامهم بأمره مع ذلك، كانوا أهلَ تهجُّد، وأهلَ تعبُّد بالليل، ووقوف بين يدي الله يرجونه ويسألونه، كما قال عنهم في آية أخرىٰ، وسمَّاهم عبادَ الرحمٰن، قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٤].

﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨].

يعني: مع الصلاة استغفار وتوبة، لا يمنُّون بأعمالهم، ولا يُعجبون بها، ولا يعتمدون عليها، بل علىٰ عفو الله ﷻ ومغفرته وإحسانه، هكذا المؤمن يعمل ويجتهد ويخاف، ودائمًا يسأل الله العفوَ والمسامحة والمغفرة عمَّا يحصل من التقصير. ولهذا قال: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ مع التهجُّد، مع التقوىٰ استغفارٌ وتوبة، وإقرارٌ وحذرٌ، وطلب للعفو.

﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ [الذاريات: ١٩].

مع العبادات العظيمة، ومع الاستغفار والتوبة، ومع الإحسان إلىٰ عباد الله، هم جعلوا في أموالهم حقًّا للسائل والمحروم.

قال جَمْعٌ من أهل العلم: هذا الحقُّ غيرُ الزكاة؛ أَدَّوُا الزكاة، ومع ذلك عيَّنوا حقًّا في أموالهم؛ يبذلونه في وجوه الخير غير الزكاة للسائلين والمحرومين، والمحرومون: هم الفقراء والمحاويج الذين حرموا المال، إمَّا من أساس حالهم، وإمَّا بسبب جوائحَ اجتاحت أموالهم؛ من حرق، أو غرق، أو سرقة، أو غير ذلك، فالمحروم هو الذي حُرم المال من أساس خِلقته، عاش فقيرًا، أو لأسباب طرأت عليه، فاجتاحت ماله، فصار فقيرًا، فأهل الإحسان، وأهل الخير يجعلون في أموالهم نصيبًا معلومًا لهم، ينفقونه في هؤلاء السائلين والمحرومين علاوةً علىٰ الزكاة، فيؤدون الزكوات، ومع هذا ينفقون نفقاتٍ أخرىٰ غيرَ الزكاة في وجوه البر والإحسان.

فينبغي للمؤمن أن يتخلَّق بأخلاق هؤلاء، وأن يكون له نصيبٌ من صفاتهم الحميدة، حتىٰ يلحَقَ بهم، وحتىٰ يُحشرَ معهم يوم القيامة إلىٰ دار الكرامة.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه.





أنواع العبادة

الحمد لله، وصلَّىٰ الله علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه، ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد(١):

فإن الله ـ جلَّ وعلا ـ شرع لعباده أنواع العبادة؛ ليتقرَّبوا بها إليه، وليطلبوا منه فضله وإحسانه ـ جل وعلا ـ وخلقهم لهذا الأمر العظيم، لِمَا فيه من سعادتهم وصلاحهم في العاجل والآجل، هو ـ سبحانه ـ الغني عنهم، وعن غيرهم، يقول ـ سبحانه ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨]. وأرسل الرسل بهذا الأمر، أرسل الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ بدعوة الناس إلىٰ عبادته وحدَه، والتقرُّب إليه بما شرع، والحذر مما نهىٰ عنه ﷻ، كما قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وأهم هذه العبادات وأعظمها: توحيده ـ سبحانه ـ والإخلاص له، والإيمان به وبرسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ هذا هو أساس العبادة،

---

(١) حديث المساء من دروس سماحته بعد صلاة العصر في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض، شريط رقم (١٦٤)، المقطع (١).

وأصلُها: شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فشهادة أن لا إلٰه إلا الله تُوجب تخصيصه بالعبادة، وإفراده بها، والإيمان بأنه الواحد الأحد لا شريك له في ربوبيته وملكه، ولا في إلٰهيته وعبادته، ولا في أسمائه وصفاته ﷻ، بل الواحد الأحد في كل شيء، هو الخلَّاق الرزَّاق وحده، هو المعبود بالحق وحده، هو صاحب الأسماء الحسنىٰ والصفات العُليا وحده ﷻ، له الكمال المطلق في كل شيء ﷻ، وبعث الرسل لهذا الأمر العظيم من أولهم إلىٰ آخرهم، من أولهم نوح؛ أرسله الله إلىٰ الأرض بعدما وقع الشرك، إلىٰ آخرهم، وخاتمهم، وأفضلهم نبيِّنا محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ فهو خاتم الأنبياء، كلُّهم يدعون الناس إلىٰ توحيد الله، وإفراده بالعبادة، وتخصيصه بها، فلا يُدعىٰ إلا الله، ولا يُستغاث إلا بالله، ولا يُتوكَّل إلا عليه، ولا يُتقرَّب بالذبائح والنذور إلا له، ولا يُصلَّىٰ إلا له، ولا يُصام إلا له، إلىٰ غير ذلك، فهو المستحق للعبادة ـ جلَّ وعلا ـ كما قال ـ سبحانه ـ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].

ولا بد مع هذا من الإيمان برسوله محمد ﷺ وبقية المرسَلين، وتصديقهم، والإيمان بأنهم جاؤوا بالحق، وأنهم هُداة الخلق، وأن الواجب اتِّباعهم وتصديقهم، والسير علىٰ منهاجهم.

وحظُّ هذه الأمة ونصيبها محمد ﷺ، هي آخر الأمم، وهو آخر الأنبياء ـ عليه الصلاة والسلام ـ فوجب الإيمان به، والشهادة بأنه رسولُ الله، واتِّباع ما جاء به من الهدىٰ، عليه الصلاة والسلام.

ثم شرع بعد ذلك للناس أن يصلوا هذه الصلوات الخمس علىٰ يد نبيه محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ وجعلها عمودَ الإسلام، من حفظها وحافظ عليها نجا، وتمَّت له السعادة، ومن ضيَّعها، فهو لِمَا سواها أضيَعُ،

فهي عمود الإسلام، وهي الركن الأعظم بعد الشهادتين، كما قال النبي ﷺ: «**رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ**»؛ **يعني**: الشهادتين، «**وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ**»(١).

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ؛ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»(٢).

وشرع لهم بعد ذلك الزكاة؛ حقَّ المال، حتىٰ يواسوا فقراءهم، حتىٰ يعطفوا عليهم، حتىٰ يرحموهم مما أعطاهم الله من المال، وجعلها قرينةَ الصلاة في كتاب الله، وفي السُّنة: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]. ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البينة: ٥]. ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]. ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]. فهي أختها في كتاب الله، فوجب علىٰ جميع المسلمين أن يؤدُّوها مما فرضها الله فيه؛ مواساة لإخوانهم، ورحمة لإخوانهم، وإعانته لهم علىٰ الخير، فهي حق المال، وجعلها لأصناف ثمانية، بيَّنها في قوله ـ سبحانه ـ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

ثم شرع بعد ذلك الصيام في السنة الثانية من الهجرة، في السُّنة

(١) رواه الترمذي من حدث معاذ بن جبل رضي الله عنه، في كتاب الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حرمة الصلاة، برقم (٢٦١٦). وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، برقم (٣٩٧٣)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن بريدة، في كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، برقم (٢٦٢١). وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب، وابن ماجه، برقم (١٠٧٩)، والنسائي، برقم (٤٦٣)، وابن حبان، برقم (١٤٥٤)، والحاكم، برقم (١١).

التي شرع فيها الزكاة ﷺ، والصيام أمره عظيم، هو فرض على المسلمين جميعًا من الذكور والإناث، وهو الركن الرابع من أركان الإسلام الخمسة، كما قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْس ـ يعني**: خمس دعائم ـ **شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**»[1].

فالواجب علىٰ أهل الإسلام أن يصوموا هذا الشهر ويعظِّموه، وأن يحفظوه مما يَجْرحه من سائر المعاصي، فعلىٰ العباد أن يصوموه كما أمر الله؛ عن إيمان، وعن تصديق، وعن إيمان بأنَّه حق الله عليهم، وأنَّه فريضة عليهم، ركن عظيم من أركان الإسلام، ولهذا قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[2]، فلا بد أن يكون عن إيمان واحتساب، يصوم عن إيمان، لا عن تقليد للناس، ولا عن رياء، ولا عن متابعة للآباء والأسلاف، لا؛ ولكن يصوم عن إيمان، يؤمن بأن الله أوجبه عليه، وشرعه له، وفرضه عليه، ويحتسب الأجر عند الله ـ جل وعلا ـ وهكذا الصلاة بالليل، قيام رمضان عن احتساب، وعن إيمان، وعن رغبة فيما عند الله ﷻ، لا عن رياء، ولا عن تقليد للناس ومتابعة، ولا عن مجاملة، بل عن إيمان واحتساب للأجر عند الله ـ سبحانه ـ هكذا المؤمن.

ويجب مع هذا أن يُصان هذا الصيام من سائر المعاصي، فليس الصيام مجردَ ترك الطعام والشراب، لا بد مع ذلك من صيانته من سائر المعاصي،

---

(١) أخرجه مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في كتاب الإيمان، باب أركان الإسلام ودعائمه العظام، برقم (١٦).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا ونية، برقم (١٩٠١)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب الترغيب في قيام رمضان، برقم (٧٥٩).

ولهذا يقول ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**»(١)، ويقول ﷺ: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ؛ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ، أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ**»(٢)، ويقول ﷺ: «**لَيْسَ الصِّيَامُ مِنَ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ فَقَطْ، إِنَّمَا الصِّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ**»(٣).

فلا بد أن يُصان هذا اللسان وهذه الجوارح دائمًا دائمًا، ولكن في حال الصيام تكون الصيانةُ أشدَّ؛ فالمؤمن يصون صيامه، ويحفظ صيامه من شرِّ جوارحه، من شرِّ لسانه، من جميع ما حرَّم الله عليه ﷻ، يرجو ثواب الله، ويخشىٰ عقابه.

ثم لا يتقدم رمضان، بل ينتظر فإذا دخل الشهر صام، كما قال ﷺ: «**صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِنْ غَمِّيَ عَلَيْكُمْ، فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ**»(٤).

ويقول ﷺ: «**لَا تَصُومُوا حَتَّىٰ تَرَوْا الهِلَالَ، وَلَا تُفْطِرُوا حَتَّىٰ تَرَوْهُ، فَإِن غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا لَهُ**»(٥)؛ لا بد من هذا أو هذا: «**فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا العِدَّةَ ثَلَاثِينَ**».

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب الصوم، باب منْ لَمْ يدعْ قولَ الزّورِ والعملَ بهِ في الصّومِ، برقم (١٩٠٣).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ. أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شُتم، برقم (١٩٠٤)، ومسلم في كتاب الصيام، باب فضل الصيام، برقم (١١٥١).

(٣) رواه ابن حبان في كتاب الصوم، باب آداب الصوم، برقم (٣٤٧٠).

(٤) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ. أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب قو النبي ﷺ: «**إذا رأيت الهلال فصوموا**»، برقم (١٩٠٩)، ومسلم في كتاب الصيام. باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال، برقم (١٠٨١).

(٥) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر ﷺ. أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب

أما الحساب، وما يتعلق بالحساب، فلا يُعَوَّل عليه، إنما المعَوَّلُ علىٰ الرؤية وإكمال العدة، وليس لأحدٍ أن يتقدَّم رمضان بصوم يوم الشك، أو اليوم الذي قبله، لا؛ بل يجب أن يفطر مع المسلمين حتىٰ يثبت الهلال، فإذا ثبت الهلال صام مع إخوانه المسلمين، ولهذا قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«لَا تَقَدَّمُوا رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ وَلَا يَوْمَيْنِ، إِلَّا رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمًا فَلْيَصُمْهُ»**[1]، وقال عمار بن ياسر الصحابي الجليل ﷺ: «مَنْ صَامَ الْيَوْمَ الَّذِي يَشُكُّ فِيهِ النَّاسُ، فَقَدْ عَصَىٰ أَبَا الْقَاسِمِ» ﷺ[2].

ويوم الشكِّ هو يوم الثلاثين، ويلحق به ما قبله، كيوم التاسع والعشرين والثامن والعشرين، كلها لا تُصام؛ لأنها داخلة في قوله ﷺ: **«لَا تَقَدَّمُوا رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ وَلَا يَوْمَيْنِ، إِلَّا رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمًا فَلْيَصُمْهُ»** إلا رجل له عادة، مثلًا: يصوم ويفطر يوم، ووافق صيامُه آخرَ الشهر، لا بأس يصوم الاثنين والخميس، صادف صيامه يوم الخميس آخر الشهر لا بأس، أما أن يصوم للاحتياط أو للتطوع، لا في آخر الشهر؛ لأن الرسول نهىٰ عن هذا ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأنه وسيلة إلىٰ الزيادة فيما شرع، وتشبه بأعداء الله اليهود والنصارىٰ في الزيادة والبدعة، ولهذا نهىٰ الرسول عن ذلك ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأمر الأمة أن تصوم بالرؤية، وأن تفطر بالرؤية، فإن غُمَّ الشهرُ وجب إكمال الشهر.

= قول النبي ﷺ: **«إذا رأيتم الهلال فصوموا»**، برقم (١٩٠٦)، ومسلم في كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال والفطر لرؤية الهلال إلخ، برقم (١٠٨٠).

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ. أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب لا يتقدمن رمضان بصوم يوم أو يومين، برقم (١٩١٤)، ومسلم في كتاب الصيام، باب لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين، برقم (١٠٨٢).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الصوم، باب ما جاءَ في كراهيةِ صومِ يومِ الشَّكِّ، برقم (٦٨٦). وقال الترمذي: حسن صحيح.

ثم هذا الشهر العظيم ينبغي للمؤمن أن يعزم العزم الصادق علىٰ حفظه وصيانته، وعلىٰ أن يصومه كما شرع الله، ويتحفَّظ فيه، وينبغي له أن يقدِّم التوبة الصادقة علىٰ ذلك؛ من جميع ذنوبه وسيئاته، مع العزم الصادق علىٰ صيامه والتحفظ فيه، وترك ما حرَّم الله فيه.

رزقنا الله وإياكم الاستقامة، وبلَّغنا وإياكم صيامَه وقيامه إيمانًا واحتسابًا، ووفَّق المسلمين جميعًا لما فيه رضاه، وأصلح قادتهم، ووفَّقهم لما فيه سعادة الدنيا والآخرة، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه.



بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير قوله تعالى:
﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا﴾

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه، ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد(١):

فيقول الله ـ جلَّ وعلا ـ في كتابه المبين: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧].

يأمر ـ سبحانه ـ عباده المؤمنين بالإيمان به وبرسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ؛ **يعني**: بالثبات علىٰ الإيمان، والاستقامة عليه؛ وهو يشمل أداء الفرائض، وترك المحارم، والوقوف عند حدود الله، والغيْرة لله سبحانه وتعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كل هذا داخل في قوله: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾؛ لأنَّ الإيمان قول وعمل وعقيدة، يدخل فيه كلُّ ما أمر الله به ورسوله، وترْكُ كل ما نهىٰ الله عنه ورسوله.

ثم قال: ﴿وَأَنفِقُوا﴾.

فالنفقة من جملة الإيمان، ولكنه خصَّها بالذكر لعِظَم شأنها، وللتنبيه علىٰ عِظَم فائدتها والحاجة إليها: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾؛

---

(١) حديث المساء من دروس سماحته بعد صلاة العصر في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض، شريط رقم (٨).

الله استخلف العباد علىٰ هذه الأموال، وساقها إليهم ابتلاءً وامتحانًا؛ فمن أدَّىٰ حقَّها وصرفها في مرضاته التي أُمِرَ بها، فاز بكل خير، وسلِم من عُهدتها، وجوزي عليها بالجزاء الحسن، ومن صرفها في غير وجهها، استحقَّ العقاب عليها، فأنت أيها المؤمن خليفة في هذا المال، مأمور مؤتمن، فليس لك أن تتصرف فيه إلا علىٰ الوجه الذي شرعه الله لك سبحانه وتعالى، وأباحه لك، مما شرع الله لك في هذا المال أن تنفقه في وجوه البر والإحسان، وأن تعين به علىٰ طاعة الله، وأن تواسي به الفقير والمسكين، ولهذا قال: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧]؛ فأعاد لفظ الإيمان؛ لأن النفقة والصدقة والإحسان وسائر الأعمال الصالحة، إنما تنفع أهلها مع الإيمان، أمَّا مِنْ دون إيمان، فإنَّها تكون هباءً منثورًا لا قيمة لها، من أنفق عن إيمان بالله، وتوحيد له، وإخلاص له، ورغبة فيما عنده، نفقة اتقائه، جُوزي عليه بالجزاء الحسن، ومن كانت نفقته علىٰ غير إيمان، لم ينفعه ذلك، ولم تكن نفقة صالحة، ولم يُجزىٰ عليها بالجزاء الحسن، والله يقول ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًاۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠]؛ فما قدمه العبد من عمل صالح؛ من صلاة وصوم وصدقة وغير ذلك، وجد ثوابه عند ربِّه ـ جلَّ وعلا ـ ويقول عز وجل: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]. فجمع لك أيها المؤمن بين الجزاءين: الجزاء العظيم في الآخرة بالجنة والسعادة ومضاعفة الأجور، وفي الدنيا بالخُلف، يُخلف عليك ما أنفقت: ﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧].

وكان نبيُّنا ﷺ أجودَ الناس بأنواع الجود، بماله ونفسه وكلامه ودعوته، وغير هذا من وجوه التصرف، وكان أجودَ ما يكون في رمضان ـ عليه الصلاة والسلام ـ حين يلقاه جبرائيلَ فيدارسه القرآن، فكان

رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ أجودَ بالخير من الريح المرسلة ـ عليه الصلاة والسلام ـ وجودُه يتضاعف، كما أنَّ جود الله يتضاعف، فجود الله ـ جلَّ وعلا ـ علىٰ عباده يتضاعف، فجوده في رمضان، وفي أوقات الحاجة، وعلىٰ عباده المؤمنين، وفي جهاد أعداء الله يتضاعف، وهكذا جود نبيه ﷺ يتضاعف في أوقات متعددة.

هكذا ينبغي لأهل الإيمان، أن يتضاعف جودهم وإنفاقهم، وأن يزداد في أوقات الفضائل كرمضان، فيه الفقير المسكين، وفي المعطَّل عن الأسباب، وفيه من ضعُفت أسبابه في هذا الشهر الكريم، فهم في حاجة إلىٰ الإنفاق والإحسان والمساعدة من الزكاة وغيرها.

وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يُدارسه جبرائيلُ القرآنَ كل سنة في رمضان، كل سنة ختمه، والسنة الأخيرة عرضه عليه مرتين ـ عليه الصلاة والسلام ـ فدلَّ ذلك علىٰ شرعية المدارسة للقرآن، وأن المدارسة من أفضل القُرُبات، وأنها من عمل نبيِّنا ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع جبرائيل ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأنها في الليل أفضل اقتداءً به، عليه الصلاة والسلام.

ولا شك أنَّ المدارسة للقرآن من أسباب التوفيق لكل خير؛ فإنه كتاب عظيم، يدعو إلىٰ الجود والإنفاق والإحسان، ويدعو إلىٰ كل ما أمر الله به ورسوله، ويدعو إلىٰ مضاعفة الجهود في الخير، ويدعو إلىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويدعو إلىٰ برِّ الوالدين، وصلة الأرحام، وإكرام الجار، ويدعو إلىٰ كل ما فيه سعادة العبد في الدنيا والآخرة.

فالمدارسة لكتاب الله، والعناية بكتاب الله، والإقبال عليه في هذا الشهر الكريم مما يعين علىٰ كل خير، ولا سيما مع التدبر والتعقُّل، والإقبال عليه، وطلب الاستفادة، وهكذا مع المدارسة والمذاكرة،

فإن الإنسان يضم إلىٰ علمه علمًا، وفهمًا إلىٰ فهمه، ويتهاون مع أخيه في المدارسة والمذاكرة.

وهذا شهر عظيم، أيامُه محدودة، ثم ينتهي. وأنت لا تدري: هل تُكمله، أم لا تُكمله؟ ولا تدري: هل تُدركه مرة أخرىٰ، أم لا؟

فالجدير بالعاقل، والجدير بالهمة العالية أن يغتنم الفرصة، وأن لا يؤخِّر شيئًا من الجهد الطيب والعمل الصالح إلىٰ وقت آخر، ويسارع به اليوم، وينافس فيه اليوم، ويجتهد قبل انصرام هذا الشهر العظيم، وكلّ ما أمكنه أن يقدمه من الخير لم يتأخر ولا يُسوِّف، فهو لا يدري: هل يدرك ما أراد أم لا؟ فليبادر بالخير الذي تحضره أسبابه، ويستطيع إنفاذه، فليبادر به اغتنامًا لفضله ومصلحته، واغتنامًا لأجله.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلَّىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم.



بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير قوله تعالى:
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾

الحمد، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه، ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[1]:

فقد قال الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

في هذه الآية الكريمة يوجِّه سبحانه وتعالى أمره إلىٰ عباده المؤمنين، وينهاهم ـ سبحانه ـ عن أن يلتهوا ويشتغلوا عن ذكر الله بأموالهم، أو أولادهم، ويبين سبحانه وتعالى أن من فعل ذلك فقد خسر، يقول ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ﴾، وهذا واقع كثيرًا في كتاب الله ﷻ؛ يوجِّه سبحانه وتعالى عباده المؤمنين إلىٰ أن يلزموا مقتضىٰ الإيمان، ومقتضىٰ الإيمان: الامتثالُ للأوامر، والانتهاءُ عن النواهي، والوقوف عند الحدود التي حدَّها المولىٰ ـ سبحانه ـ هكذا المؤمن، وهكذا الإيمان الذي أوجبه الله عليه، فإنَّ إيمانه بالله ورسوله يقتضي منه

(١) حديث المساء من دروس سماحته بعد صلاة العصر في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض، شريط رقم (١٤٠).

فِعْلَ الواجب، وترْكَ المحظور، والوقوف عند الحدود التي حدَّها ربنا ﷻ؛ وبذلك يستقيم أمر الإيمان، ويحصُل لصاحبه الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ﴾ [المنافقون: ٩]؛ **المعنىٰ**: حقِّقوا هذا الإيمان، والزموه، واستقيموا عليه حتىٰ تدَعُوا ما حرَّم الله عليكم، وتلتزموا بما أوجب الله عليكم، هكذا المؤمن: إيمانُه يوجب له الوقوف عند حدود الله، يوجب له أداءَ فرائض الله، يوجب عليه ترْكَ محارم الله، هكذا المؤمن، ولهذا يقول في آيات كثيرات ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٧٨]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ﴾ [الحج: ١]، فهو ـ سبحانه ـ يأمرهم بلزوم التقوىٰ التي هي أداء الفرائض، وترك المحارم، والوقوف عند الحدود.

وفي هذه الآية يقول ـ جلّ وعلا ـ: ﴿لَا تُلۡهِكُمۡ﴾ فهذا جزء من التقوىٰ؛ فمن التقوىٰ أن يدَعَ المؤمن ما يشغَله عن طاعة الله ورسوله؛ من أهلٍ ومال وولد وغير ذلك، فإذا تعارض أمر الله ورسوله مع حاجة الولد، أو حاجة النفس، أو حاجة المال، قدَّم أمر الله ورسوله علىٰ هوىٰ نفسه وعلىٰ هوىٰ ولده، وعلىٰ حظ ماله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [المنافقون: ٩].

والمراد بالذكر هنا: ما شرعه الله لنا من الطاعات؛ من الصلاة والصيام والحج والزكاة والجهاد وغير ذلك، كلُّه ذكر الله وفَسَّر جَمْعٌ من المفسرين ذكر الله هنا بالصلاة، والأمر عام؛ فإن الصلاة جزء من ذكر الله، والمنهيُّ عنه أن يشتغل المؤمن بماله أو بأولاده، أو بشيء آخر عما أوجب الله عليه من صلاة وغيرها.

ثم قال ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾ [المنافقون: ٩].

يعني: يشتغل بماله أو بولده عن حق الله.

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

والخُسران إذا أُطلق عمَّ الدنيا والآخرة، نعوذ الله، فمن شغله ماله، أو شغله ولده، أو شغلته نفسه الأمَّارة بالسوء عن أداء ما أوجب الله، أو أوقعه ذلك في محارم الله، فقد خسر، فإن كان كفرًا وضلالًا وخروجًا من الإسلام، صارت الخسارة كاملة، نعوذ بالله، صارت الخسارة كاملة، والنهاية إلىٰ النار، أعوذ بالله، والخلود فيها، نسأل الله العافية، وإن كان الواقع من الشغل أوقَعه في المعاصي دون الكفر بالله، صارت الخسارة عظيمة، ولكنها دون الخسارة الكبرىٰ التي هي خسارة الكفر، نسأل الله العافية، فعلىٰ المؤمن أن يحذر الخسارتين؛ أن يحذر الخسارة الكبرىٰ والصغرىٰ، وأن يبتعد عن كل ما يُغضب الله عز وجل حتىٰ يسلَم من الخسارة، وحتىٰ يفوز بالربح الكامل، وذلك في طاعة الله ورسوله، وترك ما نهىٰ الله عنه ورسوله.

رزق الجميع الهداية والتوفيق، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم.





تفسير سورة العصر

الحمد لله، وصلَّىٰ الله علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه، ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد(١):

فيقول الله ـ تعالىٰ ـ في كتابه الكريم: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

في هذه السورة العظيمة بيَّن الله صفات الخاسرين وصفات الرابحين في أقصر عبارة، وأيسر عبارة وأبينها، وأقسم علىٰ هذا ﷻ وهو الصادق، وإن لم يقسم ـ جلَّ وعلا ـ فقال: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١﴾.

والعصر: هو الزمان، وهو محل أعمال بني آدم من صالحٍ وطالح، ويقال لليل والنهار: العصران، فالله يقسم بالزمان علىٰ أنَّ جميع بني الإنسان في خسران.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾. هؤلاء هم الرابحون، هم السعداء، وأما سوىٰ ذلك من بني الإنسان، من بني آدم، خاسرون في أيامهم ولياليهم وأعمالهم، إلا من تخلَّق بهذه

(١) حديث المساء من دروس سماحته بعد صلاة العصر في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض، شريط رقم (١٤٠).

الصفات الأربع، واستقام عليها، فهو الرابح السعيد؛ وهي: الإيمان بالله ورسوله إيمانًا صادقًا، يتضمَّن توحيدَه والإخلاص له ﷻ، والإيمان برسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وعلىٰ رأسهم خاتمهم نبيُّنا محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ ثم تحقيق هذا الإيمان بالعمل الصالح؛ لأن الإيمان يقتضي العمل، ولهذا قال: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العصر: ٣]؛ **يعني**: حقَّقوا إيمانهم، وصدَّقوا إيمانهم بالعمل؛ بأداء فرائض الله، وترك محارم الله، هذا هو العمل الصالح؛ **يعني**: عملوا ما شرع الله لهم، فأدوْا فرائضه، وتركوا محارمه، وكفُّوا عن كلِّ ما نهاهم عنه ﷻ.

ثم أمر ثالث: التواصي بالحق فيما بينهم، والتناصح والتعاون علىٰ الخير.

ثم أمر رابع: هو الصبر علىٰ ذلك، التواصي بالصبر علىٰ هذه الأمور.

فهؤلاء هم الرابحون، الذين وحَّدوا الله، وآمنوا بأنه ربُّهم وإلٰههم الحق، وأخلصوا له العبادة، وصدَّقوا رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ وآمنوا بما جاءهم من الهدىٰ، وصدَّقوا أخبار الله وأخبار رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ثم عملوا، قال: ﴿وَعَمِلُوا۟﴾؛ فأدوْا فرائضه ـ سبحانه ـ وكفوا عن محارمه، وهذا معنىٰ قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾، ثم بيَّن بعد ذلك، كمال ذلك؛ فقال: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾.

هذه الصفات الأربع، وهي الأصول الأربعة هي أساس السعادة، وأساس الربح والنجاة؛ إيمان صادق، وعمل صالح، وتناصح، وتواصي بالحق، وتعاون علىٰ البر والتقوىٰ، وتواصي بالصبر علىٰ ذلك في الشدة والرخاء، وفي جميع الأحوال، وعلىٰ حسب قيام العبد بهذه الأمور الأربعة يكون فلاحُه، وتكون نجاته، ويكون أيضًا ربحه، وكلَّما نقص

منها شيئًا حصل له من الخسران بقدر ذلك؛ فالرابح الكامل هو الذي استوفاها بكمالها، وحقَّق إيمانه، وكمَّل إيمانه، وجاهد نفسه لله حتىٰ أدَّىٰ الواجب، وترك المحرَّم، ونصح لإخوانه وتواصىٰ معهم بالحقِّ والصبر عليه، ومن قصَّر في شيء من هذا، صار له من الخسران بقدر ذلك.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.





التوحيد وأقسامه

الحمد لله، وصلِّ اللهمَّ وسلِّم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[1]:

فقد سمعنا جميعًا هذه المحاضرة المباركة القيمة، التي قام بها صاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمٰن بن عبد العزيز السديس، في أمور مهمة وعظيمة، فيما يتعلَّق بالتوحيد وأقسامه، وفيما يتعلَّق بالإيمان باليوم الآخر والإعداد له، وفيما يتعلَّق بالإيمان بالقدر، وبيان حقيقته، ووجوب السير فيه علىٰ طريقة أهل السُّنة والجماعة، من غير غُلُوٍّ ولا جفاء، وفيما يتعلَّق بالتوسُّل، وفيما يتعلق أيضًا بشأن الشِّرك وخطره العظيم، فقد أجاد وأفاد، وأحسن، فيما قال.

وفي الحقيقة إنَّها محاضرة واضحةً بحمد الله، ومصيبة للحق، وليست محتاجةً إلىٰ التعليق؛ لأنها ـ بحمد الله ـ واضحة، والأدلة عليها من كتاب الله وسُنّة رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ظاهرة بيِّنة، ولكن لا مانعَ من تحقيق رغبة فضيلته في التعليق.

فأقول: إن هذا الذي ذكره فضيلته كلّه حقٌّ، كله صواب، وأن الواجب علىٰ أهل الإسلام جميعًا، بل وعلىٰ غير أهل الإسلام، أن يتَّقوا الله، وأن يدينوا بالإسلام، وأن يعرفوا هذه العقيدة التي بعث الله

---

(١) تعليق سماحة الشيخ علىٰ محاضرة الشيخ عبد الرحمٰن السديس في مسجد آل ثاني بمكة المكرمة وذلك في يوم الخميس ١٤١٨/١١/٢٣هـ شريط رقم (٢٥٣).

بها نبيَّه محمدًا ـ عليه الصلاة والسلام ـ وبعث بها الرسل قبله؛ من أوَّلهم إلىٰ آخرهم، وهي عقيدة التوحيد، وهي: الإيمان بأن الله ـ سبحانه ـ هو المستحق للعبادة، فلا يُدعىٰ إلا الله، ولا يُستغاث إلا به، ولا يُتوَكَّل إلا عليه، وهذه العقيدة هي التي جاءت بها الرسل جميعًا: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وهي معنىٰ لا إلٰه إلا الله؛ فإن معناها: لا معبود حقٌّ إلا الله.

فالواجب علىٰ جميع المكلَّفين الأخذُ بهذه العقيدة، والتمسك بها، وإخلاص العبادة لله وحده، والحذر من جميع أنواع الشرك به ﷻ، والله خلق العباد ليعبدوه، وأرسل الرسل بذلك: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وعلىٰ أهل الإسلام أن يحقِّقوا هذه العقيدة، وأن يُعْنَوْا بها، وأن يشرحوها للناس، وأن يفسِّروا ما قد يخفىٰ عليهم من ذلك، حتىٰ يرجع من حاد عنها إلىٰ الطريق السوي، ومع وضوحها وظهورها وظهور أدلَّتها قد وقع الأكثرون في خلافها، فتجد كثيرًا من الناس يتعلَّق علىٰ أصحاب القبور، فيدعوهم من دون الله، يقول: يا سيدي فلان، أنا في حاجة إليك، أنا في جوارك، أنا مضطر إليك، اشف مريضي، انصرني، أغن فقري، إلىٰ غير هذا مما قد يقع من كثير من الناس عند قبر البدوي وعند الحسين، عند فلان وفلان، بل وعند قبر الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ كثير من الناس من الحجاج وغيرهم، ليس عندهم بصيرة في هذا الباب، فيجي صاحبَ القبر، ويقول: يا رسول الله انصرني، اشف مريضي، أغثني، ألا ترىٰ ما نحن فيه، انصرنا علىٰ أعدائنا.

هذا بيد الرسول! هذا بيد الله ﷻ، ليس بيد الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ يوم أُحد؛ الرسول في الناس ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومعه أفضل الخلق بعد الأنبياء، جرىٰ عليهم ما جرىٰ يوم أُحد؛

من الهزيمة والقتل لجماعة من الصحابة، والجرح لجماعة من الصحابة، لم يدفعوا عن أنفسهم، بيَّن الله ذلك ليعلم الناس أنَّ النصر بيد الله، وأنه مصرِّف الأمور، وأنه هو الذي بيده الضُّرُّ والنفع، والعطاء والمنع.

وهكذا ما يُفعل عند كثير من القبور في: مصر، والشام، والعراق واليمن، وغير ذلك، الواجب علىٰ أهل الإيمان وأهل الإسلام أينما كانوا أن يعرفوا هذه العقيدة، وأن يحقِّقوها، ويعرفوا معنىٰ لا إله إلا الله، ويحققوا ذلك بإخلاص العبادة لله وحده، دون كلِّ ما سواه، هو الذي يُدعىٰ، هو الذي يُرجىٰ، هو الذي يُستغاث به، وهو الذي يُتقرَّب إليه بالنذور والذبائح إلىٰ غير ذلك، المخلوق الحي القادر لا بأس أن تستعين به في حاجتك؛ تقول: يا أخي أعنِّي علىٰ بناء بيتي، أعنِّي علىٰ إصلاح سيارتي، حاضر؛ يسمع كلامك، تطلب الشيء الذي يقدر عليه، أما دعاء الأموات، والاستغاثة بالأموات، أو بالأشجار، أو بالأحجار، أو بالأصنام، أو بالجن، أو بالملائكة، هؤلاء لا يُدْعَوْن مع الله، ما بين جماد وبين غائب وبين ميت، فدعاؤهم والاستغاثة بهم شرك بالله ﷻ.

ونبَّه أيضًا علىٰ توحيد الربوبية والإيمان بأفعال الربِّ ـ جلَّ وعلا ـ وأنه الخلَّاق الرزَّاق، المحيي المميت، هذا أمر معروف، قد أقرَّ به المشركون؛ **يعني**: هو أن الله خالقهم ورازقهم، ومدبِّر أمورهم، لكنهم مع ذلك يعبدون غيره، يعبدون الأصنام والأشجار والأحجار والأنبياء والأولياء، كما فعل من بعدَهم، وكما فعل من قبلهم من اليهود والنصارىٰ وغيرهم.

وهكذا نبَّه ـ وفقه الله ـ علىٰ ما يتعلَّق بتوحيد الأسماء والصفات، وهذا أمر أيضًا بيَّنه أهل السُّنة والجماعة، وهو أن الواجب إثبات جميع ما جاء في الكتاب والسُّنة في أسماء الله وصفاته، وإمرارها كما جاءت، والإيمان بأنه ـ سبحانه ـ ليس كمثله شيء، كلُّ ما جاء في القرآن العظيم والسُّنة الصحيحة من أسماء الله وصفاته، هذا طريق يجب إثباته لله

والإيمان به، وأنه حقٌّ، وإمراره كما جاء، وعن إيمان بأنه ـ سبحانه ـ لا مثيلَ له، ولا شبيهَ له، ولا كُفء له، فأهل السُّنة والجماعة يُمِرُّون آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، بل يؤمنون بأنه ـ سبحانه ـ ليس كمثله شيء، وليس له سَمِيٌّ ـ جلَّ وعلا ـ وأن صفاتِه وأسماءه حق، له معناها، وهو العليم، وله العلم العظيم، وهو الحكيم، وله الحكمة، وهو الرحمٰن، وله الرحمة، وهو السميع، وله السمع، إلىٰ غير ذلك، فهي صفات عظيمة، وأسماء عظيمة حُسنىٰ، يجب إثبات معانيها لله وحده، علىٰ الوجه اللائق به ﷻ، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

وهكذا الإيمان باليوم الآخر، والإعداد له، يوم عظيم، لا بد منه، قد هلك الأكثرون بسبب عدم إيمانهم باليوم الآخر، فصاروا يظلمون، ويفعلون ما يشاؤون؛ لعدم إيمانهم باليوم الآخر، لعدم إيمانهم بأنهم مجازَون علىٰ خير أعمالهم وشرِّها.

واليوم الآخر له شأن عظيم، وهو أحد أصول الإيمان التي بيَّنها الرسول ﷺ في حديث جبرائيل، الإيمان باليوم الآخر، وهو يوم القيامة، يوم الحساب والجزاء، وأن الله يجازي الناس علىٰ أعمالهم خيرِها وشرِّها، هذا شأنه عظيم.

وهكذا الإيمان بالقدر ومراتبه الأربع، ومن أصول الإيمان الستة التي بيَّنها الرسول ﷺ، ولا يتم الإيمان به إلا لمن حقَّق هذه الأربع: الإيمان بعلم الله بالأشياء قبل وجودها، وكتابته إياها، وأنه ـ سبحانه ـ ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه الخلَّاق، وأن جميع الأشياء الموجودة هو الله الذي خلقها، الله خالقُها ومُوجِدُها ﷻ، لا خالقَ غير الله، ولا رب سواه.

وهكذا ما يتعلق بالتوسُّل، **وأنه مشروع وممنوع؛ قسمان:**

قسم مشروع: وهو التوسُّل بتوحيد الله، والأعمال الصالحة، والإيمان بالله ﷻ، هذه هي الوسيلة العُظمىٰ للجنَّة، توحيد الله، والإيمان به، والإخلاص له، وأداء ما أوجب، وترك ما حرَّم، هذه الوسيلة العظمىٰ.

وممنوع: وهو الشرك بالله ﷻ، والاستغاثة بالأنبياء، ويزعمُون أنه توسُّل، فيستغيث بهم، وينذرون لهم، ويذبحون للجن وللموتىٰ وللأشجار والأحجار، ويزعمون أن هذا وسيلة، نعم، وسيلة للنّار، وسيلة لغضب الله وعقابه؛ هذا الشرك الأكبر؛ دعاء الأموات، والاستغاثة بالأموات، والنذر لهم، والذبح لهم، وهكذا للجن، وللغائبين، والأصنام والأحجار، والنجوم، كل هذا شرك أكبر.

ومن التوسُّل الممنوع البِدْعي: توسُّلٌ بِدْعِي كالتوسُّل بجاه فلان، وحقِّ فلان، وذات فلان هذا، توسُّل بِدْعي، ووسيلة إلىٰ الشرك، وإنما التوسُّل الشرعي: توسُّل بتوحيد الله، والتوسُّل بالإيمان به، وأسمائه وصفاته، والتوسُّل بالأعمال الصالحة؛ كتوسُّل أهل الغار لَمَّا توسَّلوا بأعمالهم الطيبة؛ ببرِّ الوالدين والعِفّة عن الزنىٰ، وأداء الأمانة، وحقِّ الأُجراء، هذا توسُّل بالأعمال الصالحة، كما تصلي ترجو ثواب ربك، وتصوم ترجو ثواب ربك، وتحجُّ وهكذا... كل هذه وسائل شرعها الله لعباده، ودعاهم إليها - جلَّ وعلا - فينبغي للمؤمن أن ينتبه لهذه الأمور العظيمة.

وهكذا الحذر من إتيان الكُهَّان والمنجِّمين والمشعوذين والسَّحَرة، لا يجوز سؤالُهم، ولا تصديقهم، ويلاحظ أن سؤالهم منكَر عظيم، ووسيلة إلىٰ تصديقهم، وقد جاء فيه الوعيد بأنَّ من سألهم لم تُقبل له صلاة أربعين يومًا، فإنْ صدَّقهم، فقد كفر بما أُنزل علىٰ محمد - عليه الصلاة والسلام - هذا خطر عظيم، ثبت في «صحيح مسلم» عن بعض أزواج النبي ﷺ: «**مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ**

أَرْبَعِينَ يَوْمًا»، في لفظ: «**مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**»[١].

جاء في بعض النسخ من كتاب «التوحيد»: «فَصَدَّقَهُ»، والمحفوظ: ليس في الحديث كما في «صحيح مسلم»؛ إنما هو مجرد السؤال: «**مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**» أما إذا صدَّق، فالأمر أعظمُ، مَنْ صدَّق من يدَّعي علم الغيب كفر، نسأله الله العافية. لكنَّ مجرد السؤال، ومجرد الإتيان إليه منكر، وسؤالهم منكر، وفيه الوعيد الشديد؛ بأنَّ مَنْ سألهم لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة، لكن إذا صدَّق من تكهَّن ـ صدقه بدعوىٰ علم الغيب ـ كفر، نعوذ بالله، كما في اللفظ الآخر: «**مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ**»[٢].

فالواجب عدم إتيانهم، وعدم سؤالهم، كل من يدَّعي علم الغيب، أو يتعاطىٰ أشياء تدل علىٰ ذلك، فالواجب عدمُ إتيانه، وعدم سؤاله، وعدم تصديقه، كما حذَّر النبي من ذلك ـ عليه الصلاة والسلام ـ فلا يُسأَلُ السحرة، ولا الكَهَنة، ولا المنجِّمون، ولا العرَّافون، ولا المشعوذون، الذين يتظاهرون بأنهم يتعاطوْن بعض علم الغيب، بل يجب مطاردتهم والقضاء عليهم، بمنعهم من هذه الأعمال، ولو بالقتل إذا أصرُّوا، ولم يتوبوا، وجب علىٰ ولي الأمر ولو بقتلهم ما داموا علىٰ هذه الحالة، وقد كتب عمر رضي الله عنه إلىٰ أمراء الأجناد في الشام أن يقتلوا كلَّ ساحر وساحرة، قد ثبت عن حفصة رضي الله عنها أنها قتلت جاريةً لها سحرتْها، فالسَّحَرَة والكُهَّان والمنجِّمُون شرُّهم عظيم، وفسادهم كبير، يجب مطاردتهم والقضاء عليهم من ولاة الأمور حتىٰ لا يُضِلُّوا الناس،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٨٠٣).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب تحريمِ الكهانةِ وإتيانِ الكهّانِ، برقم (٢٢٣٠).

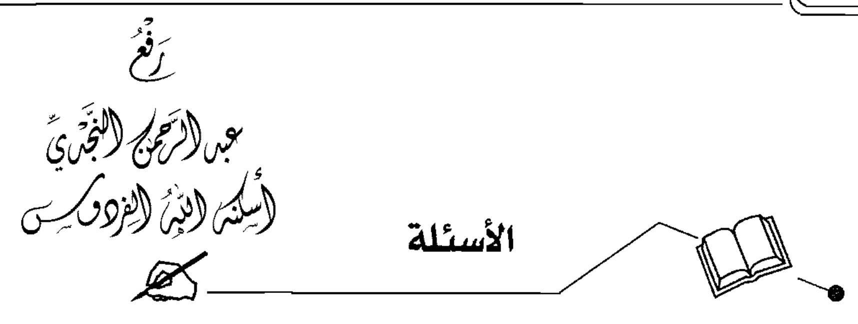
وحتىٰ لا يُفسدوا علىٰ الناس عقائدهم، وهذه أشياء مختصرة وموجزة.

وفيما ذكره فضيلة الشيخ عبد الرحمٰن الكفاية، والحمد لله، وجزاه الله خيرًا، وضاعف مثوبته، وجعلنا وإياكم ممن يستمع القول فيتَّبع أحسنه، إنه سميع قريب، وصلَّىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

سبق الكلام فيما يتعلَّق بالسحرة والكهنة ونحوهم، وأحبُّ أُكمل في هذا بعض البحث؛ لأنَّ بينهم فرقًا؛ فالسحرة ـ مثلما تقدم سابقًا ـ أنَّ أمير المؤمنين رضي الله عنه أمر بقتل السحرة، هكذا بنتُه حفصة رضي الله عنها، فالسحرة لهم شأن آخر، الصواب فيهم أن متىٰ ثبت أن فلان ساحر، أو فلانة وجب قتلهم من دون استتابة؛ لأنهم ـ في الغالب ـ لا يتوبون؛ لأن شرَّهم عظيم، أما الكَهَنة والمشعوذون وأصحاب النجوم ونحوهم، فهؤلاء فيهم التفصيل، وليُّ الأمر إذا ثبت عنده أمرهم عزَّرهم وتوعدهم وتهددهم، وفعل ما ينبغي من التعزير والتأديب؛ فإن تابوا، فالحمد لله، وإن لم يتوبوا، هذا محلُّ النظر في قتلهم أو عدم قتلهم، وتعزيرهم تعزيرًا آخر، والقاعدة أنَّ من تكرر رِدَّتُه لا تقبل توبته بعد ذلك؛ لأن الغالب أنه مُفسد، فيستمر في فساده وشره.

الحاصل: أن هؤلاء الخبثاء من المنجِّمين والكاهنين ونحو ذلك شرُّهم علىٰ الأمة كثير؛ فلهذا يجب علىٰ ولاة الأمور أن يُعْنَوا بتتبعهم ومطاردتهم وتعزيرهم وتأديبهم، حتىٰ يندفع شرُّهم، ولو أفضىٰ ذلك إلىٰ قتلهم إذا لم يتوبوا، ولم يكفُّوا شرهم، أما السحرة، فشأنهم أكبر؛ لأنهم لا يتوسلون لسحرهم، إلا بعبادة الجن، ودعاء غير الله، ولأن السحرة يضرُّون الناس ضررًا عظيمًا وخفيًّا، ولهذا وجب قتلهم من دون استتابة، نسأل الله العافية..

* * *



س١: سماحة الشيخ: الإيمان والتوحيد والعقيدة أسماء لمسمَّيات؛ هل تختلف في مدلولاتها؟

ج: نعم، تختلف بعض الاختلاف، ولكنها ترجع إلىٰ شيء واحد؛ فالتوحيد هو إفراد الله بالعبادة، وتخصيصه بالعبادة، والإيمان: هو الإيمان بأنه مستحق للعبادة، والإيمان بكل ما أخبر به ـ سبحانه ـ فهو أشمل، والتوحيد: مِنْ وحَّد يوحِّد؛ **يعني**: أفرد الله بالعبادة، خصَّه بالعبادة بإيمانه، بأنه المستحقُّ لها؛ لأنه الخلَّاق، ولأنه الرزَّاق، ولأنَّه الكامل في أسمائه وصفاته وأفعاله، ولأنه مدبِّر الأمور، والمصرِّف فيها، فهو يستحقُّ العبادة.

فالتوحيد هو إفراده بالعبادة، وتخصيصه بها دون كل ما سواه، والإيمان أوسع من ذلك، يدخل فيه توحيدُه والإخلاص له، ويدخل فيه التصديق بكل ما أخبر به ورسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ والعقيدة تشمل الأمرين؛ العقيدة تشمل التوحيد، تشمل الإيمان بالله، وبما أخبر به ـ سبحانه ـ، والإيمان بأسمائه وصفاته، فالعقيدة ما يعتقده الإنسان بقلبه، ويراه عقيدةً يدين اللهَ بها، ويتعبَّد بها، فيدخل فيها كل ما يعتقده من توحيد الله والإيمان بأنه الخلاق الرزاق، وبأنه ذو الأسماء الحسنىٰ والصفات، والإيمان بألا يصلح العبادة لسواه، والإيمان بأنه حرَّم كذا، وأوجب كذا، وشرع كذا، ونهىٰ عن كذا، فهي أشمل.

س٢: ما حكم استعمال لفظ العقيدة، وهو لفظ لم يرد في القرآن، ولا في السُّنة، لا سيما وقد نص علماؤنا علىٰ كراهية إطلاق ألفاظ لم يستعملها الشارع، خاصة في موضوع الإيمان؟

ج: هذا اللفظ ـ فيما أعلم ـ أجمع المسلمون علىٰ إطلاقه، وهو من العقد؛ عَقَد كذا؛ **يعني**: أجمع قلبَه علىٰ كذا، منه العقود المعروفة، سُمِّيت العقيدة؛ لأن القلب يعتقدها، ويجمع عليها ما فيه؛ **يعني**: يجمع ذهنه، وما لديه من تصديق، ومن إنكار، إلىٰ غير ذلك، يجمعه في قلبه؛ لأنه عَقَدَ عليه، وثبَّته فيه.

فلا أعلم في لفظ العقيدة شيء، ولا أعلم أنه شيء مستنكر، ولا أعلم أن أحدًا من أهل العلم أنكر لفظ العقيدة فيما بلغني طيلة عمري هذا، وما تعاطيته في هذا الباب من مطالعة، ومن كتابة، لا أعلم أحدًا أنكر لفظ العقيدة؛ لأن لفظ العقيدة فيما يعقد عليه القلب، ويؤمن به القلب، ويصرُّ عليه، ويعتقده مباحًا، ومحرَّمًا، أو واجبًا، أو غير ذلك، ومن تدبَّر النصوص سوف يجد فيها ما يدل علىٰ المعنىٰ.

س٣: نفس الموضوع فيما يتعلق بتقسيم التوحيد إلىٰ ثلاثة أقسام، وهل هناك دليل؟

ج: هذا مأخوذ من الاستقراء؛ لأن العلماء لما استقروا ما جاءت به النصوص من كتاب الله وسُنّة رسوله، ظهر لهم هذا، وزاد بعضهم نوعًا رابعًا وهو: توحيد المتابعة، وهذا كله بالاستقراء؛ لأنك إذا تدبرت القرآن الكريم، وجدتَ في آيات: تأمر بالإخلاص العبادة لله وحده، وجدت في آيات تبين أنه الخلَّاق، وأنه الرزاق، وأنه مدبِّر الأمور، ثم تجد فيه آيات تدل علىٰ أن له الأسماء الحسنىٰ، والصفات العُلىٰ، ووجدت الآيات بأنه لا بد من اتِّباع الرسول ﷺ، ولا بد من رفض ما خالف شرعه؛ وهذا توحيد المتابعة، فهو معلوم بالاستقراء، والتقسيم والتفريع يُعرف بالاستقراء وتتبُّع لكلام الرب ﷻ، وهكذا كلام الناس، تقسيم كلامهم، وتقسيم ما لديهم، كلُّه يخضع للتثبت والسبر والنظر والعناية، فيستنتج المتدبِّر أقسامًا يعرفها مما تدبره، من كلام الله أو كلام غيره.

س٤: نسمع بالطريقة الظاهرية؛ لما تدعو؟ وهل هي مخالفة للسُّنة؟

ج: الطريقة الظاهرية معروفة، وهي التي يعتقدها داود بن علي الظاهري، وأبو محمد بن حزم، ومن يقول بقولهما؛ معناه: الأخذ بظاهر النصوص، وعدم النظر للتعليل والمعنىٰ بالعناية التامة، فلا قياس عندهم، ولا تعليل عندهم، بل يقولون بظاهر الأوامر والنواهي، ولا ينظرون للعلل والمعاني، فسُمُّوا ظاهريين لهذا؛ لأنهم أخذوا بالظاهر، ولم ينظروا في العلل والحكم، ولا الأقيسة الشرعية التي راعاها الشارع، وقولهم في الجملة أحسن من قول أهل الرأي المجرَّد، الذين يُحَكِّمون آراءهم، لكنهم عليهم نقص، وعليهم مؤاخذات في جمودهم علىٰ الظاهر، وعدم عنايتهم بالعلل والحِكَم والأسرار.

س٥: عقيدة أصحابهم سماحة الشيخ؟

ج: **فيهم تفصيل**: أبو محمد له أشياء أُتخذت عليه في العقيدة، ومال إلىٰ عقيدة منحرفة، عقيدة المعتزلة، وله أغلاط في الأحكام ظاهرة كثيرة، أما داود؛ فليس عندي مزيد علم بحاله، خلافًا لأبي محمد، وهو معروف قد ذكر عقيدته في كتاب «الملل والنحل»، وفي «المحلىٰ» وغير ذلك، ومعروف ما عندهم من الجمود والأغلاط في الصفات وفي العقيدة عند العموم، وفي الأحكام أيضًا، ومن قرأ كتابه عرف ذلك، ومن قرأ كتبه اتضح له ذلك، أما داود فلا أعلم له كتابًا، ولا أعلم له مؤلفًا، إنما تُنقل عنه أقوال ظاهرية، ومع ذلك فأنا لم أتتبع أقواله، ولم يتيسر لي مراجعة ترجمته في الكتب الأخرىٰ؛ لأنِّي مشغول بغيره، ولم يرد إليَّ سؤال عنه، ولهذا لم أتتبعه، ولم أعرف عنه كثيرًا من أحواله، إلا ما تنقُله الكتب؛ قال داود كذا، ولا أعلم أنه ورد إليَّ طيلة عمري عن داود هذا، وعن عقيدته إلا هذا السؤال.

س٦: ذكر المحاضر الحثَّ علىٰ اقتناء كتاب فتاوىٰ الشيخ عبد العزيز؛ من أين نجدها؟

ج: توزع من دار الإفتاء، وقد نفد المجلد الأول الآن، وهو يطبع الآن طبعة جديدة، يوزع إن شاء الله، يوزع علىٰ أهل العلم، وعلىٰ الإخوان الذين يريدون، ويباع أيضًا من طريق جماعة تحفيظ القرآن في شقراء؛ طلبوا منا، وسمحنا لهم في طبعه وبيعه.

س٧: ما رأي الشيخ لو أن يكون هناك رصد لقضايا المخالفات في العقيدة، ويكون هناك رد موجز لها يصل ليد كل مسلم ينشُد الحق؟

ج: لا أعتقد أن علماء المسلمين تركوا هذا؛ لأن العلماء ما تركوا شيئًا ـ رحمة الله عليهم ـ في الغالب ما تركوا شاردة ولا واردة إلا تكلموا فيها؛ فلو تتبعت كتب الردود والمكتبات، لربما موجود فيها من عُني بجميع الشواذِّ في العقيدة والانحرافات، وهنا كتب كثيرة مؤلَّفة في الرد علىٰ الزائغين، لو جمع منها بعض الكتب وجد فيها هذا الشيء، ولا مانع أن يقوم بعض علماء العصر بأن يتتبع هذه الأشياء من الردود، ويجمعها بطريقة مختصرة للتنبيه عليه، هذا ممكن لمن وفَّقه الله، من عنده سَعة في الوقت يجمع ذلك من الكتب.

س٨: ما أحوج المسلمين إلىٰ أن يكون لدىٰ كل مسلم زبدة فيما يحتاجه في العقيدة تصل ليد كل حاج؟

ج: أعظم كتاب في الحقيقة، وأحسن كتاب، وأشرف كتاب، وأصدق كتاب في العقيدة وغيرها: كتابُ الله، القرآن العظيم، لمن رزقه الله فيه الفهم والعناية، ومراجعة كتب التفسير المعروفة لأهل العلم والإيمان والعقيدة الصالحة، فمن عضَّ علىٰ كتاب الله بالنواجذ، وعُنِيَ به أفلح ونجح، إذا وفقه الله لأستاذ صالح، لمعلِّم صالح يعينه علىٰ الفهم والمعنىٰ.

فأنا أوصي جميع إخواني بالعناية بكتاب الله، والإقبال علىٰ كتابه بصدق، ودراسته، وتدبُّر معانيه، ومراجعة ما أشكل من ذلك مع الزملاء، ومع المدرسين الصالحين، المعروفين بحسن العقيدة.

وهذا هو أحسن علاج مما قد يقع فيه الناس من أخطاء في العقيدة وغيرها؛ فأوصي الجميع بكتاب الله ﷻ.

ولا مانع من الاستعانة بكتب أهل العلم المعروفين بالعقيدة الطيبة، والاستفادة من كتبهم؛ فهذا أمر معروف، وهذا حق، لكن قبل كلِّ شيء: العناية بالقرآن، أنا أوصي إخواني جميعًا بالعناية بالقرآن الكريم، تدبُّرًا وتعقُّلًا، وإكثارًا من تلاوته، ومراجعة لكتب التفسير المعروفة؛ كابن جرير، وابن كثير، والبغوي، وغيرهم، فيما قد يُشكل، ومراجعة العلماء المعروفين بالخير، وحسن العقيدة فيما أشكل أيضًا، والمذاكرة مع الزملاء الطيبين، هذه طريقة تحصيل العلم.

س٩: مذهب أهل السُّنة في صفة التعجُّب لله ﷻ؟

ج: حقٌّ، ربنا ﷻ يُوصف بالعَجَب، **«عَجِب ربُّنا من قنُوطِ عِبَادِه»**[(١)] ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات: ١٢]؛ فهو ـ سبحانه ـ يعجب، قد ثبت في الأحاديث أنه يعجب، كما أنه يسخر ويستهزئ، لكنْ استهزاءه حق، وعجبه حق، وسخريته حق، ومكره حق، يمكر بالماكرين، ويسخر بالساخرين، ويستهزئ بالمستهزئين، ويكيد للكايدين، ويعجب من إعراض عباده عن طاعته، وعن توحيده، وعن شكر نِعَمه، وهو المنعم الحقيقي، وهو المحسن إليهم ﷻ، ويعجب من قنوطهم ويأسهم؛ فهو القريب المجيب ـ جلَّ وعلا ـ فهو حق، لكنه عَجَبٌ يليق بالله، مثل بقية الصفات، عَجَبٌ يليق بالله، لا يشابه عجب المخلوقين، كما أن رحمته وغضبه وضحكه ورضاه وسائر صفاته، كلها تليق به، لا تشابه صفات المخلوقين، ـ سبحانه ـ وتعالىٰ.

س١٠: ما مذهب أهل السُّنة في رؤية الرسول ﷺ ربَّه ليلة الإسراء؟ وهل ثبت ذلك؟

---

(١) أخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية برقم (١٨١) بلفظ **«ضَحِكَ رَبُّنَا من قُنوطِ عِبَادِهِ وقُرْبِ غَيرِه»** وأحمد في المسند (٤/ ١١ و١٢).

ج: جمهور أهل السُّنة علىٰ أنه لم يَرَ ربَّه، هذا الذي عليه جمهور أهل السُّنة، عملًا بالحديث الصحيح، حديث أبي ذر، قال: سألت الرسول: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ أَبُو ذَرٍّ: قَدْ سَأَلْتُ؟ فَقَالَ: «**رَأَيْتُ نُورًا**»[1]، وفي لفظ آخر: «**نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ**»[2]، رواهما مسلم في «الصحيح»، وما ثبت عن عائشة ﵂ لما سئلت عن ذلك، قالت: لَقَدْ قَفَّ شَعَرِي مِمَّا قُلْتَ[3]، ثم تلت قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿**لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ**﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وعملًا بما في «صحيح مسلم» عن النبي ﷺ أنه قال: «**تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَىٰ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ ﷿ حَتَّىٰ يَمُوتَ**»[4]، فهو واحد من الأُمَّة ـ عليه الصلاة والسلام ـ فالصحيح الذي عليه جمهور أهل العلم، جمهور أهل السُّنة والجماعة: أنه لم ير ربَّه بعينيه.

روي عن ابن عباس أنه رأىٰ ربَّه بالإطلاق، ورُوِيَ أنه رأىٰ بفؤاده؛ يعني: بقلبه لا بعينيه.

س١١: حكم السواك والإمام يخطب يوم الجمعة؟

ج: السواك غير مشروع، بل يُنصت وتسكُن حركاته وقت الخُطبة، لا يستاك، ولا يعبث، هذا هو السُّنة.

س١٢: هناك كتب تقع في أيدي طلبة العلم، وهي كثيرة موجودة في الأسواق، وهي علىٰ خلاف منهج أهل السُّنة، لا سيما في صفات الله ﷻ؟

ج: وهذا كثير، وليس في الإمكان منعُها، يمنع بعض الأشياء

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي ذر ﵁ في كتاب الإيمان، باب في قوله عليه الصلاة والسلام: «**نورٌ أنّىٰ أراه**»، وفي قوله: «**رأيت نورًا**»، برقم (١٧٨).

(٢) أخرجه مسلم في الكتاب والباب السابقين.

(٣) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب برقم (٤٨٥٥)، ومسلم في كتاب الإيمان باب معنىٰ قول الله ﷿ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣] ورأىٰ النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء، برقم (١٧٧).

(٤) أخرجه مسلم من حديث ابن عمر ﵄ في كتاب الفتن، باب ذكر ابن صياد أورده بعد رقم (٢٩٣١).

إذا عَظُم الخطر، ولكن قلَّ كتاب اليوم إلا وفيه بعض الأخطاء؛ كالبغوي والخازن، وفلان وفلان وفلان، لا تخلوا كتبٌ من بعض الأخطاء، وهكذا ما ينقله ابن كثير عن بعض الناس، لكن إن كان فيه أخطاء ينبِّهها المفسر، أو قليلة تُحتمل؛ لأن أهل العلم يعرفونها وينتقدونها عند قراءة التفسير، وهكذا الكتب الأخرىٰ التي يوجد فيها بعض الأخطاء، قد لا يتيسر منعُها لعِظَم الفائدة منه، أو لأن بعض الناس يدخلها بطرق غير رسمية، وتوجد بين الناس وقد حرصنا أن توجد لجنة عن قريب ـ إن شاء الله ـ تتبع المكتبات التجارية، حتىٰ يُنزع منها كلُّ كتاب ممنوع، وقد نرجو أن يقع قريبًا ـ إن شاء الله ـ حتىٰ يستريح المؤمنون من بعض الكتب التي سرَّبها بعض الناس من غير طرق رسمية.

س١٣: هناك جماعات تدعو إلىٰ الله، لا تعتني بالعقيدة؛ ما موقفنا منها؟

ج: كل من دعا الله وعنده نقص يبصَّر، ويوجه إلىٰ الخير؛ فلو أن إنسانًا قام ينصح الناس عن الصلاة: يا عباد الله صلُّوا، حافظوا علىٰ صلاة الجماعة، ولا يعرف للعقيدة، نقول: مخطئ، أو قام يدعوهم إلىٰ الزكاة، أو يدعوهم إلىٰ الصيام، أو يدعوهم إلىٰ مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، لكن إذا عُرف عنده نقص في العقيدة، نوجِّهه، أو يعرف عنده نقص في الصلاة أو غيره، نوجِّه، ولا نمنع عنه الخير الذي عنده، ولكن نوجِّهه إلىٰ الخير، وننصح له، ونفهمه ما يجب عليه، هكذا أهل العلم.

س١٤: يوجد كثير من المسلمين ينشؤون في بيئات تقدِّس القبور، فهل هؤلاء يُعذرون بالجهل، لا سيما وجمهور علمائهم لم يقوموا بتوعيتهم؟

ج: هذه من المصائب العظيمة التي فشت في الناس، وهي وجود جم غفير ممن يتعلَّق بالقبور، ويقدس الأموات تقديسًا شركيًّا كفريًّا،

وهذا شر عظيم، والأصل في هذا أنه كفر أكبرُ، لا يُعذَر فيه صاحبه؛ لأن أدلته واضحة، وضرورية من الكتاب والسُّنة، من تعاطَىٰ سؤال الأموات، والاستعانة بالأموات، والذبح لهم، والنذر لهم، أو للجن، أو للكواكب، أو للأصنام؟ هذا كفره ظاهر، وليس بعذر أن يكون هناك من يشرك بالله، ويغتر بهم، لكن إذا كان في بلاد بعيدة عن الإسلام؛ كغابات في إفريقيا، أو في أمريكا لا تعرف الإسلام، وليس عندهم مسلمون؛ هذا حكمه حكمُ أهل الفترة أمره إلىٰ الله؛ في الدنيا؛ إذا مات لا يغسَّل، ولا يصلَّىٰ عليه، وفي الآخرة أمرُه إلىٰ الله، يُمتحن يوم القيامة؛ فإن أجاب إلىٰ الحق دخل الجنة، وإن عصىٰ دخل النار، ولكن من كان بين المسلمين هو غير معذور؛ الواجب أن يتعلَّم، وأن يسأل، الواجب علىٰ أهل العلم أن يعلِّموه، لكن إذا أُخذ لا يقتل حتىٰ يُستتاب.

فليس لولي الأمر إذا أخذه أن يقتله إلا بالاستتابة، يُستتاب حتىٰ يُعلَّم، فإذا عُلم وأصر قُتل بعد ذلك؛ لأنَّ الواجب البيان: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥]، ما قال حتىٰ يتبيَّن لهم، قال ﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم﴾. فإذا بُيِّن لهم، ووضح لهم الدليل بعد ذلك تزول حجته، وتزول شبهته.

س١٥: رجل أُبتُلي بالوسوسة والشكوك والهواجس، يطلب من الشيخ أولًا الدعاء بالشفاء، ثم بيان العلاج؟

ج: الوساوس اليوم كثيرة؛ الشباب وغير الشباب، نسأل الله أن يمنحهم الشفاء والعافية جميعًا، ذكورًا وإناثًا.

وأسبابها في حبِّ الدين، والحرص علىٰ الخير، فيأتيهم الشيطان من هذه الجهة؛ لما رأىٰ عندهم الميل إلىٰ الدين، جاءهم بالوساوس: أنت ما صليت، ما غسلت عضوك هذا، ما نويت عند الوضوء، ما نويت عند الصلاة، ما ركعت، ما سجدت، ما قرأت الفاتحة؛ هكذا عدو الله؛

لأنَّ عدو الله ما مِنْ عَمَلٍ إلا له فيه نزغتان، كما قال أهل العلم، وجاء في بعض الأخبار عن النبي ﷺ؛ إما إلىٰ غلو، وإما إلىٰ جفاء.

فإنْ رأىٰ في العبد خيرًا ورغبة في الخير، وميولًا إلىٰ الدين، جاءه من الغلو: أنت ينبغي أن تكون فوق الناس، وأن تفعل كذا، وتفعل كذا؛ حتىٰ يشجعه علىٰ الغلو والإفراط، والشكوك الكثيرة؛ ما صليت، ما توضَّأت، ما فعلت كذا.

ولو رأىٰ أنه جفاء جرَّه إلىٰ الجفاء، جره إلىٰ النقص والمعاصي والزنىٰ، والفساد في الأرض.

فالواجب من بُلي بالشكوك والأوهام أن يحذر هذا الشيطان، ويتعوَّذ بالله من شرِّه، ويصمم علىٰ طاعة الله ورسوله، فلا يعيد الوضوء، ولا يعيد الصلاة، ولا يلتفت إلىٰ هذه الأوهام. بل متىٰ كبَّر كبر، لا يكرر التكبير، ومتىٰ ركع ركع لا يعيد الركوع، لا.. هذه الشكوك يطويها، وهكذا إذا صلىٰ لا يعيد، يقول ما كملت، وهكذا الوضوء هو يشوف يديه إذا غسل يديه لا يعيد، غسل وجهه لا يعيد، وهكذا وهو ينظر له عينان، فلا ينبغي له أن يطاوع الشيطان، ويلين له، متىٰ لان له أخذه عدو الله، وطمع فيه؟ فالواجب الحذر، والتعوذ بالله من الشيطان، والتصميم علىٰ ما فعلت، وعدم العودة إلىٰ تكراره، حتىٰ ييأس منك، وحتىٰ يتركك عدو الله.

س١٦: إذا كان المسلم يفعل بعض الأمور الشركية؛ كالتوسل والحلف بغير الله، وكان جاهلًا، ولكنه كثير التكرار للدعاء: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَأَنَا أَعْلَمُهُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُهُ»[(١)]، هل يكفيه ذلك، ويبرؤه؟ أم ماذ؟

ج: يكفيه ذلك فيما جهل، وفيما خفِيَ عليه، وما يعلمه يتوب

(١) أخرجه أبو يعلىٰ الموصل في مسند أبي بكر ﷺ (١/ ٤٧).

إلىٰ الله منه، ما يعلمه أن وقع منه كذا، يتوب إلىٰ الله منه، وما لا يعلمه هذا يكفيه، لكن ما يعلمه يتوب إلىٰ الله منه توبةً صادقة من أنواع الشرك الخفي، أما الشرك الأكبر، فلا يكفيه في هذا الدعاء، لا بد يتوب إلىٰ الله منه، لا بد أن يُقلع منه، ويجتهد في ترك ذلك حتىٰ تكون التوبة صادقة، وحتىٰ تستقيم أعمالك، وحتىٰ يصحَّ إسلامه؛ فالشرك أكبر وأصغر؛ فالأكبر لا بد فيه من التوبة حتىٰ يستقيم الدين، وحتىٰ تصح الصلاة والعبادات، وأمَّا الأصغر فهو لا ينافي الإسلام، ولا يبطل الإسلام، ولكنه يبطل العمل الذي قارفه، يبطل العمل الذي قارفه؛ فالقراءة الذي معه رياء باطل، لا ثوابَ فيه، بل فيها إثم، والصلاة التي فيها رياء باطلة، لا ثوابَ بها، بل فيها إثم، وهكذا؛ **يعني**: الرياء يبطل العمل الذي قارفه كما في الحديث الصحيح، يقول الله ﷻ: «**أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ؛ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**» رواه مسلم في «الصحيح»[(١)].

فالمؤمن يحذر الشرك كله، دقيقه وجليله، ويتوب إلىٰ الله منه، ومع هذا يستمرُّ علىٰ الدعاء: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لا أَعْلَمُ»، يتعوَّذ بالله، ويستعين بالله، ولكنه لا يكفيه هذا؛ بل تجب عليه التوبة مما علم، وممَّا وقع منه، توبةً صادقة، وعليه التعلُّم والتبصر والتفقه حتىٰ يكون علىٰ بينة.

س١٧: هناك من إذا سُئل: أين الله؟ قال: في كل مكان؛ ما حكم الإسلام في ذلك؟

ج: الذي عليه أهل السُّنة والجماعة أن من قال هذا فهو كافر؛ لأنه مكذِّب لقول الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

---

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة ﷺ من كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، برقم (٢٩٨٥).

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]، وفي الحديث: أنه مستوٍ علىٰ عرشه، وهو مكذِّب لهذه الآيات، ومكذب للأحاديث الصحيحة، فهو كافر، نعوذ بالله، وهذا قول خطير، نعوذ بالله، فمن قال هذا، فقد ناقضَ الكتابَ والسُّنة، وخالف إجماع أهل السُّنة والجماعة؛ فالواجب استتابتُه، فإن تاب وإلا قُتل، يجب علىٰ ولاة الأمور إذا عرفوه أن يستتيبوه، فإن تاب وإلا قتل؛ لأن قوله هذا مناقض للكتاب والسُّنة، ومخالف لإجماع الأمة.

س١٨: سماحة الشيخ ما معنىٰ قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ [الحديد: ٤]؟

ج: معنىٰ المعيَّة، هذه معنىٰ العلم، ليس معناه أنه مختلط بالخلق بإجماع أهل السُّنة والجماعة، فهو معهم بعلمه لا بذاتِه، ذاتُه فوق العرش ﷻ، مثل ما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبة: ٤٠]، ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، فليس هو مع النبي في الغار، وليس مع موسىٰ وهارون وفرعون، لا.. معهم بكَلَاءته، ونصره وتأييده، وهو فوق العرش ﷻ، وهكذا قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ [الحديد: ٤]؛ **يعني**: بعلمه وتأييده واطِّلاعه ورؤيته للعباد.

التأويل في الآية سماحة الشيخ:

ج: ليس تأويل، هذا قول أهل السُّنة والجماعة، بل هذا معنىٰ الآية: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]؛ أوَّلها العلم، وآخرها العلم، فهو علَّمنا ـ سبحانه ـ أنه فوق العرش، ما قال: إني معكم في الأرض، علَّمنا أنه فوق العرش ﷻ، فوق جميع الخلق، والنصوص يجب ضمُّها بعضها إلىٰ بعض، وتفسير بعضها ببعض.

س١٩ : ما موقف المسلم من علماء فحول ودعاة جهابذة لهم جهد في الإسلام، لكنهم أشاعرة؟

ج: يدعو لهم، يترحَّم عليهم؛ لأن ما وقع من بعض التأويل لا يخرجونهم عن الإسلام؛ كالنووي والمازَرِي، وجماعة معروفين، لا يخرجهم عن الإسلام، لكنهم أخطؤوا فيها، فنسأل الله أن يغفر لهم أجر الاجتهاد، وإن فاتهم الصواب، ولا يُكفَّرون بذلك عند أهل السُّنة والجماعة؛ لأنهم تأولوا تأويلًا محتملًا عندهم، لم يتعمَّدوا قصد مخالفة الشرع، وإنما قصدوا تعظيم الشرع، فأخطؤوا.

س٢٠ : هل يضاف الشر إلىٰ الله، سبحانه؟

ج: لا يُضاف إليه الشرّ، ليس إليه، لا يتقرب إليه، ولا يقال: خالق الشر علىٰ سبيل التعبد، بل علىٰ سبيل الخبر، فهو خلق الشر والخير، ولكن يقال في أنه ﷻ ليس الشرُّ إليه؛ لأنه خلق الشر لحكمة، وخلق الشرك من العباد والمعصية من العباد لحكمة بالغة، لِيعلَم أنه المتصرف في الكون، وأنه علىٰ كل شيء قدير، وأنه لا أحد يتحجر عليه ﷻ، وله الحكمة البالغة فيما يَقدر ويُقدِّر ـ جلَّ وعلا ـ فهو بالنسبة إليه ليس شرًّا، ولكن شرٌّ بالنسبة إلىٰ العبد، ومن العبد له، أمَّا كونه قدَّره وقضاه وخلقه، هذا له الحكمة فيه البالغة ﷻ.

س٢١ : أيضًا الضار؟

ج: مع النافع لا يوصف بأنه ضارٌّ، بل: ضار نافع، هو النافع الضار، هذه أسماء مُزدوجة: النافع الضار، هذا من أوصافه ﷻ، فيقال: النافع الضار، ولا يقال: نافع فقط، ضار فقط، فهو النافع الضار، يضر من شاء، وينفع من شاء لحِكمة بالغة ﷻ.

س٢٢ : رجل اعتمر في رمضان من مصر، وأحرم من جدة، وخالف الميقاتَ، ثم ذهب إلىٰ المدينة، واعتمر، وجاء في أشهر الحج ثانية أيام العيد؛ فهل علىٰ هذا الرجل دم لتجاوزه الميقات؟

ج: نعم، عليه دم عن عمرته الأولىٰ؛ لكونه الأول جاء من مصر ولم يُحرم إلا من جدة، عليه دم؛ لأن ميقاته الجُحفة (رابغ)، فقد جاوز الميقات، وترك واجبًا، فعليه دم عند الجمهور جمهور أهل العلم.

س٢٣: أنا عليَّ دَين، وأريد التسديد إن شاء الله، ولكني أخاف أن أموت وأنا عليَّ هذا الدَّين، وأريد أن أسدِّد، ولكن بعد زمن طويل، فهل أعذَّب علىٰ ذلك؟

ج: عليك أن تتقي الله في قضاء الدَّين وأبشِرْ بالخير؛ يقول النبي ﷺ: «**مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا، أَدَّىٰ اللهُ عَنْهُ، ومَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللهُ**» رواه البخاري في «الصحيح»[1]، فإذا كان نيتك الوفاء وأنت حريص علىٰ الوفاء، فلا خطر عليك إذا عجَزت، وأبشِر بالخير، وسوف يوفِّي الله عنك إذا اجتهدت وصدقت في العمل، فإن متَّ وعليك شيء لا يضرُّك - إن شاء الله - مع النية الصادقة، ومع الاجتهاد الصادق ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

س٢٤: نسمع كثيرًا في هذه الآونة الأخيرة عما يسمَّىٰ بالحداثة؛ أرجو أن تثبتوا حكمها الشرعي؟

ج: الحداثة أدب جديد، أدب خبيث جديد، وكتابات جديدة خبيثة، فيها قصد التعمية، وعدم الإيضاح، أو يُكتب بأساليب غير واضحة، وأشعار غير واضحة، وترتيبات غير واضحة، ويُقصد من وراءها محاربة القديم، محاربة الشرع، محاربة ما عليه الأمة من توحيد وصلاة وصيام وحج وغير ذلك.

فخلاصة ما يدعون إليه: أنهم يحاربون كل قديم، ويحبذون كل جديد يناسب أهواءهم، وقد تتبعنا ذلك في أشياء، عُرض عليَّ من أقوالهم،

---

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب الاستقراض، باب منْ أخذَ أموالَ النّاسِ يريدُ أداءهَا أو إتلافها، برقم (٢٣٨٧).

فألفيتها غريبة جدًّا، ولهم أساليبُ خبيثة تضر كثيرًا من الناس، قد قيض الله بعض إخواننا وصنف في ذلك مؤلَّفًا طبع ووزع ويباع الآن، وهو الشيخ: عوض بن محمد القرني، بيَّن خبثهم، وبين أساليبهم التي نشرتها الصحف، وأوضح ما أرادوا من كلماتهم الخبيثة، وكذلك بعض إخواننا أيضًا ذكر ذلك في مقالات له، وفي أشرطة له؛ كالشيخ سعيد بن مسفر الغامدي، ذكر أيضًا في بعض الأشرطة، شيئًا من كلماتهم سمعتها، فهي كلمات خبيثة جدًا، نسأل الله السلامة.

س٢٥: هل يكفر من أنكر الأسماء والصفات؟ وماذا يفعل من يفعل هذا عن جهل؟ وهل هو كفر مُخرج من الملة؟

ج: نعم، من أنكرها كفرُه مُخرج من الملة، الواجب أن يُستتاب إن تاب، وإلا قُتل كافرًا، نسأل الله العافية؛ كالمعتزلة والجهمية، هذا الصواب فيه.

س٢٦: فضيلة الشيخ، هل يحق للوالدين أن يمنعاني من إتيان هذه المجالس الطيبة؟

ج: ليس للوالدين أن يمنعاك من طلب العلم، ولا من حضور حلقات العلم، ليس لهم ذلك، ولا تجب طاعتهم في هذا، **المعنىٰ**: إنما الطاعة في المعروف، لكن عليك أن تُعالج الأمور بالحكمة، والأساليب الحسنة، والكلمات الطيبة؛ لأن حق الوالدين عظيم؛ فعليك أن تعالج الموضوع بحكمة، وكلام طيب، وأسلوب حسن، ومع ذلك لا تمتنع من مجالس العلم.

س٢٧: من قتل طيرًا في الحرم عن خطأ، فهل عليه فدية؟

ج: فيه خلاف بين أهل العلم؛ منهم من رأىٰ فيه الفدية، ومنهم من لم ير فيه الفدية؛ لقول الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ [المائدة: ٩٥]؛ قال: إن الله ذكر العمد، فإذا كان جاهلًا، فلا شيء عليه، هذا القول قولٌ قوي،

وظاهر القرآن الكريم، وبعض أهل العلم رأىٰ فيه الفدية، وإن كان ناسيًا أو جاهلًا، وهذا فيه نظر، قول من قال بأنه لا فدية فيه إذا كان خطأ عن جهل، أو عن نسيان قول قوي؛ لأنه ظاهر النص.

س٢٨: ما حكم اقتناء الحيوانات المحنَّطة؟

ج: ينبغي تركُها؛ لأنها تشبه الصور، قد يحتج بها بعض الناس، يحسب أنها صور، ولأنها إضاعة مال، ولأنها قد يعتقد فيها شرور، ويعتقد فيها أنها تنفع أو تمنع من الجن أو كذا، فالذي نفتي به: منعُ تعليق واقتناء الحيوانات المحنَّطة، وهكذا أيضًا اللجنة الدائمة عندنا تفتي بهذا، تفتي بالمنع[1]، وأنا واحد من اللجنة ورئيس اللجنة؛ لأن في الحيوانات المحنطة شرًّا كثيرًا.

س٢٩: نريد من سماحتكم كلمة موجزة عن إرادة الله.

ج: إرادة الله قسمان: كونية وشرعية.

فالكونية ماضية لا تخالَف، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]؛ هذه إرادة نافذة، هكذا قوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥]؛ هذه كونية ماضية.

وهناك إرادة شرعية، لا يلزم وجود مرادها من العبد؛ كما في قوله ـ سبحانه ـ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ﴾ [النساء: ٢٨]؛ هذه إرادة شرعية، فقد تُيَسّر علىٰ قوم، وتُعسّر علىٰ آخرين، وهكذا التخفيف؛ خُفِّف علىٰ قوم، ولم يخفَّف علىٰ آخرين،

---

(١) انظر: «مجموع فتاوىٰ ومقالات سماحته» (٤/ ٢٢٤)، و«فتاوىٰ اللجنة الدائمة» ١٣/ ٣٥ فتوىٰ رقم (٥٣٥٠).

كذلك قوله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]؛ هذه إرادة شرعية؛ من أهل البيت من ذهب عنهم الرجس؛ كعلي والنبي ﷺ والحسن والحسين، ومنه من بقي فيه الرجس، ولم يتطهَّر؛ كأبي طالب وأبي لهب، وغيرهم ممن مات علىٰ الكفر، ماتوا برجسهم، ولم يطهروا؛ هذه إرادة شرعية ليست إرادةً كونية، كما يظن الرافضة.

والرافضة شرُّهم عظيم؛ فهم عُبَّادٌ لغير الله من أهل البيت، وسبَّابة الصحابة، كفرهم متنوِّع؛ كفار بسبهم للصحابة، كفَّار بعبادتهم لعلي والحسن والحسين وفاطمة ونحو ذلك، ومع ذلك يقولون إنهم معصومون بهذه الآية، هذه الآية ليست فيها عصمتهم، هذه الآية؛ **يعني**: الإرادة الشرعية، منهم من وُفِّق؛ كعلي رضي الله عنه والحسن والحسين وجعفر بن أبي طالب ونحوهم، ومنهم من لم يوفَّق، بل مات برجسه، مات علىٰ كفره، ولم يطهَّر؛ كأبي لهب وأبي طالب، وجماعة من أهل البيت الذين ماتوا علىٰ الكفر.

وأسأل الله أن يوفِّق الجميع لما يرضيه.

وصلَّىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه، وسلَّم.





الطهارة

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه، ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[1]:

فقد ثبت عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ من حديث أُمِّ سَلَمَةَ، أمِّ المؤمنين رضي الله عنها، أن أم سُلَيْم قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ، فَهَلْ عَلَىٰ المَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ إِذَا احْتَلَمَتْ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«إِذَا رَأَتِ المَاءَ»**[2].

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«المَاءُ مِنَ المَاءِ»**[3].

دلَّ ذلك علىٰ أن الرجل والمرأة إذا احتلما؛ فإنَّ عليهما الغسل إن رأيا ماءً، أما إن لم يريا ماءً، فلا غسل، فلو ذكر أنه احتلم، أو ذكرت أنها احتلمت، ولكن لم تر ماءً، ولم ير ماءً؛ **يعني**: منيًّا، فلا غُسل عليهما.

والاحتلام: أن يرىٰ الرجل أنه أتىٰ المرأةَ، جامعها، والمرأة ترىٰ أنه جامعها رجل، فهذا لا يوجب غسلًا، إلا إذا رأىٰ المحتلم الماءَ

---

(١) حديث المساء من دروس سماحته بعد صلاة العصر في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض، شريط رقم (١٤٨)، المقطع (٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الغسل، باب إذا احتلمت المرأة، برقم (٢٨٢)، ومسلم في كتاب الحيض، باب وجوب الغسل علىٰ المرأة بخروج المني منها، برقم (٣١٣).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الحيض، باب إنما الماء من الماء، برقم (٣٤٣).

المنيّ؛ فإن رأىٰ شيئًا وجب الغسل، حتىٰ ولو لم يذكر الاحتلام، لو أصبح من نومه، أو استيقظ من نومه نهارًا، ورأىٰ المنيَّ وجب الغسل، وإن لم يكن احتلامًا؛ لقوله ﷺ: «**المَاءُ مِنَ المَاءِ**»، فأما إن لم ير شيئًا، أو لم تر شيئًا، فلا غُسل عليهما، وأما في اليقظةِ فإنه متىٰ جامع وجب الغسل مطلقًا، وإن لم ير الماء، وإن لم ينزل، متىٰ جاوز الختانُ الختانَ، متىٰ أوْلج ولو مجرَّد الحشفة، فإن جاوز الختانُ الختانَ، فإنه يجب الغسل، كما ثبت في «الصحيح» عن عائشة ﵂ عن النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: «**إِذَا مَسَّ الخِتَانُ الخِتَانَ، فَقَدْ وَجَبَ الغُسْلُ**»[1]، وفي لفظ آخر: «**إِذَا جَاوَزَ الخِتَانُ الخِتَانَ، فَقَدْ وَجَبَ الغُسْلُ**»[2]؛ معناه: متىٰ أوْلج، ولو بعضَ الذكر حتىٰ جاوز الختان، فإنه يجب الغسل، وإن لم يُنزل الماء، فإن أنزل وجب الغسل للأمرين: للجماع وللإنزال جميعًا، فإن أنزل ولم يوْلج وجب الغسل، أو أوْلج ولم ينزل وجب الغسل؛ كل واحد منهما في اليقظة يوجب الغسل: إذا أوْلج ولم يُنزل، وجب عليه الغسل، ولو لم يستكمل الإيلاج، ولو ما أوْلج إلا الحشفة، أو أنزل عن شهوة بسبب اللمس، أو القبلة، أو التفكير، أو النظر، وجب الغسل لخروج الماء؛ لقوله ﷺ: «**إِنَّمَا المَاءُ مِنَ المَاءِ**»؛ إذا فكر في النساء، أو رأىٰ المرأة، أو لامسها، فأنزل، وجب الغسل، أو جامعها وجب الغسل، حتىٰ ولو لم ينزل؛ لقوله ﷺ: «**إِذَا مَسَّ الخِتَانُ الخِتَانَ، فَقَدْ وَجَبَ الغُسْلُ**»، ولقوله ﷺ: «**إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعَبِهَا الأَرْبَعِ ثُمَّ**

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الطهارة، باب ما جاء إذا التقىٰ الختانان وجب الغسل، برقم (١٠٨)، وصححه الألباني، وابن ماجه في كتاب الطهارة، باب ما جاء في وجوب الغسل إذا التقىٰ الختان، برقم (٦٠٨).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الطهارة، باب ما جاء إذا التقىٰ الختانان وجب الغسل، برقم (١٠٨ ـ ١٠٩)، وصححه الألباني.

جَهَدَهَا، فَقَدْ وَجَبَ الغُسْلُ»[١]؛ وإن لم ينزل، وهكذا لو استيقظ من نومه ليلًا أو نهارًا، فرأىٰ منيًّا في ثوبه، في سراويله، في إزاره، وجب الغسل ـ وإن لم يكن الاحتلامُ ـ لوجود الماء، الماءُ من الماءِ.

وفق الله الجميع، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه.

* * *

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب الحيض، باب نسخ الماء من الماء، ووجوب الغسل بالتقاء الختانين، برقم (٣٤٨).

قيام الليل

١ ـ عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ خَافَ أَنْ لَا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ، فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيْلِ؛ فَإِنَّ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ»** أخرجه مسلم[١].

٢ ـ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ ﵂: كَيْفَ كَانَتْ صَلَاةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ في رَمَضَانَ؟ فَقَالَتْ: مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَىٰ إِحْدَىٰ عَشْرَةَ رَكْعَةً؛ يُصَلِّي أَرْبَعًا، فَلَا تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا، فَلَا تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلَاثًا، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ؟ فَقَالَ: **«يَا عَائِشَةُ، إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ، وَلَا يَنَامُ قَلْبِي»** متفق عليه[٢].

٣ ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ عَلَىٰ المِنْبَرِ: مَا تَرَىٰ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ؟ قَالَ: **«مَثْنَىٰ مَثْنَىٰ، فإِذَا خَشِيَ الصُّبْحَ صَلَّىٰ وَاحِدَةً، فَأَوْتَرَتْ لَهُ مَا صَلَّىٰ»**، وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: **«اجْعَلُوا آخِرَ صَلَاتِكُمْ وِتْرًا»**، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِهِ. رواه البخاري[٣].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب منْ خافَ أنْ لا يقومَ منْ آخرِ اللّيلِ فليوترْ أوّلهُ، برقم (٧٥٥).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في أبواب التهجد، باب قيام النبيّ ﷺ باللّيلِ في رمضانَ وغيرِهِ، برقم (١١٤٧)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ في الليل وأن الوتر ركعة وأن الركعة صلاة صحيحة، برقم (٧٣٨).

(٣) متفق عليه. البخاري في التهجد، باب قيام النبي ﷺ بالليل في رمضان وغيره، برقم =

٤ ـ وعَنْ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةً فَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا حَتَّىٰ هَمَمْتُ بِأَمْرِ سَوْءٍ، قُلْنَا: وَمَا هَمَمْتَ؟ قَالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَقْعُدَ وَأَذَرَ النَّبِيَّ ﷺ. متفق عليه[1].

الشرح

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، وصلَّىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه. **أما بعد:**

فهذه الأحاديث الأربعة تتعلَّق بقيام الليل، وكان النبي ﷺ يقوم من الليل طويلًا ـ عليه الصلاة والسلام ـ وكان في أوَّل الأمر يوتر أوَّل الليل، ثم أوتر في وسط الليل، ثم استقر وترُه في آخر الليل ـ عليه الصلاة والسلام ـ. وقال: «**مَنْ خَافَ أَنْ لَا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ، فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيْلِ؛ فَإِنَّ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ وَذَلِكَ أَفْضَلُ**»؛ ولأنه وقت النزول الإلـٰهي؛ فإنَّه ثبت في الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ـ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ؛ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»[2]. وهذا نزول يليق بالله ﷻ، لا يُشابه الخلقَ ـ جلَّ وعلا ـ فهو نزول

= (١١٤٧)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ في الليل وأن الوتر ركعة وأن الركعة صلاة صحيحة، برقم (٧٣٨).

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في التهجد، باب طول القيام في صلاة الليل، برقم (١١٣٥)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، برقم (٧٧٣).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ. أخرجه البخاري في التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، برقم (١١٤٥)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، برقم (٧٥٨).

حقيقي، ثابت لله، يليق به ـ سبحانه ـ ولا يعلم كيفيَّته إلا هو ـ جلَّ وعلا ـ ولا يشابهه في خلقه ﷻ، وهكذا جميع صفاته كلُّها تليق به ﷻ، لا يشابه خلقه، لا في السمع، ولا في البصر، ولا في النزول، ولا في الاستواء، ولا في الغضب، ولا في الرضا، في غير ذلك، كما قال ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وفي حديث عائشة ﵂ تقول: «ما كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يزيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَىٰ إِحْدَىٰ عَشْرَةَ رَكْعَةً»، «ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا»؛ يعني: اثنين اثنين، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلِّي أربعًا: اثنين اثنين، فلا تسلْ عنْ حسنهنّ وطولهنّ، ثمّ يصلّي ثلاثًا، قالتْ عائشةُ: فقلتُ: يا رسولَ الله، أتنامُ قبلَ أن توترَ؟ فقال: **«يَا عَائِشَةُ، إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ، وَلَا يَنَامُ قَلْبِي»**، عليه الصلاة والسلام.

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَىٰ مَثْنَىٰ، فَإِذَا خَشِيَ أَحَدُكُمُ الصُّبْحَ، صَلَّىٰ رَكْعَةً وَاحِدَةً، تُوتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّىٰ»**.

فالسُّنَّة: أن يصلِّي اثنين اثنين، وأن يطيل القراءة والركوع والسجود حسب طاقته، وحسب ما يتيسر له، تأسِّيًا بالنبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ فإنه كان يطيل في قراءته وركوعه، وسجوده في صلاة الليل، وكانت صلاته متقاربةً؛ فقيامه وركوعه وسجوده، والجلوس بين السجدتين، واعتداله بعد الركوع؛ كلها متقاربة معتدلة، عليه الصلاة والسلام.

وفي هذا الدلالة علىٰ أن من خصائصه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه تنام عيناه ولا ينام قلبه، ولهذا وضوؤه لا يُنتقض بالنوم، بخلاف غيره من الناس.

وفي هذا أن أغلب صلاته ﷺ إحدىٰ عشر ركعة بالليل، وربما زاد، فصلىٰ ثلاث عشرة، وربما نقص، فصلىٰ تسعًا، وربما صلىٰ سبعًا، وربما صلىٰ خمسًا، وربما صلىٰ ثلاثًا ـ عليه الصلاة والسلام ـ

وفي بعض الليالي قد يطيل إطالةً كثيرة، حتىٰ لا يصلِّي إلا ركعتين، أو أربع ركعات، لما حصل له من الاستغراق والاستكثار في القراءة والتهجُّد ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومن ذلك ما في حديث حذيفة: قالَ: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ «البَقَرَةَ»، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ المِائَةِ، ثُمَّ مْضَىٰ، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَىٰ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ «النِّسَاءَ»، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ «آل عِمْرَانَ»، فَقَرَأَهَا؛ يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا: إذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجعَلَ يَقُولُ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيمِ**»، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**»، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَىٰ**»؟ فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ، حَتَّىٰ صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَاءَهُ المُؤَذِّنُ يُؤْذِنُهُ بِالفَجْرِ»[١].

في رواية: «أَرْبَعَ رَكْعَاتٍ»، مما أطال ـ عليه الصلاة والسلام ـ هذا يدل علىٰ أنه في بعض الأحيان قد يطيل القراءة أكثر وأكثر؛ لما أعطاه الله من القوة في ذلك، والمحبة، والأُنس في الصلاة، والخشوع فيها ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولكن مثل ما قال ﷺ قال: «**اكْلَفُوا مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ**»[٢] والله يقول: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦] فالمؤمن

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب استحبابِ تطويلِ القراءةِ في صلاةِ اللّيلِ، برقم (٧٧٢)، ولفظ: «حتىٰ صلىٰ ركعتين، ثم جاءه المؤذن يؤذنه بالفجر». لم أجده في المصادر الحديثية التي بين يدي.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ. أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب الوصال ومن قال ليس في الليل صيام، برقم (١٩٦٦)، ومسلم في كتاب الصيام، باب النهي عن الوصال في الصوم، برقم (١١٠٣)، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب مَا يؤمرُ به من القصد في الصّلاةِ، برقم (١٣٦٨)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب المداومةِ علىٰ العملِ، برقم (٤٢٤٠)، والنسائي في كتاب القبلةِ، باب المصلّي يكونَ بينه وبين الإمام سترةٌ، برقم (٧٦٢)، والإمام أحمد (٢/ ٣٥٠).

يلاحظ ما قال ﷺ، فلا يتكلَّف، بل يصلي ما تيسَّر له: من ثلاث ركعات في الليل، خمس ركعات، سبع ركعات، تسع ركعات، إحدىٰ عشرة، أو ثلاث عشرة، أو أكثر من ذلك، يسلِّم من كل ثنتين، ولو صلىٰ عشرين في رمضان، أو أكثر منها، فلا بأس، ليس فيها حد محدود، ولكن الأفضل إحدىٰ عشرة ركعة، أو ثلاث عشرة، كفعله ﷺ، وإن صلَّىٰ أكثر من ذلك عشرين، كما فعل عمر والصحابة في رمضان، أو صلىٰ أقل من ذلك، أو أكثر من ذلك، فالأمر واسع، ولهذا لم يحدد النبي ﷺ حدًّا، بل قال: «**صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَىٰ مَثْنَىٰ**»، ولم يحُدَّ حدًّا، ثم قال: «**فَإِذَا خَشِيَ أَحَدُكُمُ الصُّبْحَ صَلَّىٰ رَكْعَةً وَاحِدَةً، تُوتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّىٰ**».

فدل ذلك علىٰ أنَّ صلاة الليل غير محددة؛ لا في رمضان، ولا في غيره، بل يصلِّي الإنسان ما تيسَّر له. والأفضل إحدىٰ عشرة، أو ثلاث عشرة ركعة، وإن صلىٰ عشرين، فلا بأس، مع الركود والطمأنينة، وعدم العجلة.

وفي حديث ابن مسعود، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةً، فَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا حَتَّىٰ هَمَمْتُ بِأَمْرِ سُوءٍ، قُلْنَا: وَمَا هَمَمْتَ؟ قَالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَقْعُدَ وأَذَرَ النَّبِيَّ ﷺ؛ وهذا يدلُّ علىٰ أن صلاة الليل والتهجُّد ينبغي فيه الإطالة والتلذذ بالقراءة، والتلذذ بالعبادة حسب طاقة الإنسان، أما الفريضة، فيتأسىٰ فيها بالنبي ﷺ، فلا يطول بالقراءة إطالة تشقُّ علىٰ الناس، فالفرائض غير قيام الليل.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه.

* * *

صلاة الاستسقاء

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد(١):

فغدًا ـ إن شاء الله ـ تُقام صلاة الاستسقاء، صباح يوم الاثنين غدًا، ونسأل الله أن يُغيث المسلمين غيثًا مباركًا، وأن يصلح القلوب والأعمال، وأن يغيث القلوب بالإيمان الصادق، ويغيث الفلاة بغيث مبارك، إنه ـ جلَّ وعلا ـ علىٰ كل شيء قدير.

تعلمون أن الله ﷻ يرحم من عباده الرُّحماء، وأن الصدقة علىٰ الفقراء والمساكين من أعظم أسباب رحمة الله لعباده، يقول الله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۝٢٧٠ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧٠ ـ ٢٧١]

ويقول ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝٢٦٧ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧ ـ ٢٦٨].

---

(١) حديث المساء من دروس سماحته بعد صلاة العصر في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض، شريط رقم (١١٩).

الشيطان يَعِدُ الناس الفقر والعواقب الوخيمة، وأنك متىٰ تصدقت حصل كذا وكذا، وذهب مالُك، وتعطَّل عيالك، وكذا وكذا، والله يَعِدُ عباده بالمغفرة والفضل، والجود والكرم ﷻ، فينبغي لأهل الإيمان الجود والكرم والإحسان علىٰ الفقراء والمحاويج، ومواساتهم رجاء رحمة الله ﷻ، وهكذا المشاريع الخيرية التي تنفع العباد؛ من تعمير المساجد وغيرها مما ينفع الناس، فإن ذلك مما يرضي الله ﷻ، ويسبب رحمته ـ سبحانه ـ ومع ذلك الخلف الجزيل، كما قال ـ سبحانه ـ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، قال ـ سبحانه ـ: ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، ويقول ـ سبحانه ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤]، فالنفقة والإحسان والصدقة كلُّها خير، وكلها من أسباب رحمة الله وإحسانه إلىٰ عباده، ومن أسباب نزول الغيث.

ويقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ**»(١)، ويقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ أيضًا: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمُكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»(٢).

فالرحمة لها أسباب؛ منها: طاعة الله، واتباع شريعته، وترك محارمه ﷻ، ومنها: الضراعة إليه، وسؤاله، ودعاؤه، والاستغاثة، ومنها: مواساة الفقير والمسكين ورحمته، ومنها: الحذر من كل ما يغضبه ﷻ.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﵁. أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، برقم (٥٩٩٧)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، برقم (٢٣١٨).

(٢) أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو ﵄ في كتاب الأدب، باب في الرحمة، برقم (٤٩٤١).

وكثير من الناس قد يغفل عن هذا الأمر، ولكن ينبغي للمؤمن من أن ينتبه، وأن يجود مما أعطاه الله، اتقوا الله ولو بشِقِّ تمرة، فالمؤمن يجود ويحسن بما يسّر الله له، والفقير تجتمع عنده الكسرة والدرهم والدرهمان وكذا وكذا، حتىٰ يجتمع عنده من ذلك ما يسدُّ بعض حاجته، فلا يحقر الإنسانُ شيئًا من المعروف، ولو قليلًا؛ فالقليل مع القليل ينفع الفقراء والمحاويج؛ ولهذا يقول ﷺ: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَىٰ أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**»[١]، ويقول ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ، فَلَا يَرَىٰ إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَىٰ إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَىٰ إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ؛ فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»[٢] ـ فمن لم يجد ـ «**وَلَوْ بكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**»، فبكلمة طيبة، شقّ التمرة، ويش قيمة الريال والريالين؟ يأتي بتمرات.

وثبت في الصحيح عن عائشة ﵂، قالت: جاءتني امرأة ومعها ابنتان في عهد النبي ﷺ تسأل، . .تشحذ. قالت: فوجدت عندي ثلاث تمرات في البيت، فأعطتها المرأة الثلاث تمرات، فأعطت كلَّ واحدة من بنتيها تمرة، وأخذت الثالثة لتأكلها، جعلت ابنتاها تنظران إليها، تريدان التمرة الثالثة، قالت: فشقَّت بينهما نصفين، ولم تأكل منها شيئًا؛ شقَّتها بين البنتين نصفين مع التمرتين، قالت: فأعجبني أمرها، فلمَّا جاء النبي أخبرته بذلك، فقال: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ**»[٣]. **يعني**: بهذه الرحمة تمرة أرادت أكلها، فلما رأت ابنتيها

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي ذر ﵁ في كتاب البر والصلة، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، برقم (٢٦٢٦).

(٢) متفق عليه من حديث عدي بن حاتم ﵁، أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل الرد، برقم (١٤١٣)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث علىٰ الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيب، وأنها حجاب من النار، برقم (١٠١٦).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب فضل الإحسان إلىٰ البنات، برقم (٢٦٣٠).

تشحذانها التمرة شقَّتها بينهما، ولم تأكل شيئًا، وقال: «**مَنِ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ**»[1]

فالرحمة والإحسان، ولو قليل، ينفع الفقير، والمتصدِّق، والمحسن.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه.



(١) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها. أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة، برقم (١٤١٨)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب فضل الإحسان في البنات، برقم (٢٦٢٩).

شرعية اتِّباع الجنائز وثوابها

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه، ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[1]:

فقد ثبت عن النبي الكريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: «**مَنْ شَهِدَ الجَنَازَةَ حَتَّىٰ يُصَلَّى عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَ حَتَّىٰ تُدْفَنَ كَانَ لَهُ قِيرَاطَانِ**» قِيلَ: وَمَا القِيرَاطَان؟ قَالَ: «**مِثْلُ الجَبَلَيْنِ العَظِيمَيْنِ**»[2]؛ **يعني**: من الأجر.

هذا يدل علىٰ شرعية اتِّباع الجنائز من الصلاة والدفن جميعًا، وما ذلك إلا لما في اتِّباع الجنائز من المصالح الكثيرة؛ منها:

أن ذلك يذكِّر بالموت، ويذكِّر التابع بالاستعداد للآخرة، وأن الذي أصاب أخاه سوف يصيبه؛ فليُعدَّ العدَّة، وليحذر من الغفلة.

ومن ذلك أيضًا: أن في اتِّباع الجنائز جبرًا للمصابين ومواساةً لهم، وتعزيةً لهم في ميِّتهم؛ فيحصل له بذلك أجر التعزية والجبر والمواساة لإخوانه.

ومن ذلك أيضًا: أنه يعينهم علىٰ ما قد يحتاجون إليه في حمل ميِّتهم ودفنه.

---

(١) حديث المساء من دروس سماحته بعد صلاة العصر في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض، شريط رقم (١٠٢).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب من انتظر حتىٰ تدفن، برقم (١٣٢٥)، ومسلم في كتاب الجنائز، باب فضل الصلاة علىٰ الجنازة واتباعها، برقم (٩٤٥).

فعلىٰ كل تقدير، اتباع الجنائز فيه مصالحُ كثيرة، ولو لم يكن فيه إلا أنه يذكِّر بالموت وما بعده، ويدعو إلىٰ الاستعداد للآخرة، والتأهب للقاء الله ﷻ، لكان هذا كافيًا، فكيف وفي ذلك مصالحُ أخرىٰ.

ثم في ذلك: هذا الأجر العظيم الذي يحصل له بالصلاة؛ قدر قيراط، قدر جبل من الأجر، وبالصلاة والدفن جميعًا مثل الجبلين العظيمين من الأجر، هذا خير عظيم وفضل كبير، وروىٰ البخاري رحمه الله في «صحيحه» بلفظ آخر عن النبي ﷺ أنه قال: **«مَنِ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّىٰ يُصَلَّىٰ عَلَيْهَا، وَيَفْرُغَ مِنْ دَفْنِهَا، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّىٰ عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ»**[1].

وفي هذا بيان أنَّ هذا الاتِّباع يكون إيمانًا واحتسابًا، لا للرياء والسمعة، ولا لغرض آخر، بل يتَّبع الجنازة إيمانًا واحتسابًا؛ إيمانًا بأن الله شرع ذلك، واحتسابًا للأجر عنده ﷻ، وفي ضمن ذلك هذه المصالح الكثيرة، ولهذا قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«مَنِ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّىٰ يُصَلَّىٰ عَلَيْهَا، وَيَفْرُغَ مِنْ دَفْنِهَا، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيراطَيْنِ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ جبلِ أُحُدٍ»**.

وفي هذا الحديث دلالة علىٰ أن التابع لا ينصرف حتىٰ تدفن، بعض الناس قد ينصرف عند وضعها في الأرض، هذا خلاف المشروع؛ المشروع أنه يبقىٰ مع إخوانه حتىٰ يفرغوا من دفنها، حتىٰ ينتهوا، وفي ذلك أيضًا حديث آخر أنه كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، وقال: **«اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ، وَسَلُوا**

---

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب اتباع الجنائزِ من الإيمان، برقم (٤٧).

لَهُ التَّثْبِيتَ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ»[١].

فيشرع للمؤمن إذا تبع الجنازة أن يقف عليها بعد الدفن، لا يعجل، يبقىٰ معهم حتىٰ يفرغوا من الدفن، ثم إذا فرغوا يُستحبُّ أن يقف علىٰ القبر، ويدعو للميت بالمغفرة والثبات؛ تأسِّيًا بالنبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ حيث قال: «**اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ؛ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ**»؛ هكذا يقف عليه بعد الدفن، ويقولها ـ عليه الصلاة والسلام ـ هذا هو السُّنَّة؛ أن يقف عليه ويدعو له بالمغفرة والثبات، ثم ينصرف بعد ذلك، أما التلقين، فهو غير مشروع: وهو ما يفعله بعض الناس عند القبر، يقف عند القبر بعد الدفن، يقول: يا فلان، اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إلـٰه إلا الله، وأن محمد رسول الله، وأنك رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا، وبالقرآن إمامًا، هذا لا أصل له، هذا ليس بمشروع، هذا التلقين ليس بمشروع، والأحاديث الواردة في ذلك غير ثابتة عن النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ وإنما السُّنَّة أن يقف علىٰ الميت بعد الدفن، ويدعو له بالمغفرة والثبات، هذا هو المشروع. فينبغي للمؤمن أن يلاحظ ما شرعه الله، وأن يدع ما لم يشرعه الله.

وكذلك بعض الناس عند الدفن يؤذِّن في القبر، أو يقيم في القبر، أو يقرأ القرآن في القبر، هذا بدعة، لا أصل له أيضًا، كونهم يؤذِّنون في القبر، ويقرؤون فيه القرآن، أو يؤذِّنون، أو يقيمون، هذه بدعة لا أصل لها، فينبغي التنبُّه لذلك.

وفق الله الجميع، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه، وسلَّم.

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث عثمان بن عفان ﷺ في كتاب الجنائز، باب الاستغفار عند القبر للميّت في وقت الانصراف، برقم (٣٢٢١)، وصححه الألباني.



صلاة التراويح(١)

س: بالنسبة لصلاة التراويح بعض العلماء يروْن عدم التوقيت بعدد معين؛ لأن النبي ﷺ لم يحدِّد في ذلك عدد معين، فلذلك جاز لكل جماعة يصلون ما يرون علىٰ حسب استطاعتهم، فالسؤال هنا: ما هو الصحيح الثابت عن النبي ﷺ في ذلك؟.

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد:

ج: قيام الليل ليس فيه حد محدود، لا في رمضان، ولا في غيره، فيصلي الإنسان ما كتب الله، ويجتهد بما كتب الله له؛ قال الله ـ جل وعلا ـ في صفة عباد الرحمٰن: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٤]، وفي صفة المتَّقين: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧ ـ ١٨]. ويقول النبي ﷺ: «**صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَىٰ مَثْنَىٰ، فَإِذَا خَشِيَ أَحَدُكُمُ الصُّبْحَ صَلَّىٰ رَكْعَةً وَاحِدَةً، تُوتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّىٰ**»(٢). رواه البخاري ومسلم في الصحيحين؛ فلم يحدد عشرًا ولا عشرين، ولا أكثر ولا أقل؛ فعُلم بذلك أن صلاة الليل ليس لها حد محدود، وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ ربما أوتر بثلاث، وربما أوتر بخمس، وربما أوتر بسبع،

---

(١) من إجابات سماحة الشيخ في مسجد التوعية بمكة المكرمة.

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب كيف كان صلاة النبي ﷺ، برقم (٩٩٣)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب صلاة الليل مثنىٰ مثنىٰ والوتر ركعة من الليل، برقم (٧٤٩).

وربما أوتر بتسع، وربما أوتر بإحدىٰ عشرة، وربما أوتر بثلاث عشرة، وهذا أكثر ما صح عنه أنه أوتر بثلاث عشرة، وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يحرص علىٰ أن لا يشقَّ علىٰ أمته، وربما ترك العمل وهو يحب أن يعمله؛ مخافة أن يشق علىٰ أمته، عليه الصلاة والسلام.

فأفضل ما في قيام الليل إحدىٰ عشرة وثلاث عشرة، هذا أفضل ما في قيام الليل؛ كما قالت عائشة رضي الله عنها: «مَا كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَىٰ إِحْدَىٰ عَشْرَةَ رَكْعَةً»[١]، وهذا حسب علمها، وقد روت هي، وصحَّ عنها هي، أنه أيضًا أوتر بثلاث عشرة، وثبت في حديث ابن عباس[٢] وزيد بن خالد أنه أوتر بثلاث عشرة ركعة أيضًا، فكل هذا من السُّنَّة، وإذا صلىٰ إحدىٰ عشرة أو ثلاث عشرة بالركود والطمأنينة، وإطالة القراءة، والعناية، كان هذا أفضل من عشرين، ومن ثلاثين، ومن أربعين؛ لما فيه موافقة النبي ﷺ، ولما فيه من التخفيف والتيسير، ولما فيه من الطمأنينة، والركود وعدم العجلة، وإذا أحب أن يوتر بعشرين، كما فعل الصحابة في عهد عمر رضي الله عنه، والوتر ثلاث، فلا بأس وإذا أحب أن يوتر بأكثر من ذلك، فلا بأس، فالأمر فيه واسع، ليس فيه حد محدود، ولكن أفضل من ذلك إحدىٰ عشرة، وثلاث عشرة؛ لموافقتها فعلَ النبي ﷺ، والله المستعان.

س: لقد تلفظت علىٰ زوجتي بالطلاق عدد أربع مرات في آن واحد، وكان ذلك نتيجة الغضب الشديد، وفي نفس الوقت استرجعتها، أرجو فتواي جزاكم الله عنا خيرًا؟

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب قيام النبي ﷺ في رمضان وغيره برقم (١١٤٧)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ... برقم (٧٣٨).

(٢) حديث ابن عباس متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه من الليل برقم (٦٣١٦)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه برقم (٧٦٣)، وحديث زيد بن خالد أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب في صلاة الليل برقم (١٣٦٦).

ج: هذا يحتاج إلىٰ نظر ومراجعة العلماء في ذلك: أنت والمرأة ووليها للاعتراف بالحقيقة؛ تتَّصل بالمحكمة، أو بعض العلماء، أو تأتي إلينا في البيت ننظر في الأمر إن شاء الله؛ لأن ما كل ما يدعي الإنسان يكون صحيحًا، يحتاج إلىٰ نظر مع الزوجة بحضورها وحضور وليها.

س: هنالك من يقول: إن الدعوة إلىٰ كلمة التوحيد دعوة تنفِّر المدعوين. والأفضل في هذا الوقت أن ندعو الناس إلىٰ الترغيب والترهيب، حتىٰ لا ننفرهم، فما هو جوابكم علىٰ مثل هذا القول؟ أفيدونا مشكورين.

ج: الناس يختلفون؛ من كان من أهل التوحيد والإيمان دُعي إلىٰ ما قصَّر فيه من الأمور الأخرىٰ، وشُجع إلىٰ الإخلاص لله في العمل، والمواظبة علىٰ ما أوجب الله، والحذر مما حرَّم الله، ومن كان من أهل الشرك دُعي إلىٰ التوحيد أولًا، يبيَّن له التوحيد ومعنىٰ لا إله إلا الله؛ لأنَّه لا عمل له قبل التوحيد، يُدعىٰ إلىٰ التوحيد وبيان معناه، ومعنىٰ لا إله إلا الله، ومعنىٰ شهادة أن محمدًا رسول الله حتىٰ يدخل في الإسلام، فإذا دخل في الإسلام، يبيَّن له بعد ذلك ما يحتاج إليه من صلاة وزكاة وغيرها.

فالمدعوون أقسام ويختلفون؛ فالداعي إلىٰ الله والمُذكِّر والمُرشد يلاحظ الأدواء التي يعالجها، فكل مجتمع يعالج أدواه التي فيه، فإن كان مجتمعًا كافرًا عالجه بالدعوة إلىٰ الإسلام، وبيان محاسن الإسلام، والترغيب في الدخول فيه، وإن كان مجتمعًا فيه بدعة، عالجه بالتحذير من البدعة التي فيه، وإن كان مجتمعًا فيه شرب الخمر حذَّرهم من شرب الخمر ونحوه، وإن كان مجتمعًا فيه نقص في الصلاة وعدم المواظبة عليها ذكَّرهم بذلك، وإن كان مجتمعًا فيه العقوق والقطيعة ذكَّرهم بذلك، وحذرهم من العقوق والقطيعة، وهكذا يعالج أدواء المجتمعات علىٰ حسب ما يكثر فيها من أدواء، وفق الله الجميع.

* * *

العشر من رمضان

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد(١):

فإن هذه الليالي والأيام ـ وهي بقية العشر الأخير من رمضان ـ لها شأن عظيم، وكان السلف الصالح يهتمون بها، ويعتنون بالأعمال الصالحة فيها، تأسِّيًا بنبيهم، عليه الصلاة والسلام.

فقد سبق أنه ﷺ كان يجتهد في العشر الأخير من رمضان ما لا يجتهد في غيره، وكان إذا دخل العشر شدَّ مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله ـ عليه الصلاة والسلام ـ فكان يخص هذه العشر بمزيد عناية واجتهاد من أنواع العبادة؛ من صلاة، وقراءة، واعتكاف، وذكر، ودعاء، وغير هذا من وجوه الخير، فلهذا كان السلف الصالح من أصحاب النبي ﷺ ومن تَبِعهم بإحسان يعظمونها كما عظمها الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ويجتهدون فيها في أنواع الخير كما فعل ـ عليه الصلاة والسلام ـ لكونها ختام الشهر، ولكونها أفضل الشهر، ولأن فيها ليلة القدر، وليلة القدر هي أعظم الليالي، وأفضل الليالي، وهي كما قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣]؛ **يعني**: العمل فيها والاجتهاد فيها أفضل من العمل في ألف شهر مما سواها.

---

(١) من دروس سماحته في مكة المكرمة من ١٤٠٧/٩/٢٤هـ إلىٰ ١٤٠٧/٩/٢٧هـ، شريط رقم (٢٠٠).

فجدير بالمؤمن - وجدير بالمؤمنة - أن ينافس في هذا الخير العظيم، وأن يسابق إلىٰ أنواع الخير، وأن يجتهد بفعل ما أمكن من الطاعات في هذه الليالي والأيام القصيرة، ثم الإنسان لا يدري ماذا بقي من عمره، وهل بقي من عمره أن يكمل هذه الليالي والأيام، وهل بقي من عمره أنها تدور عليه عامًّا آخر، لا يدري؛ فالحازم هو الذي يعمُر كل وقت ما استطاع من الخير، ويرىٰ أنه جديرٌ به ألا يفرِّط في شيء من أوقاته.

وتقدم الحديث الصحيح من قول النبي ﷺ لابن عمر: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**»(١)؛ الغريب وعابر السبيل إنما يُعنىٰ بالزاد الذي يوصله إلىٰ بلده، فهو يُعنىٰ برحله وزاده حتىٰ يصل إلىٰ وطنه، والمؤمن ليس له وطن إلا الجنة؛ هي داره خرج منها بأسباب طاعة النفس والشيطان، فوجب عليه أن يسعىٰ جهده ليرجع إلىٰ داره الأُولىٰ، وهي دار النعيم التي سكنها أبوه، ولا سبيل إلىٰ هذا إلا بالله، ثم جهاد هذه النفس في طاعة الله وتوحيده، والإخلاص له، والاستقامة علىٰ شرعه، والحذر من أسباب غضبه، والابتعاد عن المحارم والمكروهات، وبعض المباحات التي قد تشغَله عما هو أهم، فالمندوبات تجبر ما يقع من النقص في الفرائض، وترفع العبد درجات بإذن الله ﷻ، كما قال النبي ﷺ قال الله - تعالىٰ -: «**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضتُّ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بِه، وَبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: «**كن في الدُّنيا كأنك غريبٌ أو عابرَ سَبيل**»، برقم (٦٤١٦).

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب الرقاق، باب التواضع، برقم (٦٥٠٢).

في اللفظ الآخر: «**فَبِي يَسْمَعُ، وَبِي يُبْصِرُ، وَبِي يَبطِشُ، وَبِي يَمْشِي**».

فإذا اجتهد المؤمن في التقرب إلىٰ الله بالفرائض والنوافل إخلاصًا له، ومحبةً له، وتعظيمًا له، ارتفعت منزلته عند الله، وكان في أعلىٰ المنازل وأرفعها؛ لكونه جمع بين الفرائض والنوافل التي يحبُّها الله ﷻ، وابتعد عن المحارم والمكروهات.

وهذه الأيام والليالي هي وقت المنافسة والمجاهدة والمسارعة، لعِظَم شأنها، وكثرة ما فيها من الأجور والمضاعفات لمن أحسن واستقام، ولما في ليلة القدر من الخير العظيم والفضل الكبير؛ فعليك يا أخي بالجد والاجتهاد، والصبر والمثابرة، ترجو ثواب الله، وتخشىٰ عقاب الله.

قالت عائشة ؓ: يا رسول الله، إن وافقت ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: قولي: «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»(١)؛ فالعفُوُّ من أسماء الله، هو العفُوُّ ـ سبحانه ـ وهو العفو الغفور ـ جلَّ وعلا ـ والعَفْو بالتخفيف مصدر: عفا يعفو عَفْوًا، وهو يحبُّه ﷻ، أما: العَفُوُّ بالتشديد، فهو من أسمائه ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٩]، ويحب ما يناسب أسمائه الحسنىٰ ﷻ، فهو عفُوٌّ يحب العفو، غفور يحب من عباده غفر بعضهم لبعض، رحيم يحب الرحماء، كريم يحب الكرماء، عليم يحب العلماء الصالحين العاملين بعلمهم.

فإن عرفت أن ربك عفو يحب العفو تقربت إليه بالعفو عمَّن ظلمك، ومن أساء إليك، وعودت نفسك العفو، فأنت تُبتلىٰ بالزوجة قد تعصيك، ولدك قد يعصيك، خادم قد يعصيك، زميل قد يؤذيك،

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الدعاء، باب الدعاء بالعفو والعافية، برقم (٣٨٥٠)، والإمام أحمد في المسند من حديث عائشة ؓ (٦/ ١٨٢).

إلىٰ غير هذا، فإذا عوَّدت نفسك العفو استراحت نفسك، واطمأن قلبك، وعظُمت منزلتك عند الله، وعند عباده؛ فهو ـ سبحانه ـ عفو يحب العفو.

قال ـ تعالىٰ ـ في وصف المتقين: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] وقال: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۚ﴾ [البقرة: ٢٣٧] وقال: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورىٰ: ٤٠]، وقال النبي ﷺ: **«مَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا»** رواه مسلم[١]؛ فأنت لا يزيدك العفو إلا عزًّا ورِفعةً في قلوب المؤمنين، وفي أهلك، وفي إخوانك، كما أن الله يرفعها بذلك ﷻ ويزيدك عزًّا ـ جلَّ وعلا ـ فعوِّد نفسك العفو والتسامح، وعدم الشدة علىٰ أهل بيتك وإخوانك وأصحابك، ومن قد يؤذيك، فالعفو في محله له عواقب حميدة.

ومن فوائد العفو: أن العباد يشعرون بأنهم في رحمته ـ سبحانه ـ وفي عفوه، وأنهم لو أخذهم بسيئاتهم لهلكوا، ولكنه يعفو ويصفح كثيرًا ﷻ، فتلين القلوب، وتخضع القلوب لعَظَمته محبة وتعظيمًا، وشوقًا إليه، واعترافًا بنِعَمِهِ وفضله ﷻ، فلا يمنُّون عليه، ولا يدلُّون عليه بأعمالهم، بل هم في حاجة إلىٰ عفوه وإحسانه، وإن كَثُرت أعمالهم الصالحة؛ وإن صاموا النهار وقاموا الليل، فضل الله عليهم أكثر وأعظم، وهو الذي يوفقهم للعمل الصالح، وهو الذي يعينهم عليه، فالفضل له ـ سبحانه ـ أولًا وأخيرًا.

ويروىٰ في حديث ابن عباس رضي الله عنهما في فضل هذه العشر، وفي فضل صلاة العيد، وهو حديث في سنده نظر، وفيه: «أَنَّ اللهَ يَنْظُرُ إِلَىٰ النَّاسِ

---

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب البر والصلة، باب استحباب العفو والعافية والتواضع، برقم (٢٥٨٨)، وقد سبق تخريجه في ص٧٧.

فِي لَيْلَةِ القَدْرِ، فَيَعْفُو عَنْ كُلِّ مُسْلِمٍ إِلَّا أَرْبَعَةً: مُدْمِنَ خَمْرٍ، وَعَاقًّا، وَمُشَاحِنًا، وَقَاطِعَ رَحِمٍ»(١).

والأخبار الضعيفة والآثار تُذكر في مقام الوعظ والتذكير، والترغيب والترهيب، وهذه الأربعة لها أصول عظيمة ثابتة؛ فالخمر خطره عظيم، وقد صح عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**لَعَنَ اللهُ الخَمْرَ وَلَعَنَ شَارِبَهَا، وَسَاقِيَهَا، وَعَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَبَائِعَهَا، وَمُبْتَاعَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ، وآكِلَ ثَمَنِهَا**»(٢) نعوذ بالله.

وقال: «**إِنَّ عَلَىٰ اللهِ عَهْدًا إِنَّ مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَشْرَبُ الخَمْرَ أَنْ يُسْقِيَهُ مِنْ طِينَةَ الخَبَالِ**» قيل: يا رسول الله، ما طينة الخبال؟ قال: «**عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ، أَوْ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ**»(٣) رواه مسلم.

فالخمر شرها عظيم، وعواقبها وخيمة، أعوذ بالله، فيجب الحذر غاية الحذر من هذه المعصية الخبيثة، وهذه الكبيرة العظيمة.

والعاق لوالديه ذنبه عظيم، وكبيرته عظيمة، وقد ثبت في العقوق الأحاديث الصحيحة الدالَّة علىٰ أنه من الكبائر. يقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح، الذي رواه الشيخان: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ ثَلَاثًا؟**». قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ**»، وَجَلَسَ ـ وَكَانَ مُتَّكِئًا ـ فَقَالَ: «**أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ**»(٤).

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، باب ما جزاء الأجير إذا عمل عمله (٨/ ٢٠٨). قال سماحته: في سنده نظر.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (٢/ ٩٧).

(٣) أخرجه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه في كتاب الأشربة، باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام، برقم (٢٠٠٢).

(٤) متفق عليه من حديث نفيع بن الحارث رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، برقم (٥٩٧٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، برقم (٨٧).

فبيَّن ﷺ أن العقوق من أكبر الكبائر، فإن كان من أسباب حرمان المغفرة، فليس ببعيد لكبر هذه الجريمة.

والمشاحن كذلك؛ الشحناء والبغضاء يكثر بين الناس، فإنها تفقدهم التعاون علىٰ الخير، والتواصي بالحق، وتجرُّهم إلىٰ الظلم والعدوان، ولهذا حرَّم الله التهاجر لِمَا فيه من الفساد، قال ﷺ: «**لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**»(١)، وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ**»(٢)؛ فالتهاجر والشحناء لهما عواقب وخيمة.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**تُعْرَضُ الأَعْمَالُ فِي كُلِّ يَوْمِ خَمِيسٍ وَاثْنَيْنِ، فَيَغْفِرُ اللهُ ﷻ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ لِكُلِّ امْرِئٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا امْرَأً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: اتْرُكُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا، ارْكُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا**» رواه مسلم(٣).

هذا وعيد وخطر عظيم: أن الشحناء من أسباب حرمان المغفرة؛ فوجب علىٰ المؤمنين أن يصطلحوا، وأن يتواصوا بالخير، وأن يتعاونوا علىٰ البر والتقوىٰ، وأن يبتعدوا عن التهاجر والتشاحن.

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب النكاح، باب لا يخطب علىٰ خطبة أخيه حتىٰ ينكح أو يدع، برقم (٥١٤٣)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس... إلخ، برقم (٢٥٦٣).

(٢) أخرجه البخاري من حديث أنس بن مالك ﷺ في كتاب الأدب، باب ما ينهىٰ عن التحاسد والتدابر، برقم (٦٠٦٥)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر، برقم (٢٥٥٩).

(٣) أخرجه من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب البر والصلة، باب النّهيِ عنِ الشّحناءِ والتّهاجرِ، برقم (٢٥٦٥).

والرابع: القطيعة؛ قطيعة الرحم أيضًا كبيرة من الكبائر، يجب الحذر منها، ولا يُستغرب أن تكون من أسباب حرمان المغفرة؛ قال تعالىٰ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢ ـ ٢٣]. وقال: ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ**»[1].

هذا وعيد عظيم، فيجب الحذر من قطيعة الرَّحم، ومن العقوق، ومن الشحناء، ومن شُرب المُسكرات، يجب الحذر من هذه القبائح، وغيرها من القبائح، ولا سيما في هذه الأيام العظيمة، والليالي الكبيرة الشريفة، يجب الحذر من كل ما حرَّم الله، وتجب المبادرة والمسارعة إلىٰ أداء ما أوجب الله، وينبغي ويشرع للمؤمن في هذه الليالي والأيام المنافسة في الخيرات، والمسابقة إلىٰ أنواع الطاعات اغتنامًا لهذه الفضائل.

جعلنا الله وإياكم من الموفَّقين لكل خير، وثبَّتنا وإياكم علىٰ الهدىٰ، ووفقنا جميعًا لإكمال صيامه وقيامه إيمانًا واحتسابًا، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه.

* * *

---

(١) متفق عليه من حديث جبير بن مطعم ﷺ. أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب إثم القاطع، برقم (٥٩٨٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم وتحريم قطعها، برقم (٢٥٥٦).

عَشْرُ رمضان

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله.

أما بعد(١):

أيها الأخوة في الله، لا يخفىٰ أننا في شهر عظيم، وعشر مباركات، هي ختامه، وهي أفضله، كان النبي الكريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ يخصُّها بمزيد اجتهاد، لا يفعله في بقية العشرين، ومن ذلك: أنه كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يحيي ليلها، ويوقظ أهله، ويشد المئزر، ويعتكف لالتماس الليلة العظيمة ليلة القدر؛ فجدير بنا، جدير بأهل الإسلام، جدير بأمته ـ عليه الصلاة والسلام ـ من أهل الإيمان أن يتأسَّوْا به ـ عليه الصلاة والسلام ـ في تعظيم هذه العشر، والعناية بها، والمسارعة والمنافسة في وجوه الخير، ففي مثل هذا يقال: فليتنافس المتنافسون، وليعمل العاملون، يقول ﷻ: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، ويقول ـ سبحانه ـ: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١]، ويقول ـ سبحانه ـ: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وهذه الأوامر تشمل جميع الزمان، وكل مكان، فالمؤمن، وهكذا المؤمنة، مأموران باستباق الخيرات، والمسابقة إليها، والمسارعة إليها في أي وقت، وفي كل مكان حتىٰ يلقىٰ ربَّه، ولكن ينبغي للمؤمن

(١) من دروس سماحته في مكة المكرمة من ١٤٠٧/٩/٢٤هـ إلىٰ ١٤٠٧/٩/٢٧هـ، شريط رقم (٢٠٠).

والمؤمنة تخصيصُ الأوقات التي خصَّها الرسول ﷺ وعظَّمها بمزيد عناية، وهذا المكان المفضل العظيم يُخَصُّ أيضًا بمزيد عناية إذا تيسر للعبد الوصول إليه؛ كالمسجد الحرام، والمسجد النبوي، وهكذا المسجد الأقصىٰ، هذه المساجد العظيمة لها مَزِيَّة عظيمة علىٰ غيرها، كما أن رمضان، وعشره الأخير، وتسع ذي الحجة كلها، هذه الأزمنة لها مزية.

والمؤمن يدفعه إيمانه ويحمله إيمانه علىٰ انتهاز فرص الخير، والمسابقة إلىٰ أنواع الطاعات، ولا سيما هذه العشر المباركة، فإنها جديرة بالعناية، وفيها ليلة عظيمة خير من ألف شهر، ألا وهيّ ليلة القدر، كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ التمسها في العشر الأول واعتكف، ثم التمسها في العشر الوسط واعتكف، ثم قيل له: إنها في العشر الأخير، فاعتكف العشرة الأخير، يلتمس هذه الليلة العظيمة، وقال للأمة: التمسوها في العشر الأواخر والتمسوها في كل وتر، وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»**(١). أخرجه الشيخان.

وفي رواية لأحمد بإسناد حسن عن عُبادة رضي الله عنه عن النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: **«فَمَنْ قَامَهَا ابْتِغَاءَهَا إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، ثُمَّ وُفِّقَتْ لَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ»**(٢).

هذا خير عظيم وفضل كبير، وهذه الليلة أُنزل فيها القرآن كما قال عز وجل: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ﴾

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب **«مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا وَنِيَّةً»**. وقالتْ عائشةُ رضي الله عنها عن النّبيّ ﷺ: **«يُبْعَثُونَ عَلَىٰ نِيَّاتِهِمْ»**، برقم (١٩٠١)، ومسلم في كتاب الصوم، باب الترّغيبِ في قيامِ رمضانَ وهوَ التّراويحُ، برقم (٧٥٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده عن عبادة رضي الله عنه (٣١٨/٥).

[الدخان: ٣]؛ فالليلة المباركة المذكورة في سورة الدخان هي هذه الليلة، هي ليلة القدر، قال فيها هنا في سورة الدخان: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ١ ـ ٤] سبحانه وتعالى. وقال في سورة أنزلها مستقلة: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القدر: ١ ـ ٥].

وسمِّيت ليلة القدر لشرفها وعظمتها فهي ليلة الشرف، وليلة العظمة، وقيل: سمِّيت بذلك؛ لأنها تُقَدَّر فيها حوادث السنة، وما يجري فيها، وهي ليلة القدر؛ **بمعنىٰ**: الشرف والعَظَمة، وليلة القدر؛ **بمعنىٰ**: التقدير.

وينبغي لك ـ يا عبد الله ـ أن تجتهد في إحيائها بالخير والعمل الصالح، فإن العمل فيها والاجتهاد فيها خير من العمل في ألف شهر ممَّا سواها؛ ركعة فيها، أو قراءة فيها، أو صدقة فيها، أو تسبيحة فيها، أو أمر بالمعروف، أو نهي عن المنكر، أو دعوة إلىٰ الله، أو نحو ذلك، خير من العمل في ألف شهر مما سواها، وهذا خير عظيم، وفضل كبير.

ومن قام ليال العشر كلها أدرك هذه الليلة بلا شك، فإنها عند جمهور أهل العلم لا تخرج عنها، وهو الحق الذي لا ريب فيه. قد تضافرت عليه الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ دالَّة علىٰ أنها في هذه العشر، وأنها متنقلة؛ تارة تكون في الأوتار، وتارة في الأشفاع، ومن قام هذه الليالي كلها، فقد أدركها، بشرط أن يكون إيمانًا، واحتسابًا؛ إيمانًا بأن الله شرع ذلك، واحتسابًا للثواب عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا رياء ولا لغرض آخر، بل يقومها ويعمل فيها إيمانًا بشرع الله، واحتسابًا للثواب عنده عَزَّ وَجَلَّ، هكذا الأعمال، لا بد أن تكون عن إيمان وإخلاص وصدق، أما إن كانت لغرض آخر، فلا قيمة لها، ولا تنفع

صاحبها بل تضره، وإنما الأعمال التي عند الله زاكية ومفيدة ونافعة، هي الأعمال التي تصدر عن إخلاص له ـ سبحانه ـ وعن إيمان به أنه رب العالمين، وأنه الواحد الأحد المستحق للعبادة، وعن احتساب للثواب عنده، وطلب الأجر عنده ﷻ، وعن موافقةٍ للشريعة، لا تكون بدعةً، بل تكون لله خالصة، وللشريعة موافقة، هكذا تكون الأعمال النافعة المفيدة.

وقد بيَّن ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن الأوتار آكَدُ من غيرها، وهذه الليلة التي أمامنا هي ليلة الجمعة، وهي ليلة خمس وعشرين، وهي وتر، فهي من أرجىٰ الليالي في هذه الليالي المباركة.

وقد قال بعض أهل العلم: إِنْ كان في الأوتار ليلة الجمعة، كانت آكَدَ وأقرب أن تكون ليلة القدر، وينبغي لنا أن نُعنىٰ بهذه الليالي، ولا سيما هذه الليلة، وأن يكون لنا فيها حظ ونصيب من الاجتهاد في الخير.

وهنا أمر عظيم يجب التنبُّه له؛ وهو: أن بعض الناس قد يستقيم في رمضان، وقد يتوب، وتصلُح حاله، ويجتهد، ثم بعد رمضان يرجع إلىٰ أعماله السيئة، وينحرف عن طريق الصواب، وهذه من المصائب العظيمة فيجب الحذر، ويجب يا أخي أن تصمم، وأن تعزم عزمًا صادقًا أن تستقيم علىٰ أمر الله أبدًا حتىٰ تلقاه ـ سبحانه ـ وأن تجتهد في لزوم الحق، والاستقامة علىٰ التوبة حتىٰ تلقىٰ ربك ﷻ، هكذا يجب علىٰ كل مؤمن ومؤمنة أن يستقيم علىٰ دين الله، وأن يؤدي ما أوجب الله عليه، وأن يحذر ما حرَّم الله عليه، وأن يكون أبدًا علىٰ حذر وخوف لعله ينجو لعله يسلم، يقول الله ـ جلَّ وعلا ـ لنبيِّه ﷺ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، وهو رسول الله سيد ولد آدم، يُؤمَر بالاستقامة والاستمرار علىٰ طاعة ربِّه، وعبادته حتىٰ يلقاه ـ سبحانه ـ ويقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]؛ فأمرنا بالاستقامة علىٰ تقواه، وأن نستمر علىٰ ذلك حتىٰ الموت،

والإنسان لا يدري ماذا يعيش، ولا يدري: هل يدرك رمضان آخرَ، أو عشره الأخير، لا يدري: فجدير به أن يأخذ بالحزم دائمًا، جدير بالمؤمن أن يأخذ بالحزم دائمًا، وأن يكون علىٰ استقامة.

ثبت في الصحيح عن ابن عمر ﵄ عن النبي ﷺ قال لابن عمر: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**»، وكانَ ابنُ عمرَ يقولُ: إذا أمسيتَ فلا تنتظرِ الصّباحَ، وإذا أصبحتَ فلا تنتظرِ المساءَ، وخذْ منْ صحّتكَ لمرضكَ، ومنْ حياتكَ لموتكَ، هكذا يكون الحزم هكذا يكون المؤمن.

وخرَّج الحاكم عن ابن عباس ﵄ عن النبي ﷺ أنه قال: «**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَك قَبْلَ هَرَمِك، وَصِحَّتَك قَبْلَ سَقَمِك، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِك، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِك**»[1]، هكذا المؤمن يغتنم هذه الأمور، يغتنم صحته وحياته وفراغه وغناه وشبابه وقوّته، يستعملها في الخير، يحرص علىٰ صرفها في أعمال الخير قبل أن يهجُم عليه الأجل.

والله يقول ـ سبحانه ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠ ـ ٣٢]؛ هذه حال أهل الاستقامة الذين قالوا: ربنا الله؛ يعني: اعترفوا بأن الله ربُّهم وإلٰههم ومعبودهم الحق، ثم استقاموا علىٰ طاعته والإخلاص له، فأدَّوْا فرائضَه، وانتهوا عن محارمه، ووقفوا عند حدوده،

---

(١) أخرجه في المستدرك، في كتاب الرقاق، برقم (٧٨٤٦)، وصححه ووافقه الذهبي (٣٠٦/٤).

حتىٰ وافتهم المنية، ويقال لهم عند الموت: لا تخافوا ولا تحزنوا، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون، هكذا تبشرهم الملائكة.

فاحرص يا أخي أن تكون من هؤلاء، واسألْ ربَّك التوفيقَ والإعانة، وواظِبْ علىٰ الخير، وحاسب نفسك دائمًا، وعليك بصحبة الأخيار، فأنت في زمن الغُربة، أنت اليوم في زمن الغربة، وقلة العلم، وكثرة الجهل، وكثرة من دعاة البدع والفساد والهلاك؛ فاحرص علىٰ لزوم الحق وصُحبة أهل الحق، واحذر صحبة الأشرار، وعليك بالعلم وطلب العلم، وعليك بكتاب الله العظيم، وهو أصل كل خير، عليك بالقرآن الكريم، وهو ينبوع كل خير، وهو أصل كل خير، فاستقم علىٰ تلاوته، وتدبَّر معانيه، والعناية به، والعمل بما فيه، وهكذا سُنّة الرسول ﷺ؛ الزَمْها، واستقم عليها، واحفظ ما تيسَّر منها، فهذا هو طريق النجاة، هذا هو طريق السعادة.

رزقنا الله وإياكم الاستقامة، وأعاذنا وإياكم من أسباب الحزن والندامة، ووفَّقنا جميعًا لإكمال صيامه وقيامه إيمانًا واحتسابًا، كما نسأله ـ سبحانه ـ أن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان، وأن يكثِّر فيهم دعاة الهدىٰ، وأن يمنحهم الفقه في الدين، وأن يصلح قادتهم، وأن يوفق الجميع للتمسك بشريعته والحكم بها، والتحاكم إليها، والاستقامة عليها، والدعوة إليها، والحذر مما يخالفها، إنه سميع قريب، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

* * *



ليلة القدر

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[1]:

فهذه الأحاديث التي ذكرها المؤلف الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ، كلُّها تتعلق بالتماس ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان، وقد استفاضت الأحاديث عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ في ذلك؛ ولهذا ذهب جمهور أهل العلم إلىٰ أنها في العشر الأواخر، وأن من قام العشرة كلَّها إيمانًا واحتسابًا أدرك هذه الليلة، فإنها لا تخرج عنها، وبينت الأحاديث عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن الأوتار آكَدُ من غيرها؛ كإحدىٰ وعشرين، وثلاث وعشرين، وخمس وعشرين، وسبع وعشرين، وتسع وعشرين، هذه الأوتار والأفراد أحرىٰ من غيرها، ولهذا في بعض الروايات: «التَمِسُوهَا فِي الوِتْرِ مِنَ العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ»، ودلَّت الأحاديث علىٰ أن السبع البواقي آكَدُ من غيرها، ولهذا قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«أَرَىٰ رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ؛ فَالتَمِسُوهَا فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ»**[2]، في اللفظ الآخر قال: **«فَلَا تُغْلَبُوا عَلَىٰ السَّبْعِ البَوَاقِي»**[3].

---

(١) من دروس سماحته في مكة المكرمة من ٢٤/٩/١٤٠٧هـ إلىٰ ٢٧/٩/١٤٠٧هـ، شريط رقم (٢٠٠).

(٢) أخرجه البخاري من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في كتاب صلاة التراويح، باب التماس ليلة القدر في السبع الأواخر، برقم (٢٠١٥)، ومسلم في كتاب الصيام، باب فضل ليلة القدر والحث علىٰ طلبها وبيان محلها وأرجىٰ وأوقاتها طلبها، برقم (١١٦٥).

(٣) أخرجه الإمام أحمد من حديث علي بن أبي طالب (١/ ١٣٣).

المقصود: أن العشر هي محلُّ هذه الليلة، وكان النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ يجتهد في العشر الأواخر من رمضان، ما لا يجتهد فيما سواها من العشرين السابقة، كان يخصُّ هذه العشر بمزيد عناية ومزيد اجتهاد، وكان يحيي ليلَها بالعبادة؛ من قراءة وصلاة وذكر ودعاء، وغير ذلك من أنواع العبادة، وكان يوقظ أهلَه للعبادة، قالت عائشة رضي الله عنها: «إِذَا دَخَلَ العَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ»[1]، وفي اللفظ الآخر: «جَدَّ وَشَدَّ»[2]، وفي لفظ آخر: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ»[3].

هذا كله يبين لنا عِظَمَ هذه العشر، وأنها أفضل الشهر، وفيها هذه الليلة العظيمة، وهي ليلة القدر التي أخبر مولانا ـ سبحانه ـ أنها خيرٌ من ألف شهر، وهذا يدل علىٰ عظمتها، وأن العمل فيها والاجتهاد فيها خير من العمل في ألف شهر مما سواها، فهي جديرة بالعناية، فَمِنْ لطف الله وإحسانه ـ سبحانه ـ أنْ جعلَها في العشر، ولم يجعلْها في شهر ولا في سنة، بل في عشر والعشر يسهل ـ بحمد الله ـ علىٰ كل راغب أن يقومها إيمانًا واحتسابًا، فليست ـ بحمد الله ـ شاقةً علىٰ الراغب، ولهذا كان المصطفىٰ ـ عليه الصلاة والسلام ـ يحييها ويخصُّها بالعناية، كان قد اعتكف في العشر الأول يطلب هذه الليلة، ثم اعتكف في العشر الوسط

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها. أخرجه البخاري في كتاب فضل ليلة القدر، باب العملِ في العشرِ الأواخرِ منْ رمضانَ، برقم (٢٠٢٤)، ومسلم في كتاب الاعتكاف، باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان، برقم (١١٧٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث عائشة رضي الله عنها (٦/ ٦٨).

(٣) متفق عليه. أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في كتاب الاعتكاف، باب الاعتكافِ في العشرِ الأواخرِ والاعتكافِ في المساجدِ كلِّها، برقم (٢٠٢٥)، ومسلم في كتاب الاعتكاف، باب اعتكافِ العشرِ الأواخرِ منْ رمضانَ، برقم (١١٧١).

يطلب هذه الليلة، ثم قيل له: إنها في العشر الأواخر، فكان يعتكف العشر الأواخر من رمضان يطلب هذه الليلة المباركة العظيمة.

وقد قال الله فيها ـ سبحانه ـ في سورة الدخان: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٥ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الدخان: ١ ـ ٦]، هذه الليلة العظيمة هي مباركة لِمَا فيها من الخير وفيها يُفرق كل أمر حكيم، قال كثير من المفسرين: معنىٰ ذلك أنه يقدِّر فيها حوادث السنة، ولهذا قيل: ليلة القدر؛ **يعني**: ليلة التقدير، وإن الحوادث التي تقع في السنة المستقبَلة تكون مقدَّرةً فيها، تفصيلًا من القدر السابق؛ من موتٍ، وجدبٍ، وخِصبٍ، وزوال ملك، وجديد ملك، وغير ذلك من الشؤون، ولهذا قيل لها: ليلة القدر؛ **يعني**: ليلة التقدير.

وقال آخرون: معنىٰ ليلة القدر؛ **يعني**: الشرف والفضل، ولا منافاة بين المعنيين؛ هي ليلة شرف وفضل، وهي ليلة تقدير أيضًا، فكلا الأمرين واقعان فيها، ولشرفها وفضلها وعَظَمَتِها صارت خيرًا من ألف شهر، ولِمَا فيها من التقدير قال فيها ﷻ: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤].

وقد قالت عائشة ﵂: يا رسول الله، إن وافقتُ ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: قولي: «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»[(١)]؛ هذا يدل علىٰ أنه ينبغي فيها الإكثارُ من الدعاء، وينبغي الجِدُّ في العمل الصالح؛ لأنه مضاعف، والعمل فيها خير من العمل في ألف شهر فيما سواها؛ كالصدقة والصلاة والذكر والقراءة، والدعوة إلىٰ الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبر الوالدين، إلىٰ غير هذا، كلُّه مضاعف في رمضان، وفي هذه الليلة بخاصة مضاعفة عظيمة.

والواجب أن يكون قيام هذه الليالي إيمانًا واحتسابًا، لا رياءً،

---

(١) سبق تخريجه في ص٢١٢.

ولا لغرض آخر، بل يقومها المؤمن إيمانًا بأن الله شرع ذلك، وأحب ذلك، واحتسابًا للثواب عنده ﷻ، يطلب ثوابه، لا رياءً للناس، ولا تقليدًا لزيد وعمرو، بل يعمل ذلك إيمانًا واحتسابًا للثواب عند الله ﷻ، وقد قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»**[(١)]، وفي رواية أخرىٰ عند أحمد عن عُبادة: **«فَمَنْ قَامَهَا ابْتِغَاءَهَا إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، ثُمَّ وُفِّقَتْ لَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ»**[(٢)].

فينبغي العناية بهذه الليالي، وقد فات أكثرُها، وهذه الليلة القادمة هي ليلة سبعة وعشرين، وهي أرجىٰ الليالي، وهي أرجىٰ الأوتار، كان جماعة من الصحابة يقولون: إنها ليلة سبع وعشرين ليلة القدر، وجاء فيها بعض الأحاديث الدالة علىٰ ذلك، ولكن الصواب انها لا تتعيَّن في ليلة، بل هي متنقِّلة؛ فقد تكون في سبع وعشرين سنوات، ثم تنتقل إلىٰ تسع وعشرين، أو إلىٰ خمس وعشرين، أو إلىٰ ثلاث وعشرين، أو إلىٰ إحدىٰ وعشرين، أو إلىٰ بعض الأشفاع؛ كالرابعة والعشرين، والسادس والعشرين، فهي متنقلة علىٰ الصحيح، وهذا هو الجمع بين الروايات الدالَّة علىٰ أنها في ثلاث وعشرين، وفي بعضها أنها في سبع وعشرين، وفي بعضها أنها في إحدىٰ وعشرين؛ إنما كان كذلك لتنقُّلها، ليست في ليلة واحدة معينة لا تفارقها أبدًا، بل هي متنقلة في العشر، لا تخرج عن العشر، فإما تكون في الحادية والعشرين، وإما تكون فيما بعدها إلىٰ آخر ليلة.

فالحزم كل الحزم في قيام الليالي كلها، والعناية بها كلها، ولهذا كان السلف الصالح ﷺ يعتنون بها كلِّها، ويعظمونها، ويحيون ليلها بالعبادة، ويعتنون أيضًا باللباس الحَسَن، والطيب والغسل؛ فهذه الليالي، أو في أوتارها كلها، هذا من باب العناية بهذه الليالي العظيمة، وكثير من الناس قد يكون نشيطًا في هذه الليالي والأيام، ومجتهدًا، ولكن بعد

---

(١) سبق تخريجه في ص٢١٨.

(٢) سبق تخريجه في ص ٢١٨.

خروج رمضان يُبتلىٰ بالنكوص علىٰ عقبيه، والرجوع إلىٰ أعماله السيئة والعياذ بالله، وقد يستحوذ عليه الشيطان، فيردُّه إلىٰ ما كان عليه سابقًا من فساد وانحراف، فيجب الحذر، يجب الحذر، فاحمد ربَّك الذي مَنَّ عليك بالهداية والتوفيق، وأعانك علىٰ الخير في هذا الشهر، واحذر أن ترجع إلىٰ الشر بعد أن هداك الله، واحذر أن ترجع إلىٰ المعصية بعد أن تُبتَ منها، عليك بالجد والنشاط في الخير، والاستقرار والثبات علىٰ الحق حتىٰ تلقىٰ ربَّك ﷻ.

هكذا المؤمن يلزم الحق، ويستقيم عليه، كما قال الله ﷻ للنبي ﷺ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، قال ـ سبحانه ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

يقول ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]؛ هذا جزاء أهل الاستقامة؛ الذين يقولون: إن ربهم الله؛ **يعني**: إلٰههم ومعبودهم الحق، ثم يستقيمون علىٰ طاعته، واتباع شريعته، وتعظيم أمره ونهيه، هؤلاء هم أولياؤه، وهم عبادُه علىٰ الحقيقة، وهم المستحقُّون لكرامته وفضله، وأن تبشرهم الملائكة عند الموت بالجنة والنجاة من النار، وبأنه لا خوفٌ عليهم ولا حزن، بسبب ما أسلفوا من الخير، وما استقاموا عليه من الطاعة.

وأنتم تعلمون أيضًا أن الأعمال بالخواتيم؛ فينبغي للمؤمن أن يحرص علىٰ أن يختم هذا الشهر العظيم بأفضلَ ما يستطيع من الخير؛ من قراءة وذكر وصلاة، وغير ذلك؛ لعل الله يتقبل منه ما مضىٰ، ويثيبه في مستقبل زمانه في الثبات علىٰ الحق.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وثبَّتنا وإياكم علىٰ الهدىٰ، ومَنَّ علينا وعليكم جميعًا بإكمال صيامه وقيامه إيمانًا واحتسابًا، وجعلنا فيه من العتقاء من النار، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه.



الزكاة[1]

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسوله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد:

فالزكاة أمرها ـ بحمد الله ـ واضح، وهي الركن الثالث من أركان الإسلام الخمسة، وهي قرينة الصلاة في كتاب الله؛ قرن بينهما في مواضعَ كثيرة، وهكذا في السُّنَّة، يقول الله ﷻ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦]؛ فهي أخت الصلاة.

ويقول النبي ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ**»[2].

والآيات والأحاديث في هذا المعنىٰ كثيرة، كلها دالة علىٰ فرضيَّة الزكاة، وأنها فرض عظيم، وأنها أخت الصلاة، وليس بين أهل العلم

---

(١) حديث المساء من دروس سماحته في مكة المكرمة من ٢٤/٩/١٤٠٧هـ إلىٰ ٢٧/٩/١٤٠٧هـ، شريط رقم (٢٠٠).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ. أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ، برقم (٢٩٤٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتىٰ يقولوا لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة، برقم (٢١).

ـ بحمد الله ـ خلاف في وجوبها وفرضِيَّتها، يقول النبي ﷺ: **«بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»**(١).

فالواجب علىٰ المسلمين أن يؤدوها، وأن يحذروا البخل بها، فإن أداءها بركة عظيمة، وطاعة لله ولرسوله، ومجلبة للغِنىٰ، ورحمة للناس ومواساة.

فقد جاء في الأحاديث عن النبي ﷺ ما يدل علىٰ أن إخراج الزكاة من أهم المهمات، وأنه لا يجوز للمؤمن التساهُل في ذلك، ولهذا كان يبعث العمال ـ عليه الصلاة والسلام ـ ليأخذوا صدقات الناس من مواشيهم وزروعهم وثمارهم، وفي قصة معاذ ما يدل علىٰ عِظَم شأنها، فإنه بعثه إلىٰ اليمن، أمره أن يدعو الناس إلىٰ توحيد الله والإيمان برسوله ﷺ، ثم قال: **«فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ، وَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ»**(٢).

وفي الزكاة مصالحُ كثيرة، وهي من محاسن الإسلام الذي شرعه الله لعباده؛ فإنها عبادة عظيمة، ومن محاسن هذا الدين، لما فيها من الإحسان

---

(١) متفق عليه. أخرجه من حديث ابن عمر ﵄ البخاري في كتاب الإيمان، باب دعاؤكُمْ إيمانكُمْ، برقم (٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، برقم (١٦).

(٢) أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن عباس ﵄ في كتاب الزكاة، باب زكاة السائبة، برقم (١٥٨٤)، والنسائي في كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، برقم (٢٤٣٥)، وابن ماجه في كتاب الزكاة، باب فرض الزكاة، برقم (١٧٦٤)، وصححه الألباني.

إلىٰ الناس، ومواساتهم: ولما فيها من ربط الغني مع الفقير برباط الإحسان والعون، والنفوسُ مجبولة علىٰ حبِّ من أحسن إليها، فيكون الشعب مرتبطًا بعضهم البعض متعاونًا.

ومن ذلك أيضًا: تطهير المزكِّي، وتطهير ماله؛ فإن الزكاة مع كونها تربط الغني بالفقير، وترحم الفقير وتواسيه، وتعطف عليه، هي أيضًا تطهِّر المزكِّي نفسه، وهو يزكِّي نفسه، ويزكي ماله، كما قال ﷻ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]؛ فهي طُهرة له ولماله، وهي إحسان إلىٰ إخوانه، ومواساة لهم، وعطف عليهم.

ثم هي أيضًا شكر لله علىٰ ما أنعم ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] وهو يشكر الله بإخراج ما تيسر من ماله في الزكاة.

وفي الحديث الصحيح أيضًا: أن العبد إذا بخل بها يعاقَبُ يوم القيامة بشجاع أقرع، حية عظيمة، قد ذهب شعر رأسها من شدة السُّمِّ، أو من كبر السن، تأخذ بشدقيه، ثمّ تقولُ: «أَنَا مَالُكَ، أَنَا كَنْزُكَ»[(١)]؛ يعني: الذي بخلت ولم تؤدِّ حقَّه، ودل القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة علىٰ أنه سيعذَّب بماله إذا لم يؤد حقه، فيكون وبالًا عليه، وشرًّا عليه كما قال ـ سبحانه ـ: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤ ـ ٣٥]؛ المراد بالآية: الأموال التي لا تُزكَّىٰ

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، برقم (١٤٠٣)، والنسائي كتاب الزكاة، باب مانع زكاةِ مالِهِ، برقم (٢٤٨١)، والإمام أحمد (٢/ ٣٥٥). وهذا لفظ البخاري بتمامه: «**مَنْ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ، مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ، لَهُ زَبِيبَتَانِ، يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ**»؛ يَعْنِي: شِدْقَيْهِ، «**ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالُكَ، أَنَا كَنْزُكَ**» ثُمَّ تَلَا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ الآية [آل عمران: ١٨٠].

ولا تنفق في سبيل الله، لا يُؤدَّىٰ حقها يعذَّب بها صاحبها، وإخراج الزكاة في سبيل الله هو إنفاق في سبيل الله، ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤] هذا يدل علىٰ أنهم يعذَّبون بهذا المال الذي كنزوه وحفظوه، ولم يبذلوه في وجوه الخير، ولم يخرجوا حقه.

والله جعل الزكاة ـ كما تقدم ـ رحمة للفقراء، وإحسانًا إليهم، وطُهرة لك ولمالك، وإحسانًا إلىٰ إخوانك المسلمين، وتباعدًا عن الشح والبخل، ثم هو مخلوف هذا المال، أنت مأجور عليه، ومخلوف عليك ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩] مأجور كما قال ﷻ: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠].

فالواجب علىٰ أهل الإيمان من الذكور والإناث الحساب لأنفسهم، والعناية بإخراج الزكاة عن جميع الأموال الزكوية، وزروعهم، وثمارهم، ونقودهم، وإبلهم، وبقرهم، وغنمهم، جميع أموال الزكاة، يجب أن يهتموا بها، وأن يؤدُّوا ما عليهم من ذلك.

وفي الحديث دلالة علىٰ أنه لا يكفُر بذلك إذا لم يحجدْها؛ ولهذا قال: «**ثُمَّ يَرَىٰ سَبِيلَهُ؛ إِمَّا إِلَىٰ الجَنَّةِ وإِمَّا إِلَىٰ النَّارِ**»؛ يعذب بها في القيامة، إما يُساق إلىٰ الجنة، وإما يُساق إلىٰ النار، فدل علىٰ أنه لم يكفر بذلك، ولكنه أتىٰ معصيةً عظيمة، وكبيرة عظيمة استحق عليها العذاب.

ثم هذا المال لم يذهب بعيدًا، فهو في إخوانك المحاويج وقرابتك، وتنفقه في أقاربك الفقراء، في جيرانك في إخوانك الفقراء، وهو في الحقيقة ما ذهب؛ إنما حصلت به المواساة والإحسان، وبقي لك أجره العظيم، ومن عوَّد نفسه الإنفاق والجود والكرم سهُل عليه ذلك،

ومن عوَّد نفسه البخل والشح عظُم عليه الإنفاق وشق عليه، أما من جحدها، هذا يكفر بإجماع المسلمين كما لو جحد الصلاة، أو جحد صيام رمضان، أو جحد الحج مع الاستطاعة؛ هذا يكفر بالإجماع، وإنما إذا بخل، فهذا لا يكفر، ولكنه يعاقَب إذا امتنع، يعاقب ويؤدب ويعزَّر حتىٰ يؤديَها، ويأخذها وليُّ الأمر منه قهرًا إذا توقف، وهذا من باب إعانته علىٰ الخير، ومن باب إلزامه بأداء الواجب.

وهناك زكاة الأبدان، يجب أن تؤدَّىٰ أيضًا، وهي الفطرة، زكاة الفطر يجب أن تؤدَّىٰ يوم العيد قبل الصلاة، أو قبل العيد بيوم أو يومين، كما ثبت عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: **«فَرَضَ اللهُ زَكَاةَ الفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، عَلَىٰ العَبْدِ وَالحُرِّ، وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَىٰ، وَالصَّغِيرِ وَالكَبِيرِ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّىٰ قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَىٰ الصَّلَاةِ»**، هكذا رواه الشيخان البخاري ومسلم في الصحيحين[1]. وقال أبو سعيد الخدري ﷺ: **«كُنَّا نُخْرِجُ زَكَاةَ الفِطْرِ صَاعًا مِنْ طَعَامٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ أَقِطٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ زَبِيبٍ»**[2]؛ لأن هذه الأموال موجودة عندهم في المدينة، إن أدىٰ صاعًا من هذه الأمور أدىٰ الواجب، وإن أدىٰ من غيرها مما هو قوتُ بلده كذلك، كالأُرز، والدُّخن عند من يستعمل الدُّخن، والعدس عند من يستعمل العدس، إذا أدىٰ صاعًا من قوت البلد ومن طعام أهل البلد، كفىٰ.

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر ﷺ. أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب فرض صدقة الفطر صاع من شعير، برقم (١٥٠٤)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب زكاة الفطر علىٰ المسلمين من التمر والشعير، برقم (٩٨٤).

(٢) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ. أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب صدقة الفطر صاع من طعام، برقم (١٥٠٦)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب زكاة الفطر علىٰ المسلمين من التمر والشعير، برقم (٩٨٥).

والواجب أن تكون قبل صلاة العيد، وإن أخرجها قبل العيد بيوم أو يومين، فلا بأس؛ يوم الثامن والعشرين والتاسع والعشرين، وهكذا يوم الثلاثين إذا تم الشهر يكون ثلاثة أيام إذا تمَّ، ويومين إذا نقص، توسعةً للناس حتىٰ يؤدوها إلىٰ مستحقيها.

ولا يجوز إخراج القيمة، بل يجب أن يخرجها طعام، الفطرة يكون طعامًا، كما أمر بها النبي ﷺ وكما فعل أصحابه ﷺ، والإنسان الذي عنده ما يقوم بحاله من وقف أو راتب من الدولة، أو ينفق عليه قريبه، أو ما أشبه ذلك، لا حق له في الزكاة، إنما تُدفع للفقراء والمساكين الذين ليس لهم قدرة علىٰ الحاجة، الفقير أشد حاجة، والمسكين محتاج، لكنه أحسن حالًا من الفقير، وجِماع ذلك أنهما ليس عندهما ما يسد حاجتهما.

أما الفروع والأصول فلا يُدفع إليهم؛ كأبيه، وأمه، وجده، وجدته، وأولاده، وأولاد أولاده؛ هؤلاء هم بِضَعةٌ منه، ولا يؤديها إليهم، ولكن لا مانع من أدائها للأخوة الفقراء، والأخوات الفقيرات، والأخوال، والخالات، والأعمام، والعمات صدقةً وصلة، و لا تجب علىٰ الحمل، ولكن يستحب؛ أخرجها عثمان بن عفان رضي الله عنه، إذا كانت المرأة حبلىٰ تستحب إخراجها اقتداءً بعثمان رضي الله عنه.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه.



زكاة الفطر(١)

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: «فَرَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَكَاةَ الفِطْرِ؛ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، عَلَىٰ العَبْدِ وَالحُرِّ، وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَىٰ، وَالصَّغِيرِ وَالكَبِيرِ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّىٰ قَبْلَ خُرُوج النَّاسِ إِلَىٰ الصَّلَاةِ» رواه الجماعة(٢).

ولأحمد والبخاري وأبي داود(٣): وكَانَ ابْنُ عُمَرَ يُعْطِي التَّمْرَ إِلَّا عامًّا وَاحِدًا، أَعْوَزَ التَّمْرُ، فَأَعْطَىٰ الشَّعِيرَ.

وللبخاري: «وَكَانُوا يُعْطُونَ قَبْلَ الفِطْرِ بِيَوْم أَوْ يَوْمَيْنِ»(٤).

وَعَنِ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه يَقُولُ: «كُنَّا نُخرِجُ زَكَاةَ الفِطْرِ صَاعًا مِنْ طَعَامٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ أَقِطٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ زَبِيبٍ» أخرجاه(٥).

---

(١) من دروس سماحته في مسجده بالطائف، شريط رقم (٩٣).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب فرضِ صدقةِ الفطرِ، برقم (١٥٠٣)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب زكاةِ الفطرِ علىٰ المسلمينَ منَ التّمرِ والشّعيرِ، برقم (٩٨٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب صدقة الفطر علىٰ الحر والمملوك، برقم (١٥١١)، وأبو داود في كتاب الزكاة، باب كم يُؤَدَّىٰ في صدقة الفطر، برقم (١٦١٥)، وأحمد (٢/ ٥)، برقم (٤٤٨٦).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب الصدقة الفطر علىٰ الحر والمملوك، برقم (١٥١١).

(٥) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل العيد، برقم (١٥١٠)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب زكاة الفطر علىٰ المسلمين من التمر والشعير، برقم (٩٨٥).

وَفي رواية: «كُنَّا نُخْرِجُ ـ إِذْ كَانَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ـ زَكَاةَ الفِطْرِ عَنْ كُلِّ صَغِيرٍ وَكَبيرٍ، حُرٍّ أَوْ مَمْلُوكٍ، صَاعًا مِنْ طَعَامٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ أَقِطٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ زَبِيبٍ، فَلَمْ نَزَلْ نُخْرِجُهُ حَتَّىٰ قَدِمَ عَلَيْنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا، فَكَلَّمَ النَّاسَ عَلَىٰ المِنْبَرِ، فَكَانَ فِيمَا كَلَّمَ بِهِ النَّاسَ أَنْ قَالَ: إِنِّي أُرَىٰ أَنَّ مُدَّيْنِ مِنْ سَمْرَاءِ الشَّامِ تَعْدِلُ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، فَأَخَذَ النَّاسُ بِذَلِكَ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَأَمَّا أَنَا فَلَا أَزَالُ أُخْرِجُهُ كَمَا كُنْتُ أُخْرِجُهُ أَبَدًا مَا عِشْتُ» رواه الجماعة[١].

لكن البخاري لم يذكر فيه: قال أبو سعيد: فلا أزال.. إلخ، وابن ماجه لم يذكر لفظة: «أو شيء منه».

وللنسائي عن أبي سعيد، قال: «فَرَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَدَقَةَ الفِطْرِ؛ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ أَقِطٍ»[٢]؛ وهو حُجَّة في أن الأَقِطِ أصل.

وللدارقطني عَنِ ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ ابْنِ عَجْلَانَ، عَنْ عِيَاضِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنِ أَبِي سَعِيدٍ: «مَا أَخْرَجْنَا عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَّا صَاعًا مِنْ دَقِيقٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ سُلْتٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ زَبِيبٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ أَقِطٍ»، قَالَ أَبُو الفَضْلِ: فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ المَدِينِيِّ ـ وَهُوَ مَعَنَا ـ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، أَحَدٌ لَا يَذْكُرُ في هَذَا الدَّقِيقَ، فَقَالَ: بَلَىٰ هُوَ فِيهِ.

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب صاع من شعير، برقم (١٥٠٨)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب زكاة الفطر علىٰ المسلمين من التمر والشعير، برقم (٩٨٥).

(٢) أخرجه النسائي من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ في كتاب الزكاة، باب التمر في زكاة الفطر، برقم (٢٥١١). وقال الألباني: حسن صحيح.

رواه الدارقطني[١]، واحتج أحمد علىٰ إجزاء الدقيق.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِزَكَاةِ الفِطْرِ قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَىٰ الصَّلَاةِ. رواه الجماعة إلا ابن ماجه[٢].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «فَرَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَكَاةَ الفِطْرِ؛ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَطُعْمَةً لِلمَسَاكِينِ، مَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ، فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ». رواه أبو داود وابن ماجه[٣].

وَعَنِ إِسْحَاقَ بْنِ سُلَيْمَانَ الرَّازِيِّ، قَالَ: «قُلْتُ لِمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، كَمْ وَزْنُ صَاعِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: خَمْسَةُ أَرْطَالٍ وَثُلُثٌ بِالعِرَاقِيِّ، أَنَا حَزَرْتُهُ.

قُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ خَالَفْتَ شَيْخَ القَوْمِ قَالَ: مَنْ هُوَ؟ قُلْتُ: أَبُو حَنِيفَةَ يَقُولُ ثَمَانِيَةُ أَرْطَالٍ، فَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا، وَقَالَ: قَاتَلَهُ اللهُ، مَا أَجْرَأَهُ عَلَىٰ اللهِ، ثُمَّ قَالَ لِبَعْضِ جُلَسَائِهِ: يَا فُلَانُ، هَاتِ صَاعَ جَدِّكَ، وَيَا فُلَانُ هَاتِ صَاعَ عَمِّكَ، وَيَا فُلَانُ هَاتِ صَاعَ جَدَّتِك. قَالَ إِسْحَاقُ: فَاجْتَمَعَتْ آصُعٌ. فَقَالَ مَالِكٌ: مَا تَحْفَظُونَ فِي هَذِهِ، فَقَالَ هَذَا: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ كَانَ يُؤَدِّي بِهَذَا الصَّاعِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَالَ الآخَرُ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَخِيهِ أَنَّهُ كَانَ يُؤَدِّي بِهَذَا الصَّاعِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ،

---

(١) أخرجه الدارقطني في كتاب زكاة الفطر (٥/ ٣٦٩)، برقم (٢١٢٢).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب فرض زكاة الفطر، برقم (١٥٠٣)، وفي باب الصدقة قبل العيد، برقم (١٥٠٩)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الأمر بإخراج زكاة الفطر قبل الصلاة، برقم (٩٨٦).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة، باب زكاة الفطر، برقم (١٦٠٩)، وابن ماجه في كتاب الزكاة، باب صدقة الفطر، برقم (١٨٢٦).

وَقَالَ الآخَرُ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أُمِّهِ أَنَّهَا أَدَّتْ بِهَذَا الصَّاعِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ مَالِكٌ: أَنَا حَزَرْتُ هَذِهِ، فَوَجَدتُّهَا خَمْسَةَ أَرْطَالٍ وَثُلُثًا» رواه الدارقطني[(١)].

* * *

(١) رواه الدارقطني في كتاب زكاة الفطر، برقم (٢٠٩٩).

الشرح

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه.

أما بعد[(١)]:

هذه الأحاديث والآثار التي ذكرها المؤلف، كلُّها تتعلق بزكاة الفطر؛ وزكاةُ الفطر جعلها الله ـ جلَّ وعلا ـ ختامًا لرمضان، فهو يختم بالاستغفار والتوبة، ويختم أيضًا بزكاة الفطر، ويختم أيضًا بصلاة العيد، كل هذه مما يُفعل في نهاية رمضان، وهذه من نِعَم الله ـ جلَّ وعلا ـ ومن فضله علىٰ عباده ﷻ: أنْ شرَع لهم أسبابًا كثيرة من أسباب المغفرة، ومن أسباب التطهير، من أسباب النجاةِ من النار، ومن أسباب جود الله عليهم وإحسانه إليهم ﷻ؛ فالتوبة والاستغفار، وختام الشهر بالأعمال الصالحات من أفضل القُرُبات، ومن أسباب العتق من النار، وزكاةُ الفطر فيها إحسان إلىٰ الناس، وجود وكرم ومواساة، والله يجود علىٰ من جاد من عباده، ويُحسن للمحسنين؛ كما قال ﷻ: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

فزكاة الفطر قُربة عظيمة، وفريضة فرضها رسول الله ﷺ علىٰ الأمة، وما فرضه الرسول فهو من فضل الله ـ جلَّ وعلا ـ كما قال ﷻ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦]، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]، ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، ويقول النبي ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَىٰ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَمَنْ يَأْبَىٰ؟ قَال: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ،**

(١) من دروس سماحته في مسجده في الطائف، شريط رقم (٩٣).

وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ» رواه البخاري(١).

فالحديث الصحيح يوافق الآيات الكثيرات الدالة علىٰ أن طاعة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ من طاعة الله ﷻ، وقد فرض الله ـ جلَّ وعلا ـ ببلاغ الرسول ﷺ زكاة الفطر علىٰ الصغير والكبير، والذكر والأنثىٰ، والحر والمملوك، وجعلها طُهرةً للصائم من اللغو والرفث، وطُعمةً للمساكين. فينبغي للمؤمن أن يعتني بهذه الزكاة، وأن يخرجها من طَيِّب ماله، من الشيء الطيب؛ من التمر الطيب، من الحنطة الطيبة، من الأرز الطيب، كما قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٦٧] وقال النبي ﷺ: **«أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»**(٢).

فينبغي للمؤمن أن يتحرَّىٰ في زكاة الفطر الشيءَ الطيب من تمر، أو من أرز، أو من حنطة، أو شعير، من أقط أو زبيب، مما يخرج، يتحرَّىٰ الشيء الطيب الذي ليس فيه شيء من العيوب، ثم يقدمه طيبةً به نفسُه إلىٰ المساكين، هكذا يكون المؤمن، ولهذا في حديث ابن عباس: أن الله ـ جلَّ وعلا ـ فرض: **«زَكَاةَ الفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَطُعْمَةً لِلمَسَاكِينِ»**(٣)؛ ففيها تطهير، وفيها مواساة، وفيها ختام للشهر بالصدقة علىٰ المحاويج، وفيها ختام الشهر بطاعة الله ورسوله، ببذل المال، فينبغي للمؤمن أن يكون حريصًا علىٰ براءة ذمته، وعلىٰ إيصال الحق إلىٰ مستحقه.

---

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، برقم (٧٢٨٠).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، برقم (١٠١٥)، والبخاري في رفع اليدين، برقم (٩١).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة، باب زكاة الفطر، برقم (١٦٠٩)، وابن ماجه في كتاب الزكاة، باب صدقة الفطر، برقم (١٨٢٧).

ويد الصاع النبوي أربع حفنات باليدين المعتدلتين المملوءتين، كل حفنة مُدٌّ، وهو أصغر من الصاع المعتاد اليوم، ويقارب الكيلة، وبالكيلوات هو ثلاث كيلو إلا قليلًا، فإذا أخرج ثلاث كيلو تقريبًا، فقد أبرأ الذمة، والمؤلف قال: كيلوين وأربعون غرامًا، فهذا فيه شيء من النقص، ولكن إذا زاد حتىٰ يقارب الثلاثة كيلو يكون أقربَ إلىٰ براءة الذمة في أداء هذا الواجب من جميع الأنواع من التمر، من الأرز، من الشعير، من غير ذلك، والأرز من أفضل الطعام، وإن كان لم يذكره كثير من الفقهاء؛ لأنه ليس في بلادهم، ولكنه الآن من أفضل الطعام والناس يقتاتونه ويقدمونه علىٰ غيره، فالإخراج منه مجزئ وفيه فضل.

والأفضل من هذا ما وافق الأنفعَ والأفضل للفقراء والأغلىٰ، فهو أفضل هذه الأنواع، كلَّما كان المخرج أنفعَ للمسكين، وأغلىٰ ثمنًا صار أفضلَ في الإخراج.

ولإخراجها وقتان: وقت فضيلة، وهو ما قبل صلاة العيد، صباح العيد، صباح يوم العيد قبل الصلاة، وهذا ضيِّق، وليس كل واحد يستطيع الإخراج فيه، ولكن كان الصحابة يخرجونها في الوقت الآخر في وقت الجواز، وهو ما قبل العيد بيوم أو يومين، في اليوم الثامن والعشرين، والتاسع والعشرين والثلاثين، إذا تم الشهر؛ لأن الشهر يكون تسعًا وعشرين، ويكون ثلاثين، فإذا أخرجها يوم الثامن والعشرين، أو في ليلته، أو في اليوم التاسع والعشرين، أو في ليلته، أو في الثلاثين، إذا تم الشهر، أو في ليلته، فقد أخرجها في وقتها، كما فعل الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، بإقرار النبي ﷺ وأمره، عليه الصلاة والسلام.

وأمَّا تحري أهلها؛ فكثير من الناس لا يبالون، يعطون من هبَّ ودب، ولا يتأملون في ذلك، وربما أعطوْها أقاربَ لهم أغنياءَ، والواجب التحري في هذا، وأن لا تُدفع إلا لمن يظهر منه الحاجة والفقر، أو يُشهد له بالحاجة والفقر، أما من أغناه الله براتب يقوم

بحاله، أو بكسب يقوم بحاله، فلا يُعطىٰ زكاة الفطر؛ لأنها طُعمة للمساكين، والمسكين هو الذي ما يجد الكفاية، فيتحرىٰ المؤمن في زكاته ويعطيها الفقراء من الأقارب، أو غير الأقارب، فإن كانوا أقاربَ فهي صدقة وصلة، وإن كانوا ليسوا أقاربَ، فإنها تكون صدقة، ولكن لا يعطيها للأقارب الأغنياء، بل يعطيها للأقارب الفقراء؛ إذا أخوه فقيرٌ، أو ابن أخيه فقير، أو عمه فقير، أو خاله فقير، أو خالته، أو أخواته، ليس لهن أزواج يقومون عليهن، ليس لهن اكتساب، وليس لهن مرتبات، هن أوْلىٰ من غيرهن، وتكون فيهن صدقة وصلة، مثل زكاة المال، تكون صدقة وصلة، ولكن إذا كان عندهم ما يسد حالهم، فيلتمس غيرَهم من الفقراء والمحاويج، وإذا كانت قريته غنية ليس فيها فقراء، ينتقل إلىٰ قرية أخرىٰ يلتمس الفقراء فيها ولو بشد الرحل حتىٰ يسلِّمَها لمن يستحقها.

ونسأل الله ﷻ أن يوفق الجميع لما يرضىٰ، وأن يبرئ الذمة، وأن يجعلنا وإياكم من العُتَقاء من النار، وأن يحسن الختام للجميع، إنه علىٰ كل شيء قدير.

وهذه الليلة يحتمل أن تكون من رمضان، ويحتمل أن تكون ليلةَ العيد، والله ـ جلَّ وعلا ـ هو العالم، ونسأل الله أن يوضح ما هو الحق، وما هو الصواب، وأن يعين المسلمين علىٰ إتمام شهرهم علىٰ الوجه الذي يرضيه ﷻ، وهذه الليلة ليلة صيام، وغدًا صيام إلا أن يثبت بالبينة الشرعية عند مجلس القضاء، فسوف يُعلَن إن شاء الله إذا تم شيء، وإلا فالليلة من رمضان، وغدًا من رمضان تمام الثلاثين، ومتىٰ ثبت شيء، فلا بد أن يعلن.

نسأل الله أن يقدِّر ما هو الأصلح للمسلمين، وفق الله الجميع، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه.

* * *



مشروعية التعاون

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[1]:

فإن الله ﷻ شرع لعباده التعاون علىٰ البر والتقوىٰ، والتواصي بالحق والتناصح في الدين، ولا سيما بين المسلمين، ولا سيما مع حجاج بيت الله الحرام وعُمَّاره؛ فالمسلمون اليوم في كل مكان في أشد الحاجة إلىٰ النصيحة والتوجيه، والتواصي بالحق، والحجاج والعُمَّارة بصفة خاصة في أمس الحاجة إلىٰ ذلك؛ لكثرة الجهل وقلة العلم، وكثير منهم قد لا يكون حَجَّ إلا في عامه الذي ورد فيه، والله يقول ـ سبحانه ـ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]؛ فأمر عباده أن يتعاونوا علىٰ البر والتقوىٰ، وهذا يعم المسلمين جميعًا في كل مكان، ويعم أهل العلم والدعاة إلىٰ الخير بصفة خاصة في كل مكان، ولا سيما في هذه البلاد المقدسة، وفي مواسم الحج، والاجتماع بقُصَّاد بيت الله الحرام، ومسجد رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ فهم بحاجة شديدة إلىٰ التوجيه والتعليم والتنبيه علىٰ ما قد يخفىٰ من أمور الدين في مناسك الحج وغير ذلك.

والتواصي بالحق كلمة جامعة؛ تجمع التواصي بالحق فيما يتعلق

---

(١) كلمة لسماحة الشيخ بعد العصر في يوم الخميس ٢٣/١١/١٤٠٨هـ في مسجد آل ثاني بمكة المكرمة، شريط رقم (٢٥٣).

بالمناسك، وفيما يتعلق بالصلاة، وفيما يتعلق بالزكاة، وفيما يتعلق بالصيام، وفيما يتعلق بالمعاملات، وفيما يتعلق بجميع الأمور من سائر الأخلاق والأعمال، قد أخبر الله ـ سبحانه ـ أن الناس في خسران، وأقسم علىٰ ذلك، وهو الصادق، وإن لم يقسم ﷻ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]؛ فهؤلاء هم الرابحون، هم السعداء، الذين جمعوا بين هذه الخصال الأربع: آمنوا بالله ورسوله إيمانًا صادقًا يتضمن توحيده والإخلاص له، وإيمانًا بكل ما أخبر به، وما أخبرت به رسلُه ـ عليهم الصلاة والسلام ـ يتضمن الأعمال الصالحات التي شرعها لعباده، وأمرهم بها، ويتضمن التواصي بالحق فيما بينهم، والتواصي بالصبر، فهذه الخصال الأربع فيها عناصر الفلاح، وعوامل الربح والسعادة.

فجدير بطالب العلم وجدير بكل مسلم أن يجتهد في أخذ نصيبه من هذه الخصال العظيمة، وأن يكون ناصحًا لله ولعباده أينما كان، وألا يَمَلَّ ذلك، ولا يضعُف، يقول النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**مَنْ دَلَّ عَلَىٰ خَيْرٍ، فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِه**» أخرجه مسلم في «صحيحه»(١).

ويقول أيضًا ـ كما في الصحيحين من حديث سهل بن سعد ـ يقول لعلي رضي الله عنه لَمَّا بعثه إلىٰ خيبر: «**فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**»(٢).

هذه فائدة عظيمة ونعمة كبيرة؛ للداعي إلىٰ الله إذا هدىٰ الله علىٰ يديه واحدًا خيرٌ له من حُمر النعم؛ والمعنىٰ: خير له من الدنيا وما عليها.

---

(١) أخرجه من حديث أبي مسعود الأنصاري في كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله، برقم (١٨٩٣).

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، برقم (٤٢١٠)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل علي بن أبي طالب، برقم (٢٤٠٦).

ويقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًىٰ كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَىٰ ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا**» أخرجه مسلم في «الصحيح» أيضًا(١).

فهذا يوجب علىٰ أهل العلم بذْلَ الوسع، وبذل المستطاع لدعوة الناس إلىٰ الخير، وإرشادهم إلىٰ الحق، والصبر علىٰ ذلك، والحذر من دعوتهم إلىٰ الباطل، وإقرارهم عليه، والتعاون علىٰ البر والتقوىٰ، يدخل فيه الدعوة إلىٰ الخير، ويدخل فيه الإعانة علىٰ الخير، والمساعدة علىٰ الخير، ومواساة الفقير، ونصيحته، إلىٰ غير هذا من وجوه الخير.

ويقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»؛ جعل الدين كلَّه النصيحة، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «**للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»(٢).

ويقول جرير ﷺ بايعتُ النّبيّ ﷺ علىٰ إقام الصّلاةِ، وإيتاءِ الزّكاةِ، وَالنّصح لكلِّ مُسلمٍ(٣).

فمن رُزق الوجود في هذا المكان، في هذه الأماكن المقدسة، في أيام الحج، فمِن أعظم الغنائم أن يتولىٰ هذا الأمر، وأن يجتهد فيه إذا كان من أهل العلم، وأن يحرص علىٰ النصح لكل مسلم، فإذا كان مأمورًا بذلك، ومعمَّدًا بذلك من ولاة الأمور، صار الأمر أشدَّ، وصار الواجب آكَدَ، والله ـ جلَّ وعلا ـ جعل المسلمين شيئًا واحدًا، وجسدًا

---

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب العلم، باب من سَنَّ سنة حسنة، برقم (٢٦٧٤).

(٢) أخرجه مسلم من حديث تميم الداري في كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، برقم (٥٥).

(٣) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب البيعة علىٰ إيتاء الزكاة برقم (١٤٠١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، برقم (٥٦).

واحدًا، وبناءً واحدًا، يأْلَمُ هذا لهذا، ويُسَرُّ هذا لهذا، ويحزن هذا لهذا، فالنصيحة لهم، والإحسان إليهم من أهم الأمور. يقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الحديث الصحيح: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ وَالحُمَّىٰ**»(١) متَّفق علىٰ صحَّته.

ويقول أيضًا ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **المُؤْمِنُ للمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**»، وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ(٢)، متفق علىٰ صحته أيضًا.

وهذان حديثان عظيمان، فيهما أعظمُ حَثٍّ، وأكمل ترغيب في التناصح والتعاون، والإحسان من المسلمين بعضهم إلىٰ بعض، والإحسان إلىٰ المسلم بدعوته إلىٰ الخير، وإرشاده، وتعليمه أعظم من الإحسان إليه بالمال، وإن كان الإحسان بالمال إحسانًا، ومواساة الفقير إحسانًا أيضًا عظيمًا؛ لكن الإحسان إلىٰ الإنسان بتعليمه وتوجيهه، وإخراجه من الظُّلمات إلىٰ النور أكبر وأعظم، ويقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»(٣).

فوصيتي لنفسي ولإخواني الدعاة إلىٰ الله، وأهل العلم، وكل مسلم: أن يحتسب كلُّ واحد الأجرَ في نصيحة إخوانه، وتعليم مَنْ رأىٰ منهم، من يستحق التعليم والتوجيه، ولا يحقر نفسه، إذا علم حقًّا أن يقول به، لا يحقر نفسه، ويقول: هناك من هو أعلم مني، إذا رأىٰ حقًّا مضيَّعًا، أو منكر مُرتكبًا، نصح لله ولعباده بالكلام الطيب، والأسلوب الحسن، والرفق؛ لعل الله يهدي أخاك بك بأسباب نصحك وإحسانك

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، برقم (٦٠١١)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، برقم (٢٥٨٦).

(٢) يأتي تخريجه في ص٣٣٢.

(٣) يأتي تخريجه في ص٣٣٢.

ورفقك وأسلوبك الحسن، ثم لك ـ مع ذلك ـ الأجر العظيم، لك مثل أجره، فضلًا من الله ﷻ، تنقذ أخاك من جهله، وتفوز بالأجر العظيم.

رزقنا الله وإياكم الاستقامة، وجعلنا وإياكم من دعاة الهدىٰ، ووفَّق الجميع لما فيه صلاح العباد والبلاد، إنه سميع قريب، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم.



العشر من ذي الحجة (١)

والحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[١]:

فهذا اليوم هو أول أيام شهر ذي الحجة، علىٰ حساب إكمال شوال ثلاثين، وإكمال ذي القعدة ثلاثين، وهذا هو اليوم الحادي والستون من رؤية هلال شوال، وبهذا يكون الحج يوم الخميس، ويوم عرفة يوم الخميس، إلا أن يثبت بالبينة أنه رُؤي قبل هذه الليلة الماضية، فهذا سوف يُنشر ويبين إذا ثبت ذلك.

وهذه العشر التي هي أول هذا الشهر لها شأن عظيم، ولها مزية وفضل، جاءت به الأحاديث، وبيَّنه أهل العلم؛ فينبغي للمؤمن أن يخصَّ هذه العشر بمزيد من عناية، بالمسابقة إلىٰ الطاعات، والاستكثار من الخيرات، فقد اجتمع في حقها في هذا البلد، وفي حق الحجاج شرف الزمان وشرف المكان؛ فأفضل بقاع الله هي هذه البلاد مكة المكرمة، وأفضل أيام الزمان هذه الأيام أيام عشر ذي الحجة، وأفضل الليالي ليالي رمضان؛ لأن فيها ليلة القدر، فينبغي للمؤمن أن يخص هذه العشر بمزيد عناية في سائر أعمال الخير، وقد صح عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: «**مَا مِنْ أَيَّام العَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ، مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ**»[٢]، وفي لفظ: «**مَا العَمَلُ فِي أَيَّامِ العَشْرِ أَفْضَلَ مِنَ العَمَلِ**

---

(١) من دروس سماحته في مسجد التوعية في حج عام ١٤٠٦هـ، شريط ٩٤.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصيام، باب في صوم العشر، برقم (٢٤٣٨)، والترمذي =

فِي هَذِهِ» أخرجه البخاري في «الصحيح»، وفي قول آخر أخرجه الإمام أحمد وغيره، بإسناد حسن، عن ابن عمر ﭬ عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمَ عِنْدَ اللهِ، وَلَا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ العَمَلِ فِيهِنَّ، مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ العَشْرِ، فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ**»[1].

قال البخاري ؒ: كان ابن عمر وأبو هريرة ﭭ يخرجان إلىٰ السوق في أيام العشر ونهاية العشر، فيكبِّران ويكبر الناس بتكبيرهما[2]، وذكر آثارًا أخرىٰ عن السلف.

والمقصود: أن هذه الأيام أيام عظيمة، ولها شأن كبير؛ فينبغي لأهل العلم والإيمان ولجميع المسلمين في القرىٰ والأمصار والبوادي، وفي كل مكان، أن يعرفوا لها فضلها، وأن ينافسوا في أوجه الخير، وأن يستكثروا من ذكر الله؛ من قراءة القرآن العظيم، والتهليل، والتسبيح، والتحميد، والتكبير، وسائر أنواع الخير؛ كالصدقات، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ودعوة الناس إلىٰ الخير، وتعليم الجاهل، وإرشاد الضالِّ، إلىٰ غير هذا من وجوه الخير، ولا سيما مع حجاج بيت الله الحرام؛ فإن أكثرهم في حاجة إلىٰ التعليم والتوجيه، وبعضهم في حاجة إلىٰ مواساة وسد الخلل.

فليغتنم المؤمن هذه الأيام، وهذه الليالي، وهذا المكان العظيم في اكتساب الأعمال الصالحات، والاستكثار من سائر أعمال الخير قولية وعملية، فالأعمال هنا مضاعفة أضعافًا كثيرة، لا يعلمها إلا هو ﷻ،

= في كتاب الصوم، باب ما جاء في العمل في أيام العشر، برقم (٧٥٧)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وابن ماجه في كتاب الصيام، باب صيام العشر، برقم (١٧٢٧).

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمر ﭭ ١/ ١٣٢، و٢/ ٧٥.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العيدين، باب فضل العلم في أيام التشريق، ساقه بعد حديث (٩٦٨).

ما عدا الصلاة، فقد جاء فيها النص؛ فإن الصلاة هنا بمائة ألف صلاة، أما الصيام والصدقات وأنواع الذكر والخير، فلها مضاعفة لم يثبت فيها نص، ولكنها مضاعفة، والله ـ جلَّ وعلا ـ هو الذي يعلم عدد تضعيفها، وذلك يختلف بحسب إخلاص العبد وصدقه، واجتهاده في الخير، وإيصاله للصدقات ونحوها إلىٰ مستحقيها، إلىٰ غير ذلك.

فالأعمال تتفاضل في أسباب كثيرة، والمؤمن من شأنه أن يتحرىٰ وجوه الخير، ويتحرىٰ أن يضع الأشياء في محلها، وأن يؤدي المشروع كما شرعه الله مستكملًا، والله يقول ـ سبحانه ـ: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، ويقول: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١]، ويقول ﷻ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٦].

هذا وعد الله ﷻ في كل زمان ومكان، لكن في هذا الزمان، وفي هذا المكان يكون الفضل أكبر والثواب أجزل، والمسابقة إلىٰ المغفرة والجنة مسابقة ومسارعة إلىٰ الأعمال التي رتَّب الله عليها المغفرة والجنة.

فجدير بالمؤمن، وجدير بطالب العلم، وجدير بكل مسلم، وبكل مسلمة أن ينتهز هذه الفرصة العظيمة، وأن يستغلها في وجوه الخير.

ويوم عرفة يومٌ عظيم، مشروعٌ صيامه وصومه، يكفِّر الله به السَّنة التي قبله والتي بعده، وهو اليوم التاسع، فيستحب صيامه لجميع المسلمين في الأمصار والقرىٰ والبوادي، لما جاء في فضله العظيم، أما الحاج، فلا يُشرع له صومُه؛ فالحاج يشرع له إفطار يوم عرفة؛ لأن الرسول ﷺ وقف مفطرًا، ولما شكَّ بعض الناس بفطره، أرسلت إليه أم المؤمنين ميمونةُ بلبن وهو واقف في عرفات، فشرب والناس ينظرون إليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فالسُّنَّة الإفطار في يوم عرفة، ومن كان عليه صيام قدَّمه قبله، والمتمتع الذي لا يستطيع الدم؛ الأفضل أن يقدمه قبل عرفة، أن يقدم الثلاث قبل عرفة، وقول من قال: يكون آخرها يوم عرفة قول مرجوح، والأفضل أن يكون الصيام قبلها حتىٰ يقف مفطرًا، كما وقف إمام المتقين وسيد المرسلين مفطرًا، عليه الصلاة والسلام.

وهنا أيضًا مسألة تُذكر هنا؛ وهي مسألة الضحية، فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إِذَا دَخَلَ شَهْرُ ذِي الحِجَّةَ، وَأَرَادَ أَنْ يُضَحِّي، فَلَا يَأْخُذُهُ مِنْ شَعْرِهِ وَلَا مِنْ ظُفْرِهِ شَيْئًا**»، وفي لفظ آخر: «**وَلَا مِنْ بَشَرَتِهِ شَيْئًا**» رواه مسلم في «الصحيح»[1].

هذا يدل علىٰ أنه من أراد الضحية عن نفسه وعن غيره، أو عن أهل بيته؛ فالسُّنَّة له أن لا يأخذ شعرًا وظفرًا، ولا شيئًا من بشرته حتىٰ يضحي بعد دخول شهر ذي الحجة، أما المضحَّىٰ عنهم، فلا يشملهم ذلك؛ لأنهم ليسوا مضحِّين، وإنما هم مضحَّىٰ عنهم؛ كالزوجة ـ زوجة المضحي ـ وبناته وأولاده، فلا يشملهم ذلك، يقول بعض الفقهاء: علىٰ من يضحي أو يضَحَّىٰ عنه ليس بظاهر؛ بل هو محل اجتهاد، والأصل

(١) أخرجه في كتاب الأضاحي، باب نهيِ منْ دخلَ عليهِ عشرُ ذي الحجّةِ وهوَ مريدُ التّضحيةِ أن يأخذَ منْ شعرهِ أو أظفارهِ شيئًا، برقم (١٩٧٧)، وهذا لفظه: «**إِذَا دَخَلَتِ الْعَشْرُ وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضَحِّي، فَلَا يَمَسُّ مِنْ شَعْرِهِ وَبَشَرتِهِ شَيْئًا**».

الاقتصار علىٰ ما جاء به النص، وإذا أخذ الإنسان من شعره أو ظفره، ثم أراد الضحية، أو عزم علىٰ الضحية، فلا بأس، يمسك لآخره حتىٰ يضحي، فإذا دخل شهر ذي الحجة، وليس عنده نية، ثم عزم علىٰ الضحية في اليوم الرابع، أو الخامس، أو السادس، أمسك علىٰ أخذ الشعر والظفر حتىٰ يضحي، ولا يدخل في هذا أمر المعتمر والحاج؛ لأن المعتمر إذا طاف وسعىٰ مشروعٌ له أن يحلق ويقصِّر، ولو في العشرِ، ولو في آخر عشر؛ لأن الحلق أو التقصير نُسُكٌ واجِب، لا بد منه في العمرة، ولا يتحلل إلا بذلك، وهو غير داخل في النهي عن الشعر والظفر فيما قبل الضحية.

فإذا كان المعتمر في هذه الأيام يريد أن يضحي، فإن ذلك لا يمنعه من حلقه أو قصه لشعره بعد أدائه الطواف وسعي العمرة، هذا مستثنىٰ، غير داخل في النهي، وهكذا إذا رمىٰ الجمرة يوم العيد ونحر هديه، وكان عنده هدي، أو ليس عنده هدي، عنده ضحية، فإنه لا يلزمه انتظارها، فمن السُّنَّة أن يحلق أو يقصر، والحلق أفضل، أخذًا بواجب النسك، وليس داخلًا في النهي، لكن لا يأخذ شعر الإبط، أو الظفر، أو الشارب حتىٰ يضحي؛ لأن هذا ليس له دخل في واجبات الحج، وقد يُشكل هذا علىٰ بعض الناس، ولهذا رأيت التنبيه عليه.

وفق الله الجميع، ورزقنا وإياكم بالمسابقة إلىٰ كل خير، والمسارعة إلىٰ كل عمل صالح، وتقبَّل منا جميعًا، ووفق الجميع في حج بيت الله الحرام في كل خير ويُسر علىٰ المسلمين جميعًا علىٰ أداء أنساكهم علىٰ ما يحب ويرضىٰ، إنه سميع قريب، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد.

❊ ❊ ❊

بسم الله الرحمن الرحيم

العشر من ذي الحجة (٢)

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[١]:

هذه العشر ـ التي هي أول هذا الشهر شهر ذي الحجة ـ لها شأن عظيم، ولها فضل كبير، وهي أفضل أيام السَّنة، يُشرع فيها الإكثار من التهليل والتكبير والصدقات والصيام والأعمال الصالحات، وأفضلها يوم عرفة، ويوم النحر.

ثبت فيها عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند الإمام البخاري في «صحيحه» عن النبي ﷺ أنه قال: **«مَا العَمَلُ فِي أَيَّام العَشْرِ أَفْضَلَ مِنَ العَمَلِ فِي هَذِهِ»**، قَالُوا: وَلَا الجِهَادُ؟ قَالَ: **«وَلَا الجِهَادُ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ»**[٢]؛ يعني: إلا رجل خرج مجاهدًا، وقُتل في سبيل الله وعُقر جواده، هذا له شأن عظيم، لا يعدله شيء من العمل في هذه الأيام؛

---

(١) من دروس سماحته في مسجد التوعية في حج عام ١٤٠٦هـ، شريط ٩٤.

(٢) أخرجه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في كتاب العيدين، باب فضل العمل في أيام التشريق، برقم (٩٦٩)، وأبو داود في كتاب الصيام، باب صوم العشر، برقم (٢٤٣٨)، والترمذي في كتاب الصوم، باب ما جاء في العمل في أيام العشر، برقم (٧٥٧)، وابن ماجه في كتاب الصيام، باب صيام العشر.

وذلك يدل علىٰ فضل الجهاد في سبيل الله، مع الإخلاص والشهادة.

ورویٰ الإمام أحمد وغيره بإسناد حسن عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: **«مَا مِنْ أَيَّام أَعْظَمَ عِنْدَ اللهِ، وَلَا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ العَمَلِ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ العَشْرِ؛ فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ»**(١).

وكان أبو هريرة رضي الله عنه وابن عمر رضي الله عنهما يخرجان إلىٰ السوق في هذه الأيام، أيام العشر، فيكبِّران ويكبر الناس بتكبيرهما، ذكره البخاري رحمه الله في «صحيحه» تعليقًا مجزومًا.

هذا يدل علىٰ فضل هذه الأيام وشرعية الإكثار فيها: من التهليل والتكبير والتحميد، وسائر الأعمال الصالحات، من قراءة القرآن، والدعوة إلىٰ الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكرِ، والصيام، والصدقات، والعمرة، وغير هذا من وجوه الخير، فهي أيام عظيمة، فهي أفضل أيام السَّنة، وليالي رمضان هي أفضل الليالي، هذه الأيام فيها يوم عرفة، وفيها يوم النحر، وهو يوم الحج الأكبر، وليالي رمضان فيها ليلة القدر، والليالي العشر هذا له فضل الزمان النهاري، وهذه العشر لها فضل الزمان النهاري، وليالي رمضان لها فضل الليل.

فينبغي للمؤمن أن يكون له حظٌّ وافر في هذه الأيام، وفي رمضان ولياليه، وفي كل عمل، وفي كل مكان فاضل، بل وفي كل وقت وفي كل مكان، ولكنه يخص المكان الفاضل والزمن الفاضل بمزيد عناية، بمزيد اجتهاد، بمزيد عمل صالح؛ اغتنامًا للزمان والمكان، وأفضل الأماكن المسجد الحرام مكة المكرمة، ثم المدينة، ثم الشام، وأفضل المساجد: المسجد الحرام، ومسجد النبي ﷺ، ثم المسجد الأقصىٰ في القدس في إيليا في الشام.

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٧٥، وابن أبي شيبة في مسنده ٣/ ٢٥٠. وتقدم ص٢٤٨.

والله ﷻ له الحكمة البالغة، يفضل بعض الأماكن علىٰ بعض، ويفضل بعض الزمن علىٰ بعض، ويفضل بعض الأشخاص علىٰ بعض ﷻ، ويفضل بعض المخلوقات علىٰ بعض، فله الحكمة البالغة ـ جلَّ وعلا ـ، فهو الحكيم العليم، وهو العالم بأحوال خلقه وأحوال عباده.

ثم الذي في هذا المكان اجتمع له فضل الزمان وفضل المكان في هذه الليالي: فضل المكان هو الحرم الشريف، وفضل الزمان هو هذه العشر. فإذا اجتهد بالأعمال الصالحة، فقد وافق الزمان الفاضل والمكان الفاضل، فالمضاعفة تكون أعظم، والأجر يكون أكثرَ مع الإخلاص لله، ومع موافقة السُّنَّة في العمل الصالح...، فينبغي لأهل العلم وأهل الثروة وأهل الهمة العالية أن ينتهزوا هذه الفرصة بالعمل الصالح المتنوع الكثير، وبمواساة الفقير والمحتاج من الحجاج وغيرهم في هذا المكان العظيم، وبالإرشاد إلىٰ الخير والتعليم والتوجيه، وإيضاح ما ينبغي للحاج أن يعمله.

ومما يختص في هذه العشر ما ثبت في «صحيح مسلم» عن أم سلمة رضي الله تعالىٰ عنها، عن النبي ﷺ أنه قال: **«إِذَا دَخَلَ شَهْرُ ذِي الحِجَّةِ، وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضَحِّيَ، فَلَا يَأْخُذْ مِنْ شَعْرِهِ وَلَا مِنْ أَظْفَارِهِ شَيْئًا»**، وفي رواية أخرىٰ: **«فَلَا يَأْخُذْ مِنْ شَعْرِهِ وَلَا مِنْ بَشْرَتِهِ شَيْئًا»**(١).

فالذي يريد أن يضحي عن نفسه، أو عن غيره تبرُّرًا، فإنه لا يأخذ من شعره، ولا من بشرته، ولا من أظفاره شيئًا بعد دخول الشهر حتىٰ يفرغ من ضحيته، فلا يقص ظفرًا، ولا يقطع شعرًا، ولا يقطع شيئًا من بشرته من جلده، أما الوكيل؛ فلا حرج عليه، الذي يضحِّي عنه غيره وكيلًا كوكيل السبايل والأوقاف، أو الإنسان يوكل غيره يذبح أضحيته، فالوكيل ليس عليه شيء إنما الذي يتعلق الحكم بالمضحِّي الذي يُخرج

(١) سبق تخريجه من ص ٢٥٠.

المال من ماله، ويشتري به الضحية بنفسه أو بوكيله، هذا هو المضحي سواء أكان باشَرَ أو وَكَّل هو المضحِّي، أما الوكيل، فلا يتعلق به شيء عند بعض العامة يقول: وكِّل عليها وافعَلْ ما شئت، هذا غلط، المضحِّي هو الذي بذل المال، أما الوكيل، فليس بمضحٍّ، فإذا تولاها المضحِّي بنفسه، أو تولاها وكيله كله واحد، المقصود هو، هو الذي أخرج المال؛ سواء أكان رجلًا أو امرأة، ولو تولاها غيره بالوكالة هو المقصود هو، فلا يأخذ من شعره، ولا من بشرته، ولا من أظافره شيئًا، لكن يجوز نقض الرأس وغسله ومشطه، لا بأس؛ لكن التعمُّد لقطع الشعر لا يجوز، ولو سقط شيء من الشعر الميت لا يضر، فإنَّ نقضه يسبب شيئًا من سقوط الشعر، لكن هذا الشعر شعر ميت لا يضر، كذلك قد يغسل لحيته، وعند غسل وجهه ولحيته قد يسقط شعر؛ لا يضر؛ لأنه شعر ميت، لا يضر، والمنهي عنه هو إذا تعمَّد قطع الشعر؛ أي: أن يتعمد قطع الشعر، أو قطع الظفر، أما الشيء يسقط من غير تعمُّد؛ ظفر منكسر فيسقطَ، شعر ميت فيسقط، فهذا لا يضر.

وهنا أمر آخر؛ هو أنه لا يمنع الحاج والمعتمر من قص شعر الرأس والحلق؛ لأنه هذا نسك، ولو أنه يضحي إذا طاف في العشر وسعىٰ للعمرة، فإنه يُشرع له حلق رأسه، أو قصه. والقص أفضل حتىٰ يتوفر الحلق للحج، ولو أنه يضحي هذا شيء مستثنىٰ غير داخل في النهي، فإذا قَدِمَ المعتمر المتمتع هذه الليلة أو بعدها، فإنه يطوف ويسعىٰ ويقصر ويتحلل، ولو أنه يضحي، هذا لا يدخل في النهي، وهكذا المرأة كذلك، إذا طافت وسعت تقصُّ من رأسها، ولو أنها تريد أن تضحي في مكة أو في بلادها، وهكذا يوم العيد إذا رمىٰ الجمرة ونحر، شُرع له الحلق، ولو حلق قبل النحر، فلا حرج؛ لأن الحلق نُسُكٌ لا بد منه في الحج والعمرة، هذا لا يدخل في حديث أم سلمة في النهي عن أخذ الشعر في ذي الحجة، في أول ذي الحجة، قبل أن يضحي،

إنما ذلك بالنسبة لنتف الإبط، وقَلْم الظفر، وقص الشارب، هذا هو الذي يُنهىٰ عنه بالنسبة إلىٰ المضحي إذا كان حاجًا، أما كونُه يقص من رأسه إذا طاف وسعىٰ للعمرة، وإذا رمىٰ يوم العيد يحلق أو يقصر لأجل الحج، هذا غير داخل في النهي، وليس بممنوع، وأما الذي ليس بحاج، بل في بلاده، هذا لا يقص شعرًا ولا ظفرًا، ولا من رأسه ولا من غيره، لا من شعر الرأس، ولا من الإبط، ولا من الشارب، ولا يقلِّم أظفارًا حتىٰ ينتهي من ضحيته.

وأكرر أن الوكيل لا شيء عليه، المقصود المضحِّي، فلو أنك وُكِّلت بشراء ضحية لزيد أو عمرو، وكلك تشتريها وتضحي بها عنه، فأنت غير مضحٍّ، ولا حرج عليك أن تأخذ من شعرك أو ظفرك، المضحي هو الذي أمرك بالشراء، والذي وكَّلك هو المضحي، أو كان عندك سبايل لآبائك، أو أجدادك ضحايا في أوقاف واشتريتها، وتضحىٰ لهم، هذه ضحايا لهم هم، ولست أنتَ مضحيًا، فإذا كنت ما عندك ضحية لنفسك، فهذه الضحايا التي لغيرك، وأنت وكيل عليها بالأسبال والأوقاف لا تمنعك من أخذ شيء؛ لأنك غير مضحٍّ.

وهناك أمر آخر قد يلتبس علىٰ بعض الناس؛ وهو أن المضَحَّىٰ عنهم لا يمنعون، فالذي يضحِّي عن نفسه وأهل بيته لا يمنع عائلته من أخذ شعر أو ظفر زوجته وبناته وأولاده؛ لأنه هو المضحي هو: أما هم، فهم مضحَّىٰ عنهم، وقال النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**مَنْ رَأَىٰ هِلَالَ ذِي الحِجَّةِ، وَأَرَادَ أَنْ يُضَحِّيَ، فَلَا يَأْخُذَنَّ مِنْ شَعْرِهِ وَلَا مِنْ أَظْفَارِهِ**»[1].

والمضحي هو صاحب المال الذي اشترىٰ الضحيَّة من ماله، أما زيادة: أو ضُحِّيَ عَنْهُ، فليس من كلام النبي ﷺ، في بعض الكتب يحرم

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الأضاحي، باب تركِ أخذِ الشّعرِ لمنْ أرادَ أنْ يضحّيَ، برقم (١٥٢٣)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

علىٰ المضحي والمضحَّىٰ عنه أن يأخذ، والمضحَّىٰ عنه ليس من كلام النبي ﷺ، هذا من كلام بعض الفقهاء اجتهادًا منهم، رحمة الله عليهم والصواب أن هذا الاجتهاد ليس في محله؛ لأن الأصل الإباحة، ولا يحرُم شيء إلا بدليل واضح، فلا يحرم علىٰ العائلة علىٰ أهل المضحي أخذ شيء من الظفر أو الشعر، بل ذلك يختص بالذي اشترىٰ الضحية من ماله، وهو المضحِّي.

وأسأل الله أن يوفق الجميع لما يرضيه، وأن يرزقنا المسارعة إلىٰ الخيرات، والبدار إلىٰ أنواع الطاعات في هذه الأيام المباركات.

وفق الله الجميع، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه.



شرح حديث ابن عباس: «لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ»[1]

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب يقول: **«لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بامْرَأَةٍ إلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَم، وَلَا تُسَافِرِ المَرْأَةُ إلَّا مَعَ ذِي مَحْرَم»**، فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَّةً، وَإِنِّي اكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا؛ قَالَ: **«انْطَلِقْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ»** متفق عليه، واللفظ لمسلم[2].

قال سماحة الشيخ رحمه الله في حاشيته على البلوغ[3]:

وخرَّج مسلم في «صحيحه»، في كتاب السلام، حديث رقم (٢١٧٣)، طبعة محمد فؤاد عبد الباقي عن النبي ﷺ أنه خطب الناس على المنبر، فقال: **«لَا يَدْخُلَنَّ رَجُلٌ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا عَلَىٰ مُغِيبَةٍ إِلَّا وَمَعَهُ رَجُلٌ أَوِ اثْنَانِ»**[4]. اهـ.

وهذا يدل على أن وجود أكثر من رجل يزيل الخَلْوة، ومثله في المعنى وجود أكثر من امرأة؛ فإنه يزيل الخَلْوة.

---

(١) من دروس سماحته في مسجد التوعية في حج عام ١٤٠٦هـ شريط٩٤.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب جزاء الصيد، باب حج النساء، برقم (١٨٦٢)، وفي كتاب الجهاد والسير، باب من اكتتبَ في جيشٍ، فخرجتِ امرأتهُ حاجّةً، وكانَ لهُ عذرٌ، هلْ يؤذنُ لهُ، برقم (٣٠٠٦)، ومسلم في كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره، برقم (١٣٤١).

(٣) ٢/٤٣٨ بإخراج الشيخ عبد العزيز القاسم.

(٤) هذا لفظ حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

ويدل علىٰ ذلك أيضًا قوله ﷺ: **«لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ»** خرَّجه الإمام أحمد (١/ ١٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه بإسنادٍ صحيح.

ولا شك أن وجود أكثر من رجل، وأكثر من امرأة، يزيل كون ثالثهما الشيطان، لكن متىٰ وُجدت ريبةٌ تَمنع ذلك، وجب المنع سدًّا لذرائع الشر، وحسمًا لمادة الفتنة.

وخرَّج الإمام أحمد رحمه الله في المسند بسندٍ جيد رقم (١١٤)، ورقم (١١٧) بتحقيق أحمد شاكر، عن عمر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: **«لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ»**.

وعنه: أن النبي ﷺ سمع رجلًا يقول: لَبَّيْكَ عَنْ شُبْرُمَةَ، قَالَ: **«مَنْ شُبْرُمَةُ؟»** قَالَ: أَخٌ لِي، أَوْ قَرِيبٌ لِي، قَالَ: **«حَجَجْتَ عَنْ نَفْسِكَ؟»** قَالَ: لَا، قَالَ: **«حُجَّ عَنْ نَفْسِكَ، ثُمَّ حُجَّ عَنْ شُبْرُمَةَ»** رواه أبو داود وابن ماجه[1]، وصححه ابن حبان، والراجح عند أحمد وقفه.

وعنه قال: خطَبنا رسول الله ﷺ، فقال: **«إِنَّ اللهَ عز وجل كَتَبَ عَلَيْكُمُ الحَجَّ»**، فَقَامَ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ، فَقَالَ: أَفِي كُلِّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: **«لَوْ قُلْتُهَا لَوَجَبَتْ، الحَجُّ مَرَّةٌ، فَمَنْ زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ»**. رواه الخمسة[2] غير الترمذي، وأصله في مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب المناسك، باب الرجل يحج عن غيره، برقم (١٨١١)؛ وابن ماجه في كتاب المناسك، باب الحج عن الميت برقم (٢٩٠٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/ ٣٧٢، وأبو داود في كتاب المناسك، باب فرض الحج، برقم (١٧٢١)، وابن ماجه في كتاب المناسك، باب فرض الحج، برقم (٢٨٨٦)، والنسائي في كتاب الحج، باب وجوب الحج، برقم (٢٦٢٠).

الشرح

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسوله وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدة بهداه.

أما بعد..

هذه الأحاديث الثلاثة مع رابعها من حديث أبي هريرة، كلُّها تتعلَّق بالحج.

* **الحديث الأول**: يدل علىٰ تحريم الخلوة بالأجنبية، ولا شك أن هذا من محاسن الشريعة، ومن وسائل عِفَّة النساء والرجال جميعًا، ومن سَدِّ أبواب الفتن، فإن الخلوة بالمرأة الأجنبية وسيلة للشر، فمن أجل ذلك جاءت الشريعة الكاملة المحمدية بمنع هذا الأمر حسمًا لمادة الشر، وحمايةً للنساء والرجال من أسباب الفساد.

والمَحْرَم هو من تحرمُ عليه المرأة تحريمًا مؤبَّدًا بنَسَبٍ أو رضاعة؛ كأخيها وعمها من النسب والرضاع؛ وكزوج أمها وزوج ابنتها؛ لأن الله ـ سبحانه ـ جعل في طبيعة المحارم من البُعد عن هذا الشر وعدم التهمة به، إلا من اجتالته الشياطين عن ذلك، وفَسَق عن أمر الله.

وفي هذا الحديث أيضًا دلالة علىٰ تحريم السفر بدون محرم، وأنه ليس للمرأة ـ شابَّة أو كهلة أو عجوزًا ـ ليس لها السفر إلا بمحرم، لعموم الحديث: «**لَا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ**»[1].

وسدًّا لباب الشر؛ ولأن بعض العجائز قد يحصُل لمن يراهن، أو يجتمع بهن شيء من الميل إليهن، ومن حكمة الله أنْ سدَّ الباب؛

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في كتاب جزاء الصيد، باب حج النساء، برقم (١٨٦٢)، ومسلم في كتاب الحج باب سفر المرأة مع محرم إلىٰ حج وغيره، برقم (١٣٤١).

ولأن من كبِرت سنُّها قد تدَّعي أنها عجوز، فينفتح باب الشر، كل واحدة تقول أنا عجوز، لا بأس عليَّ من السفر، فينفتح باب الشر، فمن رحمة الله أن سدَّ الباب، وجعل السفر للمرأة من دون محرم أمرًا ممنوعًا، وهذا هو الصواب من قول العلماء، اجتهد بعض أهل العلم إلىٰ أنه لا بأس من سفرها بالثقات من النساء، وهذا تخصيص للنصِّ بدون حجة، وبدون دليل، مع اطِّراح المعنىٰ الذي راعاه الشارع.

أما غير السفر، فلا بأس أن تذهب بغير محرم؛ كقضاء حاجتها من السوق، أو زيارة أقاربها، أو جيرانها؛ لأنها ليس بسفر، فلا مانع من ذهابها وحدها عند الأمن، أو مع زميلتها، أو قريبتها، أو نحو ذلك لحاجاتها، إنما وجوب المحرم في السفر.

فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يا رسولَ اللهِ، إنّ امرأتي خرجتْ حاجّةً، وإنّي اكْتُتِبْتُ في غزوةِ كذا وكذا، فقالَ لهُ ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**انْطَلِقْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ**».

هذا يفيد أنه يلزم الزوج أن يُعنَىٰ بأهله، وأن يحرص علىٰ سلامة أهله، وإن كان في الأصل لا يجب عليه أن يسافر بها لحاجتها، وإنما هو من مكارم الأخلاق؛ لكن إذا باشرت السفر أو الخروج إلىٰ أمر فيه خطر؛ فالواجب عليه أن يتدارك الأمر؛ ولهذا قال له: انطلق؛ فقدَّم ذهابه إليها علىٰ الجهاد، والجهادُ أمره عظيم، ومع ذلك قال له: «**انْطَلِقْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ**»؛ لِمَا في ذلك من صيانتها وحمايتها، والنظر في شؤونها، والحرص علىٰ سلامتها من شر ذئاب الإنس.

* **والحديث الثاني**: حديث ابن عباس أيضًا، فيه الدلالة علىٰ أن من لم يحجَّ عن نفسه لا يحج عن غيره، بل يبدأ بنفسه، وهذا هو الصواب الذي لا شك فيه؛ لأن الحج فرض عُمْرٍ، وأحد أركان الإسلام، فالواجب أن يبدأ به قبل أن يحج عن غيره؛ ولهذا قَالَ:

«حَجَجْتَ عَنْ نَفْسِكَ؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «حُجَّ عَنْ نَفْسِكَ، ثُمَّ حُجَّ عَنْ شُبْرُمَةَ»، وفي الرواية الأخرىٰ: «فَاجْعَلْ هَذِهِ عَنْ نَفْسِكَ، ثُمَّ احْجُجْ عَنْ شُبْرُمَةَ»(١).

اختُلف في رفعه ووقفه، رجَّح الحافظ وقفه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ورجَّح بعض أهل العلم رفعَه، والأصل والقاعدة أنه إذا اختلف رافع وواقف، أو مرسِل وواصِل، فإن القول قول من زاد، قول من وصل، قول من رفع؛ لأن عنده زيادة؛ فتقبل إذا كان ثقة، فعلىٰ هذا يكون الأرجح قول من قالَ برفعه؛ لأن عند رافعه زيادة، وهو ثقة، فتقبل منه الزيادة، ثم مثل هذا في الغالب لا يُقال من جهة الرأي، وموقوفه في حكم مرفوعه، وابن عباس لا يقول هذا من رأيه، ويقول: «هَذِهِ عَنْ نَفْسِكَ، ثُمَّ احْجُجْ عَنْ شُبْرُمَةَ»؛ لأن هذا يحتاج إلىٰ علم سماوي، إلىٰ وحي.

ولهذا استقر عند أهل العلم هذا القول: أن الإنسان لا يقدِّم علىٰ نفسه أحدًا، بل يحج عن نفسه أولًا، ثم يحج عمَّن أراد ممن تجوز الاستنابة عنه، وفي هذا دلالة علىٰ أن في عهد النبي ﷺ وعهد الصحابة أن من ينوب عن غيره يصرّح يقول: لبيك عن فلان، هذا هو الأفضل، وإن لم يتكلم باسمه ونواه كفىٰ، لو حج عن فلان، ولم يقل عن فلان بالتلبية كفىٰ، إنما الأعمال بالنيات؛ ولكن إذا صرح به عند التلبية، وقال: لبيك عن فلان، كان أفضلَ، كما جرىٰ في هذا الحديث؛ حديث شُبرمة عن ابن عباس.

وفيه من الفوائد: تعليم الجاهل، وبيان الحكم الشرعي لمن جهله، وإن لم يسأل، وإن لم يستفسر؛ إذا رأيت من أخيك نقصًا أو جهلًا في بعض الأحكام، أرشدته وعلَّمته، وإن لم يسأل، من باب التناصح،

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب المناسك، باب الحجّ عنِ الميّتِ، برقم (٢٩٠٣).

ومن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن باب الإرشاد إلىٰ الخير، والمسلم أخو المسلم، ويقول ﷺ: «**مَنْ دَلَّ عَلَىٰ خَيْرٍ، فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ**» أخرجه مسلم في «صحيحه»[(١)].

* **والحديث الثالث**: حديث ابن عباس أيضًا، فيه: أنه سمع النبي ﷺ يخطب أصحابه، يقول لهم: «**إِنَّ اللهَ ﷻ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الحَجَّ**»، وفي رواية أبي هريرة عند مسلم[(٢)]: «**أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الحَجَّ فَحُجُّوا**»، فقالَ رجلٌ: أكلّ عامٍ يا رسولَ اللهِ؟ فسكتَ حتّىٰ قالها ثلاثًا، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ**»، وفي حديث ابن عباس هنا، قال: «**الحَجُّ مَرَّةٌ، فَمَنْ زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ**».

هذا من رحمة الله ﷻ أنْ جعله فرض العمر، ولم يجعلْه كلَّ عام، ولا كلَّ شهر، بل جعله مرة في العمر، وما زاد فهو تطوع، وهكذا العمرة من باب أولىٰ، مرة في العمر، ومن زاد فهو تطوع، قد تقدم أن الصواب وجوبُها قال بعض أهل العلم باستحبابها، والصواب أنها واجبة، لكنها مرة في العمر؛ كالحج.

وفق الله الجميع، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه.

* * *

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب أو غيره وخلافته في أهله بخير، برقم (١٨٩٣).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب فرضِ الحجّ مرّةً في العمرِ، برقم (١٣٣٧).

مشروعية الغُسل لمن أراد الإحرام وصلاة ركعتين ولزوم التلبية حتى يشرع في الطواف

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[١]:

فإن مما يتعلق بالإحرام شرعية الغُسل؛ فقد ثبت أنه ﷺ أمر أسماء بنت عُميس أن تغتسل للإحرام، وكانت نُفساء[٢]، وأمر عائشة رضي الله عنها لَمَّا أرادت أن تحرم بالحج مع العمرة أن تغتسل، وَخرَّج الترمذي رحمه الله وغيره أن النبي ﷺ تجرد من إزاره واغتسل، وثبت أن من السُّنَّة الغُسل للإحرام، فيستحب لمن أراد الإحرام أن يغتسل، وذهب جمهور أهل العلم إلىٰ أنه يُشرع له أيضًا أن يتوضأ ويصلي ركعتين إن لم يكن وقتَ فريضة، فإن كان الوقتُ وقتَ فريضة، شُرع له أن يحرم بعد صلاة الفريضة؛ لأن النبي ﷺ أحرم في حجة الوداع بعد صلاة الظهر، وثبت عنه ﷺ أنه قال: «**أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتٍ مِنْ رَبِّي، فَقَالَ صَلِّ فِي هَذَا الوَادِي المُبَارَكِ، وَقُلْ: عُمْرَةً فِي حَجَّةٍ**»[٣]، احتج بذلك الجمهور علىٰ شرعية

---

(١) من دروس سماحته في مسجد التوعية في حج عام ١٤٠٨هـ. شريط رقم (٢٦٣).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب إحرام النفساء واستحباب اغتسالها للإحرام وكذا الحائض، برقم (١٢٠٩ ـ ١٢١٠) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري من حديث عمر رضي الله عنه في كتاب الحج، باب قول النبي ﷺ العقيق وادٍ مبارك، برقم (١٥٣٤).

الصلاة للإحرام من عموم هذا الحديث، ومن كونه أحرم بعد صلاة الظهر ـ عليه الصلاة والسلام ـ فيتوضأ ويصلي ركعتين سُنَّة الوضوء وسُنَّة الإحرام جميعًا، عند جمهور أهل العلم، إلا أن يكون وقتَ فريضة، فيُحرم بعد الفريضة، ويكفي؛ كالظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، وهذا ليس بواجب، فلو أحرم من دون غسل، ومن دون وضوء، ومن دون أن يصلي ركعتين، فلا حرج في ذلك، لو أحرم وهو علىٰ غير وضوء، ولم يغتسل، ولم يصلِّ ركعتين، فلا حرج في ذلك.

وهكذا لو أحرمت النُّفساء أو الحائض، من دون غُسل صح ذلك، لكن تركت السُّنَّة، وبعض النساء إذا كانت حائضًا أو نفساءَ تترك الإحرام، تحسب أنه لا يلزمها الإحرام، أو لا يُشرع لها الإحرام، وهو غلط، بل الواجب أن تحرم إذا جاءت إلىٰ مكة لقصد الحج أو العمرة، فالواجب أن تحرم من الميقات، هذا هو الواجب عليها عند جميع أهل العلم، أن تحرم من الميقات للنُّسُك للحج أو العمرة، فإذا طهُرت أدت المناسك، تحرم من الميقات، وتلبِّي مع الناس، تنوي الدخول في النسك من حج أو عمرة، وتلبي مع الناس التلبية الشرعية: «**لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ**»، وتلبي بالنسك من حج أو عمرة، تقول: لبيك عمرة، أو لبيك حَجًّا، أو لبيك عمرة وحجًّا إن كانت قارنةً كالرجل، ولا يجوز لها تجاوزُ الميقات من دون إحرام من أجل الحيض أو النفاس؛ فهذا لا يجوز، كما أنه لا يجوز للرجل يجاوز الميقات من دون إحرام إذا كان قاصدًا حجًّا أو عمرة؛ لِمَا تقدَّم من حديث ابن عباس ﵄ عن النبي ﷺ؛ أنه «**وَقَّتَ لِأَهْلِ المَدِينَةِ ذَا الحُلَيْفَةِ، وَلِأَهْلِ الشَّأْمِ الجُحْفَةَ، وَلِأَهْلِ نَجْدٍ قَرْنَ المَنَازِلِ، وَلِأَهْلِ اليَمَنِ يَلَمْلَمَ، هُنَّ لَهُنَّ، وَلِمَنْ أَتَىٰ عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِنَّ، مِمَّنْ**

أَرَادَ الحَجَّ وَالعُمْرَةَ، وَمَنْ كَانَ دُونَ ذَلِكَ، فَمِنْ حَيْثُ أَنْشَأَ، حَتَّىٰ أَهْلُ مَكَّةَ مِنْ مَكَّةَ»[١].

ولما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: عن النبي ﷺ أنه قال: «**يُهِلُّ أَهْلُ المَدِينةِ مِنْ ذِي الحُلَيْفَةِ، وَيُهِلُّ أَهْلُ الشَّأْمِ مِنَ الجُحْفَةِ، وَيُهِلُّ أَهْلُ نَجْدٍ مِنْ قَرْنٍ**»[٢].

ويُهِلُّ: هذا خبر؛ **معناه**: الأمر؛ خبر، لكن معناه الأمر، وجاء في بعض الروايات: «**لِيُهِلَّ**» باللام بالأمر.

فالواجب علىٰ من أراد حجًّا أو عمرة أن يُهِلَّ من هذه المواقيت، والأفضل له ـ عند جمهور أهل العلم ـ أن يغتسل ويصلي ركعتين إن كان ليس وقتَ فريضة، وإن كان وقت فريضة أحرم بعد الفريضة كما تقدَّم، وسُنَّ له الغسل كما تقدم، لكن كما تقدم لو أحرم من دون غسل، ولا وضوء، ولا صلاة ركعتين، فلا حرج في ذلك، والإحرام صحيح.

ثم المشروع للمحرم بعدما يحرم أن يُكثر من التلبية، أولًا: ينوي بقلبه الدخول في النسك من حج أو عمرة أو كليهما، ملبيًّا، وإن اشترط، وقال: «**فَإِنْ حَبَسَنِي حَابِسٌ، فَمَحِلِّي حَيْثُ حَبَسْتَنِي**»، فلا بأس بذلك.

ويشرع أن يقول ذلك إذا كان هناك عذر؛ كالمرض أو الخوف ونحو ذلك، أن يقول هذا الشرط: «**فَإِنْ حَبَسَنِي حَابِسٌ، فَمَحِلِّي حَيْثُ حَبَسْتَنِي**»؛ أما إن كان الحال أمنًا، وليس هناك خطر، ولا أسباب، فالأفضل تركُ ذلك؛ لأن الرسول ﷺ لم يستعمل ذلك؛ لأنه

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب مُهَلّ أهلِ مكّةَ للحجّ والعمرةِ، برقم (١٥٢٤)، ومسلم في كتاب الحج، باب مواقيتِ الحجّ والعمرةِ برقم (١١٨١).

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب ميقات أهل المدينة برقم (١٥٢٥)، ومسلم في كتاب الحج، باب مواقيت الحج والعمرة برقم (١١٨٢).

ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يُحفظ عنه أنه اشترط؛ لأنه أحرم في حال أمن وعافية والحمد لله، لكنه قال لضُباعةَ بنت الزبير، وهي مريضة: «**حُجِّي وَاشْتَرِطِي، وَقُولِي: اللَّهُمَّ مَحِلِّي حَيْثُ حَبَسْتَنِي**»[١]، فمن اشترط، فلا حرج عليه، وإذا عَرَضَ عارض يمنعه من التمام أحلَّ بدون فدية.

ويُشرع للحائض والنفساء وجميع المحرمين الإكثارُ من ذكر الله، والاستغفار، والدعاء، مع التلبية، فهو في عمل عظيم، وفي عمل صالح، ينبغي له الإكثار من التلبية، وذكر الله، كما فعل النبي ﷺ، والإكثار من ذكر الله، والاستغفار، ودعائه، والحذر مما حرم الله عليه، والمشروع له أن يكون وقته محفوظًا معمورًا بالخير، لا بالقيل والقال، والغِيبة والنميمة، أو الأشياء التي تضرُّه من غير ذلك، بل يكون وقته محفوظًا بالتلبية، بالاستغفار، والذكر، بقراءة القرآن، بالتحدُّث في العلم، والمذاكرة في العلم، حتىٰ يصل إلىٰ مكة، يشرع له أن يعتني بالوقت حتىٰ لا يَضيع عليه، وحتىٰ لا يُصرف فيما يغضب الله ﷻ من غِيبة أو نميمة، أو سب أو شتم، أو غير هذا مما يضرُّه، أو في كلام لاغٍ لا فائدة فيه، الوقت له شأن، يقول بعض الناس: إنه كالذهب، والحقيقة أن الوقت أعزُّ من الذهب، الوقت في الحقيقة أعزُّ من الذهب، لمن عمره بالخير، واتَّقىٰ فيه ربَّه، واستكثر فيه من طاعة ربِّه، ووقت عظيم تجده في ميزان حسناتك، وفي ختام أعمالك؛ فلا ينبغي للمؤمن أن يتساهل بالوقت، بل ينبغي له أن يحفظه، وأن يعمره بكل ما يستطيع من الخير القولي والعملي، ولم يزل ﷺ يلبِّي حتىٰ وصل إلىٰ مكة، وحتىٰ شرع في الطواف ـ عليه الصلاة والسلام ـ فلم يزل يلبِّي بتلبيته

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، برقم (٥٠٨٩)، ومسلم في كتاب الحج، باب جواز اشتراط المحرم التحلل بعذر المرض ونحوه، برقم (١٢٠٧).

المشهورة: «**لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ**»، والناس من حوله يلبُّون بها، وبغيرها، بالتلبيات الجائزة، فلا حرج في ذلك، وجاء عنه ﷺ أنه قَالَ فِي تَلْبِيَتِهِ: «**لَبَّيْكَ إِلَهَ الحَقِّ، لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ ذَا المَعَارِجِ**».

وجاء عن ابن عمر: «**لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، لَبَّيْكَ وَالرَّغْبَاءُ إِلَيْكَ وَالعَمَلُ**».

وجاء عن أنسٍ: «**لَبَّيْكَ حَقًّا حَقًّا، تَعَبُّدًا وَرِقًّا**».

فهذه كلمات وما أشبهها كلُّها جائزة، لكن تلبية النبي ﷺ أفضل وأكمل، ولزومها والاستكثار منها أَوْلىٰ، أما ما يُروىٰ من رفع اليدين عند رؤية الكعبة والدعاء: «**اللَّهُمَّ زِدْ هَذَا البَيْتَ تَشْرِيفًا وتَعْظِيمًا وَتَكْرِيمًا... إلخ**»[1]، فهذا لم يأت من طريق ثابت، ولم يحفظ من طريق ثابتة، وإنما المحفوظ من حديث جابر أنه ﷺ لم يزل يلبِّي حتىٰ استلم الركن.

فالمعتمر والمتمتِّع يلبِّي حتىٰ يشرع في الطواف، فإذا شرع في الطواف قطع التلبية، والمفرد والقارن لا يزال في التلبية في طريقه، وفي مكة، وفي المشاعر حتىٰ يرمي جمرة العقبة، إذا شرع في الرمي اشتغل بالتكبير، أما المتمتع بالعمرة إلىٰ الحج، وهكذا الذي أحرم بالعمرة وحدها في أي وقت، فهذا يلبِّي حتىٰ يشرع في الطواف، فإذا شرع في الطواف اشتغل بأذكار الطواف تأسِّيًا بالنبي، عليه الصلاة والسلام.

وفق الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالح، ورزقنا جميعًا الفقه في دينه، والثبات عليه، إنه جواد كريم، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه.

* * *

(١) رواه البيهقي ٢/ ٤٣٤، ولم يثبت ذلك كما تقدم من كلام سماحة الشيخ.



المواقيت

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[1]:

فقد ثبت في «الصحيحين» عن ابن عباس ـ رضي الله تعالىٰ عنهما ـ: «أنَّ النبي ﷺ وقّت لأهلِ المدينةِ ذا الحُلَيفةِ، ولأهلِ الشّأمِ الجُحْفةَ، ولأهلِ نجدٍ قَرْنَ المنازلِ، ولأهلِ اليمنِ يَلَمْلمَ، هنّ لهنّ ولمَنْ أتىٰ عليهنّ منْ غيرِ أهلهنّ، ممّنْ أرادَ الحجّ والعمرةَ، ومنْ كانَ دونَ ذلكَ، فمنْ حيثُ أنشأَ، حتّىٰ أهلُ مكّة منْ مكّة»[2].

هذا الحديث العظيم يبين لنا مواقيت الحج والعمرة لمن وفد إلىٰ مكة لأحدهما أو لهما جميعًا، وأن الواجب عليه أن يحرم من هذه المواقيت التي أوضحها النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ وذلك بالنية بالدخول في النسك؛ أن ينوي بقلبه الدخول فيما قدِمَ لأجله من حج أو عمرة أو قِران، ثم يُشرع له التلبية بذلك من نفس الميقات الذي نوىٰ فيه للدخول في حج أو عمرة أو فيهما جميعًا، ومن كان من أهل المدينة، أو جاء من طريق المدينة أحرم من ذي الحُليفة، وهو محلٌّ معروف قرب المدينة، في طرف المدينة من جهة الجنوب،

---

(١) من دروس سماحته في مسجد التوعية في حج عام ١٤٠٨هـ، شريط رقم (٢٦٣).

(٢) تقدم تخريجه في ص٢٦٥.

ويسميه الناس الآن: آبار عَلِي، ويسمىٰ أيضًا: وادي العقيق، فمن أحرم منه من أهل المدينة أو مرَّ عليها، فعليه أن يستمر في ذلك حتىٰ يؤدي النسك، فليس له أن يخلعَه، أو يرفضه بعد الدخول فيه إلا من مانع شرعي؛ فيكون له حكم الحصر، ومن جاء من طريق الجُحفة طريق رابغ أحرم من ذلك المكان، لمن جاء من الشام ومصر أو أفريقيا وغيرها، فهي لأهل الشام ومصر والمغرب، ومن جاء من ذلك الطريق، والجحفة هي خراب معروف، والناس يحرمون من رابغ قبلها بيسير، وهكذا أهل اليمن ومن جاء من طريقهم يُحرمون من يَلَمْلَم، وهو محل معروف أيضًا، ومن جاء من طريق الشرق من نجد أو الطائف أو غيرهما أحرم من قرن المنازل، ومن لم يمر علىٰ ميقاتٍ أحرم إذا حاذىٰ أول ميقات يمر عليه، وهذا يستوي فيه الوافد من البحر، والوافد من البر، والوافد من الجو إذا حاذىٰ الوافدُ واحدًا من هذه المواقيت إن كان من طريق المدينة جوًّا ومن المدينة، وهكذا الشام، وهكذا مصر، وهكذا بقية المواقيت.

ويشرع له التلبية من حين يحرم بذلك؛ كما فعل النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ التلبية المعروفة: «**لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْك، لَبَّيْك لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْك، إِنَّ الحَمْدَ والنِّعْمةَ لَكَ وَالمُلْك، لَا شَرِيكَ لَكَ**».

ويشرع له في ذلك الحذر من كل ما حرَّم الله، حتىٰ يكون حجُّه مبرورًا، يجدد نية التوبة والاستقامة علىٰ طاعة الله، والحذر من محارم الله، فقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**العُمْرَةُ إِلَىٰ العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةُ**»[1]، وصح عنه قال

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ، أخرجه البخاري في كتاب العمرة، باب وجوب العمرة وفضلها، برقم (١٧٧٣)، ومسلم في كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة، برقم (١٣٤٩).

ـ عليه الصلاة والسلام ـ أيضًا: «**مَنْ حَجَّ للهِ، فلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجع كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»[1].

وهذا فضل عظيم، ينبغي للمؤمن أن يحرص عليه، وذلك بالتوبة الصادقة، والحذر من جميع الذنوب، فيبادر بالتوبة عند إحرامه، أو قبل إحرامه، أو بعد إحرامه، وكلَّما بكَّر بالتوبة كان ذلك خيرًا، ويحاسب نفسه، ويكون دائمًا ملازمًا للتوبة؛ لأنها فرض العمر، فرض الوقت، وليحذر من العودة إلىٰ الذنوب بعد ما منَّ الله عليه بالتوبة منها، ويستمر علىٰ التوبة، وليلزمها في إحرامه، وفي حجَّه وفي عمرته، وهكذا بعد ذلك، يلزم التوبة، ويستقيم عليها حتىٰ يلقىٰ ربَّه؛ هذا هو طريق السعادة، وطرق النجاة.

أما مَنْ دون هذه المواقيت، فأوضح النبي ﷺ أنه يُحرم من محله، من حيث أنشأ، فإذا كان في طريق المدينة دون الميقات أحرم من مكانه دون ذي الحُليفة، وإذا كان دون يَلَمْلَم أحرم من مكانه، وإذا كان دون رَابغ أحرم من مكانه، وإذا كان دون قَرْن المنازل أحرم من مكانه؛ محلّه من حيث أنشأ؛ إن كان له أهل، أو كان مقيمًا في ذلك لحاجة، ثم أنشأ نية الإحرام من مكانه الذي دون المواقيت؛ كالذي يقدم جدة لحاجة، ثم ينوي العمرة أو الحج، فيحرم من مكانه؛ لأنه لم ينشئها إلا من جدة، وإن كان مدنيًا، أو مصريًّا، أو نجديًّا، أو غير ذلك، ما دام وفد إلىٰ جدة بغير نية الحج والعمرة، ثم أنشأ بعد ذلك، وطرأ عليه أن يحرم بالحج أو العمرة يُحرم من مكانه، هكذا أمثال ذلك حتىٰ أهل مكة من مكة، يُحرم بحجِّه من مكة، ولا يحتاج للخروج إلىٰ خارج مكة،

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ، أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، برقم (١٥٢١)، ومسلم في كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، برقم (١٣٥٠).

بل من نفس بيته، إلا العمرة؛ فإنه يخرج إلىٰ خارج الحرم؛ لأن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ أمر عائشة أن تخرج لَمَّا أرادت العمرة، فدل ذلك علىٰ أن المراد هنا الحج «**حَتَّىٰ أَهْلُ مَكَّةَ مِنْ مَكَّةَ**»؛ **يعني**: في الحج، أما العمرة، فهي الحِلّ، فمن أراد ذلك أن يخرج إلىٰ الحِلِّ، وهو التنعيم وغيره، فيحرم بذلك للعمرة، فإن حديث عائشة مخصِّص لهذا، وكلاهما صحيح؛ قول مطلق ثم يخصَّص بالمقيّد، والعام يُخصَّص بالخاص، فالأمر واضح في هذا، ولهذا ذهب الجمهور إلىٰ تخصيص حديث ابن عباس من حديث عائشة، وهو كالإجماع، والخلاف في ذلك شاذٌّ.

فعلىٰ من أراد العمرة وهو في مكة، فعليه أن يخرج إلىٰ الحِلِّ كما خرجت عائشة بأمر النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فيُحرم من التنعيم، أو الجعرانة، أو غيرهما، ثم يدخل إلىٰ مكة، فيؤدي مناسك العمرة.

وعلىٰ المؤمن في ذلك ـ والمؤمنة ـ العناية بتقوىٰ الله، فهذا عمل عظيم، فعلىٰ المؤمن أن يتق الله في ذلك، وأن يحرص علىٰ أن يكون بعيدًا عن الذنوب، حريصًا علىٰ السلامة منها، تائبًا مما مضىٰ وسلف منها، لعل الله يغفر له بهذا النسك، ويحط عنه خطاياه، ويوجب له به الجنة بسبب صدقه وإخلاصه وتوبته، وإقلاعه من الذنوب، وكونه حج بغير رَفَثٍ ولا فسوق، بل في توبة صادقة وعمل صالح.

رزق الله الجميع التوفيقَ والهدايةَ، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد وعلىٰ آله وأصحابه.

❊ ❊ ❊

لباس المُحرم

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[1]:

فقد ثبت في «الصحيحين» من حديث عبد الله بن عمر ـ رضي الله تعالىٰ عنهما ـ أن النبي ﷺ سُئل عمَّا يلبسه المحرم من الثياب، فقال: **«لَا يَلْبَسُ القُمُصَ، وَلَا العَمَائِمَ، وَلَا السَّرَاوِيلَاتِ، وَلَا البَرَانِسَ، وَلَا الخِفَافَ، إِلَّا أَحَدٌ لَا يَجِدُ نَعْلَيْنِ، فَلْيَلْبَسْ خُفَّيْنِ، وَلْيَقْطَعْهُمَا أَسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ وَلَا تَلْبَسُوا مِنَ الثِّيَابِ شَيْئًا مَسَّهُ الزَّعْفَرَانُ أَوْ وَرْسٌ»**[2].

وفي رواية البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: **«وَلَا تَنْتَقِبِ المرْأَةُ المُحْرِمَةُ، وَلَا تَلْبَسِ القُفَّازَيْنِ»**[3].

هذا الحديث العظيم دلَّ علىٰ شيئين: أحدهما بمنطوقه، والآخر بمفهومه؛ فدل بمنطوقه علىٰ أن المحرم لا يلبس هذه الأمور التي اعتاد الحلال أن يلبَسَها، بل يكون له زيٌّ خاص في وقت الإحرام، فلا يلبس القميص،

---

(١) من دروس سماحته في مسجد التوعية في حج عام ١٤٠٨هـ، شريط رقم (٢٦٣).

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب ما لا يلبس المحرم من الثياب، برقم (١٥٤٢)، ومسلم في كتاب الحج، باب ما يباح للمسلم بحج أو عمرة وما لا يباح وبيان تحريم الطيب عليه، برقم (١١٧٧).

(٣) أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في كتاب جزاء الصيد، باب ما يُنْهَىٰ مِنَ الطِّيبِ للمُحرمِ والمُحرمةِ، برقم (١٨٣٨).

وهو ما يُلبس علىٰ البدن كلِّه من الصوف، أو الوبر، أو القطنِ، أو غير ذلك، ولا العمائم، وهو ما يُوضع علىٰ الرأس مُلاصقًا له، ولا البَرانِسَ، وهي ثياب تَرِدُ من المغرب لها رؤوس متصلة بها تُلبس علىٰ الرأس، فهي قُمُصٌ لها رؤوس تُلبس علىٰ الرأس، ولا السَّرَاوِيلَاتِ المعروفة، ولا الخِفاف المعروفة، وهي: ما يُلبس علىٰ الرجل، وهذا في حق الرجال، كلُّ هذا في حق الرجال، أما النساء، فلا حرج عليهن في لبس القميص والخمار والسَّرَاوِيلَاتِ والخفاف ونحوها؛ كالجوارب؛ لأنها عورة، فلا حرج في أن تلبس هذه الأشياء، بل يجب عليها أن تلبَس هذه الأشياء؛ لأنها تسترُها، وهي مأمورة بالحجاب والتستُّر عن الرجال، أما الخُفَّان، فلا مانع من لبسهما للرجل عند فقد النعلين، وهكذا السَّرَاويل عند فقد الإزار، أما المرأة، فهي تلبس السَّرَاوِيل والخفَّين كما تقدم.

ثم بيَّن ﷺ في وصف لبس المرأة، فقال: «**وَلا تَنْتَقِبْ، وَلَا تَلْبَسِ القُفَّازَيْنِ**»؛ هذا خاص بالمرأة؛ ليس لها أن تنتقب، وليس لها أن تلبس القُفَّازَيْنِ، والرجل كذلك ممنوع من هذا من باب أولىٰ، فكما مُنع من القميص والسَّرَاوِيلَاتِ وَالبَرَانِسَ، فكذلك النقاب، لا يغطي وجهَه، كما في حديث المحرم، ولا يخمِّر رأسَه، ولا وجههِ، وكذلك القفازان، وهما غطاءان مصنوعان لتغطية اليدين، فلا يلبسهما المحرم الذكر ولا الأنثىٰ في حال الإحرام.

والنقاب شيء يصنع للوجه، وهو مخيط خاص للوجه، ولعله سُمِّي نقابًا؛ لأنه ينقب به العينين، حتىٰ ترىٰ ما أمامها، ومثلها ما يكون ساترًا للوجه، ولا يكون فيه نقب، ولكنه مخيط علىٰ الوجه، وتنظر من ورائه، لكون الملبوس لا يمنع الرؤية.

وهكذا القفازان؛ سواء كان من الصوف، أو من الوبر، أو من القطن، أو من غير ذلك ممنوع لُبسهما للرجل والمرأة جميعًا في حال

الإحرام، لكن المرأة تغطِّي وجهها، وتغطي يديها بغير ذلك؛ كالخمار تسدُله علىٰ وجهها، وكالجلباب تغطي به يديها، أو العباءة ونحو ذلك؛ لأنها عورة، ولهذا جاء في حديث عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما أنهما قالتا: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ، فَإِذَا دَنَا مِنَّا الرُّكْبَانُ سَدَلَتْ إِحْدَانَا خِمَارَهَا مِنْ رَأْسِهَا عَلَىٰ وَجْهِهَا، فَإِذَا بَعُدُوا كَشَفْنَا، كَانَ الرُّكْبَانُ يَمُرُّونَ بِنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُحْرِمَاتٌ، فَإِذَا حَاذَوْا بِنَا سَدَلَتْ إِحْدَانَا جِلْبَابَهَا مِنْ رَأْسِهَا إِلَىٰ وَجْهِهَا، فَإِذَا جَاوَزُونَا كَشَفْنَاهُ»[1].

فتستر المرأة الوجهَ بما تيسَّر من خمار، أو جلباب، أو غير ذلك، بخلاف النقاب الذي صُنع للوجه.

وهكذا القُفَّاز، لا تجعله علىٰ يديها، ولكن تستر يدها بغير ذلك.

كما أن الرجل لا يلبس القميص، ولا السَّرَاوِيلَات، ولا البَرَانِسَ، وهو يستر بدنه بالإزار والرداء، فالمَخِيط هو الممنوع الذي علىٰ البدن كله أو نصفه الأعلىٰ؛ كالفنلَّة ونحوها، ونصفه الأسفل كالسَّرَاوِيلَاتِ، وهكذا الرأس لا يغطَّىٰ في حال الإحرام في حق الرجل، وفي الحديث نفسه: **«وَلَا تَلْبَسُوا شَيْئًا مِنْ مَا مَسَّهُ الزَّعْفَرَانُ وَلَا الوَرْسُ»**.

هذا يبين أيضًا أن المحرم لا يلبس ما مسَّه الطيب من الزعفران والوَرْسُ وغيرهما، لا تلبس المرأة ذلك، ولا الرجل، وإنما يطيِّب في بدنه، يشرع له الطِّيب عند الإحرام في بدنه، كما تطيَّب النبي ﷺ عند إحرامه، كما قالت عائشة رضي الله عنها: «كنتُ أُطَيِّبُ النَّبِيَّ ﷺ فِي إِحْرَامِهِ قَبْلَ أَنْ يُحْرِمُ، وَلِحِلِّهِ قَبْلَ أَنْ يَطُوفَ»[2]؛ فكان يتطيب عند الإحرام، ويتطيَّب ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعد التحلل الأول حين رمىٰ وحلق،

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الحج، باب في المحرمةِ تغطّي وجهها، برقم (١٨٣٣).

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب الطيب عند الإحرام برقم (١٥٣٩)، ومسلم في كتاب الحج، باب الطيب للحرم عند الإحرام برقم (١١٨٩).

تطيب ـ عليه الصلاة والسلام ـ ثم توجه إلىٰ البيت لطواف الإفاضة.

وبعد الإحرام يحرُم الطِّيبُ علىٰ الجميع: علىٰ الرجال والنساء جميعًا، بعد عقد الإحرام، بعد نية الإحرام، بعد الدخول في النسك، وبنِيَّة الدخول في النسك، صار مَحرمًا، يحرُم عليه ما يحرُم علىٰ المحرمين من الطيب والنكاح، وقصِّ الشعر، وقلم الأظافر، ونحو ذلك من محظورات الإحرام، كل هذا أمرٌ واضح من الحديث من جهة منطوقه.

وأما مفهومه؛ فإنه يدلُّ علىٰ أن المحرم يلبس ما سوىٰ ذلك؛ يلبَس الإزار والرداء؛ من أبيض، أو أسود، أو أخضرِ، أو غير ذلك، وكان ﷺ ربما لبس الأسود، كما دخل مكة وعلىٰ رأسه عمامة سوداء عام الفتح، وطاف وعليه بُرْدٌ أخضرُ ـ عليه الصلاة والسلام ـ فأنواع اللباس لا حرج فيها في حق الرجل والمرأة، لكن الرجل يلبس ملابسَ غير ما ذكر في الحديث؛ لا يلبس القميص، ولا البَرَانِسَ، بل يلبس الإزار والأردية، ولا يغطِّي رأسه، ولا يلبس السَّرَاويلَات؛ لأن هذا هو المفهوم من هذا الحديث الصحيح العظيم، أما النعلان والخُفَّان، فتقدَّم أن المرأة تلبَس الخفين ونحوهما؛ لأنها عورة، وأما الرجل، فلا يلبس الخفين، ولا ما في معناهما إلا عند العجز عن النعلين؛ إذا لم يجد نعلين لبس الخفين، وقد يقطعهما، في هذا الحديث أنه يقطعهما، وبه قال أكثر أهل العلم.

وقال آخرون: لا يقطعهما، بل يلبسهما علىٰ حالهما، لِمَا ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي خطب الناس في عرفات، قال: «**مَنْ لَمْ يَجِدِ النَّعْلَيْنِ، فَلْيَلْبَسِ الخُفَّيْنِ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ إِزَارًا، فَلْيَلْبَسْ سَرَاوِيلَ**»[1] قالوا: فهذا فيه إطلاق للبس الخفين من غير قطع،

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب جزاء الصيد، باب لبسِ الخفّينِ للمحرم إذا لم يجدِ، برقم (١٨٤١)، ومسلم في كتاب الحج، بَاب ما يباحُ للمحرمِ بحجّ أَوْ عمرةٍ وما لا يباحُ وبيانِ تحريمِ الطّيبِ عليهِ، برقم (١١٧٨).

وإنما يُؤخَذُ بالآخر فالآخر من أقواله ﷺ وأفعاله، هذا يدل علىٰ أن الله ﷻ وسَّع في الأمر؛ فلا حاجة إلىٰ القطع، كما أنه لا حاجة إلىٰ شقِّ السراويل إذا فقد الإزارَ، ولا حاجة إلىٰ قطع الخفِّ عند فقْد النعلين؛ ولأن في قطعهما نوع من الإفساد، وكان من رحمة الله أن نسخ ذلك، وأباح لُبس الخفين بغير قطع.

وهذا هو الأرجح، وهو الأظهر؛ لأن البيان لا يجوز تأخيره عن وقت الحاجة، وخطبته ﷺ في عرفات وقت بيان وإيضاح للناس، ولو كان القطع لازمًا لبيَّنه للناس في حجة الوداع؛ لأن خطبته في عرفات حضرها أمم كثيرة لم يحضرها مَنْ خطبهم في المدينة ـ عليه الصلاة والسلام ـ إنما حضر في المدينة بعضُ الناس، فهذا هو الأظهر والأبين جمْعًا بين الروايتين، وبين الحديثين عن النبي، عليه الصلاة والسلام.

وتقدم فيما يتعلق بالمواقيت وجوب الإحرام من المواقيت التي وقَّتها النبي ﷺ لمن أراد الحج والعمرة، أما من أراد دخول مكة بدون حج ولا عمرة ـ كالتاجر، والزائر لقريب، وطبيب، ونحو ذلك، أو لحاجة أخرىٰ، وليس من نيته حج ولا عمرة ـ فهذا علىٰ الصحيح لا يلزمه الإحرام، هذا هو المختار في ظاهر حديث ابن عباس، وإنما يلزم الإحرام من قصد حجًا أو عمرة، هذا هو الصواب والأرجح من قولي العلماء، ولكن كونه يدخل بعمرة، ولو جاء للتجارة يكون أفضل؛ لما في العمرة من الخير العظيم، ولما في ذلك أيضًا من الخروج من الخلاف، ولكنه لا يلزم؛ لأنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال: «**مِمَّنْ أَرَادَ الحَجَّ وَالعُمْرَةَ**»، وفي اللفظ الآخر: «**مِمَّنْ كَانَ يُرِيدُ الحَجَّ وَالعُمْرَةَ**»؛ هذا القيد يدل علىٰ أنه لا يلزم من لم يُرد الحج والعمرة، بل له الدخول من دون إحرام، ولقد دخلها النبي ﷺ عام الفتح من دون إحرام؛ لأنه دخلها فاتحًا ومجاهدًا، ولم يدخلْها للعمرة، وإنما دخل لإنقاذ المسلمين فيها من الشرك، ولرفع راية الإسلام، ولدعوة أهلها إلىٰ الدخول في دين الله،

فلم يحرم ـ عليه الصلاة والسلام ـ بل دخلها وعلىٰ رأسه المغفر، وعليه عمامة سوداء، فدل ذلك علىٰ أنه ليس بمحرم في ذاك الوقت ـ عليه الصلاة والسلام ـ فهو من الحُجج الدالة علىٰ أن من جاء لغير الحج والعمرة لا يلزمه الإحرام.

وأسأل الله ﷻ أن يوفِّق الجميع لما يرضيه، وأن يمنحنا وإياكم الفقه في دينه، والثبات عليه، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ عبده ورسوله.





دَور الشباب[١]

بسم الله الرحمٰن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ عبده ورسوله وأمينه علىٰ وحيه نبيِّنا محمد بن عبد الله، وعلىٰ آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

أما بعد:

فإن دور الشباب المسلم في هذا العصر دور عظيم، وإن كان الشباب في كل زمان له دور يجب أن يعتني به، ويجب أن ينال منه ما يليق، ولكن في هذا العصر له شأن آخر؛ وذلك بسبب ما ظهر من التيارات الخطيرة، والأفكار الهدَّامة، والنِّحل المضلَّة، وكثير من الناس قد يتكلم في هذه المسائل بغير علم، وقد يخوض فيها بالباطل، فدور الشباب المتعلِّم المتبصِّر في هذه المسائل دور عظيم؛ لبيان الحق وإيضاحه، ودحض الباطل وإزهاقه.

ولا شك أن دور العلماء الذين مارسوا هذه الأمور ودرسوها دراسةً وافية، وعرفوا حكمها أهمُّ وأكبر، وعلىٰ الشباب أن يُعنَوْا بسؤال أهل العلم عما أشكل عليهم، وأن يعطوا هذه الأمور حقَّها من العناية والمذاكرة، حتىٰ يحكموا عليها حكمًا صحيحًا، مبنيًّا علىٰ الأدلة الشرعية، من كتاب الله وسُنَّة رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ وحتىٰ يطبِّقوا أحكام الله علىٰ ما ظهر من الناس من النِّحل الباطلة، وأفكار هدَّامة، وتيارات خطيرة، ليحذِّروا الناس منها، ويبيِّنوا لهم خطرها.

---

(١) كلمة لإذاعة الرياض في شهر ربيع الآخر من عام ١٤٠٠هـ، شريط رقم (٧٨).

ودور الشباب في هذا العصر أشدُّ وأخطر من دوره فيما مضىٰ؛ بسبب ما تقدَّم من ظهور للأفكار الهدَّامة، والمذاهب المنحرفة، والتيارات الخطيرة التي يخفىٰ حكمُها علىٰ كثير من الناس.

ولا شك أن الشِّيب والشيوخ لهم تجاربٌ، ولهم معلوماتٌ قد تخفىٰ علىٰ الشباب، كما أن الأساتذة الذين حملوا العلم، ودرَّسوه لغيرهم عندهم من العلم والبصيرة في الأغلب أكثر مما عند غيرهم من الشباب الذين لم يعلموا علمهم، ولم يجرِّبوا تجاربهم، وإنما يتم الجهاد لهذه الأخطار وكشفها وفضحها بالتعاون بين الشباب وبين الشيوخ من أهل العلم والبصيرة، وبين أهل التجارب الذين جرَّبوا الأمور وعرفوها عن كثب، وعرفوا عواقبها الوخيمة، فإذا حصل التعاون بين طلبة العلم، وبين المدرسين والدعاة إلىٰ الله ﷻ، وبين أهل التجارب مما قد يخفىٰ أمره من أمور الناس، إذا حصل التعاون بين الجميع، انتفع المسلمون بذلك، وحصل لهم من العلم والبصيرة بما يجب عليهم، وبما يحرّم عليهم، ما لم يحصل بالإعراض والغفلة، وعدم التعاون علىٰ البر والتقوىٰ، والله ﷻ أوجب علىٰ عباده أن يعبدوه ويتقوه ـ سبحانه ـ وإنما تكون العبادة والتقوىٰ بالعلم والبصيرة، والمذاكرة في العلم، والعناية بالأدلة الشرعية، لا بمجرد الدعاوىٰ والتخرُّصات والظنون، وقد صح عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»[١].

فالفقه في الدين إنما يكون بدراسة الكتاب العزيز؛ وهو القرآن، والسُّنَّة المطهرة، والتدبر بذلك، والعناية بذلك، والمذاكرة بين أهل العلم وبين الشباب فيما بينهم، وسؤالهم من هو أعلم منهم عما أشكل عليهم، ورأس العلم خشية الله، وتعظيم حرماته، فالتفقه في الدين يكون

(١) تقدم تخريجه في ص٢٩.

بخشية اللهِ وتعظيم حرماته، وتدبر لكتابه العظيم ولسُنَّة رسوله الأمين ـ عليه الصلاة والسلام ـ والتعرُّف علىٰ أحكام الله بأدلتها حتىٰ يطبِّقها علىٰ نفسه، وحتىٰ يدعُوَ إليها غيره.

فمن علامات الخير، ومن دلائل السعادة: أن يفْقَه العبد في دين الله، وأن يأخذ أمور دينه عن كتاب الله الكريم، وعن سُنَّة رسوله الأمين ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأن يُعنىٰ بمراجعة العلماء والاستفادة منهم، ومراجعة الكتب المفيدة، والاستفادة منها حتىٰ تكون معلوماتُه علىٰ أساس متين، وعلىٰ أصول معتبرة.

ثم من أهم الأمور بعد ذلك أن يطبق علىٰ نفسه ما علِمَه من الأدلة الشرعية، فيسارع إلىٰ ما أوجب الله عليه، ويتباعد عمَّا حرم الله عليه، ويقف عند حدود الله، فيكون قدوةً صالحة فيما يأتي ويذر، هكذا طالب العلم الموفَّق؛ يتقي الله في نفسه، ويأمر الناس بتقوىٰ الله ﷻ، ويحاسب نفسه في كل شيء، ويعلم أنه مسؤول بين يدي الله ﷻ، وبذلك يكون قدوةً صالحة وأسوة صالحة يُقتَدىٰ به في أقواله وأعماله.

وكان نبيِّنا ـ عليه الصلاة والسلام ـ أحسن قدوة، وأفضل قدوة، قالت عائشة ﵂ في تفسير قوله ـ سبحانه ـ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] قالت: كان خلقُه القرآن، **المعنىٰ**: أنه كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يتأدَّب بآداب القرآن، ويأتمر بأوامره، وينتهي عن نواهيه، ويقف عند حدوده، ويعتبر بأمثاله وقصصه، هكذا كان، عليه الصلاة والسلام.

فعلىٰ الأمة من أهل العلم والإيمان أن يتأسَّوْا بنبيهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأن يخلُفوه في كل شيء، ومن ذلك: العناية بالقرآن، والتأدب بآدابه العظيمة، والائتمار بأوامره، والامتناع عن نواهيه، والوقوف عند حدوده.

ثم العناية بسُنَّة الرسول ﷺ وسيرته وسيرة أصحابه الكرام ﵃،

فإنهم أهل العلم والإيمان، وهم القدوة الصالحة بعد نبيهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ فيجب علىٰ أهل العلم والإيمان، وعلىٰ الشباب المسلم من طلبة العلم وغيرهم، أن يُعْنَوْا بهذا الأمر، وأن يتأسَّوْا بنبيهم ﷺ وبصحابته الكرام في أقوالهم وأعمالهم، وأن لا يكون همُّهم الشهادة، فإن الشهادة في الحقيقة إنما هي وسيلة للجد في العلم، وهي في الحقيقة مفتاح للعلم، وهي المبدأ للتحصيل، فلا يليق بطالب العلم أن يكون همه الشهادة حتىٰ يتوظف، حتىٰ يتخذ ما يريد؛ من سيارة، من مسكن، من ملبس، إلىٰ غير ذلك، لا، بل يكون الهدف تحصيل العلم.

هذا هو الهدف الصحيح، وهذا هو الذي يقصده أهل العلم والإيمان، والشهادات إنما هي عون لطالب العلم علىٰ تحصيل العلم، وعلىٰ نفع المسلمين، أما المقصود هو تحصيل العلم، كيف يعبد الله؟ كيف يدعو إليه؟ كيف يعرف ما حرَّم؟ كيف يعرف ما أوجب؟ كيف يعرف ما أحلَّ الله له؟ فهو يتفقه في الدين، ويتعلَّم ليعلم أحكام الله، وليعمل بكتاب الله وسُنَّة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ويدعو الناس إلىٰ الخير، ويحذِّرهم من الشر، هذا هو المقصود من طلب العلم، ولهذا قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«مَنْ دَلَّ عَلَىٰ خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»**[١]، **«مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَىٰ الجَنَّةِ»**[٢].

فالعلم يُطلب ليعرف الإنسان حكم الله، وليعمل بذلك حتىٰ يفوز بكرامة الله وجنته، ويطلب العلم أيضًا ليرشد الناس إلىٰ ما خُلِقوا له، يقوم المتعلم بإرشاد الناس إلىٰ ما خُلقوا له، ويوجههم إلىٰ ما يُرضي اللهَ، ويقرِّب لديه، فيكون له مثل أجورهم، فإنَّ من دلَّ علىٰ خير، فله مثل أجر فاعله، كما قاله النبي، عليه الصلاة والسلام.

فالواجب علىٰ الشباب المسلم والفتيات المسلمات ـ بوجه خاص ـ

---

(١) سبق تخريجه في ص ٢٤٣.
(٢) سبق تخريجه في ص ١١.

هو الجد والاجتهاد في طلب العلم والتفقه في الدين، بنيَّة صالحة وقصد صالح، كما أن هذا هو الواجب علىٰ الشيوخ من المعلِّمين والمرشدين، ومن غيرهم، بأن يتفقَّهوا في دين الله، وأن يُعْنَوْا بتطبيق كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ علىٰ أنفسهم، وعلىٰ غيرهم في أقوالهم وأفعالهم، حتىٰ يكون الجميع قدوةً صالحةً، وحتىٰ يكونوا هُداة مهتدين، وحتىٰ يرشدوا الناس إلىٰ ما ينفعهم بالدنيا والآخرة.

والله المسؤول ـ سبحانه ـ أن يصلح أحوالنا جميعًا، وأن يمنحنا جميعًا الفقه في دينه، والثبات عليه، وأن يصلح ولاة أمر المسلمين، ويعينهم علىٰ تحكيم شريعته، والتحاكم إليها، وإلزام الشعوب بها، وأن يعيذ الجميع من مُضِلَّات الفتن، وأسباب النِّقَم، إنه ﷻ سميع قريب.

وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ عبده ورسوله نبيِّنا محمد، وآله وأصحابه.



كلمة توجيهيَّة لطلبة العلم

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه.

أما بعد(١):

فإني أوجِّه كلمتي هذه وتقديري وسلامي لأبنائي الطلبة في هذه البلاد التي ذكرتم، وأوصيهم بتقوىٰ الله ﷻ؛ فإن تقوىٰ الله هي أصل الأصول، وهي جِماع الخير، كما قال الله ﷻ في كتابه العظيم: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ﴾ [النساء: ١٣١]، فالتقوىٰ هي وصية الله ﷻ للأولين والآخرين، وهي وصية رسوله الكريم محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان في خطبه يوصي بتقوىٰ الله، والتقوىٰ جامعة للخير كله، فإنَّ حقيقتها هي أداء فرائض الله، وترك محارم الله، والاستقامة علىٰ أمر الله، فمن اتقىٰ الله أفلح كلَّ الفلاح، وفاز في الدنيا والآخرة، كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].

ومن التقوىٰ ـ وهو أصلها وأساسها ورأسها ـ إخلاص العمل لله، وأن تُوَجَّه العباداتُ كلها لله وحده؛ من دعاء، وخوف، ورجاء، وتوكل، ورغبة ورهبة، وصلاة، وصوم، وغير ذلك، فإن هذا هو أصل الدين

---

(١) كلمة توجيهية لمجموعة من طلبة العلم في العالم الإسلامي شريط رقم (٩٣).

وأساس الملة، كما قال ﷻ: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢ ـ ٣]، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥].

فالواجب علىٰ جميع المكلَّفِين هو إخلاصُ العمل لله ﷻ، وإخلاص العمل لله: هو الالتزام بالإسلام الذي بعث الله به أنبياءه ورسله، وهو إسلام الوجه والقلب لله وحده، وإخلاص العمل لله وحده، والدخول في دين الله الذي بعث الله به أنبياءه، وعلىٰ رأسهم خاتمهم وإمامهم وأفضلهم نبيِّنا محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، فالإسلام دين الله الذي بُعث به الرسل، وأنزل به الكتب، وأوجب علىٰ جميع المكلفين الدخولَ فيه، والالتزام به أينما كانوا، فمن دخل في الإسلام والتزم به أفلح وفاز بالسعادة في الدنيا والآخرة، ومن حاد عنه هلك وخسر.

ثم عليهم، علىٰ كل مسلم بعد التزامه بالإسلام أن يلتزم بأداء فرائض الله، وترك محارم الله، وهذا هو تمام التقوىٰ، وكمال التقوىٰ الالتزام بأداء فرائض الله، وترك محارم الله، مع التعاون علىٰ البر والتقوىٰ بين الإخوان، كما قال ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

ومن ذلك: الدعوة إلىٰ الله، وتوجيه الناس للخير، وتعليم الجاهل، وإرشاد الضال، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، كل هذا من التعاون علىٰ البر والتقوىٰ، والنصيحة لكل مسلم من التعاون علىٰ البر والتقوىٰ.

ومما يتعلق بالتقوىٰ: تعلُّمُ الدين، والتفقه في الدين حتىٰ لا يعبد الله علىٰ جهالة، بل يتعلَّم ويتفقه، وأصل ذلك التدبُّر للقرآن، والعناية بالقرآن الكريم تلاوةً وتدبرًا وتعقلًا، وعملًا، ثم السُّنَّة المطهرة؛ يتعلَّم ما تيسر منها،

ويتفقَّه فيها، حتىٰ يكون علىٰ بيِّنة في دينه من كتاب الله وسُنَّة رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومن وسائل ذلك: سؤال أهل العلم، وحضور حلقات العلم، وسماع النصائح، واقتناء الأشرطة المفيدة الطيبة التي يسجلها أهل العلم، وسماع برنامج (نور علىٰ الدرب) الذي يُذاع من الإذاعة السعودية، من إذاعة القرآن الكريم، فإن هذا البرنامج فيه فائدة عظيمة، فوصيتي لجميع إخواني في بلاد الغرب وفي غيرها بسماع هذا البرنامج.

ثم نصيحتي للطلاب أيضًا أن يتواصَوْا بالحق والصبر عليه، أينما كانوا، هكذا شأن الإخوان، هكذا شأن طلاب العلم.

ثم الحذر من التباغُض والتحاسد والتقاطع؛ فإن هذا من أعظم وسائل الشر والفُرقة والاختلاف، فيجب علىٰ المؤمنين ـ ولا سيما طلبة العلم ـ التعاونُ علىٰ الخير، والتحابب في الله، وحل مشاكلهم بأنفسهم، والحذر مما يمليه الشيطان من أسباب الاختلاف والنزاع والفُرقة، وكل ما حدث من إشكال يُحَلُّ بطريق التفاهم، وعرضها علىٰ الكتاب والسُّنَّة حتىٰ يحل الإشكال بطريقة علمية واضحة سليمة، حتىٰ تبقىٰ القلوب علىٰ صفائها ونقائها، وعلىٰ ما فيها من المحبة في الله ولله، ولا ينبغي أن يجعل للشيطان ونواب الشيطان طريق للفرقة والاختلاف بأسباب بعض المسائل التي لا تُوجب الفرقة والاختلاف، بل يجب أن تحل، وأن ينظر فيها من طريق العلم، من طريق الكتاب والسُّنَّة، وبواسطة أهل العلم.

هذه هي وصيتي لجميع الإخوان أينما كانوا، وأسأل الله ﷻ أن يوفق الجميع للعلم النافع والعمل الصالح، والاستقامة علىٰ دين الله، وأن يعيذنا جميعًا وسائر المسلمين من مضلات الفتن، ومن نزعات الشيطان، ومن شرور النفس، ومن سيئات العمل؛ إنه سميع قريب.

وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ عبده ورسوله وخليله نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه، وأتباعه بإحسان.



الفِطـرة

تعليق سماحته

على كلمة الدكتور جعفر شيخ إدريس (الفِطرة)

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلىٰ آله وأصحابه، ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد(١):

فقد سمعنا هذه الكلمات الطيبات من صاحب الفضيلة الشيخ جعفر شيخ إدريس فيما يتعلَّق بالفطرة، وقد أحسن وأفاد، جزاه الله خيرًا، وبارك فيه، وزادنا وإياكم وإياه علمًا وهدًىٰ وتوفيقًا. . .

لا ريب أن الفطرة لها شأن، وقد اضطرب فيها من لا عِلْمَ عنده من أهل الكتاب وغيرهم، فمنهم من زعم أن الإنسان يُفطر علىٰ الشر وعدم الخير، وأنه شرير بالطبع، ومنهم من زعم أنه لا كذا ولا كذا، محايد.

ولكن ما جاءت به الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ يدل علىٰ أن الإنسان مفطور علىٰ الخير، ومفطور علىٰ دين الله وتوحيده، مفطور علىٰ هذه الملة الإسلامية، حتىٰ يُبتلىٰ بما يزيله عنها من أبوين أو غيرهما من الشياطين: شياطين الإنس وشياطين الجن؛ ولهذا أخبر ـ جلَّ وعلا ـ أن الدين هو فطرته سبحانه وتعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠] فطرة الله

---

(١) من تعليقات سماحة الشيخ علىٰ كلمات المشايخ بعد الفجر في مسجد التوعية بمكة المكرمة في حج عام ١٤٠٦هـ، شريط رقم (٩٦).

التي فطر الناس عليها: هي دينه، وهو توحيده والإخلاص له، والاعتراف به، لكن يُبتلىٰ الطفل بمن يغيِّره عن ذلك، ويزيحه عن ذلك بأسباب كثيرة؛ بالتربية التي يُرَبَّىٰ عليها، وبأسباب أخرىٰ يُبتلىٰ بها من قرناء السوء.

ولهذا في الصحيحين عن النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَىٰ الفِطْرَةِ**»(١)، وفي لفظ: «**إِلَّا عَلَىٰ هَذِهِ المِلَّةِ**»(٢)؛ **أي**: ملَّةِ الإسلام، «**فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنْصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ**»؟ **يعني**: كاملة، «**هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ، حَتَّىٰ تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا**».

فالإنسان مفطور علىٰ الخير، وهو ذو عقل؛ إذا تُرك ولم يُبتل بالشر، ذو عقل يميز الخير من الشر، يدرك الضار من النافع، والطيب من الخبيث، فيميل إلىٰ الطيب دون الخبيث، وإلىٰ الخير دون الشر، ما لم يبتل بمن يجرُّه إلىٰ الباطل، ويُلبس عليه الطريق.

وهكذا ما رواه مسلم في «الصحيح» من حديث عياض بن حمار المجاشعي ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ في خُطْبَتِهِ: «**أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَىٰ أَهْلِ الأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ؛ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ،**

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ، أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلىٰ عليه، برقم (١٣٥٨)، ومسلم في كتاب القدر، باب معنىٰ كل مولود يولد علىٰ الفطرة، برقم (٢٦٥٨).

(٢) أخرجه مسلم من رواية أبي مُعَاوِيَةَ في كتاب القدر، باب معنَىٰ كلّ مولودٍ يولدُ علىٰ الفطرةِ وحكمِ موتِ أطفالِ الكفّار وأطفالَ المسلمين، برقم (٢٦٥٨)، وأحمد ٢/ ٢٥٣.

إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ، وَأَبْتَلِيَ بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ المَاءُ، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا؛ فَقُلْتُ: رَبِّ إِذًا يَثْلَغُوا رَأْسِي، فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً، قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجُوكَ، وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ، وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ، وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ، قَالَ: وَأَهْلُ الجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَىٰ، وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ، قال: وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبْرَ لَهُ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَبْتَغُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا، وَالخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَىٰ لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ، وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ»، وذَكَرَ البُخْلَ أَوِ الكَذِبَ «وَالشِّنْظِيرُ الفَحَّاشُ»[1].

فصريح بأنهم خُلقوا حنفاءَ، كما في اللفظ الآخر «**عَلَىٰ الفِطْرَةِ**»؛ علىٰ هذه الملة خُلقوا موحِّدين ليسوا مشركين، ولكن الشرك يطرأ عليهم بالملابسات التي يُبتلون بها، فلو خُلِّي ونفسه، ولم يُبتل، لكان علىٰ الفطرة، وعلىٰ التوحيد، ثم يلهمه الله فجوره وتقواه، وعنده عقل، وقد مضىٰ له تقدير سابق، فالله يلهمه بعد ذلك ما سبق له، وقد يُلهَم الخير والهدىٰ لكونه من أهل السعادة، وقد يُلهَم الشر والفجور لكونه من أهل الشقاوة، وكل مولود يكتب عليه ما قسم الله له، وهو في بطن أمه يُكتب رزقُه، وأجلُه، وعمله، وشقاوته، وسعادته، تفصيلًا من القدر السابق الذي مضىٰ عليه، كما في الحديث الصحيح: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ**

---

(١) رواه مسلم في كتاب الجنة، باب الصِّفَات الّتي يعرفُ بها في الدّنيا أهلُ الجنّةِ وأهلُ النّار برقم (٢٨٦٥)، وابن حبان برقم (٦٥٣) ٢/ ٤٢٢، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ»، برقم (٨٠٧٠) ٥/ ٢٦.

قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ـ قَالَ: ـ وَعَرْشُهُ عَلَىٰ المَاءِ»(١).

وقال ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨] فيتعلَّم بعد ذلك، ويستفيد من هذه الأدوات، وقد يتعلَّم الشرَّ، وقد يتعلَّم الخير، ويتعلَّم هذا وهذا، وهو لما غلب عليه.

فالواجب علىٰ أهل الأطفال أن يُعْنَوْا بتربيتهم التربية الإسلامية الصحيحة؛ حتىٰ لا تجرَّهم الشياطين إلىٰ ضدها، فإذا جاء التعليم الطيب مع الفطرة استقام أمر الطفل، وإذا ابتُلي بالضد انحرف عن طريق الفطرة، وعن عقيدة التوحيد إلىٰ العقائد التي يُجَرُّ إليها، ويسحب إليها بالمربين؛ إلىٰ مجوسية إلىٰ يهودية، إلىٰ نصرانية، إلىٰ وثنية، إلىٰ غير ذلك.

وبهذا يعلم شدة الحاجة، بل الضرورة، إلىٰ التربية الإسلامية، وإلىٰ المربين المسلمين الصالحين، وأن الأطفال في أشد الحاجة إلىٰ ذلك؛ لضعف عقولهم، وقلة بصائرهم، وهم ينقادون مع كل ناعق، ويسيرون مع كل موجِّه، فهم في حاجة، وفي ضرورة إلىٰ الموجِّه الصالح والمربي الصالح؛ حتىٰ تُربَّىٰ فيهم ما فطرهم الله عليهم من الخير، وحتىٰ ينمي فيهم من خير وصلاح، وحتىٰ يُحالَ بينهم وبين الطرق الأخرىٰ، والتربيات الأخرىٰ، والأخلاق الأخرىٰ المخالفة، وبسبب هذا الخلل في المربين صار الأكثرون يتربىٰ علىٰ خلاف الحق، ويجره مربُّوه إلىٰ عقائدهم، وأخلاقهم، فلهذا قال ـ سبحانه ـ: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦].

---

(١) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه في كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسىٰ عليهما السلام، برقم (٢٦٥٣).

فأكثر الخلق علىٰ ما يدعو إليه الشيطان، وما تملي إليه النفوس الأمَّارة بالسوء، فلهذا يربون أطفالهم وأطفال غيرهم علىٰ ما هم عليه من الباطل، فيكثُر الشر، ويقل الخير، وإذا أراد الله بقرية أو مدينة أو طائفة أو قبيلة خيرًا يسَّر لها المربين الصالحين، يربُّون أولادهم ونشْأهم علىٰ الخير والهدىٰ، وتصلح تلك القرية أو المدينة أو الطائفة أو القبيلة؛ بسبب هؤلاء الأخيار والمربين، وآخرون يبتَلَوْن بمربِّين أشرار، فتسوء حالهم، ويربي نشئهم علىٰ ما يضرهم ولا ينفعهم.

نسأل الله للجميع التوفيق والهداية، ونسأل الله أن يجزي أخانا صاحب الفضيلة الشيخ جعفر خيرًا، وأن يعلِّمنا وإياكم ما ينفعنا، ويوفق جميع إخواننا المسلمين للتربية الصالحة، وأن يعينهم علىٰ أداء الواجب الذي فرضه الله عليهم، نحو ذرِّياتهم، إنه سميع قريب.

وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه.



تعليق سماحته على كلمة الشيخ عبد العزيز أسعد

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[1]:

فقد سمعنا الكلمة المباركة من صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز أسعد، المقيم في جدة، وهو من خريجي الجامعة الإسلامية.

وقد نصح هذه النصيحة المباركة في بيان أخلاق النبي ﷺ وسيرته ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ونسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أتباعه بإحسان، وأن يرزقنا وإياكم الاستقامة علىٰ سيرته والتخلق بأخلاقه الكريمة عليه الصلاة والسلام.

ومما يلاحظ قوله: إنه كان يقبِّل ابنته فاطمة مع فمها، هذا لا نحفظه عن النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولا نعلم محفوظًا عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ كانت إذا هي دخلت عليه قام إليها وأخذ بيدها، وأجلسها في مجلسه، وإذا دخل عليها قامت إليه، وأجلسته في مجلسها وقبَّلته، وكان يقبِّلها، لكن لا نعلم محفوظًا أنه كان يقبلها مع فمها، وكان الصدِّيق يقبل عائشة من خدها، فالصغيرة التي دون السبع سنين لا مانع من تقبيلها مع فمها، لكن إذا كبرت البنت وصارت فوق السبع، أو بنت التسع، أو ما فوق ذلك، فالأوْلىٰ أن يكون التقبيلُ في غير ذلك؛ كالخد ونحو ذلك.

---

(١) تعقيب علىٰ كلمة الشيخ عبد العزيز أسعد بعد صلاة العصر في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض، شريط رقم (١٠٢).

وكان الصِّدِّيق ﷺ إذا دخل علىٰ عائشة قبَّلها مع خدها، رضي الله عنها وأرضاها، كل ذلك حذرًا من الفتنة، وهو ﷺ معصوم من مثل هذا - عليه الصلاة والسلام -، لكنه يُعلِّم أصحابه الآداب الشرعية.

وكذلك مما يلاحظ عليه أنه كان يعفو أبدًا عمَّن أخطأ، وزَلَّ، هذا هو الغالب عليه - عليه الصلاة والسلام - هذا هو الغالب من فعله ﷺ أنه يعفو، وقد لا يعفو إذا عظُمت المصيبة؛ كالذي يأتي الجريمة ثم يعود إليها، فقد فعل بعض أهل مكة جريمةً وعاهده ألا يعود، ثم عاد للمرة الثانية في يوم أُحد، فقال: «**لَا أَتْرُكُكَ تَذْهَبُ إِلَىٰ مَكَّةَ، وَتَمْسَحُ عَضُدَكَ، وَتَقُولُ: قَتَلْتُ مُحَمَّدًا مَرَّتَيْنِ**»؟ فقتله يوم أحد، فقال: «**لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ**».

فالعفو هو الأصل، ولكن قد لا يسوغ العفو في بعض الأحيان، إذا كانت المصلحة في عدم العفو؛ فالذي يجرَّب عليه الخيانة لا يستحق أن يُعفىٰ عنه لئلا يضر الناس، فالعفو له محله، والعقوبات لها محلها، والله يقول - جلَّ وعلا -: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ويقول النبي ﷺ: «**مَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا**»[(١)]؛ هذا هو الغالب من فعله - عليه الصلاة والسلام -، وفي بعض الأحيان قد يكون بعض المجرمين لا يستحقون العفو، بل يكون الدواء والعلاج ناجع في عقابه وعدم العفو عنه؛ حتىٰ يتَّعظ غيره.

وفق الله الجميع، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه.

* * *

(١) سبق تخريجه في ص٧٧.



البشارة بنصر الإسلام

وهو تعليق سماحته على كلمة الشيخ إسماعيل الخطيب

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه.

وبعد... (١).

قد سمعنا جميعًا هذه الكلمات الطيبات المذكِّرة للمؤمن مما يجب عليه، من أخينا صاحب الفضيلة الشيخ إسماعيل الخطيب، حول المسلمين وواقعهم، وحول ما قد يقع في قلب المؤمن من اليأس، وما قد يعتريه من التفاؤل والأمل.

لا ريب أن الامر كما أشار إليه من حال المسلمين؛ أمر مؤلم جدًّا، قد سبق في بعض كلمات إخوانه السابقة في الأيام الماضية شيء من هذا، من تأمَّل أحوال المسلمين يمينًا وشمالًا وشرقًا وغربًا، وما لديهم من جهل كبير، وتفرق واختلاف، وما لدىٰ حكَّامهم من إعراض وغفلة عن تحكيم شريعة الله، إلا من شاء الله، لا شك أنه يتألَّم كثيرًا، وقد يصاب باليأس، ولكن من تأمل ما جاء في النصوص الكثيرة من الوعد بعودة هذه الأمة إلىٰ دينها، وقتالها لليهود، وحكمها بالعدل، يفرح كثيرًا، ويتفاءل كثيرًا، ويرجو فرج الله، وحسن العاقبة، وقد صح عن الرسول الكريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: «... **لَا يَأْتِي زَمَانٌ**

---

(١) سلسلة تعليقات سماحة الشيخ علىٰ كلمات المشايخ بعد الفجر في مسجد التوعية في حج عام ١٤٠٦هـ، شريط رقم (٩٤).

إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنهُ حَتَّىٰ تلقَوا رَبَّكُمْ...»[١]، كما قال أنس رضي الله عنه فيما رواه البخاري في «الصحيح»، وجاء له شواهد منها: «**لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ عَامٌ إِلَّا وَهُوَ شَرٌّ مِنَ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ، أَمَا إِنِّي لَسْتُ أَعْنِي عَامًا أَخْصَبَ مِنْ عَامٍ، وَلَا أَمِيرًا خَيْرًا مِنْ أَمِيرٍ، وَلَكِنْ عُلَمَاؤُكُمْ وَخِيَارُكُمْ وَفُقَهَاؤُكُمْ يَذْهَبُونَ، ثُمَّ لَا تَجِدُونَ مِنْهُمْ خَلَفًا، وَيَجِيءُ قَوْمٌ يَقِيسُونَ الأُمُورَ بِرَأْيِهِمْ**» فينهدم الإسلام[٢].

ولا شك أنَّ قرن النبي ﷺ هو خير القرون، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، وهكذا، وكلَّما بعُد الناس عن عهد النبوة قلَّ علماؤهم، وقلَّ خيارهم، وكثر فيهم الجهل، وكثر فيهم من يقيس الأمور برأيه، ومن يتظاهر بالإسلام، وليس من أهله في شيء، إلىٰ غير هذا ممن يضر المسلمين، ويبتغي لهم الغوائل، وينشر بينهم البدع والخرافات، ويصدهم عن الحق.

فالواجب علىٰ المؤمن ألا ييأس، وأن يتذكر قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ الحَقِّ مَنْصُورَةً**»[٣]، إلىٰ غير ذلك.

فالحق منصور وممتَحَن، وعليه بحمد الله بقايا، وبه من المسلمين من ينصره ويذود عنه، وإن كنتَ ـ يا عبدَ الله ـ لا تعلمه، وهذه الكتب التي ظهرت وانتشرت، والمطابع التي يسَّرها الله لاستخراج هذه الكتب،

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في كتاب الفتن، باب لا يأتي زمانٌ إلّا الّذي بعدهُ شرٌّ منهُ، برقم (٧٠٦٨).

(٢) أخرجه الدارمي في المقدمة، باب تغير الزمان وما يحدث فيه، برقم (١٩٤).

(٣) متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين، برقم (٧٣١١)؛ ومسلم في كتاب الإمارة، باب قول النبي ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق لا يضرهم من خالفهم، برقم (١٩٢٠).

وهذه الرسائل التي يسرها الله لطلاب العلم في أنواع العلوم للحصول علىٰ درجة الماجستير والدكتوراه، كل هذه أشياء، وما جاء في معناها، كلها تبشِّر بخير، وتدل علىٰ حركة عظيمة، وعلىٰ مستقبل للإسلام زاهر طيب، وإن كنتَ ـ يا عبدَ الله ـ لا تعلم متىٰ يكون هذا، قد يكون بعد أعوام قليلة، وقد يكون بعد أعوام كثيرة، لكن إشارة النبي ﷺ لا بد منها، وهي حق، ولا بد أن يظهر هذا الإسلام، ولا بد أن ينتشر، ولا بد أن يكون له أُناس من أهل الخير والهدىٰ ينصرونه وينشرونه ويقاتلون دونه، ولا بد أن تُقاتل هذه الأمة الدجال، ولا بد أن يقاتلوا اليهود ويُنصَرون عليهم، لا بد أن يقاتلوهم كما قال النبي ﷺ، ولا بد أن ينصروا عليهم، كما قال النبي ﷺ: «**حَتَّىٰ يَقُولَ الحَجَرُ وَرَاءَهُ اليَهُودِيُّ: يَا مُسْلِمُ، هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ**»(١).

كل هذا سيقع ولكن متىٰ؟ الله أعلم متىٰ يقع، وسوف يقع بلا ريب عند خروج المهدي، وخروج المسيح ابن مريم، عندما يخرج المهدي سوف يملأ الأرض عدلًا وقسطًا، بعدما مُلئت جورًا.

وهذه أحاديث صحيحة، أحاديث المهدي كثيرة؛ فيها الصحيح، وفيها الحَسَن، وفيها الضعيف، وفيها الموضوع، ولكن يكفينا منها الأحاديث الصحيحة والحسنة، الدالة علىٰ أنه سوف يخرج قرب نزول المسيح في آخر الزمان، ونحن في آخر الزمان، نحن في آخر القرن الخامس عشر، وليس خروج الدجال، وليس خروج المهدي ببعيد.

لقد مُلئت الأرض جورًا وشرًّا كما قد أخبر النبي ﷺ أن المسيح عيسىٰ ابن مريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ ينزل من السماء، وأنه يقتل

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب قتال اليهود، برقم (٢٩٢٥)، ومسلم في كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتىٰ يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنىٰ أن يكون مكان الميت من البلاء، برقم (٢٩٢١).

الدجال، وأنه يقاتل اليهود ويُنصر عليهم، وأن الله ـ جلَّ وعلا ـ يهلك في زمانه الأديان كلها ولا يبقىٰ إلا الإسلام، وأنه يضع الجزية، ويكسر الصليب ويقتل الخنزير، كل هذا واقع وحق ـ وجاء في النصوص عن النبي ﷺ.

وهذه الأشياء التي ترونها كلها تمهيد لهذا الخير العظيم، وهذه الحركة العظيمة من الشباب المسلم وغير الشباب في طلب الحق، والتماس الدليل، والتنقيب عن الدليل، والتنقيب عن كلام السلف الصالح، وعدم أخذ الآراء المجردة، كل هذه أمور تبشِّر بخير، كلها أمور عظيمة، كلها تشرح الصدر، وكلها تدل علىٰ مستقبل، إن شاء الله قريب بظهور هذا الدين، وانتشار أهله، وظهورهم علىٰ سائر أعدائهم، وأنه سوف يكون هناك ـ إن شاء الله ـ من الأئمة والمصلحين، ويتولون زمام الأمور، ويحققون شريعة الله، وينتفعون بهذه الكتب، وهذه الرسائل، وهذه الحركة التي يسَّرها الله للمسلمين.

فالواجب علىٰ المؤمن أن يجمع بين الأمرين، فلا يكون رجاءٌ مطلق ولا خوف مطلق، ولكن يجمع بين الأمرين، عنده رجاء، وعنده فأل، وعنده أعمال صالحة، وعنده خوف وحذر، لا يسترسل مع الآمال، ومع الفأل، ولا يسترسل مع اليأس، ولكن لا هذا، ولا هذا، بل علىٰ الطريق الذي شرعه الله لنا، نرجو ونخاف، نرجو ونعمل ونجتهد في الإصلاح، وإظهار الخير، والدعوة إليه، والعمل به، وتشجيع أهله، ونخاف، ولكن لا نقنط، نخاف ونحذر السيئات، ونحذر دعاة الباطل، ونرد عليهم، ونزيِّف باطلهم، وننشر ما يدل علىٰ بطلان باطهلم حتىٰ تكون دعوة الله قائمة، حتىٰ يكون الحق له أنصار، وحتىٰ يكون الباطل له من يدافع ويذود عن الحق، ويبين الباطل، ويبين أسباب ووسائل ودلائل بطلانه.

هكذا يجب علىٰ أهل العلم، وأهل الإيمان، وأهل النصح لله علىٰ حسب أحوالهم؛ كلٌّ علىٰ قدر طاقته وعلمه؛ فالعلماء والدعاة عليهم

واجبهم، والحكام والأمراء عليهم واجبهم، والأغنياء عليهم واجبهم، وطلبة العلم في الطريق عليهم واجبهم، وعامة المسلمين عليهم واجبهم، كل علىٰ قدر طاقته، وعلىٰ قدر علمه في نصر الحق والدعوة إليه، وتزييف الباطل والرد عليه.

ثم بعد الصبر علىٰ الحق، وإن جرىٰ ما جرىٰ من الأذىٰ، لا بد من الصبر علىٰ الحق، ولا بد من الدفاع عن الحق، ولا بد من الدعوة إليه والتحذير من الباطل أينما كنت، ولا تيأس، فإن الله يقول: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وهو القائل عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وهو القائل ـ سبحانه ـ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠ ـ ٤١]، وهو القائل عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥].

هذا وعد الله ـ جلَّ وعلا ـ وهو الصادق لوعده، أما متىٰ يتحقق علىٰ الكمال والتمام، هذا إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هو الذي يعلم المغيبات، ويعلم ما تنتهي إليه الأمور، ويعلم عواقبها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإنما العبد يسعىٰ في طريق الإصلاح، ويجتهد ويبذل المستطاع، ويشجِّع إخوانه، ولا ييأس، ولا يقنط، ولا يأمن من مكر ربِّه، بل يكون بين الرجاء والخوف، يسير إلىٰ الله هكذا: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

فينبغي لنا جميعًا أن نكون عند حسن الظن من إخواننا بنا، وأن نحسن الظنَّ بربِّنا، وأن نسير علىٰ الطريق القويم، وأن نحافظ علىٰ ما خلَّفه لنا رسولنا ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأئمتنا من السلف الصالح،

ونستعين بما يسَّر الله لنا من كتبهم، وأن نَعَضَّ علىٰ كتاب الله بالنواجذ، وأن نستقيم علىٰ ما دل عليه، وأن نحافظ علىٰ السُّنَّة، ونفسر بها القرآن، وأن نكون ـ مع ذلك ـ مستعينين بالله ـ سبحانه ـ في كل شيء، ثم مستعينين أيضًا بكلام العلماء وكتبهم المفيدة في بيان ما دل عليه كتاب الله، وفي بيان ما دلَّت عليه السُّنَّة، هكذا يكون أهل العلم، العُمدة علىٰ كتاب الله وعلىٰ سنة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولكن ـ مع ذلك ـ يستفيد من كلام أهل العلم، ويترحَّم عليهم، ويعرف لهم قدرهم وعلمهم وفضلهم، ويستفيد من كتبهم، ومما يسَّر الله علىٰ أيديهم من الأصول والفروع واللغة والحديث، وغير ذلك، رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وجزىٰ أخانا الشيخ إسماعيل خيرًا وزادنا وإياه وإياكم علمًا وهدىٰ وتوفيقًا.

وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه.



الإيمـــان

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[1]:

فقد سمعنا جميعًا هذا الدرس المبارك، وهذه الفوائد القيمة من صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن حسن الدريعي في موضوع الإيمان، وموضوع الإسلام، وما حصل من المسلمين من التقصير في ذلك، وما حصل من أعدائهم من التشبيه والاعتراض، والتثبيط عن الحق، ولقد أحسن وأجاد فيما ذكر، جزاه الله خيرًا، وبارك فيه، وزادنا وإياه وإياكم علمًا وهدىٰ وتوفيقًا.

وبذلك يُعلم أن الواجب علىٰ كل مؤمن أن يتفقَّه في دينه، وأن يتبصَّر حتىٰ لا يُخدع، حتىٰ لا يصدَّه الأعداء عن دينه، حتىٰ لا يلبِّسوا عليه دينه، ولهذا قال الله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، الواجب تدبر القرآن والعناية به، والإكثار من تلاوته، حتىٰ تفهم مراد الله، وحتىٰ تعرف أحكامه، وحتىٰ تكون علىٰ بصيرة ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾، ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤].

فالواجب عليك أيها المؤمن، أيها المكلَّف التفقُّه في دينه؛ التفقُّه والتعلُّم والتبصُّر، يقول رسول الله ﷺ: **«مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي**

---

[1] (١) سلسلة تعليقات سماحة الشيخ علىٰ كلمات المشايخ بعد الفجر في مسجد التوعية بمكة المكرمة في حج ١٤٠٦هـ، شريط رقم (١١).

الدِّين»[(١)]، فأعداء الله يُدلون بالشُّبَه، ويرمون الشُّبَه علىٰ المسلمين حتىٰ يصدُّوهم عن دينهم، كما سمعتم من الشيخ عند ذكر قطع يد السارق، وعند تفضيل الرجل علىٰ المرأة في الميراث، وعند شهادة المرأتين بإزاء الرجل، وغيرها مما يُلبِّسون به.

فالواجب علىٰ المؤمن أن يتفقه في دينه، وأن يتعلم، وأن يكون علىٰ بصيرة حتىٰ يكون ضد أعداء الله، وحتىٰ يسْلَم ـ بتوفيق الله ـ من مكائد أعداء الله وشُبُهاتهم، والرسول ﷺ لَمّا سأله جبريل عن الإسلام والإيمان، بيَّن له الإسلام والإيمان، الذي بيَّنه الله في كتابه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦]، الرسول بيَّن الإسلام والإيمان لجبريل، فلما سأله عن الإسلام، قال: «**الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيْمَانِ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[(٢)].

ذكر أربع أصول في سورة البقرة في آخرها: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وبيّن ﷺ في حديث جبريل أن الإيمان له أصول ستة؛ هذه الأربعة، وأصل خامس، وهو الإيمان باليوم الآخر، وأصل سادس وهو الإيمان بالقدر، وقد أشار الله إلىٰ اليوم الآخر بقوله: ﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وبقوله ـ جلَّ وعلا ـ:

---

(١) سبق تخريجه في ص٢٩.

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله ﷻ، برقم (٨).

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال ـ جلَّ وعلا ـ في سورة البقرة في أولها: ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤]؛ فأشار إلىٰ اليوم الآخر، فالأصول ستة الإيمان بالله، وأنه ربك ومعبودك الحق وإلهك، ورب كل شيء، الخلَّاق العليم وذو الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ، فهو ربنا ورب كل شيء، فالإيمان بالله يتضمن الإيمان بأنه ربك ومعبودك وخالقك، والإيمان بأنه مستحق العبادة، وأن العبادة لا تكون لغيره، يجب أن يُخَصَّ بالعبادة: الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والذبح، والنذر، والصلاة، وغير ذلك، هو الإله الحق، وأن تؤمن بأنه ـ سبحانه ـ أيضًا ذو الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ، وأنه لا شبيهَ له ولا كفو له، ولا نِدَّ له، كله داخل في الإيمان بالله والإيمان بأنه ربك، وأنه الخلَّاق العليم، والإيمان بأنه معبودك الحق، وأنه لا إله غيره، ولا ربَّ سواه، هو المستحق للعبادة، والإيمان بأسمائه وصفاته، وأنه ـ سبحانه ـ ذو الأسماء الحسنىٰ، والصفات العلىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، فلا بد من الإيمان بهذه الأصول، ولا بد من العمل، فالإيمان بالله يقتضي توحيده، والإخلاص له، وطاعة أوامره، وترك نواهيه، فإيمان بلا عمل ليس بإيمان، فلا بد من الإيمان بالله، وأنه معبودك الحق، ولا بد من العمل؛ من أن تخصه بالعبادة، ولا بد من أداء الفرائض، وترك المحارم، والوقوف عند الحدود، هذا مقتضىٰ الإيمان، ولا بد من الإيمان بالملائكة والكتب الرسل واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، قال الله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]. وقال ـ سبحانه ـ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، بيَّن أن كل شيء في كتاب، قد كتبه الله وقدَّره، ويقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**كَتَبَ اللهُ**

مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْف سَنَةٍ، وَعَرْشُه عَلَىٰ المَاءِ»[1].

فالواجب علىٰ كل مؤمن، بل علىٰ كل مكلّف من الرجال والنساء، أن يتق الله، وأن يراقب الله، وأن يعمل بالكتاب العظيم، ويتبع ما فيه، ويعمل بالسُّنَّة الصحيحة، ويتفقه في دين الله، في القرآن والسُّنَّة، حتىٰ يؤدي ما أوجب الله، وحتىٰ يدع ما حرَّم الله، وحتىٰ يكون علىٰ بصيرة.

نسأل الله للجميع التوفيق والهداية، وصلاح النية والعمل، ونسأل الله أن يجزي أخانا الشيخ محمد عن كلمته خيرًا، ونسأل الله أن يمنحنا وإياه الفقه في الدين، والمسارعة إلىٰ ما يرضيه، والحذر مما نهىٰ عنه، إنه ـ جلَّ وعلا ـ جواد كريم.

وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ عبده ورسوله نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.



(١) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسىٰ عليهما السلام، برقم (٢٦٥٣).

المال في الإسلام

وهو تعليق سماحة الشيخ على كلمة الشيخ جعفر شيخ إدريس

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[1]:

قد سمعنا جميعًا هذه الكلمات المباركة الطيبة من أخينا في الله فضيلة الشيخ جعفر شيخ إدريس فيما يتعلَّق بالمال، جزاه الله خيرًا، وزادنا وإياه هدًىٰ وتوفيقًا.

لا ريب أن المال فتنة، وعواقبه وخيمة، إلا من حفظه الله وصانه من شره، ولهذا فُتن به الناس، وانقسم فيه الناس أقسام، كما قال ﷻ: ﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢٨] قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧]، قال ﷻ: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠]، ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨]، وسمعتم ما ذكره شعيب لقومه وما أجابوه به.

ومن أجل أن المال شأنه خطير ومحبوب لدىٰ النفوس، ولهذا تقع بينهم فيه الفتن العظيمة، والقتال، وسفك الدماء، الله ـ جلَّ وعلا ـ نبَّه عليه، وبيَّن أحكامه حتىٰ تكون الأمة علىٰ بصيرة فيه،

---

(١) سلسلة تعليقات سماحة الشيخ علىٰ كلمات المشايخ بعد الفجر في مسجد التوعية في حج ١٤٠٦هـ، شريط رقم (٩٤).

فالواجب أن يُصرف فيه علىٰ الوجه الذي نظمه الله لعباده، فلا غُلُوَّ فيه كما تفعل الرأسمالية، وتسرف في ذلك، حتىٰ تعبده في الحقيقة، وتتصرف فيه كيف شاءت، ولا جفاء فيه وظلم، كما تفعل الشيوعية، فتحوزه وتأخذه من أيدي الناس، وتظلمهم ولا تراعي فيه حكم الله، ولا رحمة العباد، ولكن بين ذلك؛ لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، ولا علىٰ طريقة هؤلاء ولا علىٰ طريقة هؤلاء، بل يجب أن يعلم المؤمن أنه مستخلَفٌ في هذا المال، وأنه لم يعط التصرف المطلق، بل له تصرف محدود، خلق الله له هذا المال ليستعين به علىٰ طاعة الله، وعلىٰ أداء حقه، وحق عباده، وليعيش به في هذه الدار حتىٰ يؤدي ما أُمر به، فلا يسرف في طلبه وحفظه والتصرف فيه، ولا يجفو في إهماله والإعراض عنه، ولا في نزعه من أيدي الناس وظلمهم، بل بين ذلك؛ قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧].

وكان النبي ﷺ يحثُّ الناس علىٰ الإنفاق من الفضل: «**مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لَا زَادَ لَهُ**»(١)... إلىٰ آخر حديث أبي سعيد، قالَ: فذكرَ منْ أصنافِ المالِ ما ذكرَ، حتّىٰ رأينا أنّهُ لا حقَّ لأحدٍ منّا في فضلٍ.

والمؤمن مأمور بأن يكسبه من طريقه، وينفقه في وجهه، ولا يتعلَّق به تعلُّق العبد بمعبوده، ولكن يستخدمه في طاعة الله، ويصرفه بما ينفع، ولا ينس فيه حق الله، ولا يبخل بالفضل علىٰ من احتاج إليه، هكذا المؤمن، المال، نعم المال الصالح للرجل الصالح... الذي يفعل به هكذا وهكذا في وجوه الخير.

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري في كتاب اللقطة، باب استحباب المواساة بفضول المال، رقم (١٧٢٨).

وثبت عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: «**مَا يَسُرُّنِي أَنَّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُدٍ هَذَا ذَهَبًا، تَمْضِي عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ، إِلَّا شَيْئًا أُرْصِدُهُ لِدَيْنٍ، إِلَّا أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللهِ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا، عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ**»(١)، وفي رواية: «**وَمِنْ خَلْفِهِ**»؛ **يعني**: ينفق ويُحسن.

والرأسماليون ـ كما سمعتم ـ غَلَوْا فيه، وطلبوه من كل طريق، ولم يتورعوا عن طلبه من الطرق الخسيسة، والظلم والفساد والخيانة والغش، وغير ذلك، والشيوعيون غلَوْا فيه من جانب آخر، حتىٰ بخلوا به علىٰ الناس، وظلموا الناس، فحازوا الأموال لأنفسهم، وجعلوا التصرُّف لهم وحدهم، وظلموا عباد الله الذين اكتسبوه وجمعوه، وخالفوا ما شرع الله لعباده باكتساب المال، وأن المكتسب أحقُّ بماله والتصرف فيه، فجعلوا نظرهم وتصرفاتهم هو المهيمن علىٰ هذا المال، وآراءهم هي المحكَّمة في هذا المال، كما قال قوم شعيب هم يتصرفون كما يشاؤون، فاجتمع هؤلاء وهؤلاء بهذا، الرأسماليون يتصرفون كما يشاؤون في كسبه وفي إنفاقه، وهؤلاء يتصرفون كما يشاؤون في أخذهم من الناس وظلمهم، والتصرف فيه علىٰ أهوائهم.

وجاء الإسلام بالعدل والوسط، فلم يجعل العبد فيه مطلقًا يتصرف كيف يشاء، فينفقه فيما حرم الله عليه، وفيما يضره؛ كالخمور، والفساد في الأرض، وظلم الناس، ولم يجعل له خيار في البخل به، وإمساكه، وعدم إنفاقه فيما أمر الله إنفاقه فيه، بل عليه أن يمسكه عمَّا حرم الله، فلا ينفقه إلا في الوجوه الطيبة المباحة المشروعة، ولا يكسبه إلا من الطريق الطيب الحلال التي أباحها الله له، فلا يكسبه إلا من الطريق التي

---

(١) متفق عليه من حديث أبي ذر رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: «**ما يَسُرُّنِي أَنَّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُدٍ هَذَا ذَهَبًا**»، برقم (٦٤٤٤)، ومسلم مختصرًا في كتاب الزكاة، باب في الكنازين للأموال والتغليظ عليهم، برقم (٩٢٢).

سمح له بها، ولا ينفقه إلا في الطريق التي سمح له بها، وليس له التصرّف علىٰ ما يريد، وهكذا ليس له أخذ أموال الناس وظلمهم، لا بالقوة، ولا بالسرقة، ولا بالخيانة، ولا غير ذلك، بل صاحب المال الذي كسبه أولىٰ به وأحق به، وعليه أن يؤدي حق الله فيه ونظام الإسلام.

وما شرعه الله في الإسلام أحسن نظام، وأعدل نظام، فهو العارف بكل شيء، الذي يعلم مصالح عباده، ويعلم ما فيه نجاتُهم، وهو الذي خلقهم وخلق لهم المال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩] خلقهم وخلق لهم المال، ونظم تصرفاتهم فيه، فليس لهم أن يختاروا خلاف ما شرع الله لهم، بل يجب عليهم أن يخضعوا لحكم الله كسبًا، وإنفاقًا، وأن يحترموا أموال العباد، ولا يأخذوها إلا بحق.

ونسأل الله أن يوفق المسلمين لما فيه رضاه، وأن يعافيهم من شر أعدائهم، ومكائد أعدائهم، وأن يوفقهم للعمل بشريعة الله في كل شيء، وأن يجزي أخانا الشيخ جعفر خيرًا.

وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه.





الدعوة إلى الله

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[1]:

فقد سمعنا جميعًا هذه الكلمات الطيبات المباركات، الجديرة بالعناية، من صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن حسن الدريعي، بارك الله فيه، فيما يتعلق بالدعوة والتبليغ عن الله وعن رسوله، ولقد أجاد وأفاد، وأحسن فيما نبَّه عليه وفيما حرَّض عليه.

لا شك أن الأمة اليوم، في سائر أقطارها وأنحائها، في أشد الضرورة إلىٰ الدعوة والتبليغ عن علم، وعن بصيرة، لا عن جهل وتقليد أعمىٰ، فالدعوة إلىٰ الله في أشد الضرورة إلىٰ أن يكون الداعي ذا علم وبصيرة، ذا علم بكتاب الله، وذا علم بسُنَّة رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ وطريقته وطريقة أصحابه؛ فالمجتمعات اليوم مخلوطة بالشر والخير، والكفر والإسلام، والطاعة والمعصية، وقلَّ مجتمع سليم؛ فالناس في أشد الضرورة إلىٰ الدعوة التي توضِّح لهم الحق، وترشدهم إلىٰ أسباب النجاة، وتُحذرهم من أسباب الهلاك، وقد خطبهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ في يوم عرفة، في حجة الوداع، وفي يوم النحر خطبتين عظيمتين، وجَّه فيهما الأمة إلىٰ أسباب السعادة والنجاة،

---

(١) من تعليقات سماحة الشيخ علىٰ كلمات المشايخ بعد الفجر في مسجد التوعية بمكة المكرمة في حج عام ١٤٠٦هـ، شريط رقم ٩٦.

وحذَّرهم من أسباب الهلاك والدمار، وبيَّن لهم واجبهم، وأمرهم بالتبليغ: «**فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَىٰ مِنْ سَامِعٍ**»(١)، وهذا قاله في مواطِنَ كثيرة، وأهمها خطبة عرفات ويوم النحر، وهذا هو مذهب الرسل وطريقهم: البلاغ؛ ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥]، وهكذا خلفاؤهم، هذا واجبهم أيضًا، وهم العلماء، العلماء بالله ودينه، ليسوا علماءَ الزراعة، وعلماء الصناعة، وعلماء الذَّرة، وعلماء كذا وكذا، هم علماء الكتاب والسُّنَّة، هم علماء الشريعة، هم العلماء الذين خلَفَوا الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ في أمته بالدعوة والبلاغ، والبيان والتعليم، واجبهم أن يتحمَّلوا هذه الأمانة بصدق وإخلاص، وأن يحذروا التواكل علىٰ غيرهم، أو عدم المبالاة، بل يجب أن يكون كل واحد يعتقد أن عليه واجبًا يجب أداؤه، وأن قيام فلان وفلان لا يكفي عنه، اللهم إلا في مواضعَ خاصة، التي وضّح فيها أهل العلم أن الدعوة إلىٰ الله فرض كفاية، وذلك في الأماكن التي قام فيها بالدعوة من يكفي، فليقم هو بالدعوة في مكان آخر.

والمجتمعات اليوم، التي تنتسب للإسلام، في أشد الحاجة إلىٰ بيان جميع أحكام الإسلام، لا العقيدة وحدها، الرسول ﷺ وضَّح للأمة في خطبه العقيدة وغير العقيدة، ودعاهم إلىٰ الإسلام كله؛ عقيدةً وشريعة وأخلاقًا، فالجاهل بالعقيدة يتعلم، والجاهل بالأحكام يتعلم، والجاهل بالأخلاق الإسلامية والآداب الشرعية يتعلم، والمجتمع المكي يستفاد من الدعوة فيه للداعي الصبر والحلم، وعدم التأثر بالأذىٰ، وعدم التأثر بعدم الوازع السلطاني لعدم وجوده، والمجتمع المدني يستفاد منه، هذا وهذا

(١) متفق عليه من حديث نفيع بن الحارث، رواه البخاري في كتاب العلم، باب قول النبي: «رُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَىٰ مِنْ سَامِعٍ»، برقم (٦٧)، ومسلم في كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، برقم (١٦٧٩).

الصبر والحلم والوازع أيضًا، وأنه لا بد من وازع، لا بد من حدٍّ يقام، ولا بد من عقوبة تُقام لمن خالف الحق، وقد جمع النبي ﷺ بين هذا وهذا، وهكذا الصحابة، جمعوا بين هذا وهذا، وفي العهد المكي صبروا علىٰ الأذىٰ، وتحمَّلوا المشاق في ذات الله، ودعوا إلىٰ الله، وصبروا علىٰ دينهم، وليس هناك وازع يقوم بنصرهم، وليس هناك من يُرجع إليه لتنفيذ الأحكام والعقوبات؛ لأن المسلمين مستضعفون في مكة، وفي المجتمع المدني قام أمر الإسلام، وأقيمت حدوده، وصار للمسلمين دولة وقوة تنفَّذ فيها أحكام الله، وينفَّذ فيها حدود الله، ويُردع فيها من أراد الانتقاص من دين الله.

فعلىٰ المسلمين أن يُراعوا هذا وهذا، ففي كل مكان بحسبه، ولكن تُبذل الدعوة، فالمكان الذي فيه من يزع عن دين الله، ويمنع العدوان يُرفع إليه الأمر، ويوجَّه إلىٰ الخير ويعان، ويُشجع حتىٰ يُنفِذ أمر الله في عباد الله، وحتىٰ ينفذ حدود الله، وحتىٰ ينصر الحق ويمنع الباطل، الأماكن التي ليس فيها شيء من ذلك، فهي أماكن ابتُليت بالحرية، وإطلاق السراح لمن أراد أن يتكلم، أو يقول، أو يفعل؛ يُستعمل فيها ما يُستعمل في مكة من الدعوة والبلاغ والبيان، والصبر علىٰ الأذىٰ والبيان، حتىٰ يفتح الله للدعوة أبوابًا أخرىٰ يكون فيها من ينصر الحق.

ولا شك أن السفر إلىٰ بلاد الكَفَرة، وأخذ العلوم من هناك فيه أخطاره العظيمة، وقد نبَّه العلماء علىٰ خطره وحذَّروا منه، وأبدوْا وأعادوا، وألَّفوا فيه المؤلفات؛ لِمَا فيه من الخطر العظيم؛ لأن أعداء الله يولون شرهم ومكائدهم علىٰ أُولئك الطلاب حتىٰ يبلغوا عنهم، ويحملوا عنهم، إلا من رحم ربُّك؛ إلا من شاء الله، وهم القليل الذين سلموا ووُفِّقوا، ورجعوا بخير وسلَّموا، ولكنهم قليل،

ولهذا قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ**»[١]، وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ مُشْرِكٍ أَشْرَكَ بَعْدَمَا أَسْلَمَ عَمَلًا حَتَّىٰ يُفارِقَ الْمُشْرِكِينَ إِلَىٰ الْمُسْلِمِينَ**»[٢] إلىٰ ما جاء في هذا المعنىٰ من الأحاديث، مع قوله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النحل: ٢٨]؛ **يعني**: من يقيم بين أظهر المشركين الآية.

فالمقصود: أن الدعوة إلىٰ الله أمرها عظيم، وهي أمانة عظمىٰ في عنق أهل العلم، فعليهم أن يؤدوها بكل قوة، وبكل نشاط، وبكل أمانة، هي أمانة تؤدَّىٰ بالأمانة، وأن يُعنَوْا فيها بالعلم؛ لأن جهل الداعية يضر كثيرًا، ويسبب الخلاف والنزاع، فوجب علىٰ الداعي أن يُعنىٰ بالعلم، وأن تكون دعوته علىٰ أساس من العلم العظيم؛ علم الكتاب والسُّنَّة، وطريق السلف الصالح من أصحاب النبي ﷺ، ومن كان علىٰ سبيلهم، وأن يُعنىٰ بالأساس، وهو الدعوة إلىٰ كتاب الله وسُنَّة رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومنهج سلف الأمة في الأقوال والأعمال والعقائد والأحكام في كل شيء، وأن يترك التحزُّب لمذهب معين، يجب علىٰ جماعة الدعوة أن يجمعوا جهودهم للدعوة إلىٰ الله ﷻ، لا لحزب معين ومذهب معين وطريقة معينة، ولكن يتعاونوا علىٰ إيصال الحق

---

(١) رواه أبو داود من حديث جرير بن عبد الله، في كتاب الجهاد، باب النهي عن قتل من اعتصم بالسجود، برقم (٢٦٤٥)، والترمذي في كتاب السير عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كراهية المقام بين ظهراني المشركين، برقم (١٦٠٤)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه النسائي من حديث بهز بن حكيم، عن أبيه عن جده، في كتاب الزكاة، باب من سأل بوجه الله ﷻ، برقم (٢٥٦٨)، ولفظه: «**لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ مُشْرِكٍ بَعْدَمَا أَسْلَمَ عَمَلًا؛ أَوْ يُفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ إِلَىٰ الْمُسْلِمِينَ**»، وابن ماجه في كتاب العتق، باب المرتد عن دينه، برقم (٢٥٣٦)، والإمام أحمد برقم (٢٠٢٩١)، والطبراني في «الأوسط» من حديث حكيم بن معاوية، برقم (٦٣٩٨)، ورقم (٢٠٣١٢)، وصححه الألباني.

إلىٰ الناس، وتبليغه للناس، بالطريقة التي سلكها مَنْ قبلهم مِنْ أهل العلم بالإيمان من طريق الآيات والأحاديث، وبيان محاسن الإسلام وفضائله التي تليِّن القلوب، وتشرح الصدور، وتعين علىٰ قبول الحق، أما التحزب للحزب الفلاني، للإخوان المسلمين، لأنصار السُّنَّة، لجماعة كذا، لجماعة كذا، فهذا لا يليق بالدعاة إلىٰ الله ﷻ، بل يجب أن يكونوا فوق ذلك، وأن تكون دعوتهم إلىٰ كتاب الله وسُنَّة رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ والتخلُّق بما جاء في الكتاب والسُّنَّة، والعمل بذلك، وأن يكون الداعي داعيًا بالقول والعمل، وداعيًا بالعمل، كما أنه داعٍ بالقول، فأخوه من سار علىٰ منهجه، وصاحبه من سار علىٰ منهجه، وإنْ كان أبعد الناس منه دارًا ونسبًا.

فالمقصود: أن هذه الكلمات التي سمعتم واضحة، ولا تحتاج إلىٰ شرح، وإنما تحتاج إلىٰ التشجيع علىٰ الأخذ بها، والالتزام بها عن علم، وعن هدىٰ، وعن بصيرة، وعن إخلاص لله، وعن قصد صالح، في صلاح الأمة ونجاتها وسعادتها.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، ووفَّق دعاة الحق في الصبر عليه، والثبات عليه، والمزيد من العلم النافع، ونفع الله بجهود إخواننا جميعًا؛ الداعين إلىٰ الله، والمخلصين له، والصابرين عليه، وجزىٰ أخانا الشيخ محمد بن حسن خيرًا، ووفقنا جميعًا إلىٰ ما فيه خيرنا وصلاحنا ونجاتنا، ووفَّق ولاة الأمور لما فيه النجاة وصلاح العباد، وأصلح لهم البطانة، وأعانهم علىٰ كل خير، وصرف عنهم كل شر، إنه سميع قريب، وصلَّىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه.

* * *

شرح حديث «سبعة يظلهم الله في ظلِّه»

الجزء الأول

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ محمد، وعلىٰ آله وأصحابه، ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[1]:

فقد ثبت عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ ـ تَعَالَىٰ ـ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ؛ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا؛ حَتَّىٰ لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**»[2].

هذه الأمور السبعة وعد الله أهلها بالنعيم العظيم والخير الكثير، وأنه: «**يُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**»؛ يعني: يوم القيامة أمام دخولهم الجنة ونجاتهم من النار، يوم العرض الكبير، يوم تدنو الشمس

---

(١) حديث المساء من دروس سماحة الشيخ في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض بعد العصر، شريط رقم (١٤٠).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين، رقم (١٤٢٣)، وفي كتاب الحدود، باب فضلِ منْ تركَ الفواحشَ، برقم (٦٨٠٦)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، برقم (١٠٣١).

من الناس قدْرَ ميل، يوم يحتاج الناس أشدَّ حاجة وأعظم ضرورة إلىٰ الظل، يوم يُلجمهم العرق، ويذهب في الأرض سبعين ذراعًا من شدَّة ما يخرج منهم من العرق كالأودية من المياه، بل أعظم من الأودية، «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ ـ تَعالَىٰ ـ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**».

أولهـم: «**إِمَامٌ عَادِلٌ**»، إمام للمسلمين قد عدل بينهم، واتَّقىٰ الله فيهم، وأحسن فيهم، ودفع عنهم الشر، وأقام فيهم الحق، وحكم بينهم بالعدل، هذا في أرفع المنازل، لكونه تولَّىٰ أمور المسلمين فعدل، واستقام علىٰ الشرع المطهَّر، فحكم بما أنزل الله، وردع الظَّلَمَة، وأقام الميزان بالقسط؛ الحق، ونصر المظلوم، وأقام حدود الله، ونصر دين الله، ورحم الفقير والمسكين، وأدىٰ الحق الذي عليه، فهذا في أرفع المنازل، ويليه في ذلك كلٌّ من ولِي أمرًا من أمر المسلمين من الأمراء والقضاة وشيوخ القبائل، إذا عدلوا واتقوا الله في أمورهم؛ فإنهم أئمة: الأمير في قريته وبلده إمام إذا اتقىٰ الله واستقام، وشيخ القبيلة كذلك إمامٌ لهم إذا اتقىٰ الله واستقام، فهو علىٰ خير عظيم، وقاضي البلد وعالمها كذلك، هذه أمور كلها لها نصيب من الإمامة، ولها نصيب من القدوة، فمن عدل فيها، واتقىٰ الله، فهو في خير المنازل، ومن جار فيها وظلم، ولم ينصف، ولم يؤد حقَّ الله، فهو بشرِّ المنازل.

والثاني: «**شَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ**»؛ يعني: استقام علىٰ الأمر الشرعي من أوَّل شبابه، ورُبِّي تربية صالحة، فنشأ في الإسلام من أول شبابه، واستقام علىٰ ذلك من أول شبابه، فهو علىٰ خير عظيم، نشأ في طاعة الله، وإقام الصلوات الخمس، وحفظ اللسان، والبعد عن محارم الله، والوقوف عند حدود الله، حتىٰ أتاه أجله، حتىٰ أتاه الموت، فهذا له خير عظيم، وهو في أرفع المنازل.

الثالث: «**وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ**»؛ له عناية بالصلاة،

وحرص عليها، والمحافظة عليها في الجماعة، قلبه معلَّق بها، كلَّما انتهىٰ من صلاة، فقلبه معلَّق بالمسجد للصلاة الأخرىٰ، لا يغفل عنها، ولا ينسىٰ، بل هو حريص علىٰ أدائها في الجماعة، وقلبه معلَّق بذلك حتىٰ يحضر؛ لشدة حبِّه لها، وحرصه عليها، ومحافظته عليها؛ وما ذاك إلا لأنَّ الصلاة عمود الإسلام، وأعظم أركانه وفرائضه بعد الشهادتين، فمن استقام عليها وعُني بها، وحافظ عليها، حفظ دينه، ومن ضيعها، فهو لِمَا سواها أضيع، فالصلاة ميزان ودليل علىٰ صلاح العبد أو فساده، فمن حافظ عليها واستقام عن إيمان وصدق، وعن رغبة فيما عند الله، لا عن رياء، ولا عن قصد آخر، فهو علىٰ خير عظيم، وعلىٰ درجة عظيمة، وفي منزلة رفيعة.

ويأتي الكلام ـ إن شاء الله ـ علىٰ الخصال الأربعة الباقية.

جعلنا الله وإياكم من أهلها، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد وعلىٰ آله وصحبه.



شرح حديث «سبعة يظلِّهم الله في ظلِّه»

الجزء الثاني

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[1]:

فقد سبق بعضُ الكلام علىٰ قول النبي الكريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ ـ تَعَالَىٰ ـ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تحَابَّا فِي اللهِ؛ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، فَأَخْفَاهَا حَتَّىٰ لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»**.

هذا الحديث العظيم الجليل من أصحِّ الأحاديث عن رسول الله ﷺ، وقد رواه الشيخان: البخاري ومسلم في الصحيحين[2]، وسبق الكلام علىٰ الأول والثاني والثالث.

الأول: **«إِمَامٌ عَادِلٌ»**؛ فهو في أرفع المنازل؛ لِمَا يترتب علىٰ عدله

---

(١) حديث المساء من دروس سماحة الشيخ في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض بعد العصر، شريط رقم (١٤٠).

(٢) سبق تخريجه في ص ٣١٣.

في الرعية من المصالح العظيمة، والأمن، والطمأنينة، والقضاء علىٰ الفساد، ونصر المظلوم، وردع الظالم، إلىٰ غير هذا من المصالح؛ فهو من السبعة الذي «يُظِلَّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ».

والثاني: «**شَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ**» حتىٰ توفَّاه الله علىٰ الخير، فهو في أرفع المنازل؛ لكونه من نشأته في طاعة الله ـ جلَّ وعلا ـ واتِّباع شريعته وتعظيم أمره ونهيه، فهو من السبعة الذي «**يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**».

الثالث: «**رَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ**»؛ من عِظَمِ حبِّه للصلاة، وحرصه عليها، ومحافظته عليها؛ لكونها عمود الإسلام، وأعظم الأركان بعد الشهادتين، فلهذا صار قلبه معلقًا بها، كلَّما صلىٰ صلاةً، فقلبه معلَّق بالصلاة الأخرىٰ، حتىٰ يؤديَها في مساجد الله وبيوته.

أما الرابع: فهما: «**وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ؛ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ**».

هذا فيه الحثُّ علىٰ الحبِّ في الله، والحبُّ في الله من أفضل الخصال، ومن أعظم القُرُبات، ثبت عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: «**إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ القِيَامَةِ: أَيْنَ المُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي؛ اليَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي**»[1].

وثبت عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أيضًا: «**قَالَ اللهُ ﷻ: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ**»[2].

وجبت محبَّة الله لهؤلاء؛ الذين يتزاورون في الله، ويتجالسون

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب البر والصلة، باب فضل الحب في الله، برقم (٢٥٦٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث معاذ بن جبل ﷺ في مسنده ٥/ ٢٣٣.

في الله، ويتباذلون ـ يعني: يعطون ويجودون وينفقون ـ في الله، ويتحابون في الله ﷻ، فالتحابُّ في الله من أوثق عرىٰ الإيمان، بل أوثق عرىٰ الإيمان: الحبُّ في الله والبغض في الله؛ فالتحابُّ في الله له منزلة عظيمة وفضل كبير.

الخامس: «وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ».

دعته للفاحشة، دعته للزنىٰ، فأبىٰ عليها، وقال: إنني أخاف الله، وهكذا المرأة؛ إذا دعاها الرجل ذو المنصب والجمال، فأبت، وقالت: إني أخاف الله، هي من السبعة، فالتعبير للرجل لا ينفي الآخر، الحكم واحد، فإذا ترك الرجل الفاحشة مع توافر أسبابها، وتركت المرأة الفاحشة مع توافر أسبابها، وكان هذا من الدلائل العظيمة علىٰ صدق الإيمان، وعلىٰ عظم الرغبة فيما عند الله، وعلىٰ عظم خوفه من الله ـ سبحانه ـ فلهذا صار من اتَّصف بهذا من السبعة الذين «**يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**»، من رجل وامرأة.

وفيه الحث علىٰ العفة، والبعد عن أسباب الفاحشة، وفيه أيضًا: الحث علىٰ إيثار الآخرة، وألا يُقدَّم علىٰ الجنة ومرضاة الله حظٌّ عاجل، فالمؤمن والمؤمنة يؤثران ما عند الله من الجزاء والخير العظيم علىٰ حظ الدنيا.

والسادس: «وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّىٰ لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ».

عبَّر بالرجل؛ لأنَّ جنس الرجل أشرف؛ وإلا فالمعنىٰ واحد، رجل أو امرأة، حتىٰ المرأة إذا تصدَّقت بصدقة فأخفتها حتىٰ لا تعلم شمالها ما تنفقه يمينها، فهي كذلك، الحكم واحد عند أهل العلم، والشارع قد يعبِّر بالرجل أو المرأة والحكم واحد.

ففيها الحثُّ علىٰ نفقة السر؛ لأنها أقرب إلىٰ الإخلاص، وأبعد عن الرياء والسمعة؛ فالمنفق يتحرَّىٰ في نفقته السر، ويوصلها إلىٰ المستحقِّين من طريق السر، هذا دليل علىٰ إخلاصه في عمله، وشدة رغبته فيما عند الله ﷻ، فصدقة السر أفضل من صدقة العلانية، لكن إذا دعت الحاجة إلىٰ إعلان الصدقة، فلا بأس؛ كما قال ﷻ: ﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ﴾ [البقرة: ٢٧١].

فإن أعلنها، فلا بأس، ولا سيما إذا كان يترتب علىٰ إعلانها مصلحة حتىٰ يُقتدىٰ به؛ مثل مشروع أُعلن عنه وحضر الناس ليتبرعوا، فإذا أعلن مساعدته كان أفضل حتىٰ يُتأسَّىٰ به في ذلك؛ كتعمير مسجد، أو مدرسة، أو غير هذا من المشاريع الخيرية.

وثبت أنه دخل المسجد ذات يوم جماعةٌ فقراءُ، ظهرت عليهم آثار الحاجة والفاقة، فخطب الناسَ ـ عليه الصلاة والسلام ـ وحثَّهم علىٰ الصدقة، ورغَّبهم في ذلك، فجاء رجل بِصُرةٌ من فضة كانت كفُّه تعجز عنها، فتقدم بها، ثم تتابع الناس في الصدقة، فسُرّ النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ بذلك حتىٰ جمعوا كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ[1] غير النقود،

---

(١) أخرجه مسلم من حديث جرير بن عبد الله البجلي، في كتاب الزكاة، باب الحث علىٰ الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار برقم (١٠١٧)، وهذا لفظه بتمامه، قال: فجَاءهُ قومٌ حفاةٌ عراةٌ مجتابي النّمارِ، أو العباءِ، متقلّدي السّيوف عامّتهمْ منْ مضرَ، بل كلّهم منْ مضرَ، فتعمّرَ وجهُ رسولِ اللهِ ﷺ لما رأىٰ بهمْ من الفاقةِ، فدخلَ ثمّ خرجَ، فأمرَ بلالًا، فأذّن وأقامَ، فصلّىٰ ثمّ خطبَ، فقال: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ إلىٰ آخرِ الآيةِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١] والآيةَ الّتي في الحشرِ ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [الحشر: ١٨]، **تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ ـ حَتَّىٰ قَالَ ـ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**». قالَ فجاءَ رجلٌ منَ الأنصارِ بصرّةٍ كادتْ كفّهُ تعجزُ عنهَا، بلْ قدْ عجزتْ ـ قالَ ـ ثمّ تتابعَ النّاس حتّىٰ رأيت كومينِ منْ طعامٍ وثيابٍ، حتّىٰ رأيتُ وجهَ رسولِ اللهِ ﷺ يتهلّلُ كأنّه مذهبةٌ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ** =

فدل ذلك علىٰ أن إعلان الصدقة للمصلحة أمر مطلوب حتىٰ يُتأسَّىٰ بالمعلن في جمع المساعدة للفقراء، أو المشاريع الخيرية التي يحتاجها المسلمون، وإلا، فالأصل أنَّ صدقة السر أفضل، إلا إذا دعت الحاجة إلىٰ إعلانها.

والسابع: «وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ».

يعني: ذكر الله ما عنده أحد، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ خشيةً من الله وتعظيمًا له؛ بكىٰ، فهذا يُرجىٰ له الخير العظيم، وهو من السبعة الذي «يُظِلُّهُمُ اللهُ - تَعَالَىٰ - فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ».

فينبغي للمؤمن تحرِّي الأسباب التي تجعله يبكي من خشية الله - جلَّ وعلا - ولا سيما أن ينظر في مصيره، ويحاسِب نفسه، ويتفكَّر في مصيره إلىٰ القبر، ثم الموقف بين يدي الله، فلا يدري ماذا يكون، هذا مما يدعوه إلىٰ البكاء من خشية الله ﷻ، وإنما كان بكاؤه خاليًا بهذه المنزلة؛ لأنه أبعد عن الرياء، وإلا فالبكاء من خشية الله له فضل عظيم، حتىٰ ولو كان عند الناس إذا بكىٰ من أجل الله، ما في رياء ولا سمعة، ما حمله الرياء، وإنما خوفه من اللهِ، لكن إذا كان خاليًا صار ذلك أبعد عن الرياء، وأدل علىٰ الإخلاص.

وفي الحديث الآخر: **«عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ»**(١).

والخلاصة: أن هذه الأعمال السبعة أهلُها من السبعة الذي «يُظِلُّهُمُ اللهُ - تَعَالَىٰ - فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»: العدل من الإمام؛

= **سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ».**

(١) أخرجه الترمذي من حديث ابن عباس ﵄ في كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله، برقم (١٦٣٩)، وصححه الألباني.

إمام المسلمين، إمام عادل، ومثله الأمير والقاضي ورئيس القبيلة، وأشباههم ممن يُقتدىٰ به؛ فإنَّ عدلَه له منزلة عظيمة، وفيه مصالح كبيرة، فيرجىٰ له أن يكون من السبعة الذين «يُظِلُّهُمُ اللهُ - تَعَالَىٰ - فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»، **يعني**: ظل عرشه كما جاء الرواية الأخرىٰ، وهكذا كون الإنسان ينشأ في طاعة الله وعبادته من صِغَره، وكونه يُحافظ علىٰ الصلاة في الجماعة، ويعتني بالمساجد، وكونه يحبُّ في الله ويبغض في الله، وكونه يحذر الفاحشة مهما كانت الأحوال، ولو كانت الدعوةُ من ذات منصب وجمال؛ فإنَّ خوفه من الله يمنعه من ذلك، وهكذا الصدقة في السر من أفضل القُرُبات، إلا إذا دعت الحاجة إلىٰ الإعلان، وهكذا بكاؤه من خشية الله ﷻ، فهذه الأعمال العظيمة بيَّنها النبي ﷺ نصحًا للأمة، وترغيبًا للمسلمين في هذه الأعمال، وفي هذا الخير العظيم.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه.



شرح حديث «من كان يؤمن باللّهِ واليوم الآخر...»

الجزء الأول

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد(١):

فقد ثبت عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**»(٢).

المسألة الأولىٰ: حفظ اللسان؛ وهي من أهم المسائل وأعظمها؛ لأن خطر اللسان عظيم؛ ولأن آفاته كثيرة وعظيمة ووخيمة؛ فهو جدير بالحفظ والعناية، ولهذا يقول ـ سبحانه ـ في كتابه العظيم: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، ويقول ﷻ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢].

---

(١) حديث المساء من دروس سماحة الشيخ في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض بعد العصر، شريط رقم (١٤٠).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ، أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، برقم (٦٤٧٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الحث علىٰ إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير، وكون ذلك كله من الإيمان، برقم (٤٧).

فاللسان أخطاره لا تُحصىٰ، وهو سريع الحركة، ولهذا قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**».

فالواجب حفظه وصيانته وسجنه إلا من الخير.

ويقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ ﷻ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**»[١].

فالأمر عظيم وخطير، فعلىٰ المؤمن أن يحذر شر هذا اللسان قال معاذ للنبي ﷺ: وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَىٰ مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**»[٢]؛ فاللسان له خطر عظيم، فينبغي للمؤمن أن يصونه ويحذره، قال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ـ رحمة الله عليه ـ «مَا شَيْءٌ أَحَقُّ بِطُولِ سِجْنٍ مِنْ هَذَا اللِّسَانِ»[٣].

حفظه وصيانته حتىٰ لا تتكلَّم إلا بخير، ومن شره: الغيبة والنميمة والكذب وشهادة الزور، وأنواع أخرىٰ من أنواع الباطل، فمن صانه سلم

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، برقم (٦٤٧٧/٦٤٧٨)، ومسلم مختصرًا في كتاب الزهد والرقائق، برقم (٢٩٨٨).

(٢) أخرجه الترمذي من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، في كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، برقم (٢٦١٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، برقم (٣٩٧٣)، وصححه الألباني.

(٣) هذا الأثر لم أجده معزوًّا لعمر بن عبد العزيز، وإنما هو منسوب إلىٰ عبد الله بن مسعود عند الطبراني في «المعجم الكبير»، برقم (٨٨٦٠) ٨/ ٥٩، والبيهقي في «شعب الإيمان»، برقم (٤٧٩٤) ١٠/ ٥٠٠، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٣٣/ ١٧٢، وفي «العلل» للإمام أحمد معزوًّا لسلمان الفارسي، برقم (١٩٣٢) ٢/ ١٨٠، وعند ابن عبد البّر في «التمهيد» ٢١/ ٤١.

من شرٍّ كثير، ومن أطلقه عطب غاية العطب، ولهذا قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرُ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»، ويقول الله في كتابه العزيز: ﴿**لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ**﴾ [النساء: ١١٤].

فحاسب نفسك عند الكلام، واحذر خطر الكلام؛ فإن كان خيرًا، ذكرًا لله، أمرًا بمعروف، نهيًا عن منكر، نصيحةً للناس، إلىٰ غير هذا من وجوه الخير، فبادر مع أهلك ومع إخوانك، لا بأس، فإن كان سوىٰ ذلك، فاحذر ذلك لعلك تنجو، ولعلك تسلم.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم.

وأما بقية الخصال، فلها درس آخر.



شرح حديث «من كان يؤمن باللهِ واليوم الآخر...»

الخصلة الثانية: إكرام الجار

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[1]:

فقد سبق في الدرس الماضي ذكر الحديث الشريف الثابت عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: أنه قال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**» متفق علىٰ صحَّته عن النبي، عليه الصلاة والسلام[2].

وسبق الكلام في حفظ اللسان، وأن اللسان خطره عظيم، وأن الواجب علىٰ كل مؤمن أن يحفظه ويصونه حتىٰ يسلمَ من تَبِعَتِه وخطره، وتقدَّم قول النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ**».

هذا يفيد الخطر العظيم في أمر اللسان، ويقول ﷺ: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**»[3].

---

(١) حديث المساء من دروس سماحة الشيخ في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض بعد العصر، شريط رقم (١٤٠).

(٢) سبق تخريجه في ص٣٢٢.

(٣) سبق تخريجه في ص٣٢٣.

فالمؤمن يحذر غائلة اللسان وشره، ويحرص كل الحرص علىٰ حفظه وصيانته، حتىٰ يسلمَ من شره، أما في الخير، فكذلك يحصل به خير عظيم؛ ولهذا في الحديث الآخر يقول الرسول ﷺ: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بالًا، يَرْفَعُ اللهُ بِهَا دَرجَاتٍ**»[1]؛ فليحرص علىٰ حفظه من الشر، وليحرص علىٰ إطلاقه في الخير.

ويقول ﷺ: «**وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ**».

الجار له حق؛ فالواجب إكرامه والإحسان إليه، ولهذا في اللفظ الآخر يقول ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، فَلْيُحْسِنْ إِلَىٰ جَارِهِ**»[2]، وفي اللفظ الثالث: يقول ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، فَلَا يُؤْذِ جَارَه**»[3].

فالجار له حق عظيم، وهو إكرامه، والإحسان إليه، وكف الأذىٰ عنه، وكلَّما كان الجار أقرب، صار حقُّه أعظَمَ، كلما قرُب بابه عظُم حقه.

فعليك ـ يا عبد الله ـ العناية بالإحسان إلىٰ جارك، وإكرامه، وكف الأذىٰ عنه بالقول والفعل، لا تؤذيه، لا بأفعالك ولا بأقوالك، يقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالجَارِ حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**»[4]، فالجار له شأن عظيم.

وهو أقسام: جار قريب مسلم له ثلاثة حقوق: حق الجوار، وحق القرابة،

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي شريح الخُزاعي رضي الله عنه، في كتاب الإيمان، باب الحثّ علىٰ إكرامِ الجارِ والضّيفِ ولزومِ الصّمتِ إلّا منَ الخيرِ وكونِ ذلكَ كلّهِ منَ الإيمانِ، برقم (٤٨).

(٣) سبق تخريجه في ص٣٢٢.

(٤) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الوصاة بالجار، برقم (٦٠١٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب الوصية بالجار والإحسان إليه، برقم (٢٦٢٤).

وحق الإسلام، وجار قريب له حقان: حق الجوار، وحق القرابة إذا كان ليس بمسلم، وجار مسلم ليس بقريب له حقان: حق الجوار، وحق الإسلام، وجار كافر ليس بقريب، ليس له إلا حق واحد، وهو حق الجوار.

قالت عائشة ﵂: يا رسول الله، إني لي جارتين، فإلىٰ أيهما أهدي؟ قال: «**إِلَىٰ أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَابًا**». رواه البخاري في «الصحيح»[1]؛ كلما كان الباب أقرب، صار الحقُّ أكثر.

وبعض الناس لا يبالي بالأذىٰ، فيؤذيهم إما بأسماع آلات الملاهي، وإما بأشياء أخرىٰ تؤذيهم في بيوتهم، أو يلقي حول أبوابهم ما يؤذيهم، فالواجب الحذر من إيذائهم بالقول أو العمل، وأن تكون عونًا لهم علىٰ الخير، تُكرمهم، وتحسن إليهم وتزورهم، ويزورونك ما دامت الحالة مستورة، وليس هناك ما يمنع من الزيارة، أما إن كان هناك ما يمنع، كإظهارهم المعاصي والبدع، فهم جديرون بالهجر إذا أظهروا المعاصي والبدع، ولم يتوبوا، هم جديرون بالهجر، وعدم الزيارة، وعدم إجابة الدعوة، أما إذا كان الجار مستورًا، أو طيبًا، فالتزاور بينك وبينه، والاهداء بينك وبينه، والإكرام والإحسان؛ كله مطلوب، والحديث يدل علىٰ وجوب ذلك؛ لأنه قال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ**»، «**فَلْيُحْسِنْ إِلَىٰ جَارِهِ**»، «**فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ**».

هذا يدل علىٰ وجوب ذلك، وأن عدمَ هذا نقصٌ في الإيمان، فإكرام الجار، والإحسان إليه، وكف الأذىٰ عنه من تمام الإيمان، وعدم ذلك من نقص الإيمان.

أما الجملة الأخرىٰ المتعلقة بإكرام الضيف، فلها درس آخر إن شاء الله، وفَّق الله الجميع، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب حق الجوار في قرب الأبواب، برقم (٦٠٢٠).

شرح حديث «من كان يؤمن باللَّهِ واليوم الآخر...»

الخصلة الثالثة: إكرام الضيف

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[(١)]:

فقد سبق الحديث العظيم عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ الذي اشتمل علىٰ ثلاث جمل، كل جملة لها شأنها.

الجملة الأولىٰ: قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»**[(٢)].

والثانية: قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ»**[(٣)].

وسبق الكلام علىٰ هاتين الجملتين، وأنهما دالتان علىٰ وجوب حفظ اللسان، وعلىٰ وجوب إكرام الجار، والإحسان إليه، وكف الأذىٰ عنه.

أما الجملة الثالثة، فهي قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»**.

---

(١) حديث المساء من دروس سماحة الشيخ في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض بعد العصر، شريط رقم (١٤٠).

(٢) سبق تخريجه في ص٣٢٢.

(٣) سبق تخريجه في ص٣٢٢.

هذا يدل علىٰ وجوب إكرام الضيف، وأن الضيف متىٰ نزل بالمؤمن في الحاضرة أو البادية، في أي مكان؛ أن عليه إكرامه بما يستطيع مما جرت العادة به في إكرام الضيف، وفي اللفظ الآخر: «**جَائِزَتَهُ**»، قال: يا رسول الله، وَمَا جَائِزَتُهُ؟ قال: «**يَوْمُهُ وَلَيْلَتُهُ**»[(١)]، والضيافة ثلاثة أيام، وما زاد علىٰ ذلك، فهو صدقة، فالضيف يُكرَم ويُحسَن إليه بالبشاشة والفعل الطيب، والسُّنَّة ثلاثة ايام، منها يوم وليلة غداء وعشاء لازم، ويومان سُنّة، والباقي صدقة.

هكذا ينبغي لأهل الإيمان في إكرام الضيوف؛ بالفعل الطيب، والكلام الطيب، والبشاشة، وطيب الكلام، ولا يجوز للمؤمن الإعراضُ عن هذه الضيافة الشرعية، أو التنكر لها، قد قال بعض الصحابة: يا رسول الله: «إن نزلنا بقوم، فلم يضيفونا»[(٢)] في لفظ: «فلم يأمر بما ينبغي للضيف؟» قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**إِذَا أَمَرُوا لَكُمْ مَا يَنْبَغِي لِلضَيْفِ، فَاقْبَلُوا، فَإِنْ لَمْ يُقْبِلُوا، فَخُذُوا مِنْهُمْ مَا يَنْبَغِي الضَّيْف**».

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه، برقم (٦١٣٥).

(٢) متفق عليه من حديث عقبة بن عامر ﷺ، أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه، وهذا برقم (٦١٣٧)، وهذا لفظه: يا رسولَ اللهِ، إنّك تبعثنا فننزلُ بقوم، فلا يقرونا، فما ترىٰ؟ فقال لنا رسولُ اللهِ ﷺ: «**إِنْ نَزَلْتُمْ بِقَوْمٍ فَأَمَرُوا لَكُمْ بِما يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ فَاقْبَلُوا، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَخُذُوا مِنْهُمْ حَقَّ الضَّيْفِ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ**»، ورواه أيضًا البخاري في كتاب المظالم، باب قصاص المظلوم إذا وجد مال ظالمه، برقم (٢٤٦١). وهذا لفظه: إنّكَ تبعثنا، فننزلُ بقوم لا يقرونا، فما ترىٰ فيهِ؟ فقالَ لنا: «**إِنْ نَزَلْتُمْ بِقَوْمٍ، فَأَمَرُوا لَكُمْ بِمَا يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ فَاقْبَلُوا، فَإِنْ لَمْ يَفْعلُوا، فَخُذَوا مِنْهُمْ حَقَّ الضَّيْفِ**»، ومسلم في كتاب اللقطة، باب في الضيافة ونحوها، برقم (١٧٢٧)، وأخرجه الترمذي في كتاب السير عن رسول الله ﷺ، باب ما يحل من أمولا أهل الذمة، برقم (١٥٨٩).

فهذا يدل علىٰ أن الأمر لازم، وأن الواجب علىٰ المسلمين إكرام ضيوفهم، وأن لا يخرجوهم إلىٰ ما لا ينبغي، ولا سيما في البوادي والمحلات التي تشتد فيها الحاجة، فإنها أشد وأعظم من مسألة القُرىٰ والمدن.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم.



شرح حديث «حق المسلم على المسلم ستٌّ»

الخصلة الأولى: السلام

الحمد لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[1]:

فقد ثبت عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: «**حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ سِتٌّ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ، فَحَمِدَ اللهَ، فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ**»[2].

هذه ست خصال من حق المسلم على أخيه، والحقوق للمسلم على أخيه كثيرة، المسلم له على أخيه حقوق متعددة هذه منها، ويجمعها قوله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢]، وقوله ـ سبحانه ـ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

فالتواصي بالحق والتواصي بالصبر والتعاون على البر والتقوى؛ هذه أمور جامعة، تجمع الخير كله. وعلى جميع المسلمين التعاون على

---

(١) حديث المساء. حديث المساء من دروس سماحة الشيخ في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض بعد العصر، شريط رقم (١١٩).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ، أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب الأمرِ باتّباع الجنائزِ، برقم (١٢٤٠)، ومسلم في كتاب السلام، باب منْ حقّ المسلِمِ للمسلمِ ردّ السّلامِ، برقم (٢١٦٢).

البر والتقوىٰ، والتواصي بالحق والصبر عليه فيما بينهم أينما كانوا.

ومما يجمعها: قوله - عليه الصلاة والسلام -: **«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»**(١)؛ هذا شيء جامع، لا يتم إيمانه، ولا يكمُل إيمانه حتىٰ يحب لأخيه - يعني المسلم - ما يحبه لنفسه؛ من صحة، وعلم، وعافية، ونعمة، وجاه حسن، وغير ذلك، يحب له كل خير، ويكره له كل شر.

وهكذا قوله ﷺ: **«إِنَّ المُؤْمِنَ لِلمُؤْمِنِ كالبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»**(٢)، وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ؛ هكذا المؤمنون يشد بعضهم بعضًا، ويعين بعضهم بعضًا، وينصح بعضهم بعضًا، ويدفع بعضهم عن بعض الشر والبلاء، متعاونون، كما أن البناء يرص بعضه بعضًا، ويشد بعضه بعضًا، وتقوم الطوابق بعضُها فوق بعض؛ لأن هذا شدَّ هذا، والتزم بهذا، فهكذا المؤمنون يشد بعضهم بعضًا بالتعاون علىٰ الخير، والتواصي بالحق، وإزالة الحاجة، ومواساة الفقير ودفع الظلم، ونصر المظلوم، وقمع الظالم، إلىٰ غير هذا من وجوه الخير.

وهكذا قوله ﷺ: **«مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّىٰ»**(٣).

هكذا المؤمنون؛ يألم بعضهم لبعض، ويُسَرُّ بعضهم لبعض؛

---

(١) متفق عليه من حديث أنس ﵁، أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، برقم (١٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل علىٰ أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير، برقم (٤٥).

(٢) متفق عليه من حديث أبي موسىٰ ﵁، أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، رقم (٤٨١)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، برقم (٢٥٨٥).

(٣) متفق عليه من حديث النعمان بن بشير ﵄، أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، برقم (٦٠١١)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، برقم (٢٥٨٦).

كالجسد، كما أنك إذا اشتكيت عينَك ألم الجسد كلُّه، أو اشتكيتَ رجلك، أو يدك، أو رأسك، هكذا يتألم الجسد كله، هكذا المؤمنون يجب أن يكونوا، هكذا يألَم بعضهم لبعض، ويحزن بعضهم لبعض، ويُسَرُّ بعضهم لبعض؛ لأن الدين واحد، يجمعهم دينهم واحد، ونبيهم واحد، وشريعتهم واحدة، ودارهم يوم القيامة واحدة، وهي الجنة، فوجب عليهم أن يتعاونوا ويتعاطفوا في كل شيء مما ينفعهم، ويدفع الضرر عنهم، ومن ذلك هذه الست خصال: **«إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ»**، وهكذا إذا لقيك وسلَّم ترد عليه، كما في اللفظ الآخر: **«رَدُّ السَّلَامِ»**، فتسلِّم عليه بدءًا، وتجيب إذا بدأك، فالسُّنَّة لك البداءة، خيرُهم الذي يبدأ السلام والأفضل، لكن متىٰ بدأك وجب عليك الردُّ، متىٰ غلبك وفاز بالفضل، وسبقك بالسلام، فعليك الرد، كما قال ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦]، وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِاللهِ مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ»**(١)، وفي الصحيح يقول ﷺ لمّا سُئل: أيّ الإسلام خيرٌ؟ قَالَ: **«تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»**(٢) إلا من استحقَّ الهجر؛ لإظهاره البدع والمعاصي الظاهرة، فهذا يستحق أن يُهجر، ولا يُبدأ، ولا يُرد عليه إن لم تنفع فيه النصيحة، ولم يقبل الحق، فهذا يستحق أن يُهجر لبدعته الظاهرة، أو معاصيه الظاهرة، لعله يتأدَّب، لعله يتوب، لعله يرجع.

وهكذا: **«وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ»**.

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث أبي أُمامة ﷺ، في كتاب الأدب، باب في فضل من بدأ بالسلام، برقم (٥١٩٧).

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ، أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب إِطْعامُ الطّعامِ مِنَ الإسلامِ، برقم (١٢)، وفي باب إفشاءُ السّلامِ مِنَ الإسلامِ، وقالَ عمّارٌ: ثلاثٌ مَنْ جمعهنّ فقدْ جمعَ الإيمانَ: الإنصافُ منْ نفسكَ، وبذلُ السّلامِ للعالمِ، والإنفاقُ مِنَ الإقتارِ، برقم (٢٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيانِ تفاضلِ الإسلام وأيِّ أُمُورِهِ أَفْضَلُ، برقم (٣٩).

شرح حديث «حق المسلم على المسلم ستٌّ»

الخصلة الثانية: إجابة الدعوىٰ

الخصلة الثانية إجابة الدعوة: إذا دعاك لوليمة العرس، أو غيره من الولائم التي يجوز حضورها، تُجيب أخاك؛ لأن هذا يسُرُّه؛ ولأن هذا من أسباب الأُلفة والمحبة وإبعاد الشحناء، فإذا أجبتَ أخاك سُرَّ بذلك، وصار من أسباب تثبيت المودة والمحبة بينكما، ولهذا يقول ﷺ: «**إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلْيُجِبْ، عُرْسًا كَانَ أَوْ نَحْوَهُ**»[١].

فالوليمة تعم العرس، وتعم غير العرس من الولائم التي يقيمها الناس بينهم لأسباب دعت إلىٰ ذلك غير محرَّمة، أسباب شرعية، وأسباب مباحة، فيجيبه أخوه، ويؤنسه، ويسره بمجيئه، وهذا من أسباب المحبة والأُلفة، وزوال الشحناء بين الناس، والتقارب، إلا إذا كان جديرًا بالهجر؛ كمن يقيم وليمة لا تجوز، أو يحضرها ما لا يحل من الملاهي، فهو يستحق أن لا يجاب إذا كانت وليمةً مبتدَعة؛ كالذي يقيم الولائم عند الموت، إذا مات ميتهم أقاموا وليمة مأتم حزن، أو لموالد؛ كالذي يقيم وليمة في الاحتفال بمولد أمه، أو مولد أخته، أو ولده، أو مولد النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ أو الموالد الأخرىٰ، فهذه الاحتفالات التي تقام من البدع، احتفالات الموالد بالنبي ﷺ أو بأحد

---

(١) أخرجه مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلىٰ دعوة، برقم (١٤٢٩).

من الصالحين، أو بأم الإنسان، أو بمولد ولده، أو مولد أخيه، أو مولد صديقه؛ كل هذه احتفالات تشبه احتفالات النصارىٰ واليهود، لا أصل لها في الدين الإسلامي.

فالاحتفالات المنكرة البدعية؛ كاحتفالات الموالد، واحتفالات المآتم، وما أشبه ذلك من الاحتفالات التي تقام لأمر غير شرعي، علىٰ وجه مبتدَع، أو يحضرها الشرور؛ تحضرها الملاهي والأغاني والعازفات من النساء، أو غير النساء، وما أشبه من الولائم التي يقام فيها ما حرم الله، فهذه لا تُحضر؛ لأن حضورها حضورٌ لمنكر، وإنما تُحضر الولائم الطيبة السليمة، الشرعية المباحة، كوليمة العرس، ووليمة القُدوم من السفر، ووليمة العقيقة، ولائم مباحة، ليس فيها منكر، فإذا دعاك أخوك تحضر، وتطيِّب نفسَه، ويكون ذلك من أسباب الأُلفة بينكما، والتعاون علىٰ الخير وتثبيت المودة.

أما بقية الخصال، فسيأتي الكلام عليها إن شاء الله في درس آخر[١].

وفق الله الجميع، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه.



(١) أما بقية الخصال فستأتي بعد حديث «مَنْ غَدَا إِلَىٰ الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ».

شرح حديث «مَنْ غدا إلى المسجدِ أو راح...»

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[(١)]:

فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مَنْ غَدَا إِلَىٰ الْمَسْجِد أَو رَاحَ أَعَدَّ اللهُ لَهُ نُزُلَهُ مِنَ الجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ**»[(٢)].

هذا الفضل العظيم لمن يذهب إلىٰ المساجد لأداء فريضة الله صباحًا أو مساءً، ظهرًا عصرًا، مغربًا، عشاءً: «**أَعَدَ اللهُ لَهُ نُزُلَهُ مِنَ الجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ**»، هذا فضل عظيم لروَّاد المساجد وقاصدي المساجد، فليهنهم هذا الخير العظيم، وليفرحوا بذلك، وليُسَرُّوا بذلك، وليلزموا هذا الخير العظيم.

وفي الحديث الآخر يقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ مَشَىٰ إِلَىٰ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ لِيَقْضِيَ فَرِيضةً مِنْ فَرَائِضِ اللهِ، كَانَتْ خُطْوَتَاهُ: إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً، وَالأُخْرَىٰ تَرْفَعُ دَرَجَةً**»[(٣)]؛ يعني:

---

(١) حديث المساء من دروس سماحة الشيخ في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض بعد العصر، شريط رقم (١١٩).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب فضل من غدا إلىٰ المسجد ومن راح، رقم (٦٦٢)، ومسلم في كتاب المساجد، باب المشي إلىٰ الصلاة تمحىٰ به الخطايا وترفع به الدرجات، برقم (٦٦٩).

(٣) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب المساجد، باب المشي إلىٰ الصلاة تمحىٰ به الخطايا وترفع به الدرجات، برقم (٦٦٦).

بَعُد أو قَرُبَ، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة، والملائكة تصلِّي عليه ما دام في مصلَّاه، تقول: اللَّهمَّ اغفر له، اللهم ارحمه، اللهم تب عليه، ولا يزال في صلاة ولو بعد الصلاة ما لم يُحدِث، ما لم يؤذ، هكذا جاءت الأحاديث عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ[(١)] تدل علىٰ هذا الخير العظيم، وأن المؤمن إذا تطهَّر في بيته ولو بَعُد، فأحسن الطهور، ثم أتىٰ إلىٰ مسجد من هذه المساجد، صارت خطاه في خير عظيم، له هذه الخطىٰ، ولو كانت آلاف الخطىٰ، يمحو الله بها الخطايا، ويرفع بها الدرجات، ويكتب الله له بها حسنات، وهذا من فضل الله ﷻ، ثم جلوسه في المسجد بعد الصلاة وقبلها هو في صلاة أيضًا، والملائكة تصلي عليه، تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، اللهم تب عليه، ما زال ينتظر الصلاة، وهكذا بعد الصلاة، ما لم يؤذ أو يحدث.

وثبت عن أُبَيٍّ بن كعب ﵁، قالَ: كانَ رجلٌ لا أعلمُ رجلًا أبعدَ منَ المسجدِ منهُ، وكان لا تخطئهُ صلاةٌ ـ قالَ ـ فقيلَ لهُ، أوْ قلتُ لهُ: لوِ اشتريتَ حمارًا تركبهُ في الظّلماءِ وفي الرّمضاءِ؟ قالَ: ما يسرّني أنّ منزلي إلىٰ جنبِ المسجدِ؛ إنّي أريدُ أنْ يُكتبَ لي ممشايَ إلىٰ المسجدِ ورجوعي إذا رجعتُ إلىٰ أهلي، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**قَدْ جَمَعَ اللهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ**»[(٢)]؛ كتب له آثاره ذاهبًا إلىٰ المسجد وراجعًا من المسجد،

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﵁ في كتاب الأذان، باب فضل صلاةِ الجماعةِ برقم (٦٤٧)، وهذا لفظه بتمامه: «**صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي الجَمَاعَةِ تُضعَّفُ عَلَىٰ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَىٰ المَسْجِدِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّىٰ لَمْ تَزَلِ المَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلَاةَ**».

(٢) أخرجه مسلم من حديث أُبي بن كعب ﵁، في كتاب المساجد، باب فضل كثرة الخُطا إلىٰ المساجد، برقم (٦٦٣).

وإن كان لو ركب هو لا بأس، وله خير عظيم، ويُرجىٰ له الأجر العظيم؛ لكنه ـ من كمال حرصه علىٰ المشي لهذه العبادة ـ أحب أن يمشي علىٰ قدميه في الليل والنهار، فيقول ﷺ: «**أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلَاةِ أَبْعَدُهُمْ فَأَبْعَدُهُمْ مَمْشًىٰ**»[1]؛ من أجل كثرة الخطىٰ، والصبر علىٰ هذا الخير العظيم، والرغبة فيما عند الله ﷻ.

فهنيئًا ثم هنيئًا لقاصدي المساجد، والراغبين فيما عند الله ﷻ؛ كم لهم من الأثرِ! وماذا عند الله من الخير!

وفي الصحيح أيضًا أن طائفة من الأنصار ﷺ يقال لهم: بني سلمة، أرادوا أن ينتقلوا قرب المسجد، وكانت منازلهم بعيدةً، فبلغ النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ ذلك، فقال: «**يَا بَنِي سَلِمَةَ، دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ، دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ**»[2]؛ **يعني**: الزموا دياركم، لا تنتقلوا، لا تقربوا حتىٰ تُكتب لكم تلك الآثار؛ **يعني**: تلك الخطوات، فأجرهم عند الله، كتب الله له تلك الآثار، وإن كانت آلافَ الخُطىٰ.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه.

* * *

---

(١) متفق عليه من حديث أبي موسىٰ ﷺ، أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب فضل صلاة الفجر في جماعة، برقم (٦٥١)، ومسلم في كتاب المساجد، باب فضل كثرة الخُطا إلىٰ المساجد، برقم (٦٦٢).

(٢) أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله ﷺ، في كتاب المساجد، باب فضلِ كثرةِ الخُطا إلىٰ المساجدِ، برقم (٦٦٥).



شرح حديث «حق المسلم على المسلم...»

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[1]:

فقد سبق ذكر الحديث الصحيح عن الرسول ﷺ في الدرس الماضي، قبل أمس، يقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ سِتٌّ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ**».

هذه ست خصال من حق المسلم علىٰ أخيه، والحقوق كثيرة للمسلم علىٰ أخيه، وتقدم لنا بعضُ الأحاديث الجامعة في ذلك؛ مثل قوله ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**» متفق علىٰ صحته[2].

هذا حديث جامع، يدل علىٰ أنه لا يكمُل الإيمان، ولا يتم الإيمان حتىٰ تحبَّ لأخيك المسلم ما تحبُّه لنفسك من خير وصلاح، واستقامة، وغنىٰ، وعافية، وغير هذا من وجوه الخير، ومتىٰ وُجد في قلبك عليه حقد ضد ذلك؛ من غيبة، ونميمة، وخيانة، وغير ذلك، صار ضعفًا في إيمانك، ونقصًا في إيمانك.

---

(١) حديث المساء من دروس سماحة الشيخ في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض بعد العصر، شريط رقم (١١٩).

(٢) سبق تخريجه في ص ٣٣١.

وهكذا قوله ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»، وَشَبَّكَ أَصَابِعَه[١].

هذه من الأحاديث الجامعة، وهكذا قوله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّىٰ»[٢].

وهذا أيضًا من الأحاديث الجامعة؛ من حق المسلم علىٰ أخيه، ومن ذلك هذا الحديث الصحيح؛ يقول ﷺ: لِلْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ سِتُّ خِصَالٍ...؛ **يعني**: من حقه عليه من جملة الحقوق الأخرىٰ ستُّ خصال: «إِذَا لَقِيتهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ».

تقدم الكلام في هذا، وأن المشروع للمؤمن، وأن يبدأ بالسلام: «وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»؛ فإذا بُدأتَ وجب الردُّ، كما قال ـ سبحانه ـ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦].

كذلك من حقه عليه: أن يجيب الدعوة إن دُعي إلىٰ وليمة عرس أو غيرها، أجاب الدعوة إذا كانت سليمةً، ليس فيها محظور يمنع من الإجابة، وإذا كان هو أيضًا سليمًا، ليس لديه ما يمنع الإجابة من بدعة وظهور منكر.

الثالثة: «وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ».

من الخصال العظيمة: إذا استنصح أخوك، قال: ما ترىٰ في هذا؟ ماذا تشير عليَّ؟ تنصح له، لا تخونه، يجب أن تنصح: «الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ»؛ فعليك أن تنصح لأخيك فيما ينفعه في دينه ودنياه، حسب علمك وطاقتك ومعلوماتك، ولهذا يقول ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، قُلْنَا:

---

(١) سبق تخريجه في ص٢٤٥.

(٢) سبق تخريجه في ص٢٤٥.

لِمَنْ؟ قَالَ: «**للهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ**»[١]؛ النصيحة لازمة في حق الله، وفي حقّ عباده، عليك أن تنصح لله، فتؤدي حقَّه، وتقوم بطاعته، وتحظر محارمه تنفيذًا لكتاب الله وسُنَّة نبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وعليك أن تنصح لأئمة المسلمين بالدعاء لهم، وإعانتهم على الخير، والسمع والطاعة بالمعروف، إلىٰ غير هذا مما يعين أئمة المسلمين علىٰ الخير.

وعليك أن تنصح للعامة بدعوتهم للخير، ومواساة فقيرهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر إلىٰ غير هذا من وجوه الخير.

ولهذا يقول جرير بن عبد الله البجلي ﷺ أحد علماء الصحابة يقول ﷺ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ[٢]، بايعه عليه، عاهده عليها: أنه يقيم الصلاة كما أمر الله، وأنه يؤدي الزكاة كما أمر الله، وأنه ينصح لإخوانه المسلمين، لا يغشهم في جميع المعاملات، هذا يدل علىٰ أنه أمْرٌ لازم، وأمر مفترَض: أن تنصح لإخوانك المسلمين، لا تغشهم في معاملة، ولا تشهد عليهم بالزور، ولا تظلمهم في نفس، ولا مال، ولا عِرض، إلىٰ غير ذلك. أنت أخوه، ليس لك ظلمه في شيء.

الرابعة: «**وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ**»؛ إذا عطس، فقال: الحمد لله، تقول: يرحمك الله، وهو يقول: يهديكمُ اللهُ ويصلحُ بالكمْ، يقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَقُلِ: الحَمْدُ للهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ**»[٣].

---

(١) سبق تخريجه في ص٢٤٤. (٢) سبق تخريجه في ص٢٤٤.

(٣) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ، في كتاب الأدب، باب إذا عطسَ كيفَ يشمّتُ، برقم (٦٢٢٤).

هكذا المشروع: هو يحمدُ للهِ، وأنت تقول: يرحمكَ اللهُ، وهو يقول: يهديكمُ اللهُ ويصلحُ بالكمْ.

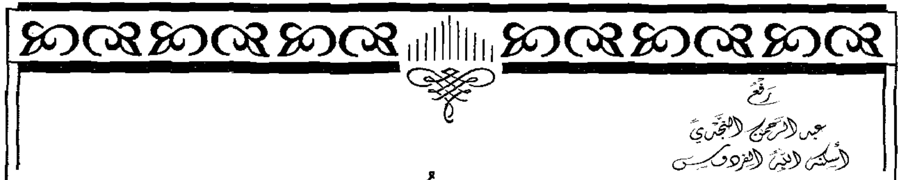
وثبت عنه ﷺ: «أَنه عَطَسَ عنده رجلان، فَشَمَّتَ أَحَدَهُمَا؛ **يعني**: قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، وَلَمْ يُشَمِّتِ الآخَرَ؛ ما قال له شيئًا، فقال الذي لم يشمَّت: يا رسول الله، عَطَس فلان فشمَّتَّه، وعَطَسْت أنا فلم تشمِّتني؟! قَالَ: «**إِنَّ هَذَا حَمِدَ اللهَ، وَلَمْ تَحْمَدِ اللهَ**»[1]؛ فدل ذلك علىٰ أنه متىٰ حَمِدَ الله، يقال له: يرحمك الله، ومن لم يقل: الحمد لله، لا يقال له: يرحمك الله، لكن لا مانع من تذكيره إذا كان جاهلًا، أو تذكيره إذا كان ناسيًا، أخذًا مِنَ القواعد الشرعية من تعليم الجاهل، وتذكير الناسي، لكنه لا يستحقُّ حتىٰ يحمَد الله.

أما الخصلة الخامسة والسادسة، فسيأتي الكلام عليها إن شاء الله في درس آخر.

نسأل الله للجميع التوفيق والهداية، والفقه في الدين، والعمل بما شرع الله، والتواصي بذلك، والتعاون عليه، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه إلىٰ يوم الدين.



(١) متفق عليه من حديث أنس بن مالك ﷺ، أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الحمد للعاطس، برقم (٦٢٢١)، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب تشميت العاطس وكراهة التثاؤب، برقم (٢٩٩١).



شرح حديث «ألا وإني نُهيت أن أقرأ القرآن راكعًا أو ساجدًا»

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[1]:

فقد ثبت عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: **«أَلَا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا؛ فَأَمَّا الرُّكُوعُ، فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ، فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»**[2].

هذا الحديث الصحيح يدل علىٰ أن القرآن ليس محله الركوع والسجود، وإنما هو في القيام، فالقرآن محله القيام والانتصاب، أما الركوع والسجود، فله ذكر آخر، ولهذا قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«أَلَا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا»**؛ فلا يجوز للمؤمن أن يقرأ في حال الركوع، ولا في حال السجود، وإنما القراءة في حال القيام؛ في الفرض والنفل، أما الركوع، فهو محل التعظيم، محلُّ تعظيم الله عَزَّ وَجَلَّ: سبحان ربي العظيم، سبحان ربي العظيم، سبحان ذي الجبروت

---

(١) حديث المساء من دروس سماحة الشيخ في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض، بعد العصر، شريط رقم (١٠٢).

(٢) أخرجه مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، في كتاب الصلاة، باب النّهيِ عنْ قراءةِ القرآنِ في الرّكوعِ والسّجودِ، برقم (٤٧٩).

والملكوت والكبرياء والعَظَمَة، سُبُّوح قُدُّوس ربُّ الملائكة والروح، سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي، هذا مما يقال في الركوع.

قال حذيفة رضي الله عنه: صلَّيت مع النبي ﷺ فسمعته يقول في الركوع: «سبحان ربي العظيم، سبحان ربي العظيم».

في حديث أنس بن مالك، قال: سمعت النبي ﷺ يقول في الركوع والسجود: **«سُبْحَانَ ذِي الجَبَرُوت وَالمَلَكُوتِ وَالكِبْرِيَاءِ وَالعَظَمَةِ، سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ المَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»**(١).

وهكذا قالت عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ يُكثر أن يقول في الركوع والسجود: **«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ، رَبَّنا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»**(٢).

فالركوع محل التعظيم لله عز وجل.

أما السجود، فهو محل الدعاء، مع تقديس الله وتسبيحه، ووصفه بالعلو سبحانه وتعالى.

قال حذيفة رضي الله عنه: سمعت النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ يقول في السجود: **«سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَىٰ، سُبْحَانَ رَبِّي الأَعْلَىٰ»**.

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب ما يقولُ الرّجلُ في ركوعِهِ وسجودِهِ (٨٧٣) من رواية عوفِ بنِ مالكٍ الأشجعيّ، وهذا لفظه بتمامه: عنْ عوفِ بنِ مالكٍ الأشجعيّ، قالَ: قمتُ معَ رسولِ اللهِ ﷺ ليلةً، فقامَ فقرأَ سورةَ البقرةِ، لا يمرّ بآيةِ رحمةٍ إلّا وقفَ فسألَ، ولا يمرُّ بآيةِ عذابٍ إلّا وقفَ فتعوّذَ ـ قالَ ـ: ثمّ ركعَ بقدرِ قيامه، يقولُ في ركوعِهِ: **«سُبْحَانَ ذِي الجَبَرُوتِ وَالمَلَكُوتِ وَالكِبْرِيَاءِ وَالعَظَمَةِ»**، ثمّ سجدَ بقدرِ قيامِهِ، ثمّ قال في سجودِهِ مثلَ ذلكَ ثمّ قامَ فقرأَ بآلِ عمرانَ، ثمّ قرأَ سورةً سورةً.

أما زيادةِ: سبُّوح قدّوسٌ ربُّ الملائكةِ والرّوحِ، فهي من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب مَا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، برقم (٤٨٧).

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب الدعاء في الركوع برقم (٧٩٤)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود برقم (٤٨٤).

وروي عنه أنه لما نزلت الآية: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤]، قال: «**اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ**»[١]، فلما نزلت: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلىٰ: ١] قال: «**اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُم**»، ففي الركوع: سبحان ربي العظيم، وفي السجود في الأرض: سبحان ربي الأعلىٰ؛ لمَّا كان السجود فيه ذُلٌّ واستكانة وانخفاض، ناسَبَ أن يُقال فيه: سبحان ربي الأعلىٰ، والعُلىٰ فوق الخفض ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ولما كان الركوع فيه تذلُّل وخضوع، ناسَب أن يقال فيه: سبحان ربي العظيم.

ويُزاد في السجود الدعاء؛ فينبغي الاجتهاد في الدعاء والإكثار من الدعاء في السجود، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**وَأَمَّا السُّجُودُ، فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ؛ فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ**»؛ **يعني**: فَحَرِيٌّ أن يُستجاب لكم، وقال أيضًا ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**أَقْرَبُ مَا يُكُونَ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ؛ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ**»[٢].

هذا يعمُّ الفرض والنفل، فيدعو في سجوده في الفريضة والنافلة، يدعو بما تيسَّر من الدعاء لنفسه ولوالديه المسلمين، ولأقاربه المسلمين، وللمسلمين عامة، ولولاة الأمور؛ فليس خاصًّا بنفسه، فإذا قال: اللهم اغفر لي ولوالدي، اللهم أسكِنِّي وإياهم الجنة، اللهم أصلح قلبي وعملي، اللهم أصلح وُلاة أمرنا، اللهم اهدهم سواءَ السبيل، اللهم أصلح أحوال المسلمين، اللهم اهدهم سبيلك، وما أشبه ذلك، فلا مانع من الدعاء؛ لا في الفرض ولا في النفل في السجود، فالسجود محلُّ خضوع واستكانة وانكسار، فيناسب فيه أن يدعو الإنسان ربَّه؛

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده برقم (٨٦٩)، وابن ماجه في كتاب الصلاة، باب التسبيح في الركوع والسجود برقم (٨٨٧) والإمام أحمد ٤/ ١٥٥.

(٢) رواه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب الصلاة، باب ما يقال في السجود والرجوع، برقم (٤٨٢).

لأنه في حال ذل وانكسار، وكلما انكسر العبد لله، وذلَّ بين يديه، صار أقربَ إليه ﷻ؛ وأقرب إلىٰ قبول دعائه، ولهذا قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ؛ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»**؛ وما ذاك إلا لأن السجود هو محلُّ الانكسار، محلُّ الذل، وضع الوجه علىٰ الأرض وهو في غاية الذل لله ﷻ فيناسب في هذه الحال أن يكثر من الدعاء، ولا سيما الدعوات الجامعة؛ مثل: اللهم اغفر لي ذنبي كلَّه، دِقَّه وجِلَّه، وأوله وآخره، وعلانيته وسره، هذا من دعاء النبي ﷺ؛ فيدعو في السجود: **«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ، دِقَّهُ وجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَعَلَانِيَّتَهُ وَسِرَّهُ»**.

وكان يكثر في الركوع والسجود، ويقول: **«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبُّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»**.

وكان يقول فيهما: **«سُبْحَانَ ذِي الجَبَرُوتِ وَالملَكُوتِ وَالكِبْرِيَاءِ، وَالعَظَمَةِ، سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ المَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»**.

وفَّق الله الجميع، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه.



شرح حديث «أيُّ العمل أفضل» (١)

الجزء الأول

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد(١):

فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه سُئل: أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا**»، قال: قلت: ثمّ أيٌّ؟ قَالَ: «**بِرُّ الوَالِدَيْنِ**»، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»(٢).

في هذا الحديث العظيم يبين الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن الصلاة علىٰ وقتها خير العمل، وأفضل العلم، فلا تُؤخَّر، ولا تُقدَّم، بل تُؤدَّىٰ في الوقت إخلاصًا لله، وتعظيمًا له، وأداءً لحقِّه ﷻ، «**الصَّلَاةُ عَلَىٰ وَقْتِهَا**»، في اللفظ الآخر: أيُّ الأعمالِ أفضلُ؟ قالَ: «**الصَّلَاةُ فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا**»(٣).

فالصلاة هي أعظم أعمال الإسلام وأكبرها بعد الشهادتين، وهي أهم فريضة بعد الشهادتين، وهي عمود الإسلام، وهي أول شيء يُحاسَب عليه العبد يوم القيامة؛ صلاته.

---

(١) حديث المساء من دروس سماحة الشيخ في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض بعد العصر، شريط رقم (١١٩).

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها، برقم (٥٢٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالىٰ أفضل الأعمال، برقم (٨٥).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب في المحافظة علىٰ وقت الصلوات، برقم (٤٢٦).

فالواجب علىٰ كل مسلم وعلىٰ كل مسلمة العناية بهذه العبادة العظيمة، فمَنْ حفظها حفظ دينه، ومن ضيَّعها فهو لما سواها أضيع، ولهذا يقول ـ سبحانه ـ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، ويقول في مواضعَ كثيرة: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]؛ فإقامتها من أهم الواجبات، وهي أن تؤدَّىٰ كما شرع الله؛ بقيامها، وركوعها، وسجودها، وسائر أعمالها، هذا معنىٰ الإقامةِ: أن تؤدَّىٰ كاملةً مستوفية لما أوجب الله فيها.

وجاء عن عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ﷺ: «أنه كان يكتب إلىٰ أمرائه: إنّ أهمّ أمركمْ عندي الصّلاةُ؛ فمنْ حفظها وحافظَ عليها حفظَ دينهُ، ومنْ ضيّعها فهوَ لما سواها أضيعُ»(١).

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الحديث الصحيح: «**العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ؛ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»(٢).

وقال أيضًا ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ: تَرْكُ الصَّلَاةِ**»(٣).

فعليك ـ يا عبد الله ـ أن تُعنىٰ بهذا الأمر، وأن تحافظ عليه في الوقت أينما كنت؛ في السفر والحضر، في الصحة والمرض، في الغنىٰ والفقر، في جميع الأحوال، كثير من الناس يُشغل عنها، ولا يبالي بها عند أقلِّ عارض؛ لكونها في نفسه رخيصة، ليس لها قيمة عنده، فإن فرغ أداها، وإلا تركها، وهذا هو البلاء العظيم، نعوذ بالله، وهذا هو الهلاك، وبعض الناس عندما يصيبه المرض يؤجِّل، ويقول: لعله إذا شُفي يصليها علىٰ حالة أحسن، وهذا من الجهل، من يضمن له أن يشفىٰ؛ قد يموت.

فالواجب أن يصلي كما يستطيع: إن قدرَ صلىٰ قائمًا، إن عجَز

---

(١) سبق تخريجه في ص٦٠.
(٢) سبق تخريجه في ص١٥٤.
(٣) سبق تخريجه في ص٦١.

صلىٰ قاعدًا، إن عجَز صلىٰ علىٰ جنبه، إن عجَز صلىٰ مستلقيًا، ولهذا ثبت عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال لعمران بن حُصين في حال مرضه: **«صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَىٰ جَنْبٍ»**[1].

هكذا، يجب علىٰ المؤمن وعلىٰ المؤمنة، ولا يجوز التأخير، يقول: حتىٰ أُشفىٰ، حتىٰ يزول المرض، فهذا لا يجوز، ثم هو لا يدري هل يُشفىٰ أو ما يُشفىٰ، بل يجب أن يصلي علىٰ حاله، يصلي الفجر في وقتها، ولو علىٰ جنبه، ولو مستلقيًا، يفعل ما يستطيع، وإذا كان علىٰ جنبه أو مستلقيًا أومَأَ؛ **يعني**: قرأ القرآن، وأدىٰ الأذكار بلسانه، ونوىٰ بقلبه أعمال الصلاة؛ ينوي الركوع، وينوي السجود، وينوي الرفع من هذا ومن هذا، ويقرأ ما شرع الله في حال القيام، يقرأ الفاتحة وما تيسَّر معها، وفي حال الجلوس، بين السجدتين، يقول: رب اغفر لي، رب اغفر لي، يدعو في حال الجلسة للتشهد، يأتي بالتشهد، وهكذا وهو علىٰ حاله علىٰ جنبه، أو مستلقيًا: النية، واللسان، والكلام، وإن كان قاعدًا لا يستطيع السجود أخفض رأسه في الركوع والسجود، وجعل سجوده أخفضَ من ركوعه.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] يقول النبي ﷺ: **«إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ، فَأْتُو مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»**[2].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب إذا لَمْ يطقْ قاعدًا صلّىٰ علىٰ جنبن برقم (١١١٧)؛ وأبو داود في كتاب الصلاة، باب فِي صَلَاةِ الْقَاعِدِ، برقم (٩٥٢)، والترمذي في كتاب الصلاة، باب ما جاءَ أنّ صلاةَ القاعدِ علىٰ النّصفِ منْ صلاةِ القائم، برقم (٣٧٢)، وابن ماجه في كتاب الصلاة باب ما جاءَ في صلاةِ المريضن برقم (١٢٢٣)؛ والإمام أحمد ٤/٤٢٦، ولفظ «مستلقيًا» ذكره الترمذي عن بعض أهل العلم.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، برقم (٧٢٨٨)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع ونحو ذلك، برقم (١٣٣٧). ساقه بعد حديث رقم (٢٣٥٧).

وعليه أن يصلي إلىٰ القبلة؛ يجعل كرسيه إلىٰ القبلة؛ **يعني**: سريره إلىٰ القبلة، وإن لم يستطع ذلك بأنْ كان في مستشفىٰ لم يمكنه من ذلك، ولم يستطع أن يعدل إلىٰ القبلة، صلىٰ علىٰ حسب حاله، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، لكن يجب علىٰ المسؤولين أن يوجِّهوه إلىٰ القبلة حسب الإمكان؛ فإذا لم يستطع ذلك، ولم يتيسر له ذلك، صلىٰ ولو إلىٰ غير القبلة، لا يؤخر الصلاة، لكن لا بأس بالجمع إذا كان مريضًا، لا بأس أن يجمع الظهر مع العصر، يجمع المغرب مع العشاء للمرض؛ كالسفر؛ لكن يصلي أربعًا، لا يصلي ثنتين، المريض يصلي أربعًا، لكن مجموعة لا بأس، يصلي الظهر والعصر جميعًا: الظهر أربعًا، والعصر أربعًا مجموعة، يصلي المغرب والعشاء جميعًا: المغرب ثلاثًا، والعشاء أربعًا مجموعة؛ لأن صلاة ثنتين هذا خاص بالسفر، لا يشاركه شيء، إنما هو للسفر خاص، أما المريض، فيصلي أربعًا، لكن في الوقت، لا يؤخر عن الوقت، ولا مانعَ من الجمع بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء في وقت أحدهما، لا مانع، والفجر تصلىٰ في وقتها، أما أن يقول: بعدما أَطِيبُ إن شاء الله، أصلي، فيؤخِّر صلاة الشهر والشهرين والثلاث، فهذا منكر عظيم، وغلط كبير لأمرين:

الأمـــر الأول: أنه واجب عليه أن يصلي في الوقت علىٰ حسب حاله.

والأمر الثاني: أن الأمر ليس إليه، بل الأمر إلىٰ الله، لا يدري: هل يموت، أو يعيش.

فعلىٰ المؤمن أن يتق الله في ذلك، وأن يحافظ علىٰ هذه الصلاة في وقتها كما شرع الله الصلاة علىٰ وقتها، ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨] فالصلاة هي عمود الإسلام، وهي أول شيء تُحاسَب عليه - يا عبد الله - من عملك يوم القيامة، فعليك أن تُعنىٰ بها غاية العناية، وأن تصليها علىٰ وقتها

كما شرع الله، صحيحًا أو مريضًا، لكن المريض يصلي علىٰ حسب حاله، ولو جمعًا بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، ولو علىٰ جنبه إذا عجَز عن القعود، ولو علىٰ ظهره إن عجَز علىٰ الجنب. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

رزق الله للجميع التوفيق والهداية، أما الموضوعات الأخرىٰ من البر والجهاد، فلها درس آخر، وفق الله الجميع، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه.



شرح حديث أي العمل أفضل (٢)

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[١]:

فقد سبق في الدرس الماضي قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ لَمَّا سُئِلَ: أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا**»، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**بِرُّ الوَالِدَيْنِ**»، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»[٢] متفق علىٰ صحته عن النبي، عليه الصلاة والسلام.

بيَّنا فيما تقدَّم عِظَمَ شأن الصلاة، كما بيّن الله ذلك، وأن الصلاة هي ميزان الأعمال، وهي أعظم الفرائض، وأهمها بعد الشهادتين، وهي أول شيء يُحاسَب عنه العبد من عمله يوم القيامة؛ فجدير بالمؤمن أن يعتني بها، وأن يعطيَها حقَّها من المواظبة والمحافظة من جميع الوجوه؛ من جهة وقتها، ومن جهة الخشوع فيها، والطمأنينة، ومن جهة أدائها في الجماعة في حق الرجل، إلىٰ غير ذلك من شؤون الصلاة.

أما بر الوالدين؛ فهو من أفرض الفرائض، ومن أهم الواجبات، وقد قرن الله حقَّهما بحقه ـ سبحانه ـ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ

---

(١) حديث المساء من دروس سماحة الشيخ في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض بعد العصر، شريط رقم (١١٩).

(٢) سبق تخريجه في ص٣٤٧.

كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤]، وهذا في آيات عدة ذكر ـ سبحانه ـ حق الوالدين مع حقه جلّ وعلا ـ سبحانه ـ؛ ومنها: قوله ـ سبحانه ـ: ﴿وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ومنها: قوله ـ سبحانه ـ: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]، إلىٰ غير ذلك من الآيات التي فيها الحثُّ علىٰ العناية بالوالدين والإحسان إليهما.

فبِرُّهما والعناية بهما من أفرض الفرائض، من أهم الواجبات، وعقوقُهما من أقبح الكبائر، من أقبح السيئات، كما جاء في الحديث الصحيح: أنه قرن العقوق بالشرك؛ يقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟ أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟ أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟**» يقولها ثلاثًا: قلنا: بلىٰ يا رسولَ اللهِ، قَالَ: «**الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ**»، وكانَ متَّكئًا فجلسَ، فقالَ: «**أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ**»[1] فجعل عقوقَ الوالدينِ وشهادةَ الزّورِ قرينين للشرك بالله ﷻ.

والشرك أعظم الذنوب، وأكبر الكبائر، ومن مات عليه، مات علىٰ الشرك بالله علىٰ ما يقتضي خلودَه في النار ـ أعوذ بالله ـ أبد الآباد، وهو ذنب لا يُغفر، ومن مات عليه فالجنة عليه حرام، نسأل الله العافية.

(١) سبق تخريجه في ص٢١٤.

ومع هذا قرن الله حقَّ الوالدين بحقِّه في التوحيد، وقرن الرسولُ ﷺ عقوقَهما بالشرك بالله ﷻ، والعقوق قطيعة، والإساءة إليهما بالكلام، أو بالفعال، أو التقصير في النفقة عند حاجتهما إليه، أو نحو ذلك، فالعاقُّ هو القاطع لهما، المُؤْذي لهما، المسيء إليهما في قوله أو عمله، فهذا من أكبر الكبائر، ومن أقبح القبائح، نسأل الله العافية.

وكثير من الناس ليس عنده عناية بأمر والديه؛ لضعف إيمانه، أو عدم إيمانه، أو عدم إيمانه! نسأل الله العافية، وقد قال ﷺ: **«لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ»**[(١)].

وَقَالَ أيضًا ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«مِنَ الكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ»**، قالوا: يا رسولَ اللهِ، هلْ يشتِمُ الرّجلُ والديهِ؟! قال: **«نَعَمْ؛ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ»**[(٢)]؛ فجعل تسبُّب الإنسان في لعن والديه من الكبائر أيضًا، من كبائر الذنوب، فكيف إذا باشر ذلك، وفعل اللعنة؟! نسأل الله العافية.

الحاصل: أن أمر الوالدين أمر عظيم من جهة برِّهما، والإحسان إليهما، ومن جهة عدم الإساءة إليهما؛ لا قولًا ولا عملًا، وأيضًا: عدم إساءة نُصحهما، حتىٰ ولو كانا مشركين يعاملهم بالمعروف، والدعوة إلىٰ الله، وإرشادهما إلىٰ الخير، كما قال ـ سبحانه ـ: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ [لقمان: ١٥]. أمر ـ سبحانه ـ بالمصاحبة لهم بالمعروف،

---

(١) أخرجه مسلم من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، في كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالىٰ ولعن فاعله، برقم (١٩٧٨).

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه، برقم (٥٩٧٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، برقم (٩٠).

ونهىٰ عن طاعتهما في الشرك؛ فلا يطاعان في المعصية والشرك، ولكن لا يُساءُ إليهما، بل يصاحَبا بالمعروف لعِظَم حقِّهما، حتىٰ ولو كانا مشركيْن، يدعو لهما يُحسن إليهما، يرشدهما، يوجِّههما إلىٰ الخير، يصبر لعلَّ الله يهديهم علىٰ يديه.

أما شهادة الزور؛ فقد قُرنت مع الشرك والعقوق لعِظَم خطرها؛ لأن شهادة الزور أمرها خطير، تُستَحَلُّ بها الفروج، وتُستحلُّ بها النفوس، وتستحلُّ بها الأموال، ولهذا قال ـ سبحانه ـ: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]؛ فقرن الزور بالشرك، فالواجب الحذر، وألا يشهد الإنسان إلا بأمر يعلمه، أو يصدُق فيه، لا يتعمَّد الكذب، لا يكذب؛ فالشهادة بالكذب أن هذا لفلان، أو هذا لفلان، أو فعل فلان... من أجل طمع في الدنيا، أو من أجل قرابة، أو من أجل صداقة، أو عداوة للشهود عليه، كلُّ هذا من أقبح الكبائر، نعوذ بالله من ذلك.

نسأل الله التوفيق والهداية، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.



شرح حديث «سدِّدوا وقاربوا وأبشِروا»

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[1]:

فقد ثبت عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: «**سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا؛ فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الجَنَّةَ عَمَلُهُ**»، قالوا: ولا أنتَ يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: «**وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ**»[2].

يبين ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن دخول الجنة والنجاة من النار ليس ذلك بمجرَّد العمل، ولكن المعوَّل في هذا رحمةُ الله ـ سبحانه ـ ومغفرته ﷻ، وعفوه، ولهذا قال: «**سَدِّدُوا وَقَارِبُوا**»؛ يعني: افعلوا السداد والمقاربة لما وجب عليكم وأُمرتم به، وأبشروا بالخير، وأبشروا بالرحمة والفضل من الله ﷻ.

ولكن بيَّن ﷺ أنه ليس العُمدة علىٰ مجرَّد العمل، بل علىٰ عفوه ـ سبحانه ـ ورحمته ومغفرته، ولهذا قال: «**وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ**»، واللفظ الآخر: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلٍ**»، قالوا: ولا أنتَ يا رسولَ اللهِ؟ قال: «**وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ**».

---

(١) حديث المساء من درس الشيخ في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض بعد العصر، شريط رقم (١١٦).

(٢) متفق عليه من حديث عائشة ﵂، أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة علىٰ العمل، برقم (٦٤٦٧)، ومسلم في كتاب الجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالىٰ، برقم (٢٨١٨).

هذا يوجب للإنسان الخوف من الله، والرجاء والحذر من الاتِّكال علىٰ العمل، والعُجب بالعمل، أو المِنَّة بالعمل؛ فالعمل سبب، كما قال ـ سبحانه ـ: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]؛ **يعني**: بأسباب أعمالكم، قال ـ سبحانه ـ: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢]، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الطور: ١٩] بأسباب أعمالهم الطيبة، ولكن الموجب والمقتضي هو رحمة الله ﷻ، ومغفرته وعفوه، جلَّ وعلا.

فعلىٰ المؤمن أن يجتهد في طاعة الله، والتسديد، والعناية، والاستقامة، وسؤال الله التوفيقَ والقَبولَ، والحذر من أسباب الهلاك، ثم يكون معوَّلُه علىٰ رحمة الله وعفوه ـ جلَّ وعلا ـ قبل كل شيء، لا علىٰ مجرَّد عمله، فإن أعماله لو قُوبلت بنِعَمٍ من نعم الله لاستوفتها، ولكنه ـ سبحانه ـ ذو الفضل العظيم، والمغفرة والرحمة، يجود علىٰ عباده، ويتقبَّل القليل، ويعفو عن الكثير ﷻ.

وفي بعض الروايات: «**لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا بِعَمَلِهِ الجَنَّةَ**»[١]، فالباء هذه باء العِوَض ليس دخوله الجنة بعِوَضِ عمله، وبمقابل عمله، ولكنه برحمة ربه ـ سبحانه ـ وجوده وكرمه ومغفرته، أما عمله، فهو سبب، ليس بعِوَض، ولكنه سبب لرحمة الله، سبب لعفو الله، سبب لمغفرته، فالله أمر بالأعمال الصالحات، وبترك السيئات، وجعل لك سببًا لمغفرته ورحمته، جعله سببًا لعفوه، جعله سببًا لدخول الجنَّة، والنجاة من النار، متىٰ قَبِلَها ـ سبحانه ـ ورضيها، رحم عبده بذلك، وغفر له ـ سبحانه ـ وعفا عنه ـ جلَّ وعلا ـ فأدخله الجنَّة، وأنجاه من النار، ولهذا قال:

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ، أخرجه البخاري في كتاب المرضىٰ، باب نهي تمني المريض الموت، برقم (٥٦٧٣)، ومسلم في كتاب صفة القيامة، باب لن يدخل أحدُ الجنة بعمله بل برحمة الله تعالىٰ، برقم (٢٨١٦).

«سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا»، في لفظ آخر: **«سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا»**، **«وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَا أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ»**، قالوا: يا رسولَ اللهِ، ولا أنتَ؟ قالَ: **«وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ»**[1].

هكذا ينبغي للمؤمن أن يكون معلَّقًا قلبُه بالله، وبرحمته، وعفوه، وفضله وجوده، وكرمه، ولكنه ـ مع ذلك ـ جادٌّ في الأسباب، آخذٌ بالأعمال الصالحات، متَّقٍ لربه، مجتهد في طاعته، مُتباعد عن معاصيه، واقف عند حدوده، يرجو ثوابه، ويخشىٰ عقابه، لكنه لا يمُنُّ بعمله، ولا يُعجَب بعمله، ولا يرىٰ أن عمله هو الموجبُ، ولكن الموجب لدخوله الجنة والنجاة من النار فضل ربِّه ورحمته ﷻ، وجوده وكرمه، الذي جعله ـ سبحانه ـ مقتضًىٰ وموجبًا لتلك الأسباب الصالحة، والأعمال الطيبة، وترك المحارم، والتوبة إلىٰ الله منها؛ فهذا كله هو السبب، والمعوَّلُ علىٰ رحمته وعفوه ﷻ.

وفق الله الجميع، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه.

* * *

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة علىٰ العمل، برقم (٦٤٦٣).

شرح حديث «لعن الله من لعن والده»

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد(١):

فقد ثبت عن رسول الله - عليه الصلاة والسلام - من حديث عليّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه، قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: **«لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَىٰ مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ»**(٢).

هذه أربع مسائل، أخبر النبي ﷺ أن الله لعن من فعلها؛ وذلك يدل علىٰ أنها من كبائر الذنوب، ومن عظائم الجرائم، أشنعها وأخبثها وأكبرها جريمة: الذبح لِغَيْرِ اللهِ، وهو الشرك بالله تعالى؛ كالذين يذبحون للجن اتِّقاءَ شره، أو يذبحون للأصنام، أو الكواكب، أو الأشجار، والأحجار، أو الأموات؛ يرجون بِرَّهم وفضلهم، أو يخشون عقابهم، أو أذاهم، أو نحو ذلك.

وهذا واقع في كثير من الناس، في أمصار كثيرة، في دول كثيرة، يعبدون الأموات، ويستغيثون بهم، وينذرون لهم، ويذبحون لهم، يرجون بركاتهم، ويرجون فضلهم، ويرجون الشفاء لمرضاهم، إلىٰ غير ذلك.

وبعض الناس يذبح للجن عندما يشتري أرضًا أو مزرعة أو بيتًا،

---

(١) حديث المساء حديث المساء من درس الشيخ في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض بعد العصر، شريط رقم (١١٩).

(٢) سبق تخريجه في ص٣٥٤.

أو غير ذلك؛ يتقي شرهم، وهذا كله من الشرك بالله، نعوذ بالله، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢] أمر الله نبيه ليبلِّغ الناس، فقال: قل؛ **يعني**: قل يا أيها الرسول للناس ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ الصلاة معروفة، والنسك: الذبح، ويُطلق النسك علىٰ التعبُّد بالذبح وغيره؛ من صوم وغير ذلك، كله لله وحده ﷻ، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ١ ـ ٢].

ويقول ﷺ: «**وَلعَنَ اللهُ مَنْ ذَبحَ لِغَيْرِ اللهِ**»؛ **يعني**: تقرُّبًا إليه، أما الذبيحة لإكرام الضيف للعقيقة، للضحية، للهدايا؛ هذه ذبيحة لله، لكن المقصود التقرُّب بالذبائح لغير الله؛ من الجن والملائكة والأنبياء والأموات والأصنام والأشجار والأحجار، ونحو ذلك، هذا من الشرك بالله ﷻ.

لعنَ اللهُ منْ لعنَ والديهِ؛ يلعنهما مشافهةً، أو تسبُّبًا، ولهذا في اللفظ الآخر يقول ﷺ: «**مِنَ الكَبائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ**» قالوا: يا رسولَ اللهِ، هل يشتِمُ الرّجلُ والديهِ؟ قال: «**نَعَمْ؛ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ**»[1]، فإذا لعنهم مباشرةً صار أكبرَ وأقبح وأشدَّ في الجريمة، وإذا لعنهم بلعنِه الناس، صار متسببًا في ذلك؛ فإنَّ من يلعن الناس، فإنه يتسبَّب في لعن أبيه وأمه.

فالواجب الحذر، والواجب حفظ اللسان عمَّا حرَّمه الله ﷻ من اللعن والسباب.

يقول النبي ﷺ: «**سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتالُهُ كُفْرٌ**»[2].

---

(١) سبق تخريجه في ص٣٥٤.

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله ﷺ، أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، برقم (٤٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي ﷺ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر، برقم (٦٤).

ويقول ﷺ: «**لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ**»(١)؛ شبَّه اللعن بالقتل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ويقول ﷺ: «**إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ وَلَا شُفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٢).

ويقول ﷺ: «**لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الفَاحِشِ، وَلَا البَذِيءِ**»(٣).

فعقوق الأمهات، وعقوق الآباء يكون باللعن، يكون بمعصية الأوامر التي يأمرون بها فيما أباح الله، يكون بالأذىٰ بالكلام، بالأذىٰ بالفعال، يكون بغير هذا، فكل أذىٰ يوجَّه إلىٰ الوالدين، فهو من العقوق حتىٰ التقصير في النفقة الواجبة وهو قادر.

فالواجب علىٰ الولد احترام الوالدين وبرهما، والإحسان إليهما بالفعل والكلام جميعًا، هكذا يجب علىٰ الولد؛ لأن حقَّهما عظيم، ولهذا أوصىٰ الله بالوالدين إحسانًا في آيات كثيرات؛ وقرن ذلك بحقِّه الذي هو التوحيد، حيث قال ـ سبحانه ـ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، ثم قال بعده: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، قال ـ سبحانه ـ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦].

---

(١) متفق عليه من حديث ثابت بن الضحاك، أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب منْ حلفَ بملّةٍ سوىٰ ملّةِ الإسلام، وقالَ النّبيّ ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ باللَّاتِ وَالعُزَّىٰ فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله**»، ولمْ ينسبهُ إِلَىٰ الكفرِ، برقم (٦٦٥٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، وأن من قتل نفسه عُذب به في النار، وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، برقم (١١٠).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي الدرداء ﷺ في كتاب البر والصلة، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، برقم (٢٥٩٨).

(٣) أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ، في كتاب البر والصلة، باب ما جاءَ في اللّعنةِ، برقم (١٩٧٧)، والإمام أحمد في المسند ١/ ٤٠٤، وصححه الألباني.

فدلَّ ذلك علىٰ عِظَم حقِّهما، وهكذا عقوقهما قرين الشرك، نعوذ بالله، ولهذا قال ﷺ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟**» قلنا: بلىٰ يا رسول اللهِ، قال: «**الإِشْرَاكُ بِاللهِ**»، ثم قال بعده: «**وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ**»[1]؛ فجعل العقوق قرينَ الشرك، كما جعل البِرَّ والإحسان لهما قرين التوحيد.

فعلىٰ الولد أن يتقي الله في والديه، وفي أجداده، وأن يُحسن إليهم، ويرفُق بهم، ويخاطبهم بالتي هي أحسن، ويفعل كل معروف معهم، ويحذر كل ما يضرهم، وكل ما يؤذيهم، هكذا يجب علىٰ الولد.

وفق الله الجميع، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه.



(١) سبق تخريجه في شرح هذا الحديث من هذا الكتاب في ص٢١٤.

شرح حديث «لَعْنِ آكل الرِّبا»

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[1]:

فقد ثبت عن النبي الكريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه لعنَ آكلَ الرّبا وموكلهُ وكاتبهُ وشاهديهِ، وقالَ: **«هُمْ سَوَاءٌ»**[2].

هذا يدلُّنا علىٰ شدة تحريم الربا، وأنه من كبائر الذنوب التي استحقَّ صاحبها اللعنة، نعوذ بالله من ذلك، ولهذا قال ـ فيما صحَّ عنه ـ أنه لعنَ آكلَ الرّبا، وثبت هذا من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله تعالىٰ عنهما؛ قال: إِنَّه لَعَنَ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ. وَقَالَ: **«هُمْ سَوَاءٌ»**.

وإنما لُعن آكل الربا وموكله؛ لأنه تعاطىٰ الحرام الذي حرَّمه الله ﷻ في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، وفي قوله ﷻ: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وفي قوله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٧٨ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٨ ـ ٢٧٩].

---

(١) حديث المساء في جامع الإمام تركي بن عبد الله بعد صلاة العصر، شريط رقم (١٠٢).

(٢) أخرجه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه في كتاب المساقاة، باب لعن آكل الربا ومؤكله، برقم (١٥٩٨).

فالله ﷻ حرَّم الربا، وبيَّن حال أهله، وأنه حربٌ لله ولرسوله.

وقال في الآية الأخرىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

فبيَّن ـ جلَّ وعلا ـ حالهم عند قيامهم من قبورهم، وأنهم يقومون كالمجانين المتخبِّطين؛ بسبب ما عملوه من الأعمال القبيحة، ثم بين استذلالهم لأنفسهم ولأهوائهم؛ حيث قالوا: إنما البيع مثل الربا، فأفتوا أنفسهم؛ وأحلوا لأنفسهم تعاطي الربا، وقالوا: إنه من جنس البيع، وهذا اعتراض علىٰ الله ﷻ، وسوء أدب معه ﷻ، وافتراء عليه؛ فليس هذا مثل هذا، فالبيع معاملة شرعية بالتعاوض الذي حدَّه الله وبيَّنه، والربا أخذ للمال بغير حق، والزيادة بغير حق، سواء كان ربا فضل؛ كدرهم بدرهمين، ودينار بدينارين ونحو ذلك، أو ربا نسيئة كما يفعل في البنوك: يعطي ماله بخمسة في المائة، عشرة في المائة، هذا جامع بين ربا النسيئة وربا الفضل، أو يأخذ من البنك، أو من غير البنك قرضًا بربح معلوم: العشرة بمائة، بإحدىٰ عشر، باثني عشر، المائة بمئة وخمس، المائة بمائة وعشرة، سواء أخذ أو أعطىٰ، ما دام بالفائدة، فكلُّه ربا؛ سواء أعطىٰ أمواله ليأخذ فائدة، أو أخذ أموالًا بالفائدة ليقضي حاجات له، كله ربا؛ سواء كان من البنوك، أو من غير البنوك.

والله حرَّم الربا، وأحلَّ البيع ﷻ، ففي إمكان المؤمن أن يستدين سلعة إلىٰ أجل معلوم، ثم يبيعها متىٰ شاء، ويقضي حاجته بثمنها من دون أن يعامل بالربا، وفي الربا مضار عظيمة علىٰ المجتمع، علىٰ الفقراء، علىٰ المجتمع بتعطيل مشاريعهم، وإيجاد البطالة بينهم، وغير ذلك، مما يضرُّ بالمجتمع بأسباب الربا.

فالواجب علىٰ المؤمن، وعلىٰ كل مؤمن، وكل مؤمنة الحذرُ مما حرمه الله ﷻ.

ولهذا لعن الرسول أيضًا كاتبه وشاهديه؟ لماذا؟ لأنهم مُعِينون علىٰ الربا؛ لأنهم أعانوه عليه، وسهَّلوا أمره بالكتابة والشهادة، فاستحقوا اللعنة مع آكله وموكله، وبهذا يعلم أن المُعِين علىٰ الباطل شريك لصاحب الباطل، ولهذا يقول ـ سبحانه ـ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢]، فالتعاون علىٰ الإثم والعدوان مما حرمه الله ﷻ، ومن ذلك كتابة بيع الربا، والشهادة علىٰ بيع الربا، وحراسة بنك الربا، إلىٰ غير هذا من التعاون.

ثم قال: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]؛ **المعنىٰ**: أنه شديد العقاب لمن خالف أمره، لمن ارتكب محارمه؛ ففي هذا تحذير من الربا غايةَ الحذر، وأن الواجب علىٰ المؤمن أن يحذر ما حرَّمه الله عليه، وأن يبتعد عن ذلك، وأن يبتعد عن وسائله، وأن يرضىٰ بما أحلَّ الله له، ويصبر عليه، ولو قُدر أن فيه مشقة عليه؛ لأن اتباع الشهوات ـ وإن سهُل علىٰ النفوس ـ لكن عاقبته وخيمة، فأخذ الربا والتساهل فيه؛ لأنه ليس فيه تعب، ولكنه يعطيه الزيادة، هذا قد تميل إليه النفوس، وتَسَاهل به، ثم يترَاكم عليه المال، ويطفو عليه الربا، فيندم غاية الندامة، ولكن الطريق الشرعي فيه خير للعاجل والآجل، وفيه العاقبة الحميدة، وفيه شُغل الناس بأموالهم، وتنمية أموالهم بالطرق الشرعية، ونفع المجتمع حتىٰ لا يتعطَّل المجتمع بأسباب احتكار البنوك وأشباه البنوك أموال الناس.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم.

* * *

شرح حديث «إنَّ الله طيب لا يقبل إلا طيبًا»

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[1]:

فقد ثبت عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: «**إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]، **وقال ـ تعالَىٰ ـ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢] **ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، ومَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالحَرَامِ، فَأَنَّىٰ يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ**»[2]؟

هذا دلَّ علىٰ فوائد؛ منها: قوله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا**»، فهو ـ جلَّ وعلا ـ أطيب الأطيبين؟ طيِّب الذات، طيب الصفات، طَيِّب الشرائع والأحكام، طَيِّب الفعال والأقوال سبحانه وتعالى وكلُّه طَيِّبٌ، موصوف بصفات الكمال، منزَّه عن صفات النقص والعيب، كما قال ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]،

---

(١) حديث المساء من دروس الشيخ في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض بعد العصر، شريط رقم (١٤٨).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، برقم (١٠١٥).

قال ـ سبحانه ـ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤]، قال ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١] ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ﴾ [النحل: ٧٤].

فهو ـ جلَّ وعلا ـ لا مِثْلَ له، ولا كفء له، ولا نِدَّ له، هو الكامل في ذاته، في صفاته وأسمائه، وأفعاله، له الكمال المطلق في كل شيء ﷻ، فهو طيِّب الذات، طيِّب الصفات، طيِّب الفِعال والأقوال، الخالق لكل شيء، والرزاق لعباده، الحكيم العليم، الذي خلق الخلْق ليعبدوه ويطيعوه، خلق الثقلين من الجن والإنس ليُعبَد وحده لا شريك له، وعمَّ عباده بالرحمة، ووسعت رحمته كل شيء ـ جلَّ وعلا ـ أخرجهم من العدم، مدَّهم بالنِّعَم، أنزل لهم الأمطار، وأجرىٰ لهم الأنهار، ويسَّر لهم كل شيء، حتىٰ عاشوا علىٰ ظهرها، مع عصيان الأكثرين، وكفر الأكثرين. ولهذا يقول ﷺ: «**إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا**».

ومن طيبه ﷻ وكماله: أنه لا يقبل إلا الطيب من الأقوال والأعمال، ما كان خبيثًا لا يُقبل؛ فالنفقة الخبيثة لا تُقبل، والعمل الخبيث لا يُقبل، والقول الخبيث لا يُقبل، فلا يُقبل من نفقة أو صدقة، أو عمل أو قول، إلا ما كان طيبًا.

والطيب من الأعمال والأقوال ما وافق شرعَه، وكان خالصًا لوجهه الكريم ﷻ، وكل عمل أو قول يفعله العبد، يفعله المسلم، **إنما يُقبل منه إذا اشتمل علىٰ شرطين: أحدهما**: أن يكون لله وحده خالصًا، يرجو به فضله وإحسانه، **والشرط الثاني**: أن يكون موافقًا للشريعة، ليس بدعةً، كما قال ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

فالعمل الصالح هو الموافق لشرعه، الخالص لوجه الكريم ﷻ، ومن صلىٰ لغير الله لم تُقبل، ومن تصدَّق لغير الله لم تقبل، ومن صام لغير الله لم يقبل، وهكذا وهكذا، من تقرَّب بالبدع والأهواء التي ليس لها أصل في الشرع، لا يقبل منه، بل أعماله حابطة: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]؛ هذه أعمال أهل الشرك هباءً منثورًا، وهكذا الأعمال المبتدَعة، لا تنفع أهلها، بل تضرُّهم.

وقد أمر ـ سبحانه ـ عباده بالأكل من الطيبات، والعمل الصالح؛ فدل ذلك علىٰ أن الخبائث لا تُقبل، ولا يجوز أكلُها؛ فالمكاسب الخبيثة من الرشوة، والربا، والخيانة، والسرقة، والنهب، وأشباه ذلك، كلها أموال خبيثة، لا تُقبل، ولا يجوز أكلُها؛ لأنها ظلم وعدوان.

والخُبث تارة يكون بسبب الكسب؛ كالغصب، والسرقة، والخيانة، والرشوة، ونحو ذلك، هذه أموال خبيثة من أجل كسبها؛ لأنها مكسوبة بغير طريق شرعي.

وقد يكون الخُبث ذاتيًا في نفس المأكول والمشروب؛ كلحم الخنزير، والميتة والنجائس، وما أشبه ذلك مما حرم الله ﷻ، وشرب المسكر، وأشباه ذلك مما حرم الله، فهي خبيثة في نفسها، لا تُقبل، ولا تصلُح، ولا يجوز تعاطيها، ولا قُربانها.

وهكذا الصلاة: إذا صلَّىٰ علىٰ غير الشرع كانت غير صالحة، لا تقبل؛ لأنها غيرُ طيبة حتىٰ يصليها كما شرع الله، وحتىٰ يصوم كما شرع الله، وحتىٰ يحج كما شرع الله.

وعلىٰ الرسل والمؤمنين جميعًا أن يشكروا الله، ويعملوا الصالحات، وليستعينوا بنِعَمِه التي أنعمها عليهم، وهي الطيبات، فيأكلوا من رزقه، ويعملوا بطاعته: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ﴾ [المؤمنون: ٥١] من الأشياء المباحة الطيبة، التي أباحها الله لعباده ليستعينوا بها علىٰ

طاعته وشكره ـ سبحانه ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٢]؛ من الإبل والبقر والغنم والحبوب والثمار المباحة، خلقها ويسَّرها ليستعين بها العباد علىٰ طاعته ﷻ، خلقهم وخلق الدار لهم، وخلق الرزق لهم، وسُبُل العيش في هذه الدار حتىٰ ينتقلوا منها.

ثم بيَّن ﷺ حال أصحاب المكاسب الخبيثة، وأنهم لا تُقبل دعواتهم، ولو رفعوا أيديهم، ولو ألحُّوا في الدعاء: يا رب، يا رب، ولو كانوا في السفر شُعثًا غُبرًا، ما داموا متلطِّخين بالحرام أكلًا وشربًا وتغذيةً، فأنَّىٰ يستجاب لذلك؟ فرفْع اليدين من أسباب الإجابة، رفع اليدين في الدعاء من أسباب الإجابة، كونه في السفر أشعث أغبر من أسباب الإجابة، كونه يُلحُّ: يا رب، يا رب من أسباب الإجابة، لكن وُجد مانعٌ كبير عظيم خطير، وهو التلطُّخ بالحرام؛ فهذا من أسباب حرمان الإجابة، نعوذ بالله.

فعليك ـ يا عبد الله ـ أن تحذر المكاسب الخبيثة، وعليك أن تتقي الله بطلب الحلال واكتساب الرزق الحلال، حتىٰ تُجابَ دعوتك، وحتىٰ يُقبل عملك، وحتىٰ يغفر ذنبك، وحتىٰ تسْلَم من هذه التَّبِعات التي توعَّد الله بها من تلطخ بالحرام.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم.

* * *

شرح حديث «من نفَّس عن مؤمن كربة»

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[١]:

قد ثبت عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**»[٢].

هذا يبيِّن لنا فضل الإحسان إلىٰ الناس، وتفريج الكُروب، وتيسير الأمور، والإعانة علىٰ وجوه الخير، وأن الجزاء من جنس العمل، فمن نفَّس عن أخيه في هذه الدار نفَّس الله عنه يوم القيامة، ومن يسَّر علىٰ أخيه في هذه الدار يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر علىٰ أخيه عورةً ـ حِسِّية أو معنويَّة ـ ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، وفي اللفظ الآخر يقول ﷺ: «**المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ؛ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[٣].

---

(١) حديث المساء من دروس سماحة الشيخ في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض بعد العصر، شريط رقم (١٤٨).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع علىٰ تلاوة القرآن وعلىٰ الذكر، برقم (٢٦٩٩).

(٣) أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في كتاب المظالم، باب لا يظلم =

وفيها الحثُّ والتحريض علىٰ التعاون علىٰ الخير بين المؤمنين في إنظار المعسر، وتفريج الكربة، وستر العورة، والإعانة علىٰ وجوه الخير.

وهذا كلام جامع، ولهذا قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«وَاللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»**.

وهذا يعُمُّ إعانته في أمور الدنيا، وفي أمور الآخرة؛ فإعانته علىٰ أسباب الرزق الحلال، وعلىٰ القيام بسد حاجة عائلته، وعلىٰ قضاء دينه، وفي الزواج إذا كان معسرًا محتاجًا للزواج، وهكذا في جميع الشؤون التي شرعها الله، أو أباحها ﷻ، فالمؤمن أخو المؤمن، يعينه علىٰ الخير، وينهاه عن الشر، ينصح له في جميع الأحوال، ويفرِّج كربته بالهِبَة، بالقرض، بالشفاعة، حسب التيسير، وييسِّر علىٰ المُعسر بإنظاره أو بمسامحته.

وفي الحديث الآخر يقول ﷺ: **«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ، أَوْ يَضَعْ عَنْهُ»**(١).

والعورات كثيرة؛ قد يكون في حاجة إلىٰ اللباس يستر عورته الحِسِّيَّة، فهو مأجور إذا أعطاه ملابسَ يستر بها عورته، لكونه فقيرًا عاريًا عاجزًا، وقد يكون عنده سيِّئات وغلطات في دينه، فيستره عليه، ولا يفضحه بين الناس، فالستر عامٌّ؛ ستر العورة الحسيَّة، وهي ما بين السُرة والرَكبة، بإعطائه الملابس، أو النقود التي يشتري بها حاجته، وأعظم من هذا وأكبر ستر عورته المعنوية؛ كونه يعثر له علىٰ معصية، فيستر عليه ولا يفضحه، وينصحه، ويوجهه إلىٰ الخير.

= المسلم المسلم ولا يسلمه، برقم (٢٤٤٢)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٨٠).

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي قتادة ﵁ في كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر، برقم (١٥٦٣).

ثم أتىٰ ﷺ بهذا الكلام الجامع العظيم، فقال: «**وَاللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**»، في اللفظ الآخر: «**مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ**».

وهذا يعم الحاجات الدينية والدنيوية، في حاجته إلىٰ أن يُقضىٰ دينُه إلىٰ أن يتزوج، إلىٰ أن يُسدَّ حاجته التي هو في حاجة اليها، من حاجة عائلته، في تخليصه من غرامة، إلىٰ غير هذه من الحاجات، وهكذا الحاجات الدينية: هو في حاجة إلىٰ أن ينصحه إخوانُه عما يقع فيه من المعاصي، فإذا نصحه أخوه وإخوانه، واجتهدوا في ذلك، وجاهدوه فيما يرضي الله ﷻ، وحالوا بينه وبين أسباب الشر حتىٰ أفلحوا في ذلك، ونجحوا في ذلك، لهم فيها الخير العظيم، ولهم مثل أجوره إذا هداه الله علىٰ أيديهم: «**مَنْ دَلَّ عَلَىٰ خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ**»، «**فَوَاللهِ لأَنْ يُهْدَىٰ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**»(١).

فلا ينبغي للمؤمن أن يبخل بشيء يُعين بها أخاه المسلم علىٰ خير وعلىٰ دفع شر؛ في كلامه أو فِعاله أو شفاعته.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم.

* * *

(١) سبق تخريجه في ص٢٤٣.

شرح حديث «والذي نفسي بيده»

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد[1]:

فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا، أَفَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَمْرٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»**[2].

يبين الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن الجنَّة دار أهل الإيمان، دار المتقين؛ ولهذا قال: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا»**، قد أمر النبي ﷺ يوم النحر وفي أوقات أخرىٰ أن ينادي منادٍ: **«لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ»**[3]؛ **يعني**: مؤمنة بالله واليوم الآخر، مؤمنة بأن الله ربها وإلـٰهها ومعبودها الحق، وأن رسوله محمد حق، وأن ما جاءت به الأنبياء حق ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ومؤمنة باليوم الآخر،

---

(١) حديث المساء من دروس سماحة الشيخ في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض بعد العصر، شريط رقم (١٤٨).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب الإيمان، باب بيان لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سبب لحصولها، برقم (٥٤).

(٣) أخرجه الترمذي من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، في كتاب تفسير القرآن، باب ومِنْ سورةِ التّوبةِ، برقم (٣٠٩٢)؛ والنسائي في كتاب الحج، باب قَوْلِهِ ﷻ: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]، برقم (٢٩٥٨)، والإمام أحمد ١/ ٧٩؛ وابن خزيمة في كتاب الحج باب النهي عن صيام أيام التشريق، برقم (٢٩٦٠)، وصححه الألباني.

وهو البعث والنشور، والجنة والنار، والحساب والجزاء.

ثم بيَّن ﷺ أنه لا يتمُّ إيمانهم حتىٰ يتحابُّوا في الله حتىٰ يكون المؤمن يحب لأخيه الخير، ويكره له الشر، يُعينه علىٰ الخير وعلىٰ ترك الشر، يكون مرآةً له؛ المؤمن مرآة المؤمن؛ يصف له الخير، ويدلُّه عليه، ويعينه عليه، ويصف له الشر، ويحذِّر منه، ولهذا يقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**المُؤْمِنَ لِلمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**»، وشبّك أصابعهُ[(١)].

ويقول أيضًا ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّىٰ**»[(٢)].

هكذا يقول ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا**».

ثم بيَّن بعض أسباب ذلك، وأسباب المحبة؛ قال: «**أَفَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَمْرٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**»؛ فإفشاء السلام من أسباب التحابِّ في الله، من أسباب تقارب القلوب، وزوال الشحناء، والتعاون علىٰ الخير.

والتكبُّر والجفاء، والإعراض عن بدء السلام ورد السلام من

---

(١) متفق عليه من حديث أبي موسىٰ ﵁، أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب تشبيكِ الأصابعِ في المسجدِ وغيرِهِ، برقم (٤٨١)، وفي كتاب المظالم، باب نصرِ المظلومِ، برقم (٢٤٤٦)، وفي كتاب الأدب، باب تعاونِ المؤمنينَ بعضهمْ بعضًا، برقم (٦٠٢٦)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تراحمِ المؤمنينَ وتعاطفهمْ وتعاضدهمْ، برقم (٢٥٨٥).

(٢) متفق عليه من حديث النعمان بن بشير ﵄، أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، برقم (٦٠١١)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تراحمِ المؤمنينَ وتعاطفهمْ وتعاضدهمْ، برقم (٢٥٨٦).

أسباب الشحناء والبغضاء، والفُرقة والاختلاف، والتباعُد.

يقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الحديث الصحيح، لما سُئل: أيُّ الإسلام أفضلُ؟ قَالَ: **«أن تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأَ السَّلَامَ عَلَىٰ مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»**؛ **يعني**: تسلِّم علىٰ إخوانك، وإن لم تعرفهم، تبدؤهم وترد عليهم، أما الكافر، لا يُبدأ، الكافر يُرَدُّ عليه إذا بدأ، ولا يُبدأ، لكن إخوانك المسلمون تسلِّم عليهم، تبدؤهم إذا لم يبدؤوا، وتردُّ عليهم إذا بدؤوا، ولو لم تعرف أنه فلان أو فلان أو فلان، متىٰ لقيكَ سلَّمت عليه، وبهذا تسود المحبة بين المسلمين، ويكون التعارف بين المسلمين، وتزول الشحناء والبغضاء، هكذا المؤمنون بينهم.

ولهذا يقول ﷺ: **«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»**[١]؛ هذا من كمال الإيمان أن تحبَّ لأخيك الخير كما تحبُّه لنفسك، من صدق وصلاح وصحة وعافية وغناء، وغير هذا من وجوه الخير، وتكره له الشر كما تكرهه لنفسك؛ لأنه أخوك في الله، وفي دينه.

فعلىٰ المؤمن أن يحاسب نفسه ويجاهدها لله، وأن يحذر الجفاء والتباغض والكبر والتعاظُم، وأن يلين لأخيه؛ فيبدأه بالسلام، ويرد عليه السلام، ويعرف له أُخُوَّتَه وفضله.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا وعلىٰ آله وأصحابه.

* * *

(١) متفق عليه من حديث أنس ﵁، أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، برقم (١٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل علىٰ أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، برقم (٤٥).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

شرح حديث «ألا أُنبِّئكم بأكبرِ الكبائر»

الحمد لله، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد(١):

فقد ثبت عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ**»؟ قلنا: بلىٰ يا رسولَ اللهِ، قال: «**الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ**»، وكانَ متّكئًا، فجلسَ، فقالَ: «**أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ**»(٢).

هذا الحديث العظيم يدلُّ علىٰ غِلَظ إثم هذه الكبائر، وأنها أعظم الذنوب وأشدها وأخطرها، ولهذا قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ، أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ، أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ**»، كررها ثلاثًا.

ثم قال: «**الإِشْرَاكُ بِاللهِ**»؛ فالشرك هو أعظم الذنوب وأخطرها، ولهذا في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، أيّ الذّنب أعظمُ عندَ اللهِ؟ قال: «**أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**»(٣)، والنِّدُّ: النظير

---

(١) حديث المساء من دروس سماحة الشيخ في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض بعد العصر، شريط رقم (١٤٨).

(٢) متفق عليه من حديث نفيع ﷺ، أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، برقم (٢٦٥٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، برقم (٨٧).

(٣) متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، =

والشبيه والمثيل؛ **يعني**: يدعوه مع الله، ينذر له، يذبح له، يستغيث به، كما يفعل عُبَّاد القبور، وعُبَّاد الأصنام، وعباد الأشجارِ والأحجار والكواكب، بها يستغيثون، ولها ينذرون، ولها يتقربون بالذبائح إلىٰ غير هذا من أنواع العبادة؛ يأتي واحدهم إلىٰ القبر، يقول: المدد المدد يا سيدي، يسأله أن يغيثَه! هذا الميت الذي تحت الثرىٰ، هذا من جهلهم بالله، وجهلهم بدينه، أو يقول للصنم ـ من حجر أو خشب ـ: أغثني، انصرني، افعل بي كذا وكذا، أو للكواكب من النجوم والشمس والقمر، أو للأشجار والأحجار والقيران، أو غير هذا مما يعبده المشركون من دون الله ﷻ.

بيَّن الرسول ﷺ أن هذا هو أكبر الكبائر؛ لأنه ضد الإسلام، وخلاف الإسلام، وأهلُه مخلَّدون في النار، نعوذ بالله، وليس لهم مغفرة، كما قال ﷻ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، قال ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]. قال ـ سبحانه ـ: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [التوبة: ١٧]، ويقول ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النساء: ٤٨].

فمن مات علىٰ الشرك، فلا مغفرة له، بل هو مخلَّد في النار أبد الآباد، نعوذ بالله، قال ـ سبحانه ـ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، أما ما دون الشرك من المعاصي؛ كالعقوق، والقطيعة، والربا، والغيبة،

= باب قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، برقم (٤٤٧٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده، برقم (٨٦).

والنميمة، ونحو ذلك، هذه المعاصي فيها خطر كبير، ولكنها ليست من جنس الشرك، بل صاحبُها تحت مشيئة الله؛ إذا مات عليها ولم يتب، فهو تحت مشيئة الله؛ إن شاء الله غفر له بأعماله الصالحة التي عنده، وتوحيده، وإسلامه، وإن شاء ـ سبحانه ـ عذَّبه علىٰ قِدْر جرائمه في النار؛ وبعد التطهير والتمحيص يخرج من النار، هذه حال أهل المعاصي، وأما من مات علىٰ الكفر والشرك، فهذا مخلَّد في النار أبد الآباد، نعوذ بالله.

الكبيرة الثانية: العقوق، قطيعة الوالدين، نعوذ بالله، والإساءة إليهما هذه من أكبر الكبائر، لكنها من المعاصي، لا من الشرك الأكبر، لكنها من أكبر الكبائر، وأعظم القبائح، الوالدان لهما حق عظيم؛ ربَّياك، أحسنا إليك، وصبرا علىٰ أذاك، فالواجب برهما، والإحسان إليهما، فمقابلة ذلك بالعقوق والقطيعة والإيذاء كبيرة عظيمة.

ولهذا في الحديث الصحيح: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ**»[1] وفي الحديث الآخر: «**مِنَ الكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ**»، قالوا: يا رسولَ اللهِ، هل يشتِمُ الرّجل والديهِ؟! قالَ: «**نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ**»[2]، حتىٰ التسبُّب في سبهما من الكبائر، الواجب الإحسان إليهما، والرفق بهما، والصبر عليهما، والكف عن أذاهما بأي أذىٰ، لعِظَم حقهما.

أما الكبيرة الثالثة: فهي شهادة الزور، نعوذ بالله؛ الشهادة بالكذب، هذه من أكبر الكبائر، نعوذ بالله، كونه يشهد أن فلانًا باع كذا، أو قتل فلانًا، أو فعل كذا، أو أعطىٰ كذا، وهو يكذب، من أجل طمع، أو محبة لشخص، أو عداوة لشخص، هذه من أكبر الكبائر،

---

(١) سبق تخريجه في ص٣٥٤.

(٢) سبق تخريجه في ص٣٥٤.

نعوذ بالله؛ لأن هذه الشهادة الخبيثة تُستحلُّ بها الفروج، تُسفك بها الدماء، تُؤخذ بها الأموال بغير حق؛ فهي من أقبح الكبائر والذنوب، نعوذ بالله.

فليس للعبد أن يشهد إلا بشيء يعلمه ويعرفه، ولا يشك فيه، أمَّا أن يشهد بالزور والكذب من أجل العداوة لمشهود عليه، أو محبة للمشهود له، أو لطمع يأخذه من المال، أو لأشباه ذلك؛ هذا من أعظم الكبائر والقبائح.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية والعافية، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه.



شرح حديث «إن الله لا ينظر إلى صوركم»

الحمد لله رب العالمين، وصلَّىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد[1]:

فقد ثبت عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»[2].

هذا الحديث الصحيح يدلُّنا علىٰ أن محلَّ النظر والاعتبار القلب والعمل، أما المال والجسم، فليس محلَّ الاعتبار، وليس محل النظر من الله ﷻ؛ لأن المال يُعطاه الكافر والمسلم، والجسم يكون قويًا، ويكون ضعيفًا، ويكون جميلًا، ويكون دميمًا، للمسلم والكافر، وإنما الاعتبار بقلبك وعملك، متىٰ صلح قلبك، وصلح عملك، فُزْتَ بالنجاة والسلامة، وكنت في المنزلة العالية عند ربك ﷻ، ومتىٰ خبُث قلبك، وخبُث عملك، بُؤت بالعاقبة الوخيمة، وصارت منزلتك عند الله شرَّ منزلة.

فجدير بالمؤمن، جدير بمن تعزُّ عليه نفسه أن يُعنىٰ بقلبه وعمله، وأن يجتهد في طهارة قلبه وصلاحه، وفي صلاح عمله واستقامته، حتىٰ يفوز بالكرامة والعاقبة الحميدة؛ ولهذا قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**».

---

(١) من أحاديث سماحة الشيخ لإذاعة القرآن الكريم في ربيع الآخر من عام ١٤٠٠هـ، شريط رقم (٨٧).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، برقم (٢٥٦٤).

فالإنسان قد يكون جميلًا، وقد يكون عظيمَ القوة، لكن لا قيمة له؛ لأنه صرف قُوَّته وأعماله في معاصي الله ﷻ، وفيما يُباعد من رحمته ﷻ، وقد يكون كثير المال، فيضرُّه ماله؛ لأنه صرف ذلك المال في معاصي الله واتِّباع الهوىٰ.

أما من استعان بالمال والبدن علىٰ طاعة الله ورسوله؛ فإنه ينفعه ماله، وينفعه بدنه، وتنفعه قوته، وهكذا المؤمن: يستعين بأمواله وبما أعطاه الله من القوة في طاعة الله واتِّباع سبيله، ونفع عباده، فيفوز في العاجل والآجل، بالخير العظيم والعاقبة الحميدة.

وطهارة القلب وصلاحه، وصلاح العمل له أسباب:

فمن أعظم الأسباب: العناية بالقرآن الكريم، والتدبُّر لمعانيه، والاستفادة منه؛ لأنه أُنزل للعمل والاستفادة، لم ينزل ليُحفظ في الرفوف والدواليب، أو في الصدور فقط، ولكنه أُنزل للعمل، ليستفاد منه، ليُتَّخذ منهجًا في هذه الحياة علمًا وعملًا، وهو يدعو إلىٰ كل خير، ويهدي إلىٰ الطريق الأقوم، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وقال ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]، وقال ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

فكتاب الله فيه الهدىٰ والنور، فجدير بالمؤمن وجدير بالمؤمنة العناية بهذا الكتاب العظيم، والإقبال عليه، وتدبر معانيه، ولا سيما في الأوقات المناسبة؛ كآخر الليل، وأول النهار، وأشباه ذلك من الأوقات المناسبة؛ يقرأ من المصحف، أو عن ظهر قلب، ويتدبر، ويتعقَّل حتىٰ يعرف مراد ربِّه ﷻ، فيبادر بفعل ما أمر الله ـ جلَّ وعلا ـ ويُنهىٰ عما نهىٰ الله عنه ﷻ، ويقف عند حدود الله، يرجو ثوابه، ويخشىٰ عقابه.

ومن أعظم أسباب طهارة القلب وصلاحه: الإكثار من ذكر الله؛ كالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والاستغفار.

هذه أسباب صلاح القلب أيضًا، وهكذا التوبة إلىٰ الله من المعاصي، من أعظم أسباب صلاح القلب؛ لأن المعاصي تُمرِض القلب وتضعفه وتُقسِّيه، فإذا أكثر العبدُ من ذكر الله، ومن قراءة القرآن، وبادر بالتوبة، طهُر القلب، وصلح واستقام أمره، وإذا تابع السيئات، أظلم القلب، وساءت حاله وقسا، وربما طُبع عليه، فلا يعقل بعد ذلك معروفًا، ولا منكرًا، نسأل الله العافية.

والقلب هو الأساس؛ متىٰ صلح صلح العمل، وصلحت الجوارح، ومتىٰ فسد فسد كل شيء، نسأل الله السلامة، ولهذا في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ قال: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً؛ إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ**»[(١)].

فالقلب هو الأساس في صلاحك وفسادك؛ فمتىٰ أصلح الله قلبك بالعمل الصالح، والتقوىٰ والإيمان، والتوبة الصادقة، والخوف من الله، وتعظيمه، والشوق إليه - جلَّ وعلا - والأُنس بمناجاته وذكره، استقامت أحوالك وصلحت أعمالك، ومتىٰ خبُث القلب بالنفاق والشرك، والكبر والخيلاء، والإعراض عن الله، والغفلة عن دينه، ساءت الحال وخبثت الأعمال.

يروىٰ عن لقمان الحكيم أنه كان عبدًا مملوكًا، وأن سيِّده أمره أن يذبح شاة ويأتيه بأخبث ما فيها، فذبحها، وأتاه بالقلب واللسان، ثم أمره

---

(١) متفق عليه من حديث النعمان بن بشير ﷺ، أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، برقم (٥٢)، وفي كتاب البيوع، باب الحلالُ بيّن والحرامُ بيّن وبينهما مشبّهاتٌ، برقم (٢٠٥١)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، برقم (١٥٩٩).

في وقت آخر أن يذبح شاة ويأته بأصلح ما فيها، فذبحها وأتاه بالقلب واللسان، فقال له سيده: قلتُ لك: أعطني أخبث ما في الحيوان، فأعطيتني القلب واللسان، وقلت لك: أعطني أحسن ما فيها، فأعطيتني القلب واللسان، فقال له لقمان: نعم يا سيدي؛ إن القلب واللسان هما أصلح شيء، وهما أخبث شيء؛ فهما أصلح شيء في الإنسان إذا صلح، وأخبث شيء في الإنسان إذا خبث، وقد صدق لقمان(١).

والحديث الصحيح يدل علىٰ ما قال، واللسان تابع للقلب؛ فمتىٰ صلح القلب استقام اللسان واستقامت الجوارح، ومتىٰ خبث القلب خبث اللسان وخبثت الجوارح.

فالواجب علىٰ كل عاقل، وعلىٰ كل مسلم في الأخص، أن يُعنىٰ بقلبه ولسانه وسائر أعماله، وأن يحرص كل الحرص علىٰ أسباب طهارة القلب وصلاحه، بتدبُّر القرآن الكريم، والإكثار من ذكر الله والتوبة إليه، كما تقدَّم، ومن صُحبة الأخيار الذين يعينوه علىٰ طاعة الله، ويحذَر صحبة الأشرار، ويحرص علىٰ الاستكثار من طاعة الله، من الصلوات، والصدقات، وسائر وجوه الخير؛ فإنها من أعظم أسباب صلاح القلب وطهارته.

وعليه أن يحذر غاية الحذر مما يفسد القلب ويُمرِضه، ويسبب قسوته وظُلمَته، وهي المعاصي والسيئات، فالمعاصي من أسباب ظُلمة القلب وانتكاسه وفساده.

فالواجب عليك أيها العاقل، أيها الرجل، وهكذا أيها النساء، الواجب علىٰ الجميع العناية بالقلب واللسان، والعمل والصدق في ذلك، فمتىٰ صلح القلب بمحبة الله والثناء عليه، وخوفه ورجائه، والإخلاص له،

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢]، والدميري في «حياة الميدان الكبرىٰ» (١/ ٤١١).

وإيثار الآخرة، صلحت الأعمال، واستقام اللسان، وإذا انحرف القلب عن محبة الله، وعن طاعته، وعن ذكر الآخرة، وعُمِّر بالكبر والخيلاء، والشرك والنفاق ـ والعياذ بالله ـ انحرف اللسان، وانحرفت الجوارح.

والله المسؤول ـ سبحانه ـ أن يصلح قلوبنا وأعمالنا جميعًا، وأن يهدينا وسائر المسلمين صراطه المستقيم، وأن يعيذنا وسائر إخواننا من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، إنه ﷻ سميع قريب، والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ عبده ورسوله نبيِّنا محمد، وآله وأصحابه وأتباعه بإحسان.



وجوب الاعتصام بكتاب الله ﷻ وسُنَّة رسوله، عليه الصلاة والسلام والتحذير مما يخالفهما(١)

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام علىٰ عبده ورسوله وصفوته من خلقه، وأمينه علىٰ وحيه، نبيِّنا وإمامنا محمد بن عبد الله، وعلىٰ آله وأصحابه، ومن سلك سبيله، واهتدىٰ بهداه إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

أيها الإخوة في الله، لقد سمعتم عنوان الكلمة التي أُريد أن أتكلَّم بها بينكم الآن إن شاء الله، عنوانها: (وجوب الاعتصام بكتاب الله ﷻ وسُنَّة رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ والتحذير مما يخالفهما).

لما كان الناس اليوم، وفي كل زمان، في أشد الحاجة، بل في أشد الضرورة إلىٰ الاعتصام بالقرآن العظيم والسُّنَّة المطهرة، والاستقامة علىٰ ما دل عليه، والدعوة إلىٰ ذلك، والتحذير من خلاف ذلك، رأيتُ أن تكون كلمتي بهذا العنوان.

لقد بعث الله نبيه محمدًا ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالهُدىٰ ودين الحق، كما قال الله ﷻ في سورتي براءة والصف: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣، والصف: ٩]،

---

(١) محاضرة لسماحة الشيخ في الطائف، في عام ١٤٠٦هـ.

وقال في سورة الفتح: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨].

قال علماء التفسير رحمة الله عليهم: الهدىٰ الذي بعث الله به نبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ هو ما بعثه به من العلوم النافعة، والأخبار الصادقة، ودين الحق: هو ما بعثه به ـ سبحانه ـ من الأعمال الصالحة؛ والأحكام العادلة، والشرائع المستقيمة، ومن الهُدىٰ: ما بعثه، ـ جلَّ وعلا ـ به من الإيمان الصادق، من توحيد الله، والإخلاص له، والإيمان بأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، ومن الأخبار الصادقة، كل ما أخبرت به الرسل عليهم الصلاة والسلام، مما كان وما يكون، بَعَثَ اللهُ نبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ببيان ذلك.

بيّن ما جرىٰ فيما مضىٰ من الزمان علىٰ أيدي الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ بيّن أسباب نصرهم، وأسباب هلاك أعدائهم، وبيّن أخبار الجنة والنار، وأعمال أهلهما وصفاتهم، كما بيّن أنواع النعيم لأهل الجنة، وأنواع العذاب لأهل النار، إلىٰ غير ذلك، فقد بيّن ﷻ علىٰ يد رسوله وخليله محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنواعًا عظيمة، وأصنافًا كثيرة من العلوم النافعة، والأخبار الصادقة؛ لأن فيها عِظَةً ودعوة، وتوجيهًا إلىٰ الخير؛ لأن فيها بيانَ ما يجب لله من الأسماء والصفات؛ ولأن ذلك يوجب علىٰ المكلَّفين تصديقَ الربِّ ﷻ وتصديق رُسله ـ صلىٰ الله عليهم وسلَّم ـ بما أخبروا به، وبعثه بالدين الحقِّ بما شرع له من الفرائض والأحكام؛ من صلوات، وصيام، وزكوات، وحج، وجهاد، وغير ذلك، بعثه بأعمال صالحة، رتَّب عليها ـ سبحانه ـ أنواع الجزاء والثواب، بعثه بشرائعَ مستقيمة، وأحكام عادلة بين العباد، من استقام عليها وصل إلىٰ شاطئ النجاة، وفاز بالسلامة والكرامة، ومن حاد عنها باء بالخيبة والصفقة الخاسرة، وباء بالندامة والخزي في الدنيا والآخرة.

وبيّن ـ جلَّ وعلا ـ أن هذا الهدىٰ، وهذا الدين الذي بعثه به ﷺ هو الصراط المستقيم؛ ما بعثه الله من علوم نافعة للعباد، ومن أخبار صادقة، ومن شرائعَ مستقيمة، وأحكام عادلة، وأعمال صالحة.

بيّن ـ جلّ وعلا ـ في مواضع من كتابه، وعلىٰ لسان رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنَّ هذا هو الصراط المستقيم الذي أمر الله العباد بالاستقامة عليه واتِّباعه وبيّن أنه موصل إليه، وأن من استقام علىٰ هذا الصراط وصل إلىٰ النجاة، وصل إلىٰ ساحل السلامة والسعادة، وصل إلىٰ الجنة والكرامة، ومن حاد عن هذا الصراط انتهىٰ به ما حاد إليه إلىٰ دار الهوان، إلىٰ الجحيم والعذاب.

قال ـ جلَّ وعلا ـ في كتابه العظيم، آمرًا نبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن يتلو علىٰ الناس ما بعثه به من الأوامر والنواهي، فقال ﷻ: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ﴾ [الأنعام: ١٥١]؛ **أي**: يا محمد؛ قل يا أيها الرسول للناس: تعالوا: هلُّموا، وأقبلوا ﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]؛ **يعني**: أقصُّه عليكم، وأخبركم به عن علم، وعن يقين، وعن وحي من الله، لا عن ظنٍّ، ولا عن تخرُّص، ولكن عن وحي من الله ﷻ: ﴿أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١ ـ ١٥٢]، ثم قال ﷻ بعد هذه الأوامر والنواهي: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

المعنىٰ: أن هذه الأوامر وهذه النواهي امتثالها والاستقامة عليها وتنفيذها هو صراط الله المستقيم، فوجب علىٰ جميع المكلَّفين من الجن

والإنس، والذكور والإناث، والعرب والعجم، والحكَّام والمحكومين، وجب عليهم جميعًا أن يلتزموا بهذه الأوامر وهذه النواهي؛ وأن يسلكوا صراط الله المستقيم،الذي هو مقتضىٰ هذه الأوامر والنواهي.

فبدأها بالنهي عن الشرك: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١]؛ بدأها بالشرك؛ لأنه أعظم الذنوب؛ لأنه أشد الجرائم؛ لأنه عُدولٌ بالله ـ جلَّ وعلا ـ وسوء ظن به، وصرف العبادة لغيره، وضد ذلك: هو توحيد الله والإخلاص له، وهو أعظم الفرائض وأهم الواجبات، فبدأ بالأصل الأصيل، والقاعدة العظيمة، وهو توحيد الله والإخلاص له، وترك الإشراك به، وهذه سُنَّته ـ سبحانه ـ في غير آية من كتابه؛ قال ﷻ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ﴾ [النساء: ٣٦] إلخ، فبدأ بالأمر بعبادته وحده، وترك الإشراك به ﷻ، ثم ذكر مسائلَ عديدة بعد ذلك، وهكذا قوله ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]؛ فبدأها بالدعوة إلىٰ توحيد ـ سبحانه ـ والإخلاص له: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾؛ **يعني**: أمر وأوصىٰ ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا، ثم ذكر مسائل عديدة.

وهكذا في آيات كثيرات يأمر بتوحيده، والإخلاص له قبل كل شيء، كما قال ﷻ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

فالواجب علىٰ جميع العباد أن يُعْنَوْا بهذا الأمر قبل كل شيء، وأن يخصُّوا الله بالعبادة: بالدعاء، بالصلاة، بالصوم، والحج والصدقات، وغير ذلك، هو المعبود وحده ﷻ، فلا يجوز صرف العبادة لغيره كائنًا من كان: لا لصنم، ولا لنبي، ولا لولي، ولا لجن،

ولا لإنس، ولا لكوكب، ولا لغير ذلك، بل تجب العبادة كلها لله وحده ﷻ، كما قال ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر: ٢ ـ ٣]، إلىٰ أمثال هذه الآيات.

وهكذا بعث نبيَّه ﷺ بذلك من جهة السُّنَّة، حيث قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ في أحاديث؛ منها حديث ابن عمر: «**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ؛ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ**»(١)، ثم ذكر بقيَّة الأركان، فبدأ بهذا الأصل الأصيل؛ هو توحيد الله، والإخلاص له، والإيمان برسوله محمد، عليه الصلاة والسلام.

وهكذا في حديث جبرائيل، لما سأل الرسول ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان؛ قال له: «**الإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ**»(٢)، في اللفظ الآخر: «**الإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ**» إلىٰ آخره.

فأصل الإسلام وقاعدته، وأصل الدين وقاعدته: هو توحيد الله، والإخلاص له قبل كل شيء، وترك الإشراك به ﷻ، هذا هو قاعدة الإسلام وأصله وأساس الملة أن تكون العبادة كلها لله وحده، وأن يبتعد عن الإشراك به ﷻ، وهذا هو الذي بعث الله به جميع الرسل، وأنزل به جميع الكتب؛ كما قال ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر ﵄؛ أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم؛ لقوله ﷻ: ﴿قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ﴾ [الفرقان: ٧٧]، برقم (٨)؛ ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، برقم (١٦).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﵁، أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، برقم (٥٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله ﷻ، برقم (٩).

ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]؛ أي: وحِّدوا الله، واجتنبوا الطاغوت؛ **يعني**: اتركوا عبادة الطاغوت، والطاغوت كل ما عُبد من دون الله؛ قال ـ سبحانه ـ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

هكذا الرسل جميعًا بدؤوا بهذا الأصل: توحيد الله، والإخلاص له، والإيمان بالرسول الذي بُعث إليهم، فنوح بدأ قومه بذلك علىٰ أن يعبدوا الله وحده، ويصدِّقوا نوحًا ـ عليه الصلاة والسلام ـ هكذا قوم هود؛ بدأهم نبيهم هود بذلك: أن يعبدوا الله ويصدِّقوا نبيهم هود، ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهكذا ثمود، بدأهم نبيَّهم صالح بالدعوة إلىٰ توحيد الله، وتصديق من أُرسل إليهم، وهو صالح، ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهكذا إبراهيم ولوط ومن بعدهم: موسىٰ وهارون وداود وسليمان، وغيرهم كلهم بدؤوا الأمم بالدعوة إلىٰ توحيد الله، والإخلاص له، والإيمان بالرسول المبعوث إليهم، ثم بعث الله نبيه محمدًا ـ عليه الصلاة والسلام ـ الذي هو أفضل الرسل وإمامهم، وهو خاتمهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعثه الله بهذا الأمر الذي بعث به إخوانه قبله؛ هو توحيد الله، والإخلاص له، وأمرهم بهذا قبل كل شيء: بأن يعبدوا الله وحده، ويصدِّقوا نبيَّهم محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقد بدأهم بالتوحيد فقال: يا قوم، قولوا: لا إله إلا الله تُفلحوا[1]، فاستنكروا ذلك؛ لأنهم لم يعتادوا هذا التوحيد؛ لأن طريقتهم وطريقة آبائهم دعوة الأنبياء والأولياء وعبادتهم من دون الله؛ فلهذا استنكروا هذا الأمر، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، ذكر الله عنهم

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» من حديث ربيعة بن عباد الديلمي ٣/ ٣٩٢، ٤/ ٦٣ و٤/ ٣٢١، والحاكم في «المستدرك» في كتاب الأيمان ١/ ٦١ برقم ٣٩، والدارقطني في كتاب البيوع ٢/ ٦٣٩ برقم ٢٩٤٤، وابن حبان برقم ٦٥٦٢، والبيهقي في «الكبرىٰ» ٦/ ٣٤، باب جدار السلم الحال برقم (١١٢٦٩).

أيضًا في سورة الصافات قولهم: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٦]؛ فاستنكروا هذا الأمر، واستغربوه، وأبوْا، وعاندوا، مع أنه الحق، مع أنه الذي فطر الله عليه العباد، مع أنه بعث الله به الرسل جميعًا، وأنزل به الكتب، ولكن القوم عاشوا علىٰ غيره، عاشوا هم وآباؤهم علىٰ غيره، فلهذا استنكروا من دعاهم إليه، وهكذا العادات في كل زمان ومكان، تحارَب بها دعوة الرسل، ويحارَب بها الحق، فمن أجل ما ذكرنا بدأ الله ـ سبحانه ـ دعوة نبيه محمد ﷺ بالدعوة إلىٰ توحيد الله، وترك الإشراك به ﷻ.

وهذا هو معنىٰ لا إله إلا الله، فإن معناها: لا معبود بحق إلا الله؛ فهي تنفي العبادة بجميع أنواعها لغير الله كائنًا من كان، من الرسل وغيرهم، وتُثبت العبادة لله وحده؛ من دعاء، وخوف، ورجاء، وتوكل، وصلاة، وصوم، وغير ذلك، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].

ثم أمر بالإحسان بالوالدين ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأنعام: ١٥١]، وهذه في مواضع كثيرة؛ لأن حقهما عظيم، وهكذا عقوقهما من أعظم المنكرات، وقد قرنه الله بالشرك فيما جاءت به السُّنَّة، كما في الصحيحين من حديث أبي بكرة الثقفي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ**» ـ ثلاثًا كرَّرها ـ قلنا: بلىٰ يا رسولَ اللهِ، قال: «**الإِشْرَاكُ بِاللهِ وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ**»، وكان متَّكئًا، فجلسَ، فقالَ: «**أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ**»[1]؛ فجعل العقوق قرين الشرك، كما جعل البِرَّ قرين التوحيد، فعُلم بهذا عِظَم حق الوالدين، وعِظَم خطر عقوقهما، وجريمة عقوقهما.

ثم ذكر بعد ذلك النهي عن قتل الأولاد من أجل الفقر: ﴿وَلَا

(١) سبق تخريجه في ص٢١٤.

تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] كانت من عادات بعض الجاهليين القتل، قتل أولادهم خوف الفقر، فربما قتلوا بعض البنات خوف العار فوأدوها، كما ذكر الله ذلك عنهم في قوله ـ سبحانه ـ: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨ ـ ٩]؛ فأنكر الله عليهم ذلك، ونهاهم عن هذا الشيء.

ثم ذكر النهي عن الفواحش ظاهرها وباطنها، ثم ذكر ما هو من أفحش الفواحش، ومن أعظم الجرائم بعد الشرك، بل هو أعظمها، وهو قتل النفس بغير حق، وقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١]؛ هذه خمس مسائل: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١]؛ أي: لتعقلوا؛ «لعل»: للتعليل؛ **أي**: وصَّاكم بهذه الوصايا لتعقلوها وتفهموها، وتعملوا بها.

ثم قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأنعام: ١٥٢]؛ واليتيم من ذهب والده قبل بلوغه، يُقال له: يتيم، والأنثىٰ يتيمة، ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾؛ **يعني**: حتىٰ يبلغ الحلُم، وحتىٰ يزول السَّفَه، يكون رشيدًا.

﴿إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾؛ إلا بما ينفع اليتيم من التجارة في ماله وتصريفه فيما ينفعه.

ثم قال: ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، هذه السادسة والسابعة والثامنة: ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ [الأنعام: ١٥٢]؛ **يعني**: بالعدل؛ لأن بخس المكيال والميزان من أعظم الظلم، ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢]؛ **المعنىٰ**: أنه واجب علىٰ كل مؤمن أن يبذل وسعه في تحرِّي العدل، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

ثم أتي بالتاسعة: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢]؛ أوجب العدل في القول كما أوجبه في الفعل، فالعدل واجب في الأفعال والأقوال، مع القريب والبعيد، مع الحبيب والبغيض، مع الرئيس

والمرؤوس، مع كل أحد: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

ثم قال بعد ذلك، وهي العاشرة: ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟﴾ [الأنعام: ١٥٢]؛ **يعني**: أوفوا بما عهد الله إليكم من الأوامر والنواهي، والأخبار العظيمة النافعة، ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟﴾؛ **يعني**: أوفوا بما عهد الله إليكم من فعل أوامره، وترك نواهيه، والإخلاص له، والاستقامة علىٰ دينه، وهذه تعمُّ جميع ما جاء به الرسول ﷺ، ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ بما عهد إليكم من هذه الأمور وغيرها؛ من الصلوات والزكوات والصيام والحج والجهاد والمعاملات، بالعدل إلىٰ غير هذا، أمرهم بأن يوفوا بعهد الله الذي عهِده إليهم، وهذا واجب علىٰ جميع المكلَّفين: أن يوفوا بعهد الله الذي عهِده إليهم في أداء الفرائض، وترك المحارم، والوقوف عند الحدود التي حدَّها ﷻ: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢]؛ قال بعض أئمة التفسير: قال: تعقلون، ثم تذكرون؛ هذا للعباد ليتدبروا وينظروا، ويعقلوا ما أُوحي إليهم، ويتذكروا ما يجب عليهم، ويتذكروا الفوائد التي تحصل بهذا الشيء، فعند ذلك يتَّقون، وينتقلون من الذكرىٰ والتعقُّل إلىٰ العلم والاستقامة؛ ولهذا قال بعد ذلك: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾؛ والإنسان المكلَّف متىٰ تعقَّل الأمور، وتذكَّرها، ففهمها جيدًا، فإن العقل الذي أعطاه الله إياه، مع ما وعده به علىٰ الخير من الخير، وما توعده علىٰ الشر يتقيه، يتقي الله ـ جلَّ وعلا ـ عقلُه الذي أعطاه الله إياه، مع ما فهمه من الأوامر والنواهي، كل ذلك يلزمه بأن يتقِ الله فيما يأتي ويذر، ويخاف الله ويراقبه، فلا يدع مفروضًا، ولا يرتكب محظورًا.

وبعد هذه الأوامر والنواهي قال: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى﴾ [الأنعام: ١٥٣]؛ **يعني**: هذه الأوامر، هذه الأمور التي مرَّت، إنَّ هذا الذي ذكرته لكم، هذا الذي ذكره نبيي لكم: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ﴾ [الأنعام: ١٥١] هذا الذي ذكره الرسول إليكم من الأوامر والنواهي؛ هو صراط الله المستقيم،

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فأمر باتِّباع الصراط، والالتزام به، والسير عليه.

والصراط: هو الطريق الواضح، وقال: ﴿مُسۡتَقِيمٗا﴾؛ **يعني**: ليس فيه اعوجاج، بل هو طريق واضح مستقيم، ليس فيه اعوجاج، موصِلٌ من سلكه واستقام عليه إلىٰ دار السلام، إلىٰ شاطئ السلامة، ومن حاد عنه، فإنه ينتهي به ما سلكه إلىٰ النار، وإلىٰ سوء المصير، وإلىٰ غضب الله وعقابه؟

ثم قال بعد هذا: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]؛ وهي: البدع، والشُّبهات، والشهوات المحرَّمة، والمذاهب المنحرفة الباطلة، والنِّحَل المخالفة للحق، وسائر الأديان الباطلة؛ كلُّها سبل يجب الحذر منها، ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾؛ كل ما خالف أمر الله داخل في السبل: من مذهب باطل، من نحلة باطلة، من دين باطل؛ كاليهودية والنصرانية والبوذية وغير ذلك، كل ما خالف هذا الصراط الواضح الذي أمر الله بسلوكه، ودل رسوله ﷺ علىٰ ذلك، وأرشده إليه، وهكذا رسوله دل الناس علىٰ هذا الصراط، والواجب الالتزام، والواجب الاتِّباع، هو الذي يجب أن يُسار عليه، علىٰ جميع أهل الأرض، وما خالف ذلك هو من السبل التي نُهينا عنها، فكل دين يخالف شرع الله، وكل مذهب يخالف شرع الله، وكل شبهة تقف في الطريق، وكل شهوة محرمة، كل ذلك يجب الابتعاد عنه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣]؛ وَحَّدَ الصراط؛ لأنَّ الحق واحد، كما قال ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٧]؛ فالنور هو الحق، وهو واحد، والظلمات لا حدَّ لها، والصراط المستقيم واحد، وهو اتباع الرسول ﷺ، والسير علىٰ منهاجه في توحيد الله، والإخلاص له، وفي فعل الأوامر، وترك النواهي، والوقوف عند الحدود التي حدَّها الله ـ سبحانه ـ ورسوله، وما عدا ذلك وخالف ذلك؛ هو

السبل التي يجب الحذر منها والابتعاد عنها؛ لأنها تصدُّ عن سبيله، وتفرِّق الناس عن سبيله، وتجرُّهم إلىٰ دار الهوان.

وهذا الصراط ذكره الله في مواضعَ؛ من ذلك: ما في سورة الفاتحة؛ شرع الله لعباده أن يسألوا الهداية إليه؛ لأنهم في أشد الضرورة إلىٰ هذا الصراط العظيم، فقال ـ سبحانه ـ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٢ ـ ٥] ثم قال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]؛ **المعنىٰ**: قال: قولوا، هذا المعنىٰ، أنه أمرهم بهذا، بأن يحمدوه، وأن يقولوا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، ثم يقولوا: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾؛ هذا الصراط المستقيم هو صراط الله الذي أمر بالتزامه واتِّباعه، والسير عليه، وهو عِلم وعمل: علم بالحق وعمل به، وهو طريق المنعَم عليهم: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]؛ فسَّره بأنه طريق المنعَم عليهم، وهم أهل العلم والعمل؛ **يعني**: الذين عرفوا الحق واستقاموا عليه، وهم الرسل وأتباعهم، وهم المذكورون في قوله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]؛ هؤلاء المنعَم عليهم، هؤلاء هم أصحاب الصراط المستقيم، بخلاف المغضوب عليهم والضالين؛ فإنهم أصحاب الجحيم، طريقهم طريق الغضب والضلال، يجب الحذر منه، وهو داخل السبل، طريق اليهود المغضوب عليهم؛ لأنهم عرفوا ولم يعملوا، فاستحقُّوا الغضب من الله، والنصارىٰ ضلوا عن السبيل، فعليهم نصيبهم من غضب الله، وعليهم نصيبهم من الضلال؛ لأنه يغلب عليهم الجهل، وإن كان عند بعضهم علم، فلهم نصيبهم من غضب الله، الذي أعطاه اليهود وأنزله باليهود، ولهم مع ذلك نصيبهم من الضلالة، وهي الغالبة عليهم، نسأل الله العافية.

فمن سلك الطريق القويم عن عِلم وعمل، فهو المنعَم عليه، وهو

من أصحاب الصراط المستقيم، ومن حاد عن ذلك في اتِّباع الهوىٰ، فهو من أصحاب الجحيم، ومن أتباع اليهود وأشباههم، ومن حاد عن ضلالة، وعن إعراض، وعن غفلة، وعن قلة مبالاة؛ فهو من أصحاب النصارىٰ، ومن أشباه النصارىٰ، فهو مغلوب عليه، وهو إلىٰ طريق الجحيم، نسأل الله العافية.

وقد قال الله ـ جلَّ وعلا ـ في وصف نبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ في سورة الشورىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورىٰ: ٥٢ ـ ٥٣]؛ هذا النبي العظيم بعثه الله يهدي إلىٰ هذا الصراط، ويدعو إليه، ويرشد إليه قولًا وعملًا وعقيدةً؛ فقولُه يدعو إليه، وعمله يدعو إليه، وما وضَّحه للأمة من عقيدة صالحة هي أصل الصراط المستقيم، وهي أساس الصراط المستقيم.

فوجب علىٰ جميع المكلَّفين الالتزام بهذا الصراط، وإنما يتم هذا بالاعتصام بكتاب الله، وسُنَّة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ هذا هو الموصل إلىٰ هذا الصراط، والتمسُّك بكتاب الله، والالتزام به قولًا وعملًا واعتقادًا، وهكذا بالسُّنَّة المطهَّرة الصحيحة عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ من تمسَّك بهما، واستقام عليهما، فقد سلك الصراط المستقيم، وقد بيَّن الله ﷻ في كتابه العظيم أن سلوك هذا الصراط هو الحياة، وهو النور، وهو الهدىٰ، ومن حاد عن ذلك، فإلىٰ الظُّلمة والهلاك والشقاء والموت.

فالاستقامة علىٰ صراط الله والعمل به والسير عليه عن علم وعمل وعقيدة، هذه هي الحياة الطيِّبة السعيدة؛ قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]؛ فبيَّن أن ما دعا له الرسول هو الحياة، وكما أن ما دعا إليه الربُّ في كتابه العظيم هو الحياة، فإن الرسول ﷺ هو المبلِّغُ عن الله؛ فدعوة الرسول ﷺ دعوة من الله ﷻ؛ لأنه أُمر أن يبلِّغ ذلك، فما دعا إليه الله ورسوله هو الحياة؛

والسير إليه هي طريق الحياة السعيدة، الحياة الكريمة في الدنيا والآخرة، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]؛ فبيّن ـ سبحانه ـ أنه الكافر ميت، وأنه في الظلمات، ليس بخارج منها لعدم الالتزام بهذا الصراط، وعدم أخذه به، فهو في موت وجهالة، وفي عمًىٰ وضلال، فطريق الحياة وطريق السعادة والنور بالالتزام بطريق الله وصراطه المستقيم، والسير عليه، فمن استقام علىٰ دين الله، وثبت عليه عن علم وبصيرة، فقد رزقه الله الحياة السعيدة والنور العظيم الذي يخرجه من الظلمات، وقال ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]؛ فبين ـ سبحانه ـ أنه من عمل الصالحات عن إيمان، والتزم بالحق، فإن الله يحييه حياة طيبة، وهذا هو الصراط المستقيم: العمل الصالح عن إيمان، وعن إخلاص، وعن توحيد، وعن تصديق، هو الصراط المستقيم، فمن سلك هذا الصراط في علمه وعمله عن إيمان، وعن إخلاص، وعن صدق، أحياه الله حياة طيبة، التي فيها راحة الضمير، نعيم الروح، طمأنينة القلب شعوره بالسعادة، شعوره بأسباب النجاح إلىٰ أن يموت علىٰ ذلك، ثم إلىٰ الحياة الأخلد.

ولهذا قال بعده: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]؛ حياة عادلة طيبة؛ لأنها عن إيمان، وعن إخلاص، وعن صدق، وعن بصيرة، وبعد ذلك حياة أكمل في دار النعيم؛ يجزيه الله في ذلك بأحسن ما كان يعمل فضلًا منه وإحسانًا سبحانه وتعالى.

وقال في سورة الشورىٰ سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الشورىٰ: ٥٢]؛ فجعل وحيه إلىٰ نبيه ﷺ روحًا تُحصَّل به الحياة السعيدة، وجعله نورًا تحصل به الهداية والبصيرة، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد

﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورىٰ: ٥٢]، وهو هذا الوحي الكتاب العزيز والسُّنَّة المطهَّرة. هذا الوحي هو الصراط المستقيم، هو الروح، هذا الصراط المستقيم الذي هو الالتزام والاعتصام بكتاب الله وسُنَّة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ هذا هو الروح، مَنْ فقده فقدَ الروح، فهو مع الأموات، وإن مشىٰ مع الأحياء، وسار مع الأحياء كما تسير البهائم، ولكن فاقد الروح فاقد الحياة لعدم إيمانه وتقواه، وعدم سلوكه لهذا الصراط المستقيم، فهو ميت مع الأموات، كما سبق في قوله ـ سبحانه ـ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، ومن أعطاه الله هذا النور، نور الوحي، نورَ الكتاب والسُّنَّة، حصلت له الهداية إلىٰ هذا الصراط والبصيرة بكلِّ ما أمر الله به ورسوله.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورىٰ: ٥٢]؛ **يعني**: من وحينا، ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورىٰ: ٥٢]؛ **يعني**: قبل نزوله، ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا﴾ [الشورىٰ: ٥٢]؛ **يعني**: هذا الوحي جعله الله نورًا، ﴿نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ: ٥٢]؛ هو الهادي ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلىٰ الصراط المستقيم، الدالُّ عليه، المرشد المعلم الموجه، وهذه هداية البلاغ والبيان، كما في قوله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]؛ **أي**: هداية البلاغ والبيان، أما الهداية التي هي بمعنىٰ التوفيق، ونظام الحق، والإيثار له هذه بيد الله ﷻ لا يملكها أحد، وهي المذكورة في قوله ـ سبحانه ـ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وفي قوله ـ سبحانه ـ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦].

وهذه يقال لها هداية التوفيق، هداية إيثار الحق علىٰ غيره، والرضا به، هذا بيد الله ـ جلَّ وعلا ـ أما البلاغ والبيان والدلالة والإرشاد؛ هذه بيد الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وبيد أتباعهم من العلماء والدعاة

إلىٰ الخير، هم هُداةٌ، لكن هُداة بلاغ، هُداة بيان. أما الهُدىٰ الذي يترتب عليه رضا القلب وقبوله للحق، والطمأنينة إليه، والرضا به، وإيثاره علىٰ ما سواه؛ هذه بيد الله ﷻ، وليست بيد المخلوقين.

فعلىٰ المؤمن وعلىٰ العاقل أن يسأل ربَّه الهداية دائمًا، ويضْرَع إليه في أن يهدي قلبه لقبول الحق، وأن يعينه علىٰ إيثاره علىٰ ما سواه والرضا به، وأن يهديه سواء السبيل، وأن يعيذه من طاعة الهوىٰ والشيطان، وقد أمر الله في كتابه العظيم بالالتزام بكتابه في آيات، وأمر بالالتزام بطاعته وطاعة الرسول في آيات ليستقيم عليه المؤمن ويتذكَّرها، كما في قوله ـ سبحانه ـ: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]، قال ﷻ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، قال ـ سبحانه ـ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] قال ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

في آيات كثيرات بيّن فيها ما دل عليه كتابه وما يهدىٰ إليه، وأمر العباد بالالتزام به واتِّباعه، والسير عليه، وهكذا أمر بطاعته وطاعة رسوله في آيات كثيرات كما في قوله ـ سبحانه ـ في سورة النساء، لما ذكر الفرائض والمواريث، قال: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٣ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [النساء: ١٣ ـ ١٤]، وقال أيضًا في سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، فأمر بطاعته ـ سبحانه ـ وطاعة كتابه العظيم وطاعة رسوله محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقال في سورة النساء أيضًا: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ [النساء: ٨٠]؛

فطاعة الرسول طاعة لله ﷻ، وطاعة الله ورسوله هي الصراط المستقيم، هي الهدىٰ ودين الحق، هي العلم النافع، والعمل الصالح.

ثم بيّن ـ جلَّ وعلا ـ أن الواجب علىٰ الناس عند التنازع، أن يردوا ما تنازعوا فيه إلىٰ الله والرسول، إلىٰ الكتاب العظيم، وإلىٰ الرسول في حياته، وإلىٰ سُنَّته بعد وفاته ـ عليه الصلاة والسلام ـ هذا خير لهم وأحسن عاقبة، أخبر رسول الله ﷺ أن هذا خير لهم في الدنيا والآخرة، وأنه أحسن تأويلًا؛ **يعني**: عاقبه في الدنيا والآخرة، وقال ﷻ في سورة الأنفال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠]؛ فأمرهم بطاعته وطاعة رسوله، ونهىٰ عن التولي عنه، هذا هو واجب الجميع أينما كانوا، أن يطيعوا الله ورسوله أينما كانوا: فيما أحبُّوا وكرهوا، في الشدة والرخاء، في جميع الأحوال، وقال في سورة النور: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤] وجعل الهداية في اتِّباعه وطاعته، عليه الصلاة والسلام.

وقال في سورة الأعراف: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]؛ فجعل أنصاره وأتباعه أهلَ الفلاح دون غيرهم، أتباع الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأنصاره هم المفلحون، هم السعداء، ثم قال بعده: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨] فجعل الهداية في اتِّباعه وفي طاعته، عليه الصلاة والسلام.

فوجب علىٰ جميع المكلَّفين أن يطيعوه ويتبعوه، وهذا في الحقيقة طاعة لله واتِّباع لكتابه؛ فإن من اتَّبع الرسول، فقد اتَّبع الكتاب، ومن أطاع الرسول، فقد أطاع الله، فوجب علىٰ الجميع الالتزام بذلك، وهذا هو الصراط المستقيم.

وقال في آخر سورة النور: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، فحذَّرهم من مخالفة أمر الرسول ﷺ، وبيّن أن من يحيد عن أمر الرسول ﷺ فهو علىٰ خطر أن تصيبه فتنة في دينه فيشرك، أو يصيبه عذاب أليم، نسأل الله العافية، فدل ذلك علىٰ أن اتِّباعه فرض، وأن طاعته فرض، وأن الحَيْدة عن ذلك من أسباب الهلاك والزيغ، وقال في سورة الحشر: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة، كلها تدل علىٰ وجوب طاعة الله ورسوله، وعلىٰ وجوب التمسك بكتاب الله، وهذا هو الصراط المستقيم الذي يجب السير عليه، والاستقامة عليه، والحذر مما خالفه، فمن أراد السعادة والسلامة والنجاة في الدنيا والآخرة، فعليه بالالتزام بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ وطاعتهما، والسير علىٰ ضوئهما وهدايتهما، وجب عليه أيضًا تحكيمهما في كل شيء، والحذر مما خالفهما، ويجب عليه - مع هذا - أن يحذِّر الناس من ذلك، هذه الدعوة أن يحذِّر الناس مما يخالف كتاب الرب - جلَّ وعلا - وسُنَّة رسوله - عليه الصلاة والسلام - هذا هو طريق السعادة وطريق النجاة في الدنيا والآخرة.

وأسأل الله بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العُلىٰ أن يوفقنا وإياكم بالعلم النافع والعمل الصالح، وأن يهدَينا جميعًا صراطه المستقيم، وأن ينصر دينه، ويعليَ كلمته، وأن يوفق حكام المسلمين وعلماءهم في كل ما فيه رضاه، ولكل ما فيه صلاح العباد والبلاد، وأن يوفق جميع المسلمين في كل مكان لاتِّباع شريعته وتعظيمها، والسير عليها، والحذر مما يخالفها. كما نسأله ﷻ أن يصلح قادتهم، وأن يولِّي عليهم خيارهم، وأن يوفق حكام المسلمين في كل مكان للالتزام بشريعة الله وتحكيمها، والتحاكم إليها، والحذر مما خالفها، إنه ﷻ جواد كريم، والحمد لله رب العالمين، وصلَّىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه، وأتباعه بإحسان.

الأسئلة[1]

س١: ما مدىٰ صحة هذين الحديثين: «اقْرَؤوا ﴿يسٓ﴾ عَلَىٰ مَوْتَاكُمْ؟» وهل تُقرأ علىٰ المحتضر؟

ج: هذا الحديث قد نبَّه العلماء علىٰ أنه غير صحيح؛ لأنه من رواية أبي عثمان عن معقِل بن يسار، فظن بعض الناس أنه أبو عثمان النهدي، فصححوه؛ كابن حبان، وانتبه له آخرون، وأنه شخص مجهول، رواه عن أبيه عن معقل، فضعَّفوه، والمعتمد به أنه ضعيف، ولكن لا مانع من قراءة القرآن علىٰ المحتضر الذي لم يمت؛ لأنه قد يستفيد من ذلك، ولهذا استحب جماعة من العلماء قراءة ﴿يسٓ﴾ علىٰ المحتضر ظنًّا منهم صحةَ هذا الحديث، فإذا قُرِئ علىٰ المحتضر ليستفيد من ذلك، فلا بأس بذلك، أو قُرئت آيات أخرىٰ من كتاب الله لا بأس، لكن الحديث ضعيف.

س٢: إن الله لا يقبل صلاة رجل مسبل، مع أن بعض الناس يُسبل إزاره، ويقول: أنا لا أُسبله خُيلاء، والأعمال بالنيات؟

ج: الحديث في هذا ضعيف، وليس كما ذكر النووي في «رياض الصالحين» أنه صحيح، ووهم في هذا، والحديث ليس فيه أن الرسول ﷺ أمره بالإعادة، إنما أمره بإعادة الوضوء، ثم سكت عنه، ولم يأمره بالإعادة، والحديث ضعيف؛ لأنه من رواية يحيىٰ بن أبي كثير بالعنعنة

---

(١) عقب المحاضرة وجِّهت هذه الأسئلة من الحضور، تفضل سماحته بالإجابة عنها، نوردها هنا لتمام الفائدة.

عن أبي جعفر، مجهول، وهو ضعيف من جهة العنعنة التي عُرف بها من جهة التدليس، الذي عرف به يحيىٰ بالعنعنة، ومن جهة الرجل الذي هو شيخه، مجهول عند جَمْعٍ من المحققين، لم يُعرف بالعدالة، والمقصود أنه ضعيف، ولو صح فليس فيه أمر بالإعادة، وإنما فيه الزجر علىٰ الإسبال.

والإسبالُ محرَّم في الصلاة وخارجها، فليس للمؤمن أن يسبل ثيابه، ولو زعم أنه ما أراد التكبر، إذا أراد التكبر صار الإثم أعظم، فالرسول ﷺ نهىٰ عن الإسبال مطلقا، حيث قال ﷺ: «**مَا أَسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ مِنَ الإِزَارِ، فَفِي النَّارِ**» رواه البخاري في «الصحيح»[1]، وقال لجابر بن سُليم: «**إِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الإِزَارِ؛ فَإِنَّهَا مِنَ المَخْيَلَةِ**»[2]؛ **يعني**: من الكبر، فجعل مجرد الإسبال من المَخْيَلَة، وقال ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**» قال: فقرأها رسولُ اللهِ ﷺ ثلاثَ مرارٍ، قال أبو ذَرٍّ: خابوا وخسروا! من هم يا رسولَ اللهِ؟ قال: «**المُسْبِلُ، وَالمَنَّانُ، وَالمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالحَلِفِ الكَاذِبِ**». رواه مسلم في «الصحيح» من حديث أبي ذر[3]، فلم يشترط التكبُّر ثم هذا الإسبال إسراف، وتعريض الملابس للوسخ والنجاسة، فهو منكَر من جميع الوجوه في حق الرجل، أما المرأة يُشرع لها الإسبال حتىٰ تغطي أقدامها.

---

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب اللباس، باب ما أسفلَ من الكعبينِ فهوَ في النّارِ، برقم (٥٧٨٧).

(٢) أخرجه أبو داود من حديث جابر بن سُليم ﷺ، في كتاب اللباس، باب ما جاء في إسبال الإزار، برقم (٤٠٨٤)، والإمام أحمد في مسنده ٥/ ٦٣ و٦٤، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه من حديث أبي ذر ﷺ في كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف وبيان الثلاثة، برقم (١٠٦).

س٣: ما رأيك في كتاب «الروح» لابن القيم؟

ج: أنا قرأت بعضه، ولم أقره كلَّه، وقرأت منه بعض الشيء، وذكر لي جماعة من المشايخ أن فيه أشياءَ محلُّ نظر، ولعله ألَّفه في أول حياته، قبل أن يتمكن من التحقيق الذي حصده بسبب صحبته لشيخ الإسلام ابن تيمية، وبسبب إقباله علىٰ الكتاب والسُّنَّة، أنا ما قرأته كله، ولكن أخبرني جماعة من المشايخ أن فيه أشياء محل نظر، وطالب العلم ينظر في الأدلة، ولا يهمه قول المؤلف فلان أو فلان، فإن الحق لا يُعرف بالرجال، إنما الرجال يعرفون بالحق، ومتىٰ ظهر الحق في كلام أحد وجب قبوله.

س٤: ما حكم من ذهب إلىٰ من يستعين بالجن في علاجه للمرضىٰ؟

ج: لا يجوز الذهاب إلىٰ المشعوذين وخُدَّام الجن؛ لا للسؤال ولا للتصديق، يقول النبي ﷺ: «**مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا، فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**» رواه مسلم في «الصحيح»[(١)]، وفي حديث معاوية بن الحكم أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا تَأْتُوا الكُهَّانَ**»[(٢)].

فَلا يُؤتَوْن، ولا يُسألون، وتصديقهم أكبر من الخطأ كما في الحديث الآخر: «**مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ**»[(٣)]، ﷺ؛ فسؤالهم منكر، وتصديقهم أشدُّ نكارة، وأعظم جرمًا.

س٥: ما حكم أن تأخذ المرأة الشيءَ من شعرها في غير حج أو عمرة؟

---

(١) أخرجه من حديث صفية ﵂ في كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، برقم (٢٢٣٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» من حديث معاويةَ بنِ الحكمِ السُّلميِّ ٥/ ٤٤٧.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» من حديث أبي هريرة ﵁ ٢/ ٤٢٩.

ج: لا بأس أن تخفف من شعر الرأس، لا بأس تخفف إذا كان تخفيف أو شيء تتفق به مع زوجها، ليس فيه مشابهة الكفارات ولا للرجال، إنما هو للتخفيف فلا بأس، قد ثبت أن أزواج النبي ﷺ بعد وفاته قصَّرن من رؤوسهن؛ **يعني**: قطعن منها بعض الشيء للتخفيف.

س٦: ما حكم «صدق الله العظيم» التي يقرأها بعض الإخوة بعد نهاية التلاوة؟

ج: هذا لا نعلم لها أصلًا، تركُها هو الذي ينبغي، أما إذا قالها بعضَ الأحيان بغير قصد، ولا استمرار، فالأمر سهل؛ لأنه هو الصادق في كل شيء ﷻ، لكن اتخاذها عادةً بعد كل تلاوة، هذا لا نعلم له أصلًا، ويفضي بأهله إلىٰ أن يتخذها سُنَّةً، وربما قرؤوها في الصلاة كقراءة الصلاة، يظن أنها سُنّة.

س٧: هنا أسئلة عن الصور والتصوير في الحفلات وفي غيرها؟

ج: أصل التصوير أنه محرَّم، هذا هو الأصل؛ لأن الرسول ﷺ: **«لَعَنَ النَّامِصَةِ وَالمُتَنَمِّصَةَ، وَالوَاشِمَةَ وَالمُسْتَوْشِمَةَ، وَالمُصَوِّرِين»** رواه البخاري من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه[(١)]، وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ المُصَوِّرُونَ»**[(٢)]، وقال أيضًا ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يَوْمَ القِيَامَةِ يُعَذَّبُونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»**[(٣)] إلىٰ غير ذلك مما جاء في الأحاديث.

---

(١) أخرجه في كتاب اللباس، باب من لعن المصور، برقم (٥٩٦٢)، وليس فيه لفظ النامصة والمتنمصة؛ فقد وردت هذه اللفظة في حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب عذاب المصورين يوم القيامة، برقم (٥٩٥٠)، ومسلم في كتاب اللباس، والزينة باب تحريم تصوير صور الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه، برقم (٢١٠٩).

(٣) متفق عليه عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم، منهم عائشة رضي الله عنها. أخرجه البخاري في كتاب =

فلهذا أخذ العلماء من ذلك تحريمَ التصوير، والمجسَّم مجمَعٌ عليه، ما له ظِلّ، هذا بالإجماع.

وقد تنازع العلماء فيما لا ظِلَّ له؛ كالصور في القرطاس والخِرَق وأشباه ذلك، والجمهور علىٰ تحريم ذلك أيضًا؛ لعموم الأحاديث ودلالته علىٰ المنع، وهذا هو الصواب، دلالة الحديث عامة، لكن يُستثنىٰ من ذلك ما تدعو الضرورة إليه؛ كتصوير المجرمين لمحاربتهم ومطاردتهم، حتىٰ يُحال بينهم وبين الأذىٰ للمسلمين، وهكذا ما تدعو الضرورة إليه من جهة التصوير؛ كتصوير ما يكون من الأمراض الخاصة التي يريد الأطباء أن يعرفوها في بعض الموتىٰ، وكذلك ما يتعلق بصورة الإنسان إذا طلب تابعية، أو حُرِمَ من الدراسة إلا بصورة للضرورات، والحاجات التي تُشبه الإكراه، فإذا كان لا يُعطىٰ تابعيه (حفيظة نفوس)، أو شهادة علمية إلا بصورة، فهذا يعتبر من الإكراه، أو من باب الضرورة.

وقد كنت فيما مضىٰ أعتقد أن عندي توقف فيما يتعلق بالصور في جهاز التلفاز التي تنقل فيه الصور، صور المحاضرات والندوات، وكنت أتحرَّج من ذلك، ولا أرضىٰ بوجود تلك وقت إلقاء المحاضرة، ثم بدا لي أن أخذ ذلك للمصلحة العامة للمسلمين؛ حتىٰ يستفيدوا من الندوة أو المحاضرة التي تُلقىٰ بواسطة التلفاز، أنها يعم نفعها أكثر، فإذا جاز التصوير في التابعية ونحوها، وهي مصلحة فردية، حاجة فردية، فكيف بالحاجات التي يعمُّ نفعُها، والمصالح التي يعم نفعها؛ هذا مما قوَّىٰ عندي عدم التشديد في منع تصوير الندوات والمحاضرات التي يعم نفعها

= البيوع، باب التجارة فيما يكره لبسه للرجال والنساء، برقم (٢١٠٥)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالرش ونحوه، برقم (٢١٠٧)، وأخرجاه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ البخاري في كتاب اللباس، باب عذاب المصورين يوم القيامة، برقم (٥٩٥١)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة في الباب السابق، برقم (٢١٠٨).

للمسلمين، فيما يُلقىٰ من طريق التلفاز ونحوه، هذا هو وجه عدم المنع في هذا، وعدم التوقف عنه، وللمسألة مجال آخر من جهة المنع، ولكن الأقرب عندي الآن، والأظهر عندي أن ما كان يتعلق بالمصلحة العامة أعظم وأكبر مما يتعلق بالمصلحة الفردية في تابعية ونحوها، نسأل الله للجميع التوفيق.

س٨: ما حكم سماع أصوات الجن في الشريط المسجل؟

ج: ما نعلم فيها شيئًا، أصوات الجن ما نعلم فيها شيئًا؛ لأن الذي يعالج الجن ويقرأ علىٰ مصروعين قد يسمع أصوات، وقد يخاطب، وهذا أمر واقع؛ فإنه يكلمه: من وين جئت، وما أسباب تلبُّسك بهذا الشخص؟ فيتكلم الجني، يقول: أنا جئت من كذا، وفعلت في كذا، وفعل بي كذا، لكن ما ينبغي أن يقال هذا عند الصغار؛ أو عند الناس الذين قد يخجلون، قد يصيبهم خوف ورعب، ينبغي التوقف من هذا الشيء، إنما يسمعهم من لا يتأثر بهذا، كالذين يقرؤون علىٰ المصروعين، وكالرجال الذين لا يهمهم هذا الشيء إذا سمعوا، أما كون يسمع عند الصغار، من لا يفهم، ولا يعقل، قد يتأثر بهذا في نومه وفي حاجاته الأخرىٰ؛ فينبغي أن لا يسمع مثل هذا للصغار ونحوهم.

س٩: ما حكم المولد؟

ج: هذا كتبنا فيه غير مرة كتاباتٍ كثيرةً، وكتب فيه غيرنا؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية، والشاطبي وآخرين، كتبوا بهذا، وبينوا أنه بدعة، فالاحتفال بالموالد بدعة بلا شك، والنصوص واضحة بهذا، ولم يحتفل الرسول ﷺ بمولده، ولم يأمر به، ولم يأذن فيه، ولم يفعله أصحابه الكرام، وهم أكمل الناس إيمانًا، وأكملهم محبةً للنبي ﷺ، وأعلم الناس بشرعه، وهكذا التابعون وأتباع التابعين، جميع القرون المفضَّلة لم يفعلوا هذا، لم يفعلوه، ولم يأذنوا فيه، ولم يوجد في زمانهم، وإنما حدث في المائة الرابعة من الرافضة الفاطميين، ثم شاع بعد ذلك، فإحياء الاحتفال

بالموالد أصله جاء من طريق الرافضة، كما جاء من طريقهم بناء القبور في المساجد، واتخاذ القباب عليها، والغلو في الأموات، ثم تابَعهم كثير من أهل السُّنَّة في هذا الباطل، نسأل الله العافية والسلامة.

ثم الموالد مع كونها بدعةً في الغالب، يقع فيها شركيات، مع كونه بدعة يجب تركُها، كما قال النبي ﷺ: **«مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ ردٌّ»**[١]، وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فهُوَ رَدٌّ»**[٢] وهكذا قوله ﷺ في خطبه الجمعة؟ **«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الهُدَىٰ هُدَىٰ مُحَمَّد، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»**[٣].

مع هذه الأحاديث الدالة علىٰ أن الاحتفالات هذه بدعة، والذين هم يحتفلون يقصدون التقرُّبَ، ما قصدوا اللعب باحتفالاتهم، إنما قصدوا التقرب إلىٰ الله، وأنها عبادة، ولهذا صارت بدعةً، فهم لما قصدوا العبادة، صاروا متشبِّهين بأعداء الله؛ اليهود والنصارىٰ بأعيادهم، فهم بين التشبه بأعداء الله وبين إحداث في الدين؛ فقد جمعوا بين الأمرين؟ بين إحداث البدع وبين التشبُّه بأعداء الله في الموالد التي فعلها النصارىٰ واليهود بأنبيائهم وغير أنبيائهم.

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا في كتاب الاعتصام، باب إذا اجتهدَ العاملُ أو الحاكمُ فأخطأَ خلافَ الرّسولِ منْ غيرِ عِلمٍ فحكمهُ مردودٌ؛ لقولِ النّبيّ ﷺ: **«مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ ردٌّ»**.
وقد وصله مسلم في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور برقم (١٧١٨).

(٢) أخرجه البخاري من حديث عائشة ﵂ في كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا علىٰ صلحِ جورٍ فالصّلح مردود، برقم (٢٦٩٧)، ومسلم في كتاب الأقضية، باب نقضِ الأحكام الباطلةِ وردّ محدثات، برقم (١٧١٨).

(٣) أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله ﵄ في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، برقم (٨٦٧).

ولهذا الواجب علىٰ جميع المسلمين الحذر منها، ولا يغتر بكثرة وجودها بين الناس، فينبغي للعاقل أن لا يغترَّ بأنها وُجدت في كذا، أو في كذا، أو في كذا، فالحق لا يثبُت بكلام الناس، ولا فِعْلِ الناس، الحق يُعرف بالأدلة الشرعية، والباطل كذلك بالأدلة الشرعية.

ثم هذا الاحتفال الذي قد يغلو فيه بعض الناس، ويدافعوا عنه؛ قد يقع فيه أشياء شركية، قد يقع المحتفلون في الشرك، فيدعون النبيَّ ﷺ أو غيره من أهل الموالد؛ كالبدوي أو عبد القادر، ويقول: يا سيدي فلان، يا رسول الله، أغثني يا رسول الله، انصُرني يا سيد البدوي، انصرني اشف مريضي يا سيدي عبد القادر، يا سيدي فلان؛ فيقع في الشرك الأكبر.

في هذا الاحتفال نفسه، وفي بعض البلدان قد يقع في ذلك أيضًا اختلاط بين النساء والرجال، قد يقع فيه شرب الخمور، قد يقع فيه شيء من الزنىٰ والمعاصي؛ فالاحتفالات هذه أنواع منوعة، أقلُّها أنها بدعة، أقل ما فيها إنها بدعة منكرة، هذا أقل ما فيها.

س١٠: هل يحق للمرأة المطلَّقة طلاق رجعي أن تؤدي مناسك الحج، ولو مع أحد محارمها؛ أي: بدون إذن زوجها؟

ج: هي لا تخرج من بيته، الواجب عليها لزومُ بيتها، كما قال الله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١]؛ المطلقة الرجعية تلزم بيتها، لعلَّ الله يحدث أمرًا في مراجعتها، فإذا أخرجها من البيت، ولم تكن في البيت، أو خرجت لأسباب اقتضت ذلك، فلا نعلم مانعًا من حجِّها، ولا من زيارة أهلها؛ كأقاربها ونحو ذلك؛ لأنها خرجت من المحل الذي أُمرت بالبقاء فيه.

س١١: هل ترك فرض من فرائض الإسلام الخمس تهاونًا، وليس عمدًا ينقض الشهادة، ويخلد في النار صاحبها؟

ج: هذا فيه تفصيل؛ ترك الشهادتين وعدم اعتقادهما: هذا كفر أكبرُ عند جميع العلماء، وهكذا الصلاة، إذا تركها عمدًا كفر علىٰ الصحيح في قوله ﷺ: «**العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ؛ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**» أخرجه الإمام أحمد، وأهل السُّنَن بإسناد صحيح[1]، وفي قوله ﷺ: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ**» رواه مسلم في «الصحيح»[2] في أحاديث أخرىٰ كثيرة؛ منها قوله ﷺ: «**رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ**»[3]، فإذا ذهب العمود ذهب الإسلام.

أما الزكاة والصيام والحج؛ ففي كفر من تركها خلاف، والأظهر أنه لا يكفر كفرًا أكبرَ؛ من ترك الصيام، أو الزكاة، فيكون عاصيًا معصيةً عظيمة، فيكون أتىٰ كبيرةً عظيمة، وجريمة عظيمة، وعليه أن يقضيَ ما ترك من الصيام، وعليه أن يؤدي الزكاة، وعليه أن يحجَّ، ولا يكفر بترك ذلك كفرًا أكبر، هذا هو الأقرب والأظهر.

س١٢: هل الهجرة في سبيل الله قائمة إلىٰ قيام الساعة، أم إنها محصورة بأيام الرسول ﷺ؟

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن بُريدة عن أبيه، في كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، برقم (٢٦٢١)، والنسائي في كتاب الصلاة، باب الحكم في تارك الصلاة، برقم (٤٦٣)، وابن ماجه في كتاب الصلاة، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة، برقم (١٠٧٩)، والإمام أحمد ٥/٣٤٦، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه من حديث جابر بن عبد الله ﷺ في كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر علىٰ من ترك الصلاة، برقم (٨٢).

(٣) أخرجه الترمذي من حديث معاذ بن جبل ﷺ، في كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، برقم (٢٦١٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في كتاب الفتن باب كف اللسان في الفتنة، برقم (٣٩٧٣)؛ والنسائي في «الكبرىٰ»، في كتاب التفسير، باب قوله تعالىٰ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦]، برقم (١١٣٩٤)، والإمام أحمد في «المسند» من حديث معاذ بن جبل ﷺ (٥/٢٣٧). والحديث صححه سماحة الشيخ ابن باز.

ج: لا؛ باقية إلىٰ قيام الساعة، كما جاء في الأحاديث الصحيحة، باقية إلىٰ قيام الساعة، يجب الهجرة من بلاد الشرك إلىٰ بلاد الإسلام مع القُدرة.

س١٣: هل يجوز حج الخادمة بدون محرم لها إذا كان لا يوجد لها محرم؟

ج: لا تحج إلا بمحرم، ليس للمرأة أن تحج إلا بمحرم، لقول النبي ﷺ: «**لَا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ**»[1].

لكن إذا كانت عند قوم يحجون، ولا يبقىٰ في البيت أحد، تحج معهم، لا تبقىٰ للخطر، تحج معهم؛ لأنها خادمتهم.

س١٤: ما حكم القول «بسم الله الرحمٰن الرحيم» في سورة التوبة؛ أي: في بدايتها؟

ج: غير مشروع؛ ينبغي عند قراءة «التوبة» أن يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ لأن الصحابة لم يقولوا «بسم الله الرحمٰن الرحيم»، لمَّا جمعوا المصحف؛ لأنهم لم يحفظوا أنه نزل بها تسمية، وظن عثمان أنها والأنفال سورة واحدة، فبهذا لم يكتبوا سطر «بسم الله الرحمٰن الرحيم»، فالأفضل اتِّباع الصحابة فيما فعلوا، فلا يقرأ أمامها «بسم الله الرحمٰن الرحيم»، ولكن يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، هذا هو المشروع، كما بينه أصحاب النبي، عليه الصلاة والسلام.

نسأل الله أن يوفق الجميع، ويصلح قلوبنا وأعمالنا جميعًا، وأن يمنحنا وإياكم الفقه في دينه، والثبات عليه، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد وعلىٰ آله وأصحابه.

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب في كمْ يقصرُ الصّلاة وسمَّىٰ النّبيّ ﷺ يومًا وليلةً سفرًا.
وكانَ ابن عمرَ وابن عبّاسٍ رضي الله عنهم يقصرانِ ويفطرانِ في أربعةِ بُرُدٍ وهيَ ستّةَ عشر فرسخًا، برقم (١٠٨٦ و١٠٨٧)، ومسلم في كتاب، الحج، باب سفرِ المرأةِ مع محرمٍ إلىٰ حجّ وغيرِهِ، برقم (١٣٣٨).

صلة السُّنَّة النبويَّة المطهَّرة بالقرآن الكريم، وحُكم من قال: لا حجية إلا في القرآن، وأنكر السُّنَّة، وماذا يجب في حقِّه(١)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ عبده ورسوله، وخِيرَته من خلقه، وأمينه علىٰ وحيه؛ نبيِّنا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله، وعلىٰ آله وأصحابه، ومن سلك سبيله. واهتدىٰ بهداه إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

فقد نبغت نابغة بين المسلمين، زعموا أن السُّنَّة ـ وهي أقوال النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأفعاله، وتقريراته ـ لا حُجِّيَّة فيها؛ **يعني**: لا يُحتجُّ بها علىٰ الأحكام، ولكن الحجة فقط في القرآن العظيم، وخالفوا بذلك ما أجمع عليه أهل السُّنَّة والجماعة، بل ما أجمع عليه المسلمون قاطبة، ولا سيما سلف الأمة من الصحابة ﷺ، ومن سلك سبيلهم.

وأول من نبغ بهذا الكلام الخوارج في العهد الأول، لما خرجوا علىٰ الصحابة، خرجوا علىٰ علي رضي الله عنه ومعاوية رضي الله عنه وكفَّروهم، وكفَّروا جمًّا غفيرًا من الصحابة، وحصل بينهم وبين الصحابة قتال، فقتلهم علي رضي الله عنه وأرضاه، بعدما أقام عليهم الحجة، وأوضح لهم الحق، فرجع

---

(١) محاضرة ألقاها سماحة الشيخ بجامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض. شريط رقم (٢٤٢٧).

منهم من رجع إلىٰ الحق والصواب، واستمر من استمر في كفره وضلاله وفي عناده للحق، فقاتلهم عليّ ﷺ وأرضاه.

والخوارج طائفة مارقة من الإسلام، أخبر النبي ﷺ عنهم أنهم يمرُقون من الإسلام، ثم لا يعودون إليه، وقد كفَّرهم جَمْعٌ من أهل العلم، من أهل الحديث وغيرهم، وتوقف آخرون في كفرهم، وظاهر الأحاديث الصحيحة المتواترة كفرُهم وضلالهم؛ لكونهم كفَّروا المسلمين بالذنوب، وقاتلوا أهل الإسلام، وتركوا أهل الأوثان، ومن ضلالهم وباطلهم إنكارُهم السُّنَّة، وعدم احتجاجهم إلا بالقرآن، ثم قُضي علىٰ هذه الفتنة، قضىٰ عليها أهل السُّنَّة والجماعة، قضىٰ عليها الصحابة ﷺ وأرضاهم.

ثم مضت السنون وتعاقبت الدهور، ثم نبغ في الناس أيضًا من قال بهذه المقالة، وقال: أنه لا حجِّيَّة إلا في القرآن، وأنكر السُّنَّة، وقال: أنه ينكر السُّنَّة القولية فقط دون الفعلية، وهناك آخرون شبَّهوا بهذه المقالات الخبيثة، وقد صنف أهل العلم في ذلك مصنفاتٍ، وكتبوا في هذا كلامًا كثيرًا؛ ولهذا رأيت أن تكون المحاضرة في هذه الليلة بهذا العنوان: (صلة السُّنَّة بالقرآن، وحكم من قال لا حجِّيَّة إلا في القرآن وأنكر السُّنَّة، وماذا يجب في حقِّه).

فقد دل كتاب الله الكريم، ودلت سُنَة رسوله الأمين ـ عليه الصلاة والسلام ـ ودل إجماع أهل العلم قاطبةً من الصحابة ومن بعدهم: أن السُّنَّة هي الأصل الثاني من أصول الإسلام في إثبات الأحكام؛ **فالأول**: الكتاب العزيز هو الأصل الأول، **ثم يليه الأصل الثاني**؛ وهو السُّنَّة الثابتة عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ فإنها حجَّة بإجماع أهل العلم، حجَّة في إثبات الأحكام، وبيان الحلال والحرام، وحجة في بيان تفسير كتاب الله ﷻ، ومراد الله من كلامه، سبحانه.

ثم أصل ثالث: إجماع أهل العلم، إجماع سلف الأمة، إجماعٌ قطعيٌّ، فهو حجة قاطعة.

هذه الأصول الثلاثة أجمع عليها علماء الإسلام، وأنكروا علىٰ من خالفها، وضلَّلوا، وحكموا علىٰ من أنكر السُّنَّة بأنه كافر وضالٌّ، وهناك أصول أخرىٰ يُجمع عليها أهل العلم؛ من القياس الصحيح المستوفي للشروط، فإنه حق.

وأصل رابع عند جمهور أهل الحق، عند جهور أهل السُّنَّة، وهناك أصول أخرىٰ مختلَفٌ فيها، لكن هذه الأصول الثلاثة: الكتاب العزيز، والسُّنَّة المطهرة الصحيحة، وإجماع أهل العلم، هذه حجة عند جميع أهل العلم، ومن أنكر السُّنَّة، وزعم أنه لا حجية فيها، وأن الحجة فقط مقصورة علىٰ القرآن، فقد خالف الكتاب والسُّنَّة، وقد كذَّب القرآن أيضًا؛ فإن القرآن الكريم قد دل علىٰ وجوب طاعة الرسول ﷺ، وعلىٰ وجوب الأخذ بما جاء عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأنه لا ينطق عن الهوىٰ، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤].

ومن أنكر السُّنَّة وزعم أنه لا حجية فيها، وإنما يُؤخَذ بالقرآن، فقد كذَّب القرآن، وكذب الله ﷻ، وأنكر ما أمر الله به، ودعا إليه عباده ﷻ، فيكون كافرًا ضالًّا، يقام عليه الحجة؛ فإن أبىٰ ولم يقنع بالحق، ولم يُذعن للحق، وجب علىٰ وُلاة الأمور، الذين هذا يُمكَّن في بلادهم، وجب عليهم قتلهُ؛ لأنه مرتد عن الإسلام، وقد قال النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الحديث الصحيح: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»[1]، فمن بدَّل دينه كذَّب الله ورسوله، أو أنكر ما أوجب الله ورسوله،

---

(١) أخرجه البخاري من حديث علي رضي الله عنه في كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله، برقم (٣٠١٧)، وفي كتاب استتابة المرتدين، باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم برقم (٦٩٢٢).

أو أحلَّ ما حرَّمه الله، ما هو معلوم من الدين بالضرورة، أو أوجب ما لم يوجب الله ـ جلَّ وعلا ـ إلىٰ غير ذلك، مما هو معلوم في كتاب: حكم المرتد.

فالذي ينكر السُّنَّة، ويزعم أنْ لا حجةَ فيها، يقال له: بماذا تعرف صلاتك؟ بماذا تعرف أحكام صيامك؟ بماذا تعرف أحكام حجك؟ بماذا تعرف أحكام الزكاة؟ بماذا تعرف تفصيل النكاح والطلاق والعِدد، وغير ذلك؟ كل هذه الأحكام جاءت في السُّنَّة، وضَّحتها السُّنَّة عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ؛ فالسُّنَّة قرينة القرآن، وهي المفسِّرة لِمَا في القرآن؛ فالسُّنَّة تُفسر القرآن الكريم، وتبيِّنه، وتدل عليه، وتعبِّر عنه، وتوضح مجملَه، وتخص ما عم، وتُقيِّد ما أطلق، ولهذا يقول الله ـ جلَّ وعلا ـ في كتابه الكريم: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

فأخبر الله ـ سبحانه ـ أن الرسول هو المبيِّن للناس؛ فلو كان كلامه لا يُتَّبع، وسُنَّتُه لا تُتَبع؛ كيف يكون البيان إذا كان لا يُطاع ولا يُحتج بكلامه؟ كيف يبين للناس والله يقول: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾؛ فهو مُبيِّن عن الله ـ جلَّ وعلا ـ وموضِّح لكلام ربِّنا ﷻ، وهو الشارح لما أراده الله ﷻ، وقال ﷻ أيضًا في سورة النحل: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤]؛ الله ـ جلَّ وعلا ـ أنزل علىٰ نبيِّه ﷺ الكتاب العزيز، وأنزل السُّنَّة ليبيّن للناس ما اختلفوا فيه؛ فهو مبيِّن لما اختلف فيه الناس من أحكام الله، وموضح للذكر الذي أنزله الله في الكتاب العزيز، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾، فهو مبيِّن عن الله ﷻ، وموضِّح لكلام الله ﷻ، والله جعل كتابه تبيانًا لكل شيء، وجعل نبيه ﷺ يبين ما أشكل من ذلك؛ فهذه الصلاة يقول ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [المزمل: ٢٠]؛ ولم يُبيِّن ﷻ عدد الركعات:

هذه صلاة الظهر، العصر، المغرب، العشاء، الفجر؛ فجاءت السُّنَّة عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ تبيِّن لنا أن الظهر أربع، والعصر أربع في حق المقيم، والمغرب ثلاث، والعشاء أربع في حق المقيم، والفجر اثنتان في حق الجميع، والمسافر يصلي الظهر اثنتين، والعصر اثنتين، والعشاء اثنتين؛ كل هذا من بيان النبي، عليه الصلاة والسلام.

الزكاة: أوجب الله علينا الزكاة ﷻ، ولم يبيِّن لنا الأنصبة التي يجب فيها الزكاة، فجاء الرسول ﷺ يبين لنا الأنصبة التي فيها الزكاة: نصاب الإبل، نصاب البقر، نصاب الغنم، نصاب الذهب، نصاب الفضة، نصاب الحبوب والثمار مَنْ بيَّنه؟ بينه الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ هو الذي بيَّن أحكام الزكاة، ونُصُب الزكاة.

كذلك أحكام الصيام جاء الرسول ﷺببيان أحكام الصيام ـ عليه الصلاة والسلام ـ وتفصيل ما يتعلق بالصيام.

وكذلك الحج، حج النبي ﷺ، وبين للناس أحكام الحج، من واجبات الحج، من أركان الحج، وما شرع الله في الحج.

وكذلك أحكام المعاملات: كيف يبيع؟ كيف يشتري؟ كيف يؤجر؟ كيف يُساقي؟ كيف يُزارع؟ سائر المعاملات بيَّنها الرسول ﷺ وأوضحها للناس، هكذا النكاح، والطلاق، تفاصيل أحكام النكاح، تفاصيل أحكام الطلاق، إلىٰ غير ذلك.

والمقصود: أن الله ـ جلَّ وعلا ـ جعل نبيَّه ﷺ مبينًا للناس، ومرشدًا للناس ـ عليه الصلاة والسلام ـ وموضحًا للناس أحكام الشريعة، يُفسر للناس كتاب الله ﷻ، ويوصل للناس ما أوحىٰ الله إليه من أحكام أخرىٰ غير مذكورة في كتاب الله ﷻ.

قال ﷻ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ [النساء: ١١]؛ فأجمل ﷻ في الآية، وجاءت السُّنَّة عن رسول الله

ـ عليه الصلاة والسلام ـ تبيِّن لنا أن المسلم لا يرث الكافر، والكافر لا يرث المسلم، فإذا مات إنسان عن أولاد، والميت مسلم، وبعض أولاده كفار، لم يرثوا منه؛ فالآية مطلقة: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]؛ فجاءت سنة الرسول ﷺ تبيِّن لنا أنه إذا كان بعض أولاده ليسوا علىٰ دينه لا يرثون، وهكذا زوجته؛ الله أباح نكاح المحصنات من أهل الكتاب، فإذا مات الزوج المسلم وزوجته؛ من أهل الكتاب لم ترث منه؛ لأن الرسول ﷺ قال: «لَا يَرِثُ المُسْلِمُ الكافِرَ، وَلَا الكَافِرُ المُسْلِمَ»[1]، هكذا أولاده، هكذا أبوه، هكذا أمه، كذلك الرقيق، جاءت السُّنَّة في بيانه أن الرقيق لا يرث من الحر، هكذا القاتل.

وهكذا قال الله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٤]؛ لما ذكر المحرَّمات في النكاح، وذكر المحصنات من النساء، إلا ما ملكت أيمانكم، قال: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾، فجاءت السُّنَّة تبيِّن لنا ما للمحصنات، وأنهن المزوَّجات المسبيَّات، الله أباح المسبية وإن كانت مزوجةٌ إذا سُبيت، ولي المسلمون علىٰ ذرية الكفار ونسائهم جاز لولي الأمر، بل يجب عليه أن يقسم الغنائم، ثم إذا جاء في قَسْمِ المسلم جاريةٌ، وأُعطي إياه، حلَّت له وإن كان لها زوج من الكفار، الذين سبينا نساءهم وذرياتهم، جاز له أن يتصل بها إذا استبرأها بحيضة إن كانت تحيض، أو بوضع الحمل إن كانت حاملًا، حلت للمسلم الذي كانت في قَسْمِه، وإن كان لها زوج من الكفار؛ لأن السبيَّة قُطع الصلة بينها وبين زوجها وصارت سبيةً، أعظم من الطلاق.

---

(١) متفق عليه من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح، برقم (٤٢٨٣)، بلفظ «لَا يَرِثِ الْمُؤْمِنُ الْكَافِرَ، وَلَا يَرِثِ الْكَافِرُ الْمُؤْمِنَ»، وفي كتاب الفرائض، باب لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم، برقم (٦٧٦٤)، ومسلم في كتاب الفرائض، حديث رقم (١٦١٤).

كذلك لم يذكر الله ﷻ تحريم الجمع بين المرأة وعمَّتها، والمرأة وخالتها؟ فجاءت السُّنَّة تبين للعباد أن الله حرم عليهم أن يجمعوا بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها، هذا مما جاءت به السُّنَّة عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولا يجمع الرجل بين المرأة وعمتها، ولا بين المرأة وخالتها، لا تنكح الصغرىٰ علىٰ الكبرىٰ، ولا الكبرىٰ علىٰ الصغرىٰ.

كذلك الرضاع؛ الله ـ جل وعلا ـ ذكر في كتابه العزيز تحريم الأمهات من الرضاع، والأخوات من الرضاع، ولم يذكر تحريم الخالات من الرضاع، والعمّات من الرضاع، بنات الأخ من الرضاع، بنات الأخت من الرضاع؛ فجاءت السُّنَّة تبيِّن ذلك؛ قال النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ**»[(١)]؛ فبيَّنت السُّنَّة حكم الله ـ جلَّ وعلا ـ في الرضاع.

وهناك أحكام كثيرة، كلها بينها النبي، عليه الصلاة والسلام.

فعُلم بذلك أن السُّنَّة أصلٌ عظيم لا بد منه في بيان الأحكام، وأن الله ـ جلَّ وعلا ـ بعث نبيه ﷺ لبيان أحكام الله، وفي تفسير كتاب الله ﷻ، ولهذا قال ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]؛ المبين هو الرسول ﷺ، هو المبين للناس ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [النحل: ٦٤]؛ فهو يبين للناس ما اختلفوا فيه من الأحكام؛ في سنته ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقال ﷻ: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١ ـ ٤].

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب الشهادة علىٰ الأنساب، برقم (٢٦٤٥)، ومسلم في كتاب الرضاع، باب تحريم ابنة الأخ من الرضاعة، برقم (١٤٤٧).

فكلامه ﷺ وما جاء عنه، وما صح عنه، هو من الله ﷻ، الله الذي أوحاه إليه، وعلَّمه إياه، وأمره أن يبلغ الناس، هو رسول الله، يبلغ الناس ما شرع الله، وما أمر الله به ﷻ، وما أحلَّه لعباده، وما حرَّمه عليه، فوجب علىٰ أهل الإسلام طاعتُه حيًّا وميتًا ـ عليه الصلاة والسلام ـ فكما يُطاع في حياته في أوامره ونواهيه، هكذا يُطاع بعد وفاته ـ عليه الصلاة والسلام ـ لِمَا صح عنه في السُّنَّة، لما رواه الثقات الأثبات عن الصحابة، عن النبي ﷺ، وطاعته لازمة في حياته وبعد وفاته ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولهذا أمر ﷻ في آيات كثيرات بطاعته، فقال: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦]، وقال: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢]، وقال ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]؛ فأمر طاعة الرسول ﷺ، غير طاعة الله؛ فدل ذلك علىٰ أن طاعة الرسول لازمة بأمر الله ﷻ، وهذا يشمل حياته ووفاته ـ عليه الصلاة والسلام ـ يشمل طاعته حيًّا وطاعته ميتًا عليه الصلاة والسلام.

ثم قال بعد ذلك: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ﴾؛ **يعني**: يا أيها الناس ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾. قال العلماء: الرد إلىٰ الله: معناها الرد إلىٰ كتابه العزيز القرآن، والرد إلىٰ الرسول معناه: الرد إليه في حياته، وإلىٰ سُنَته بعد وفاته ـ عليه الصلاة والسلام ـ فدلَّ ذلك علىٰ أنه يلزم أهل الإسلام أن يرجعوا إلىٰ سُنَته بعد وفاته كما يرجعوا إلىٰ كتاب الله ﷻ.

وقال ﷻ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]؛ ـ عليه الصلاة والسلام ـ فبين ـ جلَّ وعلا ـ أن طاعته فيها الهداية،

﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾ [النور: ٥٤]، ومن قال: لا يُحتج بالسُّنَّة معناه: أنه لا هداية فيها، ومعناه: أنه لا شرعية في الأخذ بها، ولا أمر بالأخذ بها، فكل هذا عصيان لله، وتكذيب لله، وإنكار لما أمر الله به ﷻ.

وقال ﷻ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ [النساء: ٨٠]؛ هذه من أوضح الواضحات: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾؛ فهل بعد هذا البيان من بيان؟ وهذا يشمل حياته وبعد وفاته ـ عليه الصلاة والسلام ـ ما قال: أطيعوا في حياته بس، أَمَرَ بطاعته مطلقًا ـ عليه الصلاة والسلام ـ في حياته، وهكذا بعد وفاته ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾.

وقال ﷻ: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٣ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [النساء: ١٣ ـ ١٤]، فجعل العذاب لمن عصاه وعصىٰ رسوله، وجعل النعيم لمن أطاعه وأطاع رسوله، فدل ذلك علىٰ أن طاعته لازمة ونافعة، وموجبة للجنة، وعلىٰ أن عصيانه ضارٌّ، موجب للنار.

وقال ﷻ أيضًا: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]، وقوله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ واضح بوجوب الأخذ بما جاء به من الأحكام والبيان والشرائع، ووجوب الانتهاء عما نهىٰ عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولو كان لا يؤخذ إلا بالقرآن لقال: ما آتاكم القرآن، أو ما جاءكم بالقرآن فخذوه، وما لا فدعوه، لا، ما قال هكذا؛ قال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾، فهو يخاطب الأمة، يخاطب العباد، ويأمرهم ـ سبحانه ـ أنه يأخذوا بما جاء به الرسول ﷺ،

وأن يلتزموه، ويتمسَّكوا به، وأن ينتهوا عما نهىٰ عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهذه آية عظيمة، وحُجَّة دامغة مع غيرها من الآيات.

ولولا أن هذا الشيء قد شاع وانتشر بين كثير من الناس، لَمَا كان هناك حاجة إلىٰ الرد والكلام عليه؛ لأن بطلانه واضح، أوضح من الشمس، بطلانه وضلال وكفر من قال به أوضح من الشمس في رابعة النهار، ولكن لَمَّا كان قد قيل وذاع بين كثير من الناس، وجب أن يُرَدَّ، ووجب أن يبيَّن بطلانه، وأنه من الأمور الواضحة البطلان، بل من الأمور الواضحة في كفر من قالها، وتفوَّه بها، نعوذ بالله، وقال ﷻ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]. قال الإمام أحمد ـ رحمة الله عليه ـ: أن تصيبهم فتنة: فتنة الشرك، لعله يردُّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الشرك فيهلك[(١)]، الله ـ جلَّ وعلا ـ أمر أن نحذر مخالفة أمره ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

فعُلم بذلك أنه يجب علىٰ الأمة الأخذ بقوله، وعدم الخروج عن قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ بل يجب التمسك بما جاء به، والأخذ به، والتحاكم إليه مع كتاب الله ﷻ.

والآيات في الأمر بطاعة الرسول ﷺ والأخذ بقوله لا تحصىٰ كثرة، ومنها أيضًا: قوله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]؛ فجعل الهداية في اتِّباعه ـ عليه الصلاة والسلام ـ

---

(١) ابن بطة في «الإبانة» ١/ ١٠٤، وذكر هذا الكلام معالي الشيخ صالح آل الشيخ في كتابه «هذه مفاهيمنا» وعنه نقله الشيخ سامي بن محمد السلامة في تحقيقه لتفسير ابن كثير في سورة النساء عند قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [النساء: ٦٥] الآية.

والسير علىٰ منهاجه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقال: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]؛ فالفلاح كل الفلاح في اتِّباعه ـ عليه الصلاة والسلام ـ والهداية في اتِّباعه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لا في خروجه عن ذلك.

وقال أيضًا ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، فجعل الاستجابة لله وللرسول أمرًا لازمًا للأمة، وأنَّ في طاعة الله ورسوله الحياة والسعادة: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾؛ فدل ذلك علىٰ أنه يجب أن يُستجاب لله، لكتابه العظيم، وأن يُستجاب للرسول ﷺ فيما دعا إليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأنَّ في ذلك الحياة والسعادة.

وقال في حقه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ: ٥٢]؛ هو الهادي، المبلغ، المرشد، عليه الصلاة والسلام.

وصَحَّ عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَىٰ اللهَ**» هكذا جاء في الصحيحين[(١)] عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، إِلَّا مَنْ أَبَىٰ**»، قالوا: يا رسولَ اللهِ، ومنْ يَأْبَىٰ؟ قال: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ**»[(٢)].

فدل ذلك علىٰ أنه يجب علىٰ الأمة أن تطيع أمره ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأن تنتهي عن نهيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأن تقف عند

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، والسير؛ باب يقاتل من وراء الإمام ويتقي به، برقم (٢٩٥٧)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية الله وتحريمها في المعصية برقم (١٨٣٥).

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، برقم (٧٢٨٠).

الحدود التي يحدُّها، ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأنه مبعوث من الله، مرسَل من الله، فوجب أن يطاع كما يجب أن يطاع ما جاء في القرآن العظيم، وطاعة القرآن حق بأنه كلام الله، والذي جاء به محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ هو الذي جاء به، وهو الذي بلَّغنا كتاب الله، وكما يجب علينا أن نطيع كلام الله تصديقًا لرسول الله ﷺ الذي جاء به، فكذلك يجب علينا أن نطيع الرسول الذي جاء به ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأن نقبل سنته الصحيحة في تفسير كتاب الله، وبيان أحكامه، أو في أحكام أخرىٰ جاء بها ـ عليه الصلاة والسلام ـ غير موجودة في كتاب الله؛ فهو حجة ـ عليه الصلاة والسلام ـ في بيانه عن الله فيما تعلق بكتابه، وهو حجة تجب طاعته فيما يأتي به من الأحكام سوىٰ ما في كتاب الله ﷻ، عليه من ربِّه أفضل الصلاة والسلام.

وقال أيضًا: ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَه**»؛ **يعني**: وحي ثان، ولهذا قال: «**وَمِثْلَهُ مَعَهُ**»؛ **يعني**: السُّنَّة، ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَىٰ أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا القُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُّمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُّمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، أَلَّا إِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَمَا حَرَّمَ اللهُ**»[1]، وقد صدق ـ عليه الصلاة والسلام ـ مثل ما فعل أحد الرؤساء، وهو متكىٰء علىٰ أريكته شبعان، يقول: لا حجة في السُّنَّة، هذا من أكبر الضلالة، ومن أعظم الكفر بالله ﷻ، هذا متكىٰء علىٰ أريكته ضالٌّ مُضِلٌّ؛ سواء كان وزيرًا، أو رئيسًا، أو تاجرًا، أو غير ذلك، يقول للناس: لا حجة إلا في القرآن.

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث المقدام بن معدي كرب ﷺ، في كتاب السُّنَّة، باب في لزوم السُّنَّة، برقم (٤٦٠٤)، وابن ماجه في المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ، برقم (١٢)، ورواه الإمام أحمد ٤/ ١٣١. وصححه الألباني.

سبحان الله! يخالف القرآن، يخالف الرسول ﷺ، يخالف الصحابة، يخالف إجماع أهل العلم قاطبةً، ويقول هذا الكلام الفاسد الباطل حتىٰ يدفع عن نفسه إذا كان مأخوذًا به من السُّنَّة، ومن أحكام السُّنَّة، يريد أن يدافع عن باطلة حتىٰ ينكر ما أثبته الله ورسوله، وما أجمع عليه أهل العلم، وما عُرف من الدين بالضرورة. «**أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعانٌ وَهُوَ مَتَّكِئٌ عَلَىٰ أَرِيكَتِهِ يُحَدَّثُ بِالأَمْرِ، مَا أُمِرَ بِهِ، أَوْ مَا نُهِيَ عَنْهُ، فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللهِ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلَالًا اسْتَحْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ، وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَمَا حَرَّمَ اللهُ**» عليه الصلاة والسلام.

والمقصود من هذا هو: إيضاح أن كلام الرب ﷻ في كتابه العظيم ـ من أول كتابه إلىٰ آخره ـ كلُّه يدل علىٰ وجوب طاعة الرسول ﷺ، والتمسك بما جاء به، والأخذ بما أمر به، وترك ما نهىٰ عنه، وأنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ مبيِّن لكتاب الله، ومفسِّر لما جاء في كتاب الله، وموضح لأحكام الله، عليه الصلاة والسلام.

ووجب علىٰ الأمة أن يأخذوا بما جاء عنه، وما ثبت عنه، وأن يحكِّموه بينهم: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥]؛ **يعني**: الرسول ﷺ ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، فوجب علىٰ الأمة أن تحكِّم رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأن تخضع لحكمه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو يحكم بما في القرآن، ويحكم بما جاء بالوحي، بما أوحىٰ الله إليه من السُّنَّة غير القرآن، كما تقدَّم بيان ذلك.

والله أوحىٰ إليه أحكامًا كثيرًا غير ما في القرآن كما سبق بيان ذلك؛ أوحىٰ إليه ـ سبحانه ـ تفاصيلَ أمور الصلاة، عرفتم أن الصلاة فعلها ـ عليه الصلاة والسلام ـ بيَّن لنا بفعله وبقوله: الظهر أربعًا في

الحضر، اثنتين في السفر، العصر أربعًا في الحضر اثنتين في السفر، العشاء أربعًا في الحضر اثنتين في السفر، بيَّن لنا أحكام الجهاد وتفاصيله، أحكام الصلاة وتفاصيلها بأركانها وواجباتها وطهارتها، كذلك أحكام الزكاة وتفاصيل أحكام الزكاة من الأنصبة، والواجب في الأموال، ما يجب في المال من مقادير الزكاة؛ كلُّ ذلك بيَّنه الرسول ﷺ، لم يبين في كتاب الله أنصبة الزكاة، ولا الواجب، فجاء الرسول ﷺ يُبين لنا ذلك، وهكذا تفاصيل أحكام الصيام والحج والجهاد والمعاملات والأنكحة والطلاق والمحرَّمات في النكاح، وغير ذلك، كل ذلك من بيانه وتفاصيله عليه الصلاة والسلام.

ثم جاءت الآيات الكثيرات جدًّا فيها الأمر بطاعة الرسول ﷺ، واتِّباع ما جاء به، وتحكيمه ـ عليه الصلاة والسلام ـ والرجوع إليه عند التنازع، فدل ذلك علىٰ أنه يجب أن يُؤخذ بالسُّنَّة، وأن يُتَمَسَّك بها، وأن الحجة فيها قائمة، الحجة بالسُّنَّة قائمة وحدها، كما أن الحجة بالقرآن قائمة، والحجة بالسُّنَّة قائمة بإجماع أهل العلم قاطبة، وبالنص القرآني؛ بالنصوص القرآنية، النصوص النبوية، وهكذا الحجة بالإجماع قائمة.

فوجب علىٰ الأمة جميعًا أن يتمسَّكوا بهذا، وأن يعلموه، وأن يعرفوا ويتيقَّنوا أن من قال أنه لا حجِّيَّة في السُّنَّة، فقد قال الباطل، وقال المنكر، وقال ما هو كفر وضلال ورِدَّة عن الإسلام، أعوذ بالله من ذلك، فالذي يقول: أن السُّنَّة لا حجية فيها؛ كالذي يقول القرآن لا حجة فيها، فمنكر السُّنَّة حكمه حكم منكر القرآن العظيم، وكما أن من أنكر القرآن يكون كافرًا، فهكذا من أنكر السُّنَّة وكذَّب بحجيتها، وأنكر حجيتها يكون حكمُه حكمَ من أنكر القرآن وكذب به، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولو أن إنسانًا قال: إن الصلاة لا تجب علىٰ الناس، أو قال: إن الصيام لا يجب صيام رمضان، ولا يجب علىٰ الناس،

أو قال: إن الزكاة لا تجب علىٰ الناس، مع وجود الأموال، أو قال: إنَّ الحج لا يجب مع الاستطاعة، يكون كافرًا بإجماع، فهكذا أعظم وأعظم من قال: إنَّ السُّنَّة لا حجية فيها يكون كافرًا، كما أن من قال إنَّ الصلاة لا تجب، أو إنَّ صيام رمضان لا يجب، أو قال: إنَّ الزكاة لا تجب علىٰ أهل الأموال، أو قال: إنَّ الحج لا يجب مع الاستطاعة، كله تكذيب لكتاب الله، كله تكذيب لله، وتكذيب لرسول الله، عليه الصلاة والسلام.

وهكذا من حرَّم ما أحل الله، لو قال إنسان: إن الغنم أو الإبل أو البقر حرام علىٰ الناس يكون كافرًا، أعوذ بالله؛ لأنه حرَّم ما أحله الله، فهكذا من قال إنَّ الزنىٰ حلال، أو اللواط حلال، أو الخمر حلال، يكون كافرًا؛ لأنه أحل ما حرمه الله، فمن أحلَّ ما حرَّمه الله مما هو معلوم في الدين بالضرورة بالأدلة، أو حرم ما أحله الله يكون كافرًا، فأعظم من ذلك، وأكبر من ذلك، من قال: إنَّ السُّنَّة، سُنَّة الرسول ﷺ القولية والفعلية والتقريرية، من قال: إن السُّنَّة لا حجية فيها، وأن الحجة مقصورة علىٰ القرآن، فهو أكفر ممن أحلَّ الزنىٰ، وأحل الخمر؛ لأنه أنكر أصلًا عظيمًا من أصول الدين، يُهدم به دين الإسلام، أعوذ بالله.

والله المسؤول ـ جلَّ وعلا ـ أن يوفقنا وإياكم للعلم النافع، والعمل الصالح، وأن يمنحنا الفقه في دينه، وأن ينصر الحق، ويعلي كلمته، وأن يهلك الباطل وأهله، وأن يردَّ كيد كل معاند، وكل كافر، وكل ظالم في نحره، وأن يكفي المسلمين شرَّه وشرَّ أمثاله، وأن يرزقَنا وإياكم الاستقامة علىٰ دينه، إنه ﷻ جواد كريم.

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

* * *

الأسئلة

س١: فضيلة الشيخ، نرجو الإجابة علىٰ السؤال التالي: أن بعض الناس يطرحون شُبَهًا حول السُّنَّة المطهرة، من يقولون: إنَّ السُّنَّة يُثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها، ويحتجُّون بمثل هذه الشُّبَه، ويستبيحون بعض السُّنَن؛ كحلق اللحية ونحوها، فكيف يكون الرد عليهم؟

ج: السُّنَّة تُطلق علىٰ معان، تُطلق السُّنَّة علىٰ أحاديث الرسول ﷺ يقال لها: سُنَة، وتطلق علىٰ سيرته، وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ في أقواله وأفعاله وأكلِه وشربه، يقال لها: سُنَة، وتطلق السُّنَّة في اصطلاح الفقهاء علىٰ الشيء الذي ليس بلازم، علىٰ المندوبات المعروفة من الدين مشروعة، لكنها لا تجب، يسمُّونها سُنَة، هذا اصطلاح للعلماء، يقولون مثلًا: صلاة الضحىٰ سُنَة، سنة الظهر سُنَة، سنة المغرب، سنة التهجد بالليل سُنَة، الوتر سنة؛ **يعني**: غير واجبة، يُثاب من فعله، ولا يعاقب من تركه.

هذا معنىٰ السُّنَّة في كلام الفقهاء، في الغالب؛ **يعني**: المندوب المستحب، الذي لا يجب، وهو معروف من الدين، مشروع مأمور به، لكنه لا يجب، يسمونه سُنَةً، ويسمونه مندوبًا، ويسمونه مستحبًا؛ **يعني**: من فعله فله أجر، ومن تركه فلا إثم عليه، مثل صلاة الضحىٰ مستحب، سنة ما هي بواجبه، مثلًا تصلي أربعًا قبل الظهر، وأربعًا بعد الظهر، اثنتين بعد المغرب، واثنتين بعد العشاء، اثنتين قبل الفجر، هذه يقال لها: سُنَة ما هي بواجبة، التهجد بالليل يصلىٰ في الليل بما تيسر، الوتر بواحدة، هذا سُنَة وما أشبه ذلك ما يُطلق عليه سنة؛ **بمعنىٰ**: أنه يُؤجَر فاعله، ولا يأثم من تركه، وهكذا مثل كونه ينتعل؛ يبدأ برجله اليمنىٰ في الانتعال،

ويبدأ في الخلع باليسرىٰ، وكونه يبدأ بكمه الأيمن إذا أراد أن يلبس القميص، بدأ بكمه الأيمن، وعند الخلع يبدأ بالأيسر؛ كل ذلك من السنن التي قال بها العلماء سُنَة وما أشبه ذلك.

أما إطلاق السُّنَّة علىٰ سيرة النبي ﷺ وعلىٰ ما جاء عنه، فهذا اصطلاح معروف عند أهل العلم أيضًا، يسمىٰ سيرته وما كان عليه سُنَّة فيها الواجب، وفيها المستحب.

ويطلق علىٰ الأحاديث أنها سنة الرسول ﷺ؛ **يعني**: كلام النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ هذا شيء وهذا شيء، وتسمىٰ الواجبات والفرائض سنة؛ **بمعنىٰ**: أن الله شرعها ﷻ، وجاء بها الرسول ﷺ، هذا ليس من قبيل اصطلاح، ولا ينبغي أن يشتبه هذا الأمر.

أما توفير اللحية، وعدم الأخذ منها، هذا سُنَة؛ لأنه مِن فِعْل النبي ﷺ، ويقال واجب؛ لأنه فرض إعفاءها وإكرامها وتوفيرها، فإذا أطلق عليه بعض الناس سُنَة معناها: أنه من شرع الله، أن الله شرع لنا توفير اللِّحىٰ وإكرامها وإعفاءها وإرخاءها، وحرَّم علينا حلْقَها وقصَّها، فهي سُنَة من حيث أن الرسول فعلها ﷺ وشرعها، وهي واجبة؛ إعفاءها واجب، وأخذها لا يجوز؛ لأن الرسول ﷺ أمر بإعفائها وإرخائها، فوجب طاعته ـ عليه الصلاة والسلام ـ في ذلك، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**جُزُّوا الشَّوَارِبَ وَأَرْخُوا اللِّحَىٰ**»[1]؛ خَالِفُوا المَجُوسَ، وقال: «**قُصُّوا الشَّوَارِبَ، وَأَعْفُوا اللِّحَىٰ**»؛ خَالِفُوا المُشْرِكِينَ[2] إلىٰ غير ذلك؛ فهو ﷺ أمر بإعفاء

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، برقم (٢٦٠).

(٢) رواه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة (٢/ ٢٢٩)، برقم (٧١٣٢)، من دون لفظ: «**خالفوا المشركين**»، والحديث رواه الشيخان من حديث ابن عمر ﭭ، أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب تقليم الأظفار، وهذا لفظهما: «**خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ، وَفِّرُوا اللِّحَىٰ، وَأَحْفُوا الشَّوَارِبِ**» برقم (٥٨٩٢)، ومسلم في كتاب الطهارة، باب خصالِ الفطرة، برقم (٢٥٩).

اللحىٰ وتوفيرها وإرخائها، وأمر بقص الشوارب وإخفائها وجزِّها، فوجب علىٰ الأمة أن تأخذ بذلك امتثالًا لأمره، عليه الصلاة والسلام.

وأطلق بعض أهل العلم علىٰ أن هذا سُنَة ولكن الصواب أنه واجب؛ فإطلاق السُّنَّة لا ينافي الوجوب، فهي سُنَة؛ لأنها من فعل النبي ﷺ وواجب وفرض؛ لأن الرسول أمر بذلك، وأمرُه واجب الامتثال عليه الصلاة والسلام.

س٢: يقول بعض العلماء: إن السُّنَّة تنسخ القرآن، مع أن حجة القرآن أقوىٰ من السُّنَّة، فما رأي سماحتكم؟

ج: المعروف عند أهل العلم أن السُّنَّة تخصص القرآن، وتقيد مطلقَه، ولا تنسخه، ولكنها تخصُّ مطلقة، وبعض السلف يسمي التخصيص نسخًا، ولكن المعروف عند أهل العلم وأهل الأصول: أن السُّنَّة تخصص القرآن، وتقيد مطلقه، ولا تنسخ حكمه بالكلية؛ لأن أحكام القرآن ثابتة، ولكن يكون في القرآن العام، فتخصه السُّنَّة، ويكون فيه المطلق وتقيده السُّنَّة، من باب التقيد والتخصيص، لا من باب النسخ؛ مثل ما تقدَّم في قوله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾ [النساء: ١١]؛ قيدت السُّنَّة هذا الإطلاق؛ لأن المراد: من كان علىٰ دِينِهِ، أما من ليس علىٰ دين الميت، فلا يرث منه، ومن كان رقيقًا لا يرث من الحرِّ، كما هو معلوم بإجماع أهل العلم؛ هذا من باب التخصيص والتقييد، كذلك قوله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ﴾ [النساء: ٢٤]؛ هذا عام، فجاءت السُّنَّة تخص منه المحرمات بالرضاع؛ من الخالات والعمات وبنات الأخ وبنات الأخت، فهن محرمات بالرضاع بالنص من السُّنَّة، فالسُّنَّة خصَّت القرآن؛ هنا خصَّت هذا العام، وهكذا الجمع بين المرأة وعمتها في النكاح، وبين المرأة وخالتها، هذا محرَّم بالسُّنَّة، فهذا تقييد، وتخصيص لما جاء في قوله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ﴾.

س٣: ما حكم من حج لنفسه ولم يصلِّ، وفي السُّنَّة الثانية حج لوالده ولم يصلِّ؟ ما حكمه في الإسلام؟

ج: اختلف العلماء فيمن ترك الصلاة، ولكنه يؤمن بأنها حقٌّ، وأنها واجبة، وأنها فريضة، ولكنه يتكاسل ويتركها، نعوذ بالله؛ فقال قوم: إنه يكفر بذلك كفرًا أكبر، ويكون مرتدًّا عن الإسلام، فلا يصح حجُّه، ولا صومه، ولا زكاته، ولا غير ذلك من الأعمال؛ لأنه كافر. والله يقول ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، ويقول ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

والرسول ﷺ يقول: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ: تَرْكُ الصَّلَاةِ**»(١)؛ فأخبر النبي ﷺ: «**بَيْنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ**»، ومَنْ تَرَكَهَا، فَقَدْ كَفَرَ»، نعوذ بالله، وقال أيضًا ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ؛ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»(٢).

فهذه النصوص تدل علىٰ كُفر تارك الصلاة. وقال أيضًا ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةَ**»؛ فدل ذلك علىٰ أن من تركها فهو كافر؛ لأنه ترك عمود الإسلام.

وحكىٰ عبد الله بن شقيق العُقيلي ﷺ، التابعيُّ الجليل، إجماعَ الصحابة علىٰ أن ترك الصلاة كفر، وقد أجمعوا علىٰ أن تارك الصلاة كافر؛ أعوذ بالله.

وذهب قوم آخرون إلىٰ أنه قد أتىٰ جريمة عظيمة أعظمَ من الزنىٰ، وأعظم من اللواط، وأعظم من الخمر، ولكنه يكون كافرًا كفرًا أصغرَ، ولا يكفر كفرًا أكبر، بل يكون كفره كفرًا أصغر؛ بحيث يصح حجُّه،

---

(١) سبق تخريجه في ص٦١.

(٢) سبق تخريجه في ص١٥٤.

ويصحُّ صومه، ويجوز أن ينكح المسلمة، ولا يكون كافرًا كفرًا أكبر، وإذا مات يغسَّل ويصلَّىٰ عليه، مثلما يُصلىٰ علىٰ العاصي بالزنىٰ والخمر، وغير ذلك.

هذا قول جمٌّ غفير من أهل العلم أيضًا، والقول الأول أصحُّ في الدليل؛ القول الأول بأنه كافر كفرًا أكبر أرجحُ في الدليل، وأقوىٰ في الحجة؛ أنه كافر كفرًا أكبر، أعوذ بالله، للآيات الكريمات، ولقول النبي ﷺ: **«العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»**، ولقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الحديث الصحيح: **«بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الكُفْرِ وَالشِّرْكِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»**، وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ للوُلاة، لَمَّا قال الصحابة في الوُلاة الذين يأتون بعض المعاصي ويخالفون بعض الأوامر؛ قالوا: يا رسول الله أفلا نُقَاتِلُهُم؟ قال: **«لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ»**[(١)]، وفي لفظ: **«إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»**[(٢)]؛ فدل ذلك علىٰ أن ترك الصلاة كفر بواح، نعوذ بالله.

هذا كله إذا كان يؤمن بأنها حقٌّ، وأنها فرض، ولكن تركها تكاسلًا، أما الذي ينكر وجوبها، ويقول: لا تجب، وليست فرضًا،

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عوف بن مالك الأشجعي في كتاب الإمارة، باب خيارِ الأئمةِ وشرارهمْ، برقم (١٨٥٥): وهذا لفظه: عن عوفِ بنِ مالِكٍ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ قَالَ: **«خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ؛ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»**. قيل: يا رسولَ اللهِ؛ أفلا نُنابذهمْ بالسّيفِ؟ فقال: **«لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ، فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»**.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب قولِ النّبيّ ﷺ: **«سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا»**، وقالَ عبدُ اللهِ بن زيدٍ: قالَ ﷺ: **«اصْبِرُوا حَتَّىٰ تَلْقَوْنِي عَلَىٰ الْحَوْضِ»**، برقم (٧٠٥٦)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية الله وتحريمها في المعصية، برقم (١٧٠٩) ساقه بعد الحديث رقم (١٨٤٠).

هذا كافر عند الجميع ـ أعوذ بالله ـ هذا كافر كفرًا أكبر عند الجميع، لا خلاف بين أهل العلم في أن من أنكر وجوب الصلاة، أو وجوب الزكاة، أو وجوب صيام رمضان، أو وجوب الحج علىٰ المستطيع، من أنكر ذلك، فهو كافر ـ نعوذ بالله ـ كفرًا أكبر بإجماع أهل العلم، وهكذا من أنكر تحريم الزنىٰ، أو تحريم الخمر، أو تحريم اللواط، أو تحريم عقوق الوالدين، أو تحريم الربا، من أنكر ذلك يكون كافرًا كفرًا أكبر عند جميع أهل العلم، أعوذ بالله، نسأل الله العافية.

وإنما الخلاف في من تركها تكاسلًا، مع أنه يؤمن بوجوبها، والغالب أن الذي يؤمن بوجوبها حقًّا لا يدعها تكاسلًا، وإنما الذي يدعها تكاسلًا في الغالب هو الذي قد دُخل إيمانه، قد اضطرب إيمانه، ولو كان إيمانُه حقيقيًّا، ولو كان إيمانه صادقًا، لَمَا ترك الصلاة، وهو يؤمن بأنها فرض عليه، وأنها أحد أركان الإسلام، وأنها عمود الإسلام، ثم يتساهل ويدعها، لو كان إيمانُه صحيحًا، لو كان إيمانه سليمًا، لَمَا ترك هذا الفرض العظيم، الذي هو عمود الإسلام، وأعظم أركان الإسلام، وأهمها بعد الشهادتين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

س٤: رجل أوقف بيته قبل موته، وكتب في صكّه بأنه بيد الذكور دون الإناث، وهو وقف منجز بعشاء وأضحية، وأفعال البر، كما أن هذا الرجل لم يترك أيَّ تركة أو إرث سوىٰ هذا البيت الذي أوقفه، والبيت الآن جاءه هدم، وثُمِّنَ بمبلغ مليوني ريال، ما حكم التوقيف؟ وكيف طريقة حلِّه، وهل يكون فقط للذكور دون الإناث؟

ج: هذا يراجع فيه المحاكم الشرعية، والمحاكم تنظر فيه، لكن لا بد من بيان أن الذي يقف علىٰ الذكور دون الإناث قد جار وظلم، لا يجوز الوقف إذا كان وُقفَ علىٰ الذكور دون الإناث، هذا لا يجوز، أو وقف علىٰ بعض الذكور، أو علىٰ بعض الإناث، لا يجوز؛

لأن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال: «**فَاتَّقُوا اللهَ، وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ**»[1]؛ هذا هو الحق والصواب، وفيه خلاف بين العلماء في ذلك، فأجاز بعض العلماء أن يوقَف علىٰ بعضهم دون بعض؛ ولكن الصواب والحق أنه لا يجوز أن يوقَف لبعضم دون بعض؛ لأنه خالف أمر الرسول ﷺ في قوله قال: «**اتَّقُوا اللهَ، وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ**»، ولا بد له أن يراجع القاضي، فينظر فيه القاضي في المحكمة، ينظر فيه، وفيما تراه المحكمةُ الكفاية إن شاء الله.

س٥: سؤال طويل مضمنة: أن امرأة حملت من سفاح أثناء غياب زوجها، فقتلت طفلها خشية العار، وهي الآن في سن الشيخوخة، وهي فلاحة، لا تعرف شيئًا من الدِّين، وتريد أن تتوب، فما حكم الشرع فيها؟

ج: التي قتلت طفلها عمدًا؛ لأنها أتت به سفاحًا، ولكن لجهلها وخوفها من العار قتلته، قد أتت جريمةً عظيمة، جريمة الزنىٰ، ثم جريمة القتل؛ جريمتين، نسأل الله العافية، فعليها التوبة إلىٰ الله، وإن كانت كبيرة عليها التوبة إلىٰ الله ـ جلَّ وعلا ـ والندم علىٰ ما مضىٰ منها، والعزم ألا تعود في ذلك، عليها التوبة إلىٰ الله ﷻ، الندم الصادق علىٰ ما مضىٰ منها من هذا الفعل القبيح، والجريمة العظيمة، ويكفي ذلك.

وأما الدية (الكفارة) فلا كفارةَ، العمد لا كفارة فيه، وأما الدية، فتجب عليها الدية لمن يرث هذا الطفل؛ كإخوانه من أمه، إن كان له إخوان من أمه يرثون هذا الطفل، وهكذا جدتها إن كان لها جدة، أو إن كان لها أم، وجدة الطفل ترث الطفل، لكن الدية التي تجب علىٰ القاتلة

---

(١) متفق عليه من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب الهبة، باب الإشهاد في الهبة، برقم (٢٥٨٧)، ومسلم في كتاب الهبات، باب كراهية تفضيل بعض الأولاد، برقم (١٦٢٣).

يرثها غير القاتل؛ فأمها إن كان لها أم، إن كان له إخوة من أمه، يرثون، فإذا كان له إخوة من أمه، إن كان له جدة لأمه تستبيحهم عمَّا لهم من الحق، فإذا كان لها وَرَثَة موجودون تستبيحهم من حقهم من الدية.

وأما كفارة، فلا كفارة في قتل العمد.

والمهم أن عليها التوبة إلىٰ الله الصادقة من الجريمتين؛ جريمة الزنىٰ، ومن جريمة قتل الطفل عُدوانًا وظلمًا، عليها التوبة إلىٰ الله، والندم، وعدم العودة لمثل هذا، والعزم علىٰ أن لا تعود لمثل ذا لو كانت قويةً تستطيع شيئًا من ذلك، فالندم والتوبة الصادقة يغفر الله بها الذنب الماضي.

س٦: ممرضة قامت بإسقاط جنين في الشهر السابع، وظل الطفل حيًّا لمدة ساعات أمامها ولم تفعل شيئًا لإنقاذه؛ ماذا يجب عليها، وما حكمها؟

ج: عليها التوبة إلىٰ الله؛ **يعني**: أسقطت لغيرها، عليها التوبة إلىٰ الله ﷻ، وعليها ما يجب من العقوبة والتأديب والدية الواجبة في إسقاط الأطفال، هذا محله المحاكم، تنظر فيه المحاكم، لكن فيما يتعلق بحقها: التوبة إلىٰ الله ﷻ، والندم، وعدم العودة لمثل هذا، والعزم أن لا تعود لمثل هذا، مع الندم الصادق ممَّا فعلت، والتوبة إلىٰ الله من ذلك، والاستغفار، وسؤال العافية، والعفو عمَّا جرىٰ منها، أما حق أهل الطفل، هذا بينهم وبينها.

س٧: يقول رجل موثوق: أنه سمع أحد المشايخ أنه قال: لا بأس بجمع الصلوات للنساء ذات الأعمال، فما رأي سماحتكم؟

ج: الصلوات لا تُجمع إلا لعذر شرعي؛ كالمرض، والسفر، والمطر، ونحو ذلك، أما لمجرد العمل فلا، يصلي كل صلاة في وقتها؛ سواء رجل أو امرأة، في الأعمال إن كان له عمل موظف يعمل له

أعمال، يصلي الظهر في وقتها، والعصر في وقتها، والمغرب في وقتها، إلىٰ آخره، مجرد الأعمال العادية لا توجب الجمع بين الصلوات، بل يجب علىٰ العامل أن يصلي الصلوات في وقتها؛ إن كان وحده صلىٰ وحده، إذا كان مثل حارس يصلي وحده، وإن كان يستطيع مع الجماعة صلىٰ مع الجماعة.

س٨: الحلف بالطلاق هل يعتبر طلاقًا إذا قصد به الطلاق، أو ماذا؟

ج: الحالف بالطلاق إذا قصد إيقاع الطلاق يقع، إذا قال مثلًا: عليَّ الطلاق لا أُكلم فلان، أو ما يأكل ذبيحته، قصده أنه إذا أكلها تطلق امرأته، تُحسب طلقة، أما إذا قصد مَنْعَ نفسه من أكل ذبيحته، أو من كلامه، وليس قصده طلاقَ زوجته، هذا حكمه حكم اليمين علىٰ الصحيح، عليه كفارة يمين، ولا يقع طلاق، أما إذا كان قصده إيقاعَ الطلاق بقوله: عليَّ الطلاق ما يكلم فلان، ونيته إذا كلَّمه أنَّ زوجته تطلق، أو قال: عليَّ الطلاق إذا دخل رمضان تطلق امرأتهن أو عليَّ الطلاق إذا حج، أو إذا أفطر من رمضان، أو إذا زار فلان، وقصده إيقاعَ الطلاق، يقع الطلاق.

س٩: ما حدُّ عورة المرأة أمام غير المحارم، وعن عورتها أمام المحارم؟

ج: أما المحارم فعورتُها معروفةٌ، ما بين السرة والركبة، هذه عورتها عند المحارم؛ المحرم يرىٰ رأسها وعنقها ويدها ورجلها وساقها، لكن ستر هذا عن المحارم أوْلىٰ، حتىٰ لا يبقىٰ إلا الوجه واليدين؛ لأن بعض المحارم قد يكون فاسقًا، قد يكون خطيرًا؛ فإذا سترت عنه إلا الوجه والكفين يكون أوْلىٰ لها، وأسلم، وإلا فالمحرم يباح له أن يرىٰ رأسها، يرىٰ ثديها، يرىٰ عنقها، يرىٰ ساقها، يرىٰ عضُدها، لا بأس علىٰ الصحيح؛ لأن المحرم له شأن آخر.

أما غير المحارم، فكلها عورة غير المحارم، كلها عورة حتىٰ وجهها علىٰ الصحيح، والوجه هو زينتها، فوجب عليها ستره؛ لأن هذا أطهر لقلوب الجميع؛ ولأنه داخل في العموم: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، ولعموم قوله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩]. ولقوله ـ سبحانه ـ: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور: ٣١] والزينة: أعظمُها الوجه والشعر، فلا يبدي ذلك إلا للمحارم دون الأجانب.

س١٠: ما حكم من عمل بالمواد المسكرة؛ كالكحول النقي وهو سام عند شربه، هل يجوز حمله؛ كأن يعمل طبيبًا أو ممرضًا؟

ج: جميع المسكرات التي يُعرف أنها مسكرة يجب أن لا تبقىٰ، ويجب أن تُتلف؛ لأن وجودها وبقاءها من أسباب وسائل تعاطيها؛ أكلًا أو شربًا، كالحشيش والخمور بأنواعها، كلها محرمة، ويجب القضاء عليها وإتلافها، والله ما جعل شفاءنا فيما حرَّم علينا: «**مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إِلَّا أَنزَلَ لَهُ شِفَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَه، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَه**»(١)، فإذا كانت خمور أو أشياء مثل الخمور تُسكر، فليس للطبيب أن يتعاطاها في علاج الناس.

وأما كونها يحسن الأشياء، ويعقِّم الأشياء في أشياء تعقِّمها، لكنها لا تُسكر، أو أشياء قليلة لا تُمكِّن من الإسكار، هذا أمره يسير،

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، برقم (٥٦٧٨)، بدون قول «علمه من علمه، وجهله من جهله»، وابن ماجه في كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، برقم (٣٤٣٨ و٣٤٣٩)، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ (١/ ٣٧٧)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (٤/ ٤٤١).

إذا تُحفظ لتعقيم بعض الأشياء، فأمرها أسهل، ولكن ينبغي أن تعقَّم الأشياء بأشياء لا تسكر من أنواع الأدوية المعقِّمة من دون حاجة إلىٰ حفظ شيء من الكحول المسكر.

س١١: ما حكم من قال: إن الصلاة جماعة في المسجد سُّنَة لا يعاقَب من تركها؟

ج: حكم ذلك أنه قول خطأ، قول ضعيف باطل، والصواب أن الصلاة في الجماعة في المساجد أمر لازم؛ لأن الأدلة الشرعية جاءت بذلك، فمن قال: أن الصلاة في الجماعة سُّنَة؛ بمعنىٰ أنها نافلة لَا واجبة، فقد غلط؛ ويدل علىٰ غلطه قولُ النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يَأْتِهِ، فَلَا صَلَاةَ لَهُ إِلَّا مِنْ عُذْرٍ**»[١]، وقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ للرجل الأعمىٰ، قال: إنّهُ ليسَ لي قائدٌ يقودنِي إلىٰ المسجدِ، فسألَ رسولَ اللهِ ﷺ أن يرخّص لهُ فيصلّي في بيتهِ، فرخّصَ لهُ، فلمّا ولّىٰ دعاهُ، فقالَ: «**هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ**»؟ فقال: نعم، قال: «**فَأَجِبْ**». رواه مسلم في «الصحيح»[٢].

فكيف يكون يستحب، ويقول: «**لَا أَجِدُ لَكَ رُخْصَة**»، فيقول له: «**أَجِبْ**»، وهو ليس له قائد يلائمه؟ فكيف بالصحيح السليم؛ لا حول ولا قوة إلا بالله.

س١٢: ما حكم الاحتفال بعيد الأم؟

ج: هذا منكر؛ لا يجوز وغلط، ليس عندنا أعياد؛ لا الأم،

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الصلاة، باب ما جاءَ فيمنْ يسمعُ النّداءَ فلا يجيبُ، برقم (٢١٧)، وصححه الألباني، وابن ماجه في كتاب الصلاة، باب التّغليظِ في التّخلّفِ عنِ الجماعةِ، برقم (٧٩٣)، والبيهقي ٢/ ١١٩.

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب المساجد، باب يجبُ إتيانُ المسجدِ علىٰ من سمعَ النّداءَ، برقم (٦٥٣).

ولا لغير الأم، هذا من أعمال النصارىٰ واليهود، أما الأعياد الشرعية: عيد الفطر، وعيد الأضحىٰ، يوم الجمعة، عيد المسلمين، أما إحداث أعياد للأم، أو للولد، أو للأب، أو لفلان، ولفلتان، أو عيد النبي ﷺ؛ مولد النبي؛ كل هذا منكر، كلها بدعة، لا أساس لها في الدين.

س١٣: ما حكم خروج النساء كاسيات عاريات؟

ج: لا شك أن خروج النساء في أي مكان كاسيات عاريات منكر في هذه البلاد وفي غيرها، ووجب علىٰ النساء التستُّر والتحجب، كما أمر الله، ـ جلَّ وعلا ـ لأنهن فتنة، كما قال النبي ﷺ: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَىٰ الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**» رواه البخاري وغيره[(١)].

فخروجهن فتنة بلا شك، واللهُ أوجب عليهن أن يتحجَّبن، وأن يلبسن جلابيبهن، وأن لا يُبدين زينتهن إلا لمحارمهن، وخروجُهن في الأسواق كاشفات سافرات متبرجات هذا من المنكرات التي هي فتنة للرجال الشباب وغير الشباب، حتىٰ غير الشباب؛ **يعني**: الفتنة ليست خاصة بالشباب، حتىٰ قد يكون ابن سبعين عامًّا ويُفتتن، **المقصود**: أن وجود النساء شبه عاريات في الأسواق من أنكر المنكرات.

والواجب علىٰ هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الواجب عليها القيامُ بهذا الأمر حق القيام، والواجب علىٰ الدولة أن تساعدها في ذلك حق المساعدة، سواء كنَّ كافرات، أو مسلمات؛ الكافرات يلزمن بيوتهن ومحلهن، لا يظهرهن بين الناس بالتكشُّف، إذا جئن لهذا البلاد وجب عليهن أن يلزمن ما عليه أهل البلاد من التستر، والواجب أيضًا أن لا يجيء هؤلاء، وأن الكفرة يجب ألا يدخلوا هذه البلاد؛ لأن هذه البلاد،

---

(١) متفق عليه من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب ما يتقىٰ من شؤم المرأة، برقم (٥٠٩٦)، ومسلم في كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء، برقم (٢٧٤١).

هذه الجزيرة العربية لا يجتمع فيها دينان، فالواجب ألا يأتي إليها من الكفرة إلا ما اضطرت الضرورة إليه؛ كطبيب ضرورة، أو مهندس يحتاج إليه، أو عامل يحتاج إليه، مع التقلل من ذلك، أما توسع الناس في توريد الكفرة، هذا من البلاء، ولا يجوز للناس استيراد الخادمات من النصارىٰ، من الفلبين وغير الفلبين، لا يجوز استيراد وتوريد الخادمات؛ سواء من النصارىٰ من الفلبين، أو من إثيوبيا، أو غير ذلك، إذا كان ولا بد، يَكُنَّ مسلمات، أما توريد خادمات كافرات من الفلبين، أو من إثيوبيا، أو من غير ذلك، هذا منكر، في هذه الجزيرة منكر في حد ذاته، خطر علىٰ المسلمين، فكيف إذا كان في الجزيرة العربية بلاد الحرمين التي أمر النبي ﷺ بأن يُخرج منها اليهود والنصارىٰ؛ وقال: «**لَا يَنْبَغِي فِيهَا دِينَانِ**»[1].

ونسأل الله أن يوفق الدولة في القضاء علىٰ هذا المنكر، وهذا الشر، حتىٰ تمنع استيراد أنواع الكفرة، وأن لا يُستورد من الكفرة إلا من تدعو الضرورة القصوىٰ إلىٰ مجيئه لمصلحة المسلمين؛ كالطبيب الذي يُحتاج إليه، ويضطر إليه، أو مهندس يحتاج إليه، أو ما أشبه ذلك، كما أبقىٰ النبيُّ ﷺ في خيبر اليهود يعملون في خيبر، للحاجة إليهم؛ لما كان الصحابة مشغولين بالجهاد، أبقىٰ النبي اليهود في خيبر، ثم أجلاهم عمر بعد ذلك، وكما استقل النبي ﷺ عبد الله بن قُريط دليلًا إلىٰ المدينة وهو كافر، فيستعمل من الكفرة في هذه الجزيرة ما تدعو الضرورة إليه، وما لا تدعو الضرورة إليه يجب إبعاده، وعدم دخول هذه البلاد التي أمر الله ﷻ علىٰ لسان نبيه محمد ﷺ أن تبقىٰ سليمة بعيدة من الأديان الأخرىٰ،

---

(١) رواه الإمام مالك في كتاب الجامع، باب ما جاء في إجلاء اليهود من المدينة (١/ ٥٨٧)، والإمام أحمد من حديث عائشة رضي الله عنها بلفظ: «**لَا يُتْرَكُ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَانِ**» (٦/ ٢٧٤).

ليس فيها إلا دين الإسلام؛ لأنها مهد الإسلام؛ ومطلع شمس النبوة، فلا يجوز أن يكون فيها دين آخر.

س١٤: بعض الناس يقوم بالمساهمة في الشركات، فهل يكون علىٰ المساهمة زكاة، مع العلم بأن المساهم لا يعلم هل المساهمة كسبت أم خسرت؟

ج: كل من ساهم في أرض للبيع، أو في غيرها مما يباع، فعليها الزكاة إذا حال عليها الحول، تُقَوَّم الأرض أو السيارات، وما أشبه ذلك، فيزكي كلَّ ما دار الحول علىٰ حسب القيمة.

س١٥: هل يجوز لغير المسلم أن يتولىٰ أمرًا من أمور المسلمين الدنيوية في بلد مسلم؟ وهل يجب مطالبة ولي الأمر بإقصائه عن هذا الأمر؟

ج: الواجب في بلاد المسلمين مطلقًا أن لا يتولىٰ الكفار شؤون المسلمين، ولا سيما الأمور التي لها أهمية، لا يتولاها الكفار أبدًا؛ لا في المشارق ولا في المغارب، ولكن في الجزيرة العربية أشد وأعظم؛ لأنهم قوم أعداء المسلمين، والله يقول ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨]، **المقصود**: أن الكفار خطرهم عظيم، فالواجب التحرُّز منهم غاية التحرز، وألا يولوا شيئًا فيه خطر علىٰ المسلمين، فإنهم يُستخدمون للحاجة عند الضرورة، وفي الجزيرة أشد وأشد.

س١٦: هل يجوز لي أن أزور رجلًا يقول: لا داعي لحجاب النساء؛ فنحن قبائل وقلوبنا نظيفة؟

ج: هذا الذي يقول: لا داعي لحجاب النساء، وقلوبنا نظيفة، هذا من جهله، أَتىٰ هذا من جهله وقلة علمه أتىٰ، وهل كونه قبائل أو بني عم يمنع نزغة الشيطان بينهم؟ هذا أمر طبعي بين الناس، ميل الرجال للنساء؛ وفتنة الرجال والنساء أمر يعم القبائل وغير القبائل، يعم الجميع؛

فالذي يقول: نحن أقارب وقبائل، فلا بأس أن تكشف المرأة عند ابن عمها، وابن خالها، هذا جاهل وضعيف غَيْرة، ولو كان عنده علم أو عنده غيرة صحيحة لما قال هذا الكلام، الواجب علىٰ المرأة التحجُّب عن ابن عمها وعن الأجنبي جميعًا، وعن جارها وغير جارها.

س١٧: أرجو بيان رفع اليدين في الصلاة، وفي كم موضع ترفع اليدان؟

ج: الصلاة يُشرع فيها رفع اليدين في أربعة مواضع جاءت بها السُّنَّة عن رسول الله، عليه الصلاة والسلام.

الأول: عند الإحرام، **والثاني**: عند الركوع، **والثالث**: عند الرفع من الركوع، **والرابع**: عند القيام من التشهد، الأول إلىٰ الثالثة يرفع يديه حيال منكبيه، أو حيال الأذن، هذا كله فعله النبي ﷺ يرفع يديه مضمومة الأصابع مادًّا لها، مادًّا لأصابعه، ضامًّا لها، لا ناشرًا لها، هكذا عند تكبيرة الإحرام، وعند الركوع، وعند الرفع من الركوع، وعند القيام من التشهد الأول: فعله النبي ﷺ.

س١٨: إذا كان المسلم قد قصَّر في حياته من الصلاة المفروضة، هل عليه تأدية السُّنَّة بعد الصلاة، أم يقضي ما فاته من الصلاة؟

ج: إذا كان قد ترك شيئًا من الصلوات عمدًا، فعليه التوبة، ويكفي إذا تاب إلىٰ الله كفىٰ، أما إذا تركها ناسيًا لها، أو نائمًا؛ إذا استيقظ أو ذكر يصليها بسنَّتها، أما إذا كان لا، إنما عمدًا غلب عليه الشيطان وتكاسل، ثم مَنَّ الله عليه بالتوبة، لا قضاءَ عليه علىٰ الصحيح، التوبة تَجبُّ ما قبلها.

س١٩: ما حكم الاحتفال بالإسراء والمعراج والمولد النبوي الشريف، وكذلك تخصيص يوم أو أسبوع أو شهر للاحتفال بذكرىٰ رجل من المصلحين؟

ج: الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج، أو بالموالد كلُّه من البدع؛

الرسول ﷺ وأصحابه ما احتفلوا بليلة الإسراء والمعراج، ولا بالمولد، ولا بالمُهاجر، ولا بالبعثة، ولا بغير ذلك، كل هذا لا يجوز اتخاذه يومَ عيد؛ للهجرة، أو لبدر، أو لمولد، أو للإسراء والمعراج، كل هذا لا يجوز، بل هذا من المنكرات، ومن الأعياد المحدَثة التي ما أنزل الله بها من سلطان، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه، أما إيجاد ندوة، أو أسبوع، أو يوم للنظر في دعوة إنسانٍ، أو كتب إنسان وأخباره، فلا بأس بذلك؛ كأن يتخذ موعد للنظر في كتب البخاري، أو مسلم، أو سيرة النبي ﷺ، وما كان عليه، في كذا، في سفره، أما في حياته، أو في كذا، أو الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته، أو شيخ الإسلام ابن تيمية، أو ابن القيم، أو ما أشبه ذلك لغير يكون هذا مستمرًّا متكررًا، بل يفعل بعض الأحيان، هذا لا يضر؛ لأن فيه منفعة للمسلمين، كان النبي ﷺ إذا حدَث أمر مهم، قال: «**الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ**»[1]؛ فحضر الناس، وتكلَّم معهم، وذكَّرهم، وبيَّن لهم الحادث وأحكامه، هذا لا بأس كونه يُدعىٰ إلىٰ حفلة لبيان شيء في أسبوع، أو في يوم، أو في وقت معين ولا يتكرر كل عام بعود السنَّة، أو بعود الأسبوع، أو بعود الشهر، أو بعود اليوم المعين، هذا لا نعلم فيه بأسًا؛ لأن هذا يفيد الأمة، ويشرح لها أشياء كثيرة مما تحتاج إليه.

س٢٠: ما حكم الخروج من المسجد بعد الأذان؟

ج: الرسول ﷺ نهىٰ عن ذلك، لَمَّا خرج رجل بعد الأذان: «أَمَّا هَذَا، فَقَدْ عَصَىٰ أَبَا القَاسِمِ ﷺ»[2]، فلا يجوز الخروج بعد الأذان إلا لعلة؛ ليتوضأ، أو إلىٰ مسجد يصلي بجماعته، أو أشباه من الأعذار

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في كتاب الكسوف، باب النداء بالصلاة جامعة في الكسوف، برقم (١٠٤٥)، ومسلم في كتاب الكسوف»، باب ذكر النداء بصلاة الكسوف (الصلاة جامعة)، برقم (٩١٠).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب النهي عن الخروج من المسجد إذا أذن المؤذن برقم (٦٥٥).

الشرعية التي ليس قصده الفرار من الجماعة. أما من خرج فرارًا من الجماعة، فقد أتىٰ منكرين: ترك الجماعة، والخروج بعد أذان المؤذن، فلا يجوز، أما إذا كان لعذر شرعي، خرج ليتوضأ ثم يعود، أو يصلي في مسجد آخر قريب منه، أو إمام المسجد جاء ليحضر الدرس، ثم قام ليصلي بجماعته، أو ما أشبهها من الأعذار المهمة، فنرجو ألا يكون عليه حرج في ذلك، أما يخرج ليتوضأ؛ هذا لا شك لا حرج عليه؛ لأنه ضروري؛ لا صلاة إلا بطهارة.

س٢١: ما حكم المصافحة بعد الصلاة؟

ج: إذا كان قد تلاقيا ولم يتصافحا، فلا بأس، أما إذا كان قد تصافحا عند اللقاء في الصف، يكفي إن شاء الله ذلك، ولو تصافحا بعد ذلك، بعد الصلاة، فلا أعلم فيه حرجًا؛ لأن الصلاة شغل شاغل، فإذا قد تصافحا بعد لأجل شغلهم بالصلاة، فلا نعلم فيه بأسًا، لكن تركه أوْلىٰ فيما يظهر، يكفي التصافُح عند اللقاء؛ لأنه ثبت عنه ﷺ أن بعض الناس دخل المسجد فصلىٰ، ثم جاء، فسلم علىٰ النبي ﷺ فرد عليه النبي السلام؛ ثم قال: «**ارْجِعْ فَصَلِّ؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ**»، فرجع فصلىٰ كما صلىٰ، ثم رجع، فسلم علىٰ النبي ﷺ فرد عليه النبي ﷺ فقال: «**ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ**»، فعلها ثلاثًا[1]، ثم يأتي وهو عند النبي ﷺ قريب من النبي ﷺ ويراه النبي يأتي، فيسلم فيرد عليه النبي السلام، وماذا؛ لأن السلام فيه خير عظيم، وفيه إزالة للوحشة، وفيه تقارب وتآلف، فالأمر فيه واسع إن شاء الله.

* * *

(١) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب وُجوب القراءة للإمام والمأموم برقم (٧٥٧)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، وإنه إذا لم يحسن الفاتحة ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها، برقم (٣٩٧).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام علىٰ أشرف خلق الله، نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه ومن سار علىٰ نهجه إلىٰ يوم الدين؛ وبعد:

فإنِّي أحمد الله تَعَالَىٰ علىٰ أن وفَّقني لإتمام هذا الكتاب المهم، وذلك بعد عناء ووقت طويل قضيته في تحويل مسموعه إلىٰ مطبوع، وترتيب فصوله، وتحرير مسائله، ومقابلته مع المسموع.

وكلِّي أمل فيمن قرأ هذا الكتاب من إخواني المسلمين وطلبة العلم خاصة أن يتحفوني برأيهم السديد، أو ملحوظة مفيدة، أو تصويب خطأ، ولهم الأجر من الله، والشكر والتقدير مني.

وصلَّىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا . . .

صلاح الدين بن عثمان بن أحمد

عفا الله عنه

الرياض ١٤٣١/٥/٥





الفهارس العامة

١ ـ فهرس الآيات القرآنية.

٢ ـ فهرس الأحاديث الشريفة.

٣ ـ فهرس الآثار والأقوال.

٤ ـ فهرس المراجع.

٥ ـ فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

سورة آل عمران

* * *

فهرس الأحاديث الشريفة(١)

(١) احتسب (أل) التعريف في ترتيب الحروف.

طرف الحديث | الصفحة

طرف الحديث	الصفحة
- اللَّهُمَ إِنَّكَ عَفوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ	٢١٢، ٢٢٥
- اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ	١٨٥
- اللَّهُمَّ زِدْ هَذَا البَيْتَ تَشْرِيفًا	٢٦٨
- المُؤْمِنَ لِلمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ	٢٤٥، ٣٣٢، ٣٧٤
- المَاءُ مِنَ المَاءِ	١٩٢
- المُسْبِلُ وَالمَنَّانُ وَالمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ	٤٠٣
- المُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ	٣٤٠
- المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ	٣٧٠
- المُسْلِمُونَ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ	٥٥
- إِلَىٰ أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَابًا	٣٢٧
- أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ	٤٠٨
- أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا	٢٢٨
- إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ	٩٢
- إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يَوْمَ القِيَامَةِ يُعَذَّبُونَ	٤٠٥
- إِنَّ الأَكْثَرِينَ هُمُ الأَقَلُّونَ يَوْمَ القِيَامَةِ	٨١
- إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ	٣٢٣
- إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ	١١
- إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ	٣٦١
- إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا	٣٦٦
- إِنَّ اللهَ ﷻ وَضَعَ عَنِ المُسَافِرِ	٤٩
- إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الجَنَّةَ	٢٠٢
- إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ صُوَرِكُمْ	٣٨٠
- إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ	١٢١
- إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ القِيَامَةِ: أَيْنَ المُتَحَابُّونَ	٣١٧
- أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ	٣٧٦
- إِنَّ هَذَا حَمِدَ اللهَ	٣٤٢

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث	الصفحة

❊ ❊ ❊

فهرس الآثار والأقوال

❊ ❊ ❊

فهرس المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم.
٢ - صحيح البخاري.
٣ - صحيح الإمام مسلم.
٤ - سنن أبي داود.
٥ - سنن الترمذي.
٦ - سنن النسائي.
٧ - سنن ابن ماجه.
٨ - مسند الإمام أحمد.
٩ - المستدرك للحاكم.
١٠ - سنن الدارمي.
١١ - صحيح ابن حبان.
١٢ - المعجم الكبير للطبراني.
١٣ - الموطأ.
١٤ - سنن البيهقي.
١٥ - سنن الدارقطني.
١٦ - مصنف ابن أبي شيبة.
١٧ - شعب الإيمان للبيهقي.
١٨ - المعجم الأوسط للطبراني.
١٩ - تاريخ دمشق لابن عساكر.
٢٠ - السلسلة الصحيحة للألباني.
٢١ - الإبانة لابن بطة.
٢٢ - سير أعلام النبلاء.
٢٣ - أخلاق العلماء.
٢٤ - مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة لسماحة الشيخ ابن باز.

٢٥ ـ مجموعة أشرطة صوتية لسماحة الشيخ ابن باز من ١ إلىٰ ١٩.
٢٦ ـ جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز.
٢٧ ـ إمام العصر.
٢٨ ـ الإمام ابن باز دروس وعبر.
٢٩ ـ الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز.
٣٠ ـ ترجمة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، الشيخ عبد العزيز القاسم.



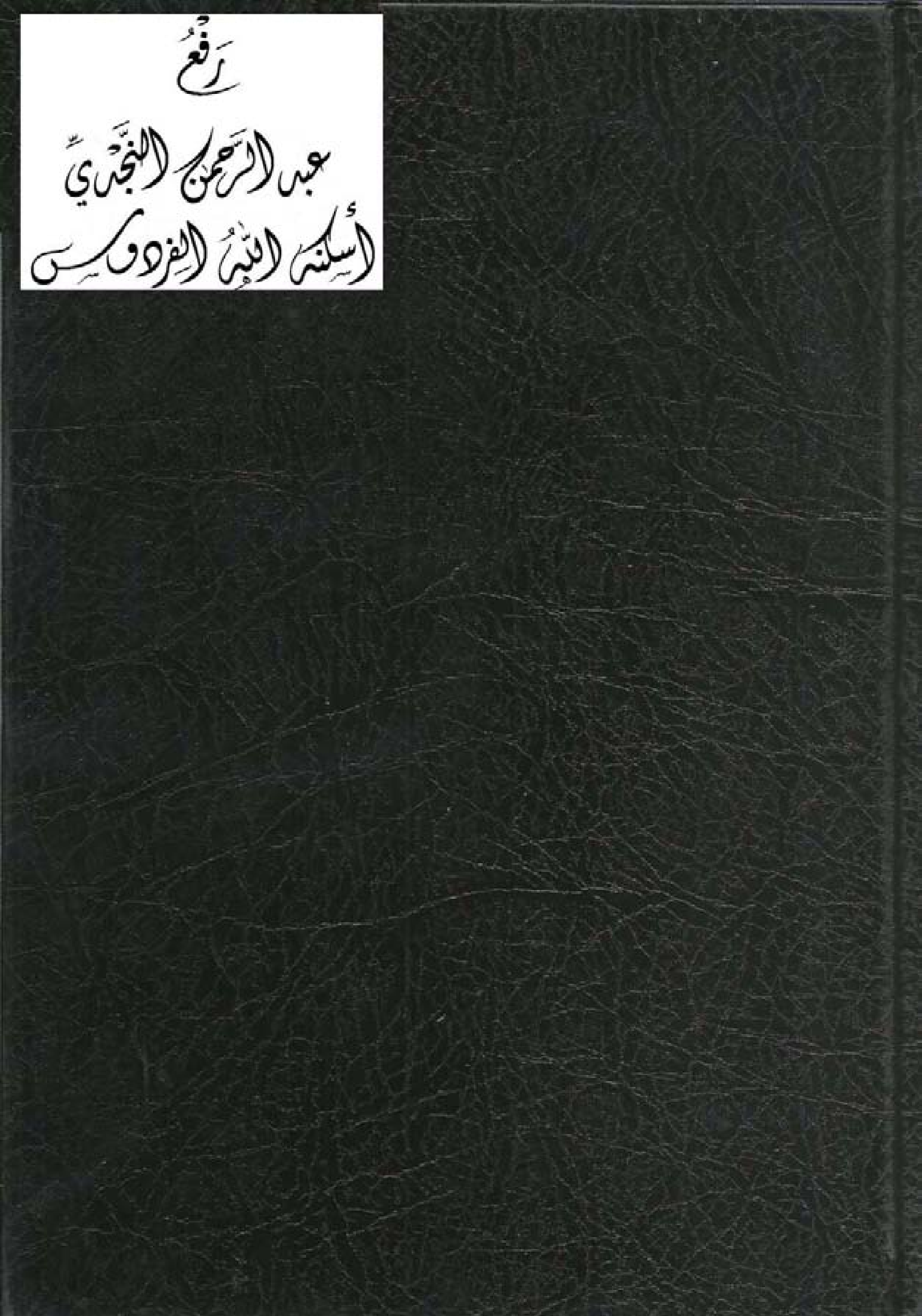
فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس